

تراثنا

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء العاشر

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والارشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَالْمُسْلِمِينَ

الجزء العاشر

من كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية الملك المنصور أبى بكر

ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر

- هو السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن السلطان الملك الناصر أبى المعالى محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . جلس على تخت الملك بالإيوآن من قلعة الجبل بعهد من أبيه إليه صبيحة توفى والده ، وهو يوم الخميس حادى عشرين ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور على لقب جده . والمنصور هذا هو الثالث عشر من ملوك الترك بديار مصر ، والأول من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وآتفق الأمراء على إقامة الأمير سيف الدين طُغْزَدُمُزُ الحَمَوِيّ ، هو الملك المنصور هذا فى نيابة السلطنة بديار مصر كونه من أكابر الأمراء ، وأيضا صهر السلطان ، ويكون الأمير قوصون الناصرى - مدبر المملكة ، ورأس المشورة ، ويُشاركه فى رأى الأمير بشتك الناصرى ، وتم ذلك ورسم بتجهيز التشاريف والخلع إلى نواب البلاد الشامية على يد الأمير قُطْلُوْبَغَا الفخرى ، ورسم له بتحليف الأمراء والنواب بالبلاد الشامية على

العادة . ونُودى بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر الله تعالى ، فُسِّر الناس بذلك ، فإنهم كانوا قد أمتنعوا من التعامل بالفضة وألا تكون معاملتهم إلا بالذهب . ثم أُفْرِجَ^(١) عن بركة الحبش ، وكان النشوق قد أخذها من الأشراف ، وصار يُنْفَقُ فيهم من بيت المال . ثم كَتَبَ إلى ولاية الأعمال برفع المظالم وألا يُرَقَى على بلاد الأجناد شعير ولا تبُن .

ثم في يوم الخميس ثامن عشرين ذى الحجة^(٢) أُنْمِ الملك المنصور على عشرة أمراء بإمرة طبلخاناه . ثم جمع القضاة في يوم السبت سلخه في جامع القلعة للنظر في أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان وإعادته إلى الخلافة ، وحضر معهم الأمير طاجار الدوادار فآتَفَفُوا على إعادته لمهد أبيه إليه بالخلافة بمقتضى مكتوب ثابت على قاضي قُوص^(٤) .

ثم في يوم الاثنين ثاني المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة خَلَعَ السلطان على جميع الأمراء^(٥) المقدمين في الموكب بدار العدل ، وطلع القضاة وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد على الدرجة الثالثة من تحت السلطان ، وعليه خِلمة خضراء وفوق عمامته طُرحة سوداء مرقومة بالذهب ، ثم تَخَرَجَ السلطان من باب السر على العادة إلى الإيوان فقام له الخليفة والقضاة ومن كان جالسا من الأمراء ، وجلس على

(١) راجع الاستدراك الوارد في ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين : « يوم الجمعة ثاني عشرين ذى الحجة » . وما أثبتناه عن السلوك للقرنزي والتوفيقات الإلهامية . (٣) هو الجامع الناصري الذي أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون

بالقلعة . راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية

رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٥) دار العدل المذكورة هنا المقصود بها

دار العدل التي أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون باسم الإيوان بالقلعة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١

من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) المقصود بباب السر هنا باب خاص من أبواب القصور

الملكية التي يسكنها الملك بقلعة الجبل ، وهو غير باب سر القلعة .

الدرجة الأولى دون الخليفة، وقام الخليفة وأفتح الخطبة بقوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. وأرؤوا يعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون ﴿١﴾. ثم أوصى الأمراء بالرفق بالرعية وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين، ثم قال : فوضت إليك جميع أحكام المسلمين ، وقلدتك ما تقلدته من أمور الدين .

ثم تلا قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (فَمَنْ نَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) . وجلس بغيره في الحال بخلعة سوداء فلبسها الخليفة السلطان بيده ، ثم قلده سيفاً عربياً ، وأخذ القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السرفى قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه ، ثم قدمه إلى الخليفة فكتب عليه ، ثم كتب بعده فصة القضاة بالشهادة عليه ، ثم قدم السباط فاكلوا وأنقضت الخدمة .

ثم قدم الأمير بيغرا في يوم الخميس خامس المحرم من عند الأمير أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك وقد حلقه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور هذا ، فقريح الناس بذلك .

١٥

ثم في يوم الأحد ثامن المحرم قبض على الأمير بشتك الناصري ، وذلك أنه طلب أن يستقر في نيابة الشام ، ودخل على الأمير قوصون وسأله في ذلك وأعلمه أن السلطان كان قبل موته وعده بها وألح في سؤاله ، وقوصون بدافعه ويحتج عليه بأنه قد كتب إلى الأمير الطنبغا الصالحى نائب دمشق تقليداً باستمراره في نيابة

دَمَشَقَ عَلَى عَادَتِهِ وَلَا يَلِيقُ عِزُّهُ سَرِيحًا ، فَقَامَ عَنْهُ بَشْتَكٌ وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ ، فَإِنَّهُ
 كَانَ قَدْ تَوَقَّعَ مِنْ قَوْصُونَ وَخَشِيَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَطَلَبَ الْخُرُوجَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ
 لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا قَدِيمًا مِنَ الْمَنَافَرَةِ ، وَلَأنَّ قَوْصُونَ صَارَ الْآنَ مُتَحَكِّمًا فِي الدَّوْلَةِ ، فَلَمَّا
 نَجَرَ بَشْتَكٌ مِنْ عِنْدِ قَوْصُونَ وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ سَمِيَ بِخَاصِيكِيَّةِ السُّلْطَانِ وَحَمَلَ إِلَيْهِمْ
 مَا لَا كَثِيرًا فِي السَّرِّ ، وَبَعَثَ إِلَى الْأَمْرَاءِ الْيَكَارَ وَطَلَبَ مِنْهُمْ الْمُسَاعَدَةَ ، فَمَا زَالُوا
 بِالسُّلْطَانِ حَتَّى أَنْهَمَ عَلَيْهِ بِنْيَابَةَ الشَّامِ وَطَلَبَ الْأَمِيرَ قَوْصُونَ وَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يُؤَافِقْهُ ،
 وَفَزِعَ مَعَ السُّلْطَانِ أَنَّهُ يَحْتَسِبُ الْأَمْرَاءَ فِي ذَلِكَ وَيَعِدُّهُمْ بِأَنَّهُ يُوتَى بَشْتَكٌ إِذَا قَدِمَ
 الْأَمِيرُ قُطْلُوبُغَا الْفُخْرَى مِنْ تَحْلِيفِ نَائِبِ الشَّامِ وَبِنَسْخَةِ الْيَمِينِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الْأَمْرَاءُ
 عَرَفَهُمُ السُّلْطَانُ طَلَبَ بَشْتَكٌ بِنْيَابَةَ الشَّامِ فَأَخَذُوا فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشُّكْرِ مِنْهُ ،
 فَاسْتَدْعَاهُ وَطَيَّبَ خَاطِرَهُ وَوَعَدَهُ بِهَا عِنْدَ قُدُومِ الْفُخْرَى ، وَرَسَمَ لَهُ بَأَنَ يَتَجَهَّزُ
 لِلسَّفَرِ ، فَظَنَّ بَشْتَكٌ أَنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ ، وَقَامَ مَعَ الْأَمْرَاءِ مِنَ الْخِدْمَةِ ، وَأَخَذَ فِي عَرْضِ
 خَبِيرِهِ وَبَعَثَ لِكُلِّ مِنْ أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ الْمُقَدِّمِينَ مَا بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَرْؤُسَ إِلَى رَاسِيْنِ
 بِالْقَهَاشِ الْمَذْهَبِ الْفَانِرِ ، وَبَعَثَ مَعَهَا أَيْضًا الْمُهْجَنَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى الْأَمْرَاءِ الْخَاصِيكِيَّةِ
 مِثْلَ مَلِكْتُمَرِ الْجَازِيِّ وَالطَّنْبَغَا الْمَارِدَانِيَّ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ وَاللُّؤْلُؤِ
 وَالتَّحَفِ . وَفَرَّقَ عِدَّةً مِنَ الْجَوَارِي فِي الْأَمْرَاءِ بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ
 إِلَّا وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ . ثُمَّ فَرَّقَ عَلَى مَمَالِيكِهِ وَأَجْنَادِهِ وَأَنجَرَ ثَمَانِينَ جَارِيَةً بَعْدَ مَا شَوَّرَهُنَّ
 بِالْأَقْمَشَةِ وَالزَّرَاكِشِ وَزَوْجَهُنَّ . وَفَرَّقَ مِنْ شَوْنَتِهِ عَلَى الْأَمْرَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ إِدْرَبَ
 ظِلَّةٍ . وَزَادَ بَشْتَكٌ فِي الْعَطَاءِ حَتَّى وَقَعَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ وَأَتَمَّهُ السُّلْطَانُ وَالْأَمِيرُ قَوْصُونَ
 بِأَنَّهُ يُرِيدُ الْوُثُوبَ عَلَى السُّلْطَانِ وَعَمِلُوا هَذَا مِنْ فَعْلِهِ مُجَمَّةً [اللَّقْبُضُ ^(١)] عَلَيْهِ ، وَكَانَ
 مَا خَصَّ الْأَمِيرَ قَوْصُونَ مِنْ تَفْرِقَةِ بَشْتَكٍ فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ تَجَرِّينَ مِنْ حِجَارَةِ مَعَاصِيرِ

- (١) القصب بما فيهما من القنود والسكر والأعسال والأبقار والغلال والآلات، ونحوهما فذات من القصب مزروعة في أراض ملك له، وغير ذلك، فادهش الأمراء كثرة عطائه، واستغنى منه جماعة من ممالكه وحواشيه. ولما كثرت القالة فيه بأنه يريد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال: هم إذا قبضوا على أخذوا مالى وأنا أحق بتفرقة منهم، وإذا سلبت فالمال كثير. هذا وقد قام قوصون في أمر بشتك المذكور قايماً حتى وافقه السلطان على القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخرى، فاشاع قوصون أن بشتك يريد القبض على الفخرى إذا حضر فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من تلقاه وعرفه بما وقع من تجهيز بشتك وأنه على عزم من أن يلقاك في طريقك ويقتلك، فكن على حذر، فأخذ قطلوبغا من الصالحية يحترز على نفسه حتى نزل سرياقوس^(١) وأتفق من الأمر العجيب أن بشتك خرج إلى حوشه بالرديانية خارج
- (١) في الأصلين: «بما فيها». وما أثبتناه من السلوك. (٢) القنود: واحدة قند: عمل قصب السكر إذا جدد. ويقال إنه فارسي معرب. (٣) الصالحية: إحدى قرى مركز قاقوس بمديرية الشرقية بمصر. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
- (٤) قرية مصرية. راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.
- (٥) يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على الرديانية (ص ١٣٩ ج ٢) أن الرديانية اسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقلي أحد خدام العزيز بالله نزار بن المزمّلين الله. كان يحمل المظلة على رأس الخليفة وأختص بالخليفة الحاكم بأمر الله إلى أن قتله الحاكم في سنة ٥٩٣ هـ.
- وأقول: إنه لما كان بستان الرديانية يقع في حدود الصحراء الواقعة في شمال القاهرة، وكان البار يتنهي إليه فقد أطلق اسم الرديانية على البستان وعلى ما يجاوره من الأراضي الرطبة القضاء التي كانت تمتد في ذلك الوقت ما بين المكان الذي فيه اليوم ميدان الأمير فاروق بباب الحسينية وبين الصحراء التي فيها الآن مدينة مصر الجديدة، يؤيد ذلك جميع الوقائع والحوادث التي وقعت في الرديانية في عهد المماليك والتي وقعت بينهم وبين الترك. وذكرها ابن أبياس في تاريخ مصر في عدة مواضع، وكلها تدل على أن الرديانية كانت في الجهة السابق ذكرها. يدخل في حدود الرديانية الآن الوايلي الصغرى والعبابية ونكبات الجيش الواقعة على جانبي شارع الخليفة المأمون ومنشية الكبرى ومصر الجديدة.
- ولا يزال يوجد من بقايا بستان ريدان الأراضي الزراعية الواقعة الآن على جانبي شارع بين الجنانين وشارع أحمد بك سعيد بأراضي تاحية الوايلي الصغرى خارج باب الحسينية بالقاهرة.

القاهرة ليعرض مجنّه وجماله فطار الخبر إلى قُطْلُوبُغا أن بشتك قد خرج إلى الرّيدانية في أنتظارك ، فأستعد قُطْلُوبُغا ولبس السلاح من تحت ثيابه وسار حتى تلقاه عدّة كثيرة من ممالكه وحوليه وهو على أهبة الخروج للحرب ، وخرج عن الطريق وسلك من تحت الجبل لينجو من بشتك وقد قوى عنده محمّة ما بلغه ، وكان عند بشتك علم من قدومه ، فلما قُرب من الموضع الذى فيه بشتك لاحت له غُبرة خيل فحدس بشتك أنه قُطْلُوبُغا الفخرى قد قَدِم ، فبعث إليه أحد ممالكه يبلغه سلامه وأنه يقف حتى يأتيه فيجتمع به ، فلما بلغ الفخرى ذلك زاد خوفه من بشتك ، فقال له : سلّم على الأمير وقل له : لا يمكن اجتماعي قبل أن أقف قُدّام السلطان . ثم بعد ذلك أجمع به وبغيره ، فمضى مملوك بشتك وفي ظن قُطْلُوبُغا أنه إذا بلغه مملوكه الجواب ركب إليه ، فأمر قُطْلُوبُغا ممالكه بأن يسيروا قليلاً قليلاً ، وساق هو بمفرده مشواراً واحداً إلى القلعة ، ودخل إلى السلطان وبلغه طاعة النّوّاب وفرحهم بأيّامه . ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قُوصُون وسائر الأمراء بما اتفق له مع بشتك ، وأنه كان يريد معارضته في طريقه وقتله فأعلمه السلطان وقُوصُون بما اتفقا عليه من القُبْض على بشتك . فلما كان عصرُ اليوم المذكور ، ودخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر وفيهم الأمير بشتك ، وأكلوا السّماط تقدّم الأمير قُطْلُوبُغا الفخرى والأمير طُغْزُدْمُر إلى بشتك وأخذوا سيفه وكنتفاه وقُبْض معه على أخيه ^(١) أيّوان وعلى طُولُوتْمُر ومملوكين من الممالك السلطانية كانا يلوزان ببشتك ، وقبّدا جميعاً وسفّروا إلى الإسكندرية في الليل صحبة الأمير أَسَنْدُمُر العُمريّ وقُبْض على جميع ممالكه ووقعت الحوطة على موجوده ودوره وتنبّعت غلمانُه وحواشيه . وأنهم السلطان من إقطاع بشتك

(١) في أحد الأصولين : « على أخويه » . وما أثبتناه عن الأصل الآخر والسلوك وتاريخ سلاطين الممالك .

على الأمير قَوْصُون بِمُخْصَوص^(١١) الشَّرْقِ زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِهِ ، وَأَخَذَ السُّلْطَانُ الْمَطْرِيَّةَ^(١٢) وَمُنِيَّةَ ابْنِ خَصِيبٍ وَشَبْرًا ، وَفَرَّقَ بَقِيَّةَ الْإِقْطَاعِ عَلَى مَلِكْتُمُرَ الْجَازَى وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ تَاسِعِ الْحَزْمِ حُمِلَتْ حَوَاصِلُ بَشْتَكْ ، وَهِيَ مِنَ الذَّهَبِ الْعَيْنِ^(١٣) مَا ثَمَنَ أَلْفَ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ . وَمِنَ الْمَوْكُورِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْحَوَاصِلِ الذَّهَبِ وَالْكَفَافَةِ مَا لَزَّكَشْ شَيْءٌ كَثِيرٌ جَدًّا ، هَذَا بَعْدَ أَنْ فَرَّقَ غَالِبٌ مَوْجُودَهُ حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَالْمَالِكِ . ثُمَّ أُنْجِرَ السُّلْطَانُ الْأَمِيرُ أَحْمَدُ شَادَ الشَّرْبَنْجَانَاةَ مُنْفِيًّا إِلَى طَرَابُلُسَ لَيْلَهُ مَعَ بَشْتَكْ .

- (١) خصوص الشرق : بلدة كبيرة تعرف اليوم باسم « الحمام » بمركز أبنوب بمديرية أسيوط بمصر . وردت في معجم البلدان بأقوت باسم « الخصوص » . قال : وهي قرية من أعمال صعيد مصر شرق النيل ، كل من فيها نصارى . وفي تقويم البلدان لأبى القدا : « الخصوص قرية كبيرة قبالة أسيوط في شرق النيل » . ووردت في النسخة السنية لأبى الجيعان : « الخصوص وكفورها من الأعمال الأسيوطية » .
- وبالبحث تبين لى أن خصوص الشرق أو الخصوص كانت ناحية ذات زمام واسع . وفي فك الزمام الذى عمل في عهد السلطان سليمان العثمانى سنة ٩٣٣ هـ تقسم هذا الزمام على ناحية الخصوص الأصلية وهي الحمام وعلى كفورها وهي أبنوب وبنوزاج وبنو إبراهيم والسوالم وبنو محمد وكوم أبى شبل (كوم أبى شبل الآن) وبنوزيد والأكراد وبنو مر وكلها حول الحمام المذكورة بمركز أبنوب . وكانت بلدة الحمام هذه تعرف باسم الخصوص إلى سنة ١٢٣٠ هـ التى فك فيها زمام مديرية أسيوط في عهد محمد على باشا الكبير ، ففي تلك السنة وردت باسم الحمام لأول مرة في دفاتر المساحة والمكلفات ، وبذلك اختفى اسم الخصوص أو خصوص الشرق من عداد النواحي المصرية ، وظاهر اسم الحمام ، ولا يزال أغلب سكانها نصارى إلى اليوم ، وهذا يؤيد ما ذكره عنها بأقوت الحموى في معجم البلدان .
- (٢) ويوجد في مصر ناحيتان أخريان باسم الخصوص : إحداهما قرية الخصوص إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية ، وكانت تعرف بخصوص عين شمس لمجاورتها لمدينة عين شمس التى كانت بضواحي القاهرة . والثانية ناحية خصوص سعادة ، وهذه كانت تعرف أخيرا باسم كفور العايد ، ثم قسم زمامها على خمس قرى بمركز بليس بمديرية الشرقية ، وبذلك اختفى اسم خصوص سعادة واسم كفور العايد من عداد النواحي المصرية .
- (٣) قرية مصرية بضواحي القاهرة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
- (٤) هي مدينة المنيا قاعدة مديرية المنيا بمصر . راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس ، والاستدراك الوارد في صفحة ٣٨٣ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٥) المقصود بشبرا هنا ناحية شبرا الخيمة إحدى قرى ضواحي القاهرة . راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) في الأصلين : « وهو من الذهب ... الخ » . وما أئبناه عن السلوك .

وفي يوم الخميس أنعم السلطان على أخويه : شعبان ورمضان كل واحد بإمرة .
 وفيه قبض السلطان على الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب لثى ،
 أوجب ذلك . وفي يوم الاثنين ثالث عشر من المحرم خلع السلطان الملك المنصور
 أبو بكر على الأمير طقزدمر الحوى بنياية السلطنة بالديار المصرية ، وكان رُشع لها
 قبل تاريخه ، فليس الخلع وجلس في دسنت النياية وحكم وصرف الأمور . وفي يوم
 الاثنين سلخه قبض السلطان على الأمير آقبا عبد الواحد وعلى أولاده ، وخلع على الأمير
 طقنمر^(١) الأحمدي وأستقر أستاذارا عوضا عن آقبا المذكور ، ورسم للأمير طيغنا
 المجدي والى القاهرة بإيقاع الخوطة على موجود آقبا ، وسلم ولده الكبير إلى المقدم
 إبراهيم بن صابر . وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر فتحدث الأمراء أن يتزل في ترسيم^(٢)
 المجدي ليتصرف في أمره ، فتزل في حجة المجدي وأخذ في بيع موجوده ، وكان
 السلطان قد حلف قديما أنه متى تسلطن قبض عليه وصادره وضربه بالمقارع لأموار
 صدرت منه في حقه أيام والده الملك الناصر . فكان مما أبيع لآقبا عبد الواحد
 سراويل لزوجته بمائتي ألف درهم فضة وبقاب وخف وسموجة^(٣) بخمسة وسبعين
 ألف درهم ، وثاربه جماعة كثيرة من الناس ممن كان ظلمهم في أيام تحككه وطلبوا
 حقوقهم منه وشكوه ، فأقسم السلطان لئن لم يرهم ليسمرته على حمل ويُسهره
 بالقاهرة ففترق فيهم مائتي ألف درهم حتى سكتوا ، وكادت العامة تقتله لولا المجدي
 لسوء سيرته وكثرة ظلمه أيام ولايته . وفي يوم الأربعاء تاسع صفر قبض السلطان

(١) في الأصلين : « طقزدمر » . ونصحه عن السلوك وتاريخ سلاطين الممالك والمهمل الصافي
 والدرر الكامنة . وكانت وفاته سنة ٧٤٧ هـ . وقد أقرده صاحب تاريخ سلاطين الممالك بأن أستقراره
 أستاذارا عوضا عن آقبا عبد الواحد كان في يوم الثلاثاء ٢٦ ذى الحجة سنة ٧٤١ هـ .

(٢) الترسيم هو الأمر الذي يصدر من الجهة المختصة بعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة (عن دوزي)

(٣) راجع حاشية رقم ٢ ص ١٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

على المقدم إبراهيم بن صابر و سلمه لمحمد بن شمس [الدين] ^(١) المقدم وأحيط بأمواله ،
فوجد له نحو سبعين ^(٢) حجرة في الجشار ومائة وعشرين بقرة في الزراب ومائتي كبش
وجوتين كلاب ^(٣) سلوقية وعدة طيور جوارح مع البازدارية ^(٤) . ووجد له من الغلال
وغيرها شيء كثير .

- ثم قدم الخبر على السلطان من الأمير طشتنر ^(٥) حمص أخضر الساق نائب حلب
بمخرج ابن دلفادر عن الطاعة وموافقه لأمرتنا ^(٦) مملكت الروم على السير لأخذ حلب ،
وأنه قد جمع بأبلستين ^(٧) جمعا كثيرا ، وسأل طشتنر أن يُبعده بعسكر من مصر ،
فقتل السلطان لذلك وعوق الجواب . وفيه رسم السلطان بضرب آقبغا عبد الواحد
بالمقارع فلم يتمكن الأمير قوصون من ذلك فاشتد حق السلطان وأطلق لسانه
بمحضرة خاصيته في حق قوصون وغيره ، وفي ذلك اليوم عقد السلطان نكاحه على
جارتين من المولدات الآتي في بيت السلطان ، وكتب القاضي علاء الدين بن
فضل الله كاتب السر صدقهما ، فخلع عليه السلطان وأعطاه عشرة آلاف درهم ،
ورسم السلطان لجمال الكفاة ناظر الخاص أن يُجهزها بمائة ألف دينار ، فشرع
جمال الكفاة في عمل الجهاز ، وبينما هو في ذلك ركب الأمير قوصون على السلطان
بجماعة من الأمراء في يوم السبت تاسع عشر صفر وخلعوه من الملك في يوم الأحد
عشرينه ، وأخرج هو وإخوته إلى قوص ^(٨) صحبة الأمير بهادر بن جرگنر .

- (١) الكلمة عن السلوك للقرنزي . (٢) في لسان العرب : « الجبر : الفرس الأثني لم يدخلوا
فيه الماء لأنه أسمى لا يشركها فيه المذكور . والجمع أجمار وجمرة وجمور » . (٣) الجشار : مكان
رعى الماشية من غيل وغيرها . (٤) سلوقية : نسبة إلى سلوق كعبور : بلدة باليمن تنسب إليها
الدروع والكلاب ، أو إلى سلوق : بلدة بدارمينية (عن شرح القاموس) . (٥) راجع حاشية رقم ٣
ص ١٧٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من الجزء
السابع من هذه الطبعة . (٧) قوص : مدينة بصعيد مصر وهي قاعدة مركز قوص بمديرية قنا .
راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس . والاستدراك الوارد في صفحة ٣٨٣ من الجزء السادس ،
من هذه الطبعة . (٨) في الأصلين : « صحبة الأمير بهادر وجرگنر » . وما أبتناه عن السلوك .

وكان سببُ خلع الملك المنصور هذا أن المنصور كان قَرَّبَ الأميرَ يَبْلُغاَ اليَحَاوِيَّ
وَشَغِفَ به شَغَفًا كَثِيرًا، ونَادَمَ الأميرَ مَلِكْتَمَرَ المَجَازِيَّ وأَخْتَصَّ به وبالأمرِ طاجار
الدَّوَادَارِ وبالأمرِ قُطْلِيْجَا الحَمَوِيَّ وجماعة من الخاصِّية ، وعَكَفَ على اللهو
وشرب الخمر وسماع الملاهي فشَقَّ ذلك على الأميرِ قَوْصُونَ وغيره لأنه لم يُعْهَد
من مَلِكٍ قبله شُربُ خمرٍ فَمَا رَوَى ، لَحَمَلُوا الأميرَ طُقُزْ دَمَرُ النَّابِ على محادثته
في ذلك وكَفَّه عنه فزاده لَوْمُهُ إغراءً وأَحْشَى في التَّجَاهُرِ باللهو، حتى تَكَلَّمَ به كُلُّ
أحد من الأمراء والأجناد والعامة، فصار في الليل يَطْلُبُ الْعِلْمَانِ لإحضار المغاني،
فَنَلَبَّ عليه السُّكْرُفِيَّ بعض الليالي فصاح من الشباك على الأميرِ أَيْدُغْمُشَ أميرِ آخُورِ:
هَاتِ لِي قَطْطَ (١) ، فقال أَيْدُغْمُشُ (١) : يَاخُونَدُ ، ما عندى قَرَسَ بهذا الاسم ، فتكلم
بذلك السَّلَاخُورِيَّةَ (٢) والركابية وتداولته الألسنة . ١٠

قلت : وأظن قطط كانت امرأة مغنية . والله أعلم .

فلما زاد أمره طلب الأمير قَوْصُونَ طاجار الدَّوَادَارِ والشَّهَابِيَّ شَادَ العِمَارَ ،
وعَنَّفَهُمَا ووجَّهَهُمَا وقال لهما : سلطانٌ مصريليق به أن يعمل مقاماتٍ ويُحْضِرَ إليه
البغايا والمغاني ! أهلكذا كان يفعل والده ؟ وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم ذلك
وتشَوَّشَ خواطِرُهُم ، فدخلوا وعرفوا السلطان كلامه ، وزادوا في القول ، فأخذ
جلساءُ الملك المنصور في الوقعة في قَوْصُونَ والتحدث في القبض عليه وعلى الأمير ١٥

(١) في السلوك : « ابن عطط » . وورد أيضاً في آبن إياس (ج ١ ص ٢١٠) باسم « عطط
في جملة أبيات من الشعر وقال : إنه اسم لمن كان يغني بمصر والشام » . (٢) ذكر القلقشندي
في صبح الأعشى (ص ٤٦٠ ج ٥) أن السراخورد هو الذي يتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها .
وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما مرا ومعناه الكبير ، والثاني خور ومعناه اللطف ، ويكون المعنى
كبير اللطف . والمراد كير الجماعة الذين يتولون علف الدواب . وبعضهم يقول سلاخور أو السلاخورية
كما ذكر المؤلف ، وهو تحريف في أصل الكلمة صوابه السراخورية . (٣) الركابية هم الذين
يركون خيول السلطان والأمراء لتسيرها وترويضها أو لتدرب بها على السباق .

- قُطِلُوا بِغَايَةِ الْفَخْرَى - وَالْأَمِيرُ يَبْرُسُ الْأَحْمَدِي - وَالْأَمِيرُ طُقُزْدَمَرْ النَّائِبُ ، قَتَلَ عَلَيْهِمُ
الْأَمِيرُ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِيَّ لِقَوَّصُونَ ، وَكَانَ قَدْ آسَمَّالَهُ قَوْصُونَ بِكَثْرَةِ الْعَطَاءِ فِيمَنْ آسَمَّالَ
مِنَ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَعَرَفَهُ أَنَّ الْإِتْفَاقَ قَدْ تَقَرَّرَ عَلَى الْقَبْضِ عَلَيْهِ فِي يَوْمِ
الْجُمُعَةِ وَقْتُ الصَّلَاةِ ، فَأَنْقَطَعَ قَوْصُونَ عَنِ الصَّلَاةِ وَأَظْهَرَ أَنَّ بَرَجًا وَجَمًّا ، وَبَعَثَ
فِي لَيْلَةِ السَّبْتِ يُعْرِضُ يَبْرُسَ الْأَحْمَدِيَّ بِالْخَبْرِ وَيُخْبِثُهُ عَلَى الرُّكُوبِ مَعَهُ ، وَطَلَبَ
الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَوَاعَدَهُمْ عَلَى الرُّكُوبِ وَمَلَأَهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَوَاعِيدِ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى
الْأَمِيرِ الْحَاجِّ آلِ مَلِكٍ وَالْأَمِيرِ جَنْكَلِي بْنِ الْبَابَا وَهَؤُلَاءِ أَكْبَارُ الْأَمْرَاءِ فَلَمْ يَطْلُعْ الْفَجْرُ
حَتَّى رَكِبَ الْأَمِيرُ قَوَّصُونَ مِنْ بَابِ سِرِّ الْقَلْعَةِ بِمَمَالِيكِهِ وَمَمَالِكِ السُّلْطَانِ وَسَارَ نَحْوَ
الصَّحْرَاءِ ، وَبَعَثَ مَمَالِيكِهِ فِي طَلَبِ الْأَمْرَاءِ فَأَتَاهُ جَرَكْتَمُورُ بَهَادُرٍ وَبَرَسْبَغَا وَقُطْلُونُ بَغَا
الْفَخْرَى وَالْأَحْمَدِيَّ - وَأَخَذُوا أَقْبَا عَبْدِ الْوَاحِدِ مِنْ تَرْسِيمٍ طَيِّبًا مَجْدِيَّ ، فَسَارَ مَعَهُ
الْمَجْدِيَّ - أَيْضًا ، وَوَقَفُوا بِأَجْمَعِهِمْ عِنْدَ قُبَّةِ النَّصْرِ وَدَقَّتْ طَبْلُخَانَاتُهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ
مِنَ الْأَمْرَاءِ حَتَّى أَتَى قَوَّصُونَ ، هَذَا وَالسُّلْطَانُ وَنَدَمَاؤُهُ وَخَاصَّكَيْتُهُ فِي غَفْلَةٍ لِهَوْنِهِمْ
وَعِيبَةِ سُكْرِهِمْ إِلَى أَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ أَرْبَابُ الْوُضَائِفِ ، وَاقْبُظُوهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ
وَعَرَفُوهُمْ مَا دُعُوا بِهِ ، فَبَعَثَ السُّلْطَانُ طَاجَارَ الدَّوَادَارِ إِلَى الْأَمِيرِ طُقُزْدَمَرْ النَّائِبِ
يَسْأَلُهُ عَنِ الْخَبْرِ وَيُسْتَدْعِيهِ ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ جَنْكَلِيَّ بْنَ الْبَابَا وَالْوَزِيرَ وَعِدَّةً مِنَ الْأَمْرَاءِ
الْمُقِيمِينَ بِالْقَلْعَةِ ، فَأَمْتَنَعَ طُقُزْدَمَرْ مِنَ الدَّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَقَالَ : أَنَا مَعَ الْأَمْرَاءِ
حَتَّى أَنْظُرَ مَا عَاقِبَةُ هَذَا الْأَمْرِ ، ثُمَّ قَالَ لَطَاجَارَ : أَنْتَ وَغَيْرُكَ سَبَبُ هَذَا ، حَتَّى
أَفْسَدْتُمُ السُّلْطَانَ بِفَسَادِكُمْ وَلَيْعِكُمْ ، قُلْ لِلْسُّلْطَانِ يَجْمَعُ مَمَالِيكَهُ وَمَمَالِيكَ أَبِيهِ حَوْلَهُ ، فَرَجِعْ
طَاجَارَ وَيُلْقِ السُّلْطَانَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ السُّلْطَانُ إِلَى الْإِيوَانِ وَطَلَّبَ الْمَمَالِيكَ ، فَصَارَتْ

(١) راجع الحاشية رقم ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) في أحد الأصولين :
« السحرة » . وفي السلوكة : « النفرة » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع
من هذه الطبعة . (٤) في السلوكة : « حتى أفسدتم السلطة بفسادكم » .

كُلَّ طائفة تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلعة حتى صاروا نحو
 الأربعمئة مملوك ، وساروا يداً واحدة من باب القلعة إلى باب القلعة ، فوجدوه
 مغلقاً فرجعوا إلى النائب طُقُزْدَمَر بعد ما أخرجوا بوالى باب القلعة وأنكروا عليه
 وعلى من عنده من الأمراء (أعنى عن الأمير طُقُزْدَمَر) ، فقال لهم طُقُزْدَمَر :
 السلطان ابن أستاذكم جالس على كرسي الملك وأتم تطلبون غيره . فقالوا : ما لنا
 ابن أستاذ ، وما لنا أستاذ إلا قَوْصُون ، ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا ومضوا
 إلى باب القرافة وهدموا منه جانباً وخرجوا فإذا خيول بعضهم واقفة فركب
 بعضهم وأردف عدة منهم ومشى باقيهم إلى قبة النصر ففرح بهم قوصون والأمراء
 وأركبهم الخيول وأعطوهم الأسلحة وأوقفوهم بين أصحابهم ، ثم أرسل قوصون
 الأمير مسعود [بن خطير ^(٤)] الحاجب إلى السلطان يطلب منه مَلِكْتُمَر المجهز
 ويَلْبَغَا البيحايي ، وهما من أمراء الألوف الخاصية وطاجار الدوادار وغيرهم ،
 ويعرفه أنه أستاذه وأستاذ جميع الأمراء وابن أستاذهم وأنهم على طاعته وإنما
 يريدون هؤلاء ليما صدر منهم من الفساد ورعى الفتن ، فطلع الأمير مسعود فوجد
 السلطان بالإيوان من القلعة ، وهم حوله في طائفة من الممالك فقبل الأرض وبلغه
 الرسالة ، فقال السلطان : لا كيد ولا كرامة لهم . وما أسيّر ممالككم وبمالك أبي لهم ،
 وقد كذبوا فيما نقلوا عنهم ومهما قدروا عليه يفعلوه ، فـ هو إلا أن نخرج عنه
 الأمير مسعود حتى آقتضى رأيه بأن يركب بمن معه ويزل من القلعة ويطلب

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة والحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) المقصود به باب القلعة العام الذي كان يعرف بباب المدرج . راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٩٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) المقصود هنا باب القرافة الذي يفصل بين القاهرة وبين قراة الإمام الشافعي وما جاورها من الجبال والأنهرى . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وقد ظهر أخيراً باب القرافة المفتوح في سور صلاح الدين الممتد من القلعة إلى القسطنطينية بجوار باب السيدة عائشة و يفصلهما مدفن ترمباى الحسيني . (٤) التكلة عن السلوك .

النائب طُقُزْدَمَرُ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْمَالِكِ وَيَدْقُ كُوسَاتِهِ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى الشَّبَاكِ وَأَمَرَ أَيْدُغُمُشَ أَمِيرَ آخُورَ أَنْ يَشُدَّ الْخَيْلَ لِلْحَرْبِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي الْإِسْطَبْلِ غَلَامٌ وَلَا سَائِسٌ وَلَا سَلَاخُورِيٌّ^(١) يَشُدُّ فَرَسًا وَاحِدًا ، فَبَعَثَ إِلَى النَّائِبِ يَسْتَدْعِيهِ فَأَمْتَنَعَ عَلَيْهِ ، وَبَعَثَ الْأَمِيرُ قَوْصُونَ بُلْكُ الْجَدَارِ وَبَرْسَبَا إِلَى طُقُزْدَمَرِ النَّائِبِ يُعْلِمُهُ بِأَنَّهُ مَتَى لَمْ يَحْضُرِ الْغُرَمَاءَ إِلَيْهِ وَإِلَّا زَحَفَ عَلَى الْقَلْعَةِ وَأَخْذَهُمْ غَضَبًا ، فَبَعَثَ طُقُزْدَمَرُ إِلَى السُّلْطَانِ يُسِيرُ عَلَيْهِ بِأَرْسَالِهِمْ ، فَعَلَّمَ السُّلْطَانُ أَنَّ النَّائِبَ وَأَمِيرَ آخُورَ قَدْ خَذَلَاهُ ، فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَى أُمِّهِ فَلَمْ يَجِدِ الْغُرَمَاءَ بَدَأَ مِنَ الْإِذْعَانِ ، وَخَرَجُوا إِلَى النَّائِبِ ، وَهُمْ الْأَمِيرُ مَلِكُتْمَرُ الْجَمَازِيِّ وَالْقُطُنْبُغَا الْمَارْدَانِيُّ وَيَلْبَغَا الْيَحْيَاوِيُّ ، وَهَؤُلَاءِ مُقَدِّمُو الْأُلُوفِ ، وَأَحَدُ خَوَاصِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَطَاجِرُ الْبُؤَادَارِ وَالشَّهَابِيُّ شَادُ الْعَمَّازِ وَبَكْلَشُ الْمَارْدِينِيُّ وَقُطْلُبُجَا الْحَمِيوِيُّ ، فَبَعَثَهُمْ طُقُزْدَمَرُ النَّائِبِ إِلَى قَوْصُونَ مَحْبِيَّةَ بُلْكُ الْجَدَارِ وَبَرْسَبَا ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَوْصُونَ صَاحَ فِي الْحَاجِبِ أَنْ يُرْجِلَهُمْ عَنْ خَيْلِهِمْ مِنْ بَعِيدٍ فَأَنْزَلُوا لِأَنْزَالٍ قَبِيحًا وَأَخَذُوا حَتَّى أَوْفَقُوا بَيْنَ يَدَيْ قَوْصُونَ ، فَتَنَفَّهَ وَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَ بِهِمْ قَبْدُوا وَعَمَلَتِ الزَّجَاجِيرُ فِي رِقَابِهِمْ ، وَأُلْخِشُبُ فِي أَيْدِيهِمْ ثُمَّ تَرَكَهُمْ فِي خَيْمٍ ضَرِبَتْ لَهُمْ عِنْدَ قُبَّةِ النَّصْرِ . وَاسْتَدْعَى طُقُزْدَمَرُ النَّائِبَ وَالْأَمِيرَ جَنْكِيَّ بْنَ الْبَابَا وَالْوَزِيرَ وَالْأَمْرَاءَ الْمُقِيمِينَ بِالْقَلْعَةِ وَالْأَمِيرَ أَيْدُغُمُشَ أَمِيرَ آخُورَ فَتَزَلُّوا إِلَيْهِ وَاتَّفَقُوا عَلَى خَلْعِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وَإِخْرَاجِهِ ، فَتَوَجَّهَ الْأَمِيرُ بَرْسَبَا فِي جَمَاعَةٍ إِلَى الْقَلْعَةِ وَأَخْرَجَ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ وَإِخْوَتَهُ وَهُمْ سَبْعَةٌ قَرَرُوا ، وَمَعَ كُلِّ مِنْهُمْ مَمْلُوكٌ صَغِيرٌ وَخَادِمٌ وَفَرَسٌ وَبُقْجَةٌ قَاشٌ ، وَأَرْكَبَهُمْ إِلَى شَاطِئِ النَّيْلِ وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَرَاةٍ وَسَارَبَهُمْ إِلَى قَوْصٍ ،

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء . (٢) يلاحظ أن أفعالا مضارعية وغيرها من التراكيب . وردت في الأصلين والسلوك للقريري مخالفة لقواعد اللغة فآثرتا إبقاءها على ما هي عليه للوقوف على بعض أساليب مؤرخي القرون الوسطى . (٣) جمع زنجير ، وهو السلسلة . (٤) الحراة : سفينة صغيرة .

ولم يترك بالقلعة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا بئحك^(١)، ثم سلم قوصون الأمراء
المقيدين إلى والى القاهرة، فمضى بهم إلى خزنة شمائل^(١) وتجنهم بها إلا يبلغا الحيأوى،
فإنه أفرج عنه، وكان يوما عظيما بالديار المصرية من إخراج أولاد السلطان الملك
الناصر على هذه الصورة، وحبس هؤلاء الأمراء الملوك في خزنة شمائل وتهتك
حرم السلطان على إخراج أولاد الناصر، وكثر البكاء والعويل بالقاهرة، فكان هذا
اليوم من أشنع الأيام. وبات قوصون ومن معه ليلة الأحد بنجيامهم في قبة النصر
خارج القاهرة، وركبوا بكرة يوم الأحد العشرين من صفر إلى قلعة الجبل وأتفقوا
على إقامة بئحك^(٢) ابن الملك الناصر محمد في السلطنة، فاقم وجلس على كرسي الملك
حسب ما يأتى ذكره في أول ترجمته. وخلع الملك المنصور في يوم السبت تاسع عشر
صفر من سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، فكانت مدة ملكه على مصر تسعة وخمسين
يوما، ومن حين قلده الخليفة [ثمانية و] أربعين يوما، لأنه لما تسلطن كان الخليفة
[الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان] المستكنى لم يتم أمره في الخلافة،
ثم انتظم أمره بعد ذلك فبايع الملك المنصور حسب ما ذكرناه، وخلع الملك
المنصور أبو بكر من السلطنة وسلم القلعة بغير قتال مع كثرة من كان معه من خواص
أمراء أبيه ومالكيه، خذلان من الله تعالى !

(١) هذه الخزنة كانت من مجرى القاهرة، ذكرها المقرئ في خطه (ص ١٨٨ ج ٢) فقال :
كانت بجوار باب زويلة على يسرة من دخل من جهوار السور، حفر بالأمر علم الدين شمائل وإلى القاهرة
في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب. وكانت من أشنع السجن وأقبحها منظرا، يحبس
فيها من وجب عليه القتل أو القطع من السراق وضلع الطريق ومن يريد السلطان إهلاكه من المالكة
وأصحاب الجرائم العظيمة، وما زالت هذه الخزنة على ذلك إلى أن هدمها الملك المؤيد شيخ الحمدوى
في سنة ٥٨١٨ وأدخلها في جلة ما هدمه من الدور التي أدخلها في مدرسته.

وأقول : إن هذه الخزنة من ضمن الأماكن التي دخلت في بناء جامع المؤيد الجوار لباب زويلة
بشارع الحزندن الله (السكرية سابقا) بالقاهرة. وكانت في القسم الجنوبي من المسجد بجوار السور القديم.
(٢) زيادة يقتضها السياق . (٣) تكة يقتضها السياق .

وفى خلعه من السلطنة وإخراجه إلى قُوص مع إخوته عِبرة لمن آتبره، فإن والده
 الملك الناصر محمد بن قلاوون كان أخرج الخليفة أبا الربيع سليمان المستكنفى بأولاده
 وحواشيه إلى قُوص منفياً مرشماً عليه فقُوصَص الملك الناصر عن قريب فى ذرئته
 بمثل ذلك، وأنَّجَ أولاده أعزُّ مماليكه وزوجُ أبنته، وهو قُوصُون الناصرى،
 فتوجه الملك المنصور مع إخوته إلى قُوص وصحبته بهادر بن جَرِكْتَمَر مثل الترسيم
 عليه وعلى إخوته، وأقام بهانحو الشهرين، ودَسَّ عليه قُوصُون عبد المؤمن متولى
 قُوص ققتله وحمل رأسه إلى قُوصُون سراً فى أواخر شهر ربيع الآخر من سنة
 اثنتين وأربعين وسبعائة، وَكْتَمُوا ذلك عن الناس. فلما أَمْسَكَ قُوصُون تحقُّق الناس
 ذلك، وجاء من حاقق بهادر أنه غرَّق طاجار الدوادار وأستحسَّ على قتل المنصور،
 فطُلب عبد المؤمن وقرَّر فأعترف فسَمَره السلطان الملك الناصر أحمد ابن الملك
 الناصر محمد بن قلاوون، وقد تسلطن بعد أخيه بَحْك أَخذا بدم أخيه الملك
 المنصور هذا .

وكان الملك المنصور سلطاناً كريماً شاباً حُلَّ إليه مالُ بَشْتِكَ ومالُ أَقْبغا عبد الواحد
 ومالُ بَرَسْبغا فوَقَب ذلك جميعه إلى الخاصكية الأمراء من ممالك والده مثل
 مَلِكْتَمَر المجازى والظُنْبغا الساردانى وبلْبغا اليَحْيَاوى وطاجار الدوادار،
 وهؤلاء كانوا عظماء أمراء الألوف من الخاصكية وأعيان ممالك الملك الناصر محمد
 ابن قلاوون وأصهاره وأحبهم وأحبوه، فآلتهى بهم عن قُوصُون وقوى بهم بأسه،
 نخاف قُوصُون عاقبة أمره وتقرب خُشْدَاشِيته إليه فدبَّر عليه وعليه حتى تم له ذلك،
 وكانت الناس تباشرتُ بئمن سلطنته. فإنه لما تسلطن أنسلطتُ الأمور على أحسن

ما يكون ولم يقع بين الناس خلاف ولا وقع سيف حتى خالف قوُصون، قومه بأمور وقبائح ودواهي، وأدعوا أنه كان ينزل هو والمذكورون من ممالك أبيه إلى بحر النيل ويركب معهم في المراكب وأشياء من ذلك، الله أعلم بصحتها. ولم يكن مسك بشتك بخاطره ولا عن أمره إلا مراعاة لخاطر قوُصون لما كان بينهما من أيام أستاذهما الملك الناصر محمد من المنافرة. وكان الملك المنصور شاباً حلوا الوجه، فيه سُفرة وهَيْف قوام، وكان تقدير عمره ماحول العشرين سنة، وكان أخف الإخوة وأنجمهم. زوجه أبوه بنت الأمير سيف الدين طُغْزَدَمَر الحموي.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخه: وعمل الناس عزاءه ودار جواره^(١) في الليل بالدراريك في شوارع القاهرة أياماً، وأبكين الناس وتأسفوا عليه لأنه خُلِل، وعمل عليه وأخذ بغتة، وقُتِل غصاً طرياً، ولو استمر لجاء منه ملك عظيم، كان في عزمه ألا يُغيّر قاعدة من قواعد جدّه الملك المنصور قلاوون، ويُنْطَل ما كان أحده أبوه من إقطاعات العربان وإنعاماتهم، وغير ذلك. انتهى كلام الصلاح الصفدي باختصار.

وأما أمر بشتك وحبسه فإنه كان من أجل ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان نُقِل عليه في أواخر أمره. فإنه لما مات بكتُم الساق ورثه في جميع أمواله، في داره وإسطبله. وتزوج بامرأته أم أحمد بن بكتُم الساق واشترى جاريته

(١) الصواب فيه: « ودارت جواريه ».

(٢) كذا في الأصلين والمنهل الصافي وأعيان العصر وأعواف النصر للصفدي (ج ٧ قسم ثان ص ٢٠٩) وهي محزنة عن الدرايك، جمع دربكة ودربوكة، سر يانية الأصل وهي مروة (عن دوزي).

(٣) في الأصلين: « في جميع أحواله ». وما أتجناه عن المنهل الصافي.

- (١) خوي بستة آلاف دينار، وكان معها من الفُاش ما قيمته عشرة آلاف دينار، وأخذ ابن بكتمر عنده . وكانت الشرقية تَحْمِي لِبَكْتُمَر الساقى لحماها هو بعده، فعظم ذلك على قَوْصُون ولم يَسْعَه إِلَّا السُّكَات لِمَلِ السُّلْطَان إليه . وكان مع هذه الرئاسة الضعفة غير عفيف الذِّل عن المَلِيح والقبِيح، وبالغ في ذلك وأفرط حتَّى في نساء الفلاحين وغيرهم . وكان سبب قُربه من أستاذه الملك الناصر أن الملك الناصر قال يوما في مبدأ أمره لمجيد الدين السَّلاَمِي: أريد أن أشتري لى مملوكًا يُشبه بوسعيد ابن خربندا ملك التَّار، فقال مجيد الدين: دَعْ ذلك، فهذا بَشْتَك يُشبهه لافرق بينهما فحِظِي عنده لذلك . ولما نَدَبَه السُّلْطَان لِمَسْك تَنَكِر وتوجَّه إلى الشام للحوطة على مال تَنَكِر، ورَأَى أَمْرَ مَشْق طَمِع في نياتها ولم يَحْسُرُ فَنَافَح السُّلْطَان في ذلك، وبَقِيَ في نفسه منها حَزَازة، فلَمَّا مَرَضَ السُّلْطَان وأشرف على الموت ألبس بَشْتَك مَمَالِيكَه، فَإِنَّهُ كَانَ بَلَّغَهُ عن قَوْصُون أَنَّهُ ألبس مَمَالِيكَه، ثم أُنْتَظِمَ الأَمْرُ عل أن السُّلْطَان جَعَلَ ابْنَه أبا بكر وَلِيَّ عَهْدِه، وقد قَدَمْنَا ذَكَرَ ذلك كُلَّه مَفْصَلًا في أواخر ترجمة الملك الناصر . فلَمَّا وَقَعَ ذلك قال بَشْتَك: لا أوافق على سلطنة أبي بكر، ما أريد إِلَّا سَيِّدِي أَحْمَدَ الَّذِي بِالكَرَّك . فلَمَّا مَاتَ السُّلْطَان وَتَحَمَّى قَامَ قَوْصُون إلى الشَّبَّاك وطلب بَشْتَك وقال له: يا أَمِيرَ تَعَالَى، أَنَا مَا يَحْيَى مَنِّي سُلْطَان، لِأَنِّي كُنْتُ أَبِيع

(١) ترجم لما صاحب الدر الكامة وضبطها بالمبارة فقال: «خوي النوادة، بضم الناء، المعجمة وسكون الواو بعدها موحدة مكسورة . كانت مغبة فاقمة في ضرب العود ... ماتت بعد الأوبعير وسجامة» .

(٢) الشرقية المقصود بها هنا إقليم الشرقية إحدى مديريات الوجه البحري بمصر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هو إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلاوى (بتشديد اللام) مجيد الدين بر الخواجا تاجر الخاصر في الرقيق . ولد سنة ٦٧١ هـ وهو الذى سعى مع النورين جوبان في الصلح بين الملك الناصر وبوسعيد ملك التار وأزدداد رحاحته بين الملكين . توفي سنة ٧٤٣ هـ (عن الدرر الكامة

الطِّسْمَا^(١) والكشاثون^(٢) في البلاد وأنت أشرت^(٣) متى، وأهل البلاد يعرفون ذلك متى، وأنت ما يحيى منك سلطان، لأنك كنت تبيع^(٤) البوزا، وأنا أشرت^(٥) ذلك منك، وأهل البلاد يعرفون ذلك كله، فما يكون سلطاناً من عُرف بيع الطسما والبُرغالي^(٦)، ولا من عُرف بيع البوزا، وهذا أستاذنا هو الذي أوصى لمن هو أخبره من أولاده، وهذا في ذمته وما يسعنا إلا أمثال أمره حياً وميتاً، وأنا ما أخالفك إن أردت أحمد أو غيره، ولو أردت أن تعمل كل يوم سلطاناً ما خالفك، فقال بشتك : كل هذا صحيح، والأمر أمرك، وأحضرا المصحف وحلف كل للآخر وتماثقا، ثم قاما إلى رجل السلطان فقبلاهما وبكيا، ووضعاً آبن السلطان على كرسي الملك. وقد تقدم ذكر ذلك كله، وتم الأمر بينهما على ذلك، حتى بدا لبشتك أن يلى نيابة الشام فعاكسه قوَّصون فنارت الكائن والضغائن القديمة بينهما حتى وقع ما حكيناه، وأمسك بشتك وأعتقل بالإسكندرية إلى أن قُتل في محبسه بالإسكندرية بعد أيام في سلطنة الملك الأشرف نُجَكْ آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وأربعين المذكورة، حسب ما يأتي ذكره. وبشتك هذا أول من أمسك من أمراء الدولة الناصرية. وكان كريماً مهاباً، كان يذبح في سباطه في كل يوم خمسين رأساً من الغنم وفرهما لا بد منه، خارجاً عن الدجاج والإوز والحلوى. انتهى ترجمة الملك المنصور أبي بكر بن محمد بن قلاوون. رحمه الله تعالى.

(١) الطسمة كلمة فارسية : قطعة سير من الجلد، تستخذ عليها موسى إذا نبت، تعريب تامة .
(٢) جاء في ترجمة عثمان بن محمد بن لؤلؤ الأمير نغر الدين أحد الأمراء الطليغاه بدمشق ما يأتي : « كان يعمل بسبده عدة صنائع ويزركش ويطرز ويعمل الكشاثون نوع من تطريز الجلد .
(ج ٢ قسم ثان لوحة ٤٤٢) ويستفاد من ذلك أن الكشاثون نوع من تطريز الجلد .
(٣) البوزة هي الشراب المعروف المنخذ من الأرز أو الشعير أو الذرة الصويجة .
(٤) البرغالي : خف من جلد الفرس مبطن بجلد ذئب . راجع رحلة ابن بطوطة (ج ٢ ص ٤٤٥)
والحاشية رقم ٤ ص ٣٣١ من الجزء السابع من هذه الطبعة

ذكر ولاية الملك الأشرف علاء الدين بكتك على مصر

- هو السلطان الملك الأشرف علاء الدين بكتك ابن السلطان الملك الناصر ، ناصر ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحى التميمي . جلس على تخت الملك باتفاق الأمراء بعد خلع أخيه أبي بكر ابن الملك الناصر محمد في يوم الاثنين حادى عشر من صفر سنة آئتين وأربعين وسبعائة ، وركب بشعار السلطنة ولقب بالملك الأشرف ولم يكمل له من العمر خمس سنين ، وقيل كان عمره دون سبع سنين . وأمّه أم ولد تسمى أردو تركية الجنس وهو السلطان الرابع عشر من ملوك الترك بديار مصر ، والثاني من أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون . ولما تم أمره في السلطنة جلس الأمراء وأشتوروا فيمن يقيمونه في نيابة السلطنة فرتح الأمير أيدغمش أمير آخور فامتنع أيدغمش من ذلك فوقع الاتفاق على الأمير قوصون الناصري فأجاب بشرط على الأمراء أن يقيم على حاله في الأشرفية من القلعة ولا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلعة من القلعة ، فأجابوه الأمراء

(١) ورد في تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ١٧٧) : « وأما تسميته بكبك فهو لفظ أعجمي معناه بالعربي صغير ، فإن والده لحظ فيه حال التسمية أنه سئل بهذه الملك وهو صغير ، والملك لم فraise في الأمور قبل وقوعها » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .

١٥

(٣) الأشرفية ، المقصود بها هنا قاعة الأشرفية التي كانت بالقلعة وهدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقام في مكانها الإيران . راجع الحاشية الخاصة بقاعة الأشرفية بالقلعة رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) هذه الدار تكلم عليها القريري في خطه (ص ٢١٤ ج ٢) فقال : كان بقعة الجبل بالقاهرة دار نيابة بناها الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٧ هـ وسكنها نواب السلطنة وكانوا يجلسون بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٧ هـ وصار موضعها ساحة ، وأبطل النيابة والوزارة أيضا ، فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة ، ولكنه لم يجلس فيها بسبب القبض عليه . وأول من جلس بها بعد تجديدها هو الأمير شمس الدين آق سنقر نائب

٢٠

إلى ذلك ، فاستقر من يومه في النيابة ، وتصرف في أمور المملكة ، والسلطان آله في السلطنة ، فقال في ذلك بعض شعراء العصر :

سلطاننا اليوم طفلٌ والأكابرُ في * خلفَ وبينهمُ الشيطانُ قد نَزَغًا
فكيف يَطْمَعُ مَنْ تُشْبِهُ ^(١)مَظْلَمَةٌ * أن يبلغَ السُّوْلُ والسلطانُ ما بلغَا

ثم آتفت الأمراء على إخراج الأمير الطنبغا المارداني من الحبس فأخرج من يومه . وفي ليلة الأربعاء ثالث عشر من صفر أخرج الأمير قطلوبغا الحموي وطاجار الدوادار ومليكتمر الحجازي والشهابي شاذ المائر من حبس خزانة شمائل بالقاهرة ، وحملوا إلى نهر الإسكندرية فسجنوا بها . وتوجه الأمير بلك الجمدار على البريد إلى حلب لتحليف النائب طشتمر الساق المعروف بحمص أخضر والأمراء ، وتوجه الأمير بيغز إلى دمشق بمثل ذلك إلى نائبها الأمير الطنبغا الصالحى ، وتوجه الأمير جركتمر بن بهادر إلى طرابلس وحماة لتحليف نوابها والأمراء ، وكتب إلى الأعمال بإعفاء الجند عن المغارم . ثم ركب الأمير قووصون في يوم الخميس رابع عشرينه في دسنت النيابة ، وترجل له الأمراء ومشوا في خدمته ، وأخذ وأعطى وأنفق على

== السلطنة في أيام الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأول جلوسه في شبائها كان في يوم أول صفر سنة ٧٤٣ هـ وتوارثها القلوب بعده .

ولما تكلم القلقشندي في صبح الأعشى على الباب الثالث من أبواب القلعة وهو بابها الأعظم (ص ٣٧٤ ج ٢) قال : ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى دركاه جليلة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وفي قيل هذه الدركاه تقع دار النيابة وهي التي يجلس بها النائب الكافل للحكم إذا كان ثم نائب . وبالبحث تبين لى أن هذه الدار قد آندرت وأنها كانت واقعة في الحوش الداخلى للقلعة الذى به الآن تكاثرت الجليش ، لأن باب القلعة وهو بابها الأعظم الذى كان يعرف بالباب المدرج لا يزال واقعا في الحائط الغربى للقسم البحرى من القلعة وهو القسم الذى به تكاثرت الجليش ، وكان الباب المذكور يوصل مباشرة إلى الدركاه وإلى دار النيابة التى أقيم فى مكانها بعض هذه التكتات .

(١) كذا في الأصلين . ورواية المنهل الصافى والسلوك وآبن بإس : « ... من مسته مظلمة » .

الأمراء لكل أمير مائة ومقدم ألف : ألف دينار ، ولكل أمير طبلخاناه خمسمائة دينار ، ولكل أمير عشرة مائتي دينار ، ولكل مقدم حلقة خمسين ديناراً ، ولكل جندي خمسة عشر ديناراً .

- (١) ثم في يوم [السبت] سادس عشر رينه سَمَر قُوصُون وليّ الدولة أبا الفَرَج ابن خَطِير صَهر النُّشُو ، وكان قد توصل إلى الملك المنصور بِسَفارة أستاذه مَلِكْتَمُر الجهازي ، ووقع منه أمور حَقَّدها عليه قُوصُون لوقتها ، ولما سَمَر أَشهر على جمل بمصر والقاهرة وقد أَشعلت الشموع بالخوانيت والشوارع ودَقَّت الطبول وَفَرِح الناس بِشهره فَرَحاً زائداً لآلِه كان مَن بَقِيَ من حواشي النُّشُو وأصهاره ، وفيه يقول الأديب جمال الدين إبراهيم المِهمار :

- ١٠ قد أخلف النُّشُو صَهرُ سُو * قَبِيحُ فِعْلٍ كما تَرُوهُ
أراد للشرِّ فَتَحَ باب * فأغلقوه وسمُّوه

- ولما كان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وأربعين وسبعائة أنعم قُوصُون على أحد وعشرين مملوكاً من الممالك السلطانية بأمرات : منهم سنة طبلخاناه والبقية عشرات . وفي رابع عشر شهر ربيع الأول توجه الأمير طُوزان لإحضار الشهابي أحمد ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك محتفظاً به لِيُنْفَى إلى أسوان (٢) . وسبب ذلك أنه ورد كتاب مَلِكْتَمُر السَّرْجَوَانِي نائب الكرك يتضمن أن أحمد المذكور خرج عن طُوعه وكُثر شَغَفُهُ بِشباب أهل الكرك وأنهما كه في معاقره الخمر ، وأنه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله وطلب الإغفاء

(١) زيادة من السلوك يقتضيها السياق .

(٢) توفي سنة ٧٤٩ هـ عن الدرر الكامنة . (٣) أسوان : مدينة مصرية وهي قاطنة مديرية أسوان بصعيد مصر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

من نيابة الكرك . ثم في يوم السبت سابع عشر شهر ربيع الأول المذكور خلّع على
الأمير طُغْزُدُمر الحموي نائب السلطنة بديار مصر نيابة حمّة عوضاً عن الملك الأفضل
ابن الملك المؤيد الأيوبي ، وأنعم على الملك الأفضل بتقدمة ألف بدمشق ، وأنعم على
الأمير آقْبغا عبد الواحد بإمرة يدمشق ، ورسم لفسره [إليها]^(١) . وفي يوم الخميس
ثاني عشرينه جلس السلطان الملك الأشرف يُحْكك على تخت الملك وخلّع على جميع
الأمراء وأرباب الدولة بدار العدل . وقبل الأمراء الأرض بين يديه ثم تقدّموا
إليه على قدر مراتبهم وقبلوا يده فكان حدة الخلع في هذا اليوم ألفاً ومائتي خلعة .
ثم في تاسع عشرينه ورد كتاب الشهابي أحمد ابن الملك الناصر محمد من الكرك بأنه
لا يحضر إلى القاهرة حتى يأتيه أكابر الأمراء إلى الكرك ويحلّفهم ، ثم يحضر إخوته من
بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك ، ويحضر بعد ذلك ، وينتصب سلطاناً فأجيب بأنه
لم يطلب إلا لشكوى النائب منه ، وجّهت له هدية سنّية ، وأنه يحضر حتى تُعمل
المصلحة ، فلم يكن بعد أيام إلا وحضر الأمير مَلِكْتَمُر السرجواني نائب الكرك
إلى القاهرة في يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر ، وأخبر الأمير قوصون وغيره
بامتناع الشهابي أحمد من الحضور ، وأنه أقام على الخلاف ، فأجتمع الأمراء
بالقصر في يوم الجمعة خامس عشره للشّورة في أمر أحمد المذكور ، حتى تقرّر الأمر
على تجميد العساكر لأخذه .

ثم في يوم السبت سادس عشره ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون وبين
الممالك السلطانية ، وذلك أنّ قوصون أرسل يطلب من مقدّم الممالك مملوكاً

(١) في الأصلين « تاسع عشر » . وما أثبتناه عن السلوك والتوفيقات الإلهامية وما يقتضيه

السياق .

(٢) زيادة عن السلوك .

- من طبقة الزمرذية^(١) جميل الصورة ، فتمه خُشداشيتُهُ أن يخرج من عندهم ، فتلطّف بهم المقدم حتّى أخذه ومضى به إلى قَوْصُون فبات عنده ، ثم طَلَب من الغد نحو أربعة ممالك أنُترو خمسة ، منهم شَيْخُون وصرغتمش وأَيْمَش عبد الغنى ، فامتنع خُشداشيتُهُم من ذلك ، وقام منهم نحو المائة مملوك ، وقالوا : نحن ممالك السلطان ، ما نحن ممالك قَوْصُون ، وأخرجوا الطواشي المقدم من عندهم على أقبح وجه ، فمضى المقدم إلى قَوْصُون وعرفه الحال ، فأُخرج إليهم قَوْصُون الأمير بَرَسُغا الحاجب وشاويرشي دَواداره في عِدّة من ممالكه ليأتوه بهم ، فإذا بالممالك قد تعصبوا مع كبارهم^(٢) ونخرجوا على حِمِيّة يريدون الأمير بيترس الأحمدي ، فإذا به راكب ، فمضوا إلى بيت الأمير جَنْكَلِي بن البابا فلقوه في طريقهم ؛ فقالوا له : نحن ممالك السلطان مُشترى ماله ، فكيف تترك أبَنَ أستاذنا ونخدم غيره ، مَنْ هو مملوك مثلنا فينال غرضه منا ويفضّحننا بين الناس وجهروا له بالكلام الفاحش ، فتلطّف بهم جَنْكَلِي فلم يرجعوا عما هم عليه لحق منهم ، وقال : أتم الظالمون بالأمس ولما خرجتم قلت لكم : طُفُزْدُمُ نائب السلطنة : إرجعوا إلى خدمة
- ١٠

- (١) في الأصلين : «الزمندارية» . وما أثبتناه عن السلوك للقرنزي . وورد في خطه في الكلام على الطباقي بساحة الإيوان (ص ٢١٤ ج ٢) : «وأفرد جنس الخطا والقبحا وأزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمرذية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماجم خاصكية» .
- (٢) كذا ورد في الأصلين . وفي غالب كتب التراجم والتاريخ وردت بنون وبنيوزون .
- (٣) يستفاد مما ذكره القرنزي في خطه عند الكلام على خط درب ابن البابا (ص ١٣٤ ج ٢) أن هذا الخط كان واقفا في المنطقة التي يحدها من بحري شارع نور الظلام وما في امتداده غربا إلى مستشفى النساء بأرض الحوض المرصود ، ومن الغرب عطفة حمام بابا ، ومن الجنوب حارة نجم الدين وما في امتدادها شرقا إلى حارة بنت الممار ، ومن الشرق شارع الألفى بالقاهرة . وبما أنه لا يزال يوجد من آثار الأمير جَنْكَلِي بن البابا حمامه المحفوظ باسمه إلى اليوم بمنطقة حمام بابا السابق ذكرها فيكون موقع بيته في المنطقة المذكورة ، لأنه مجاور للحمام ، وقد أُنْشِئَ ودخل في الدور بتلك الجهة .
- ٢٠

[١١] «أَبْنُ» أَسَازَكَم قَلَم : مَا لَنَا أَبْنُ أَسَازَكَم غَيْرَ قَوْصُون ، وَالْآنَ تَشْكُوا مِنْهُ ! فَأَعْتَذِرُ وَالهِ
وَمَضَوْا بِهِ ، وَقَدْ حَضَرَ الْأَحْمَدِيُّ فَأَجْتَمَعُوا بِهِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى مَنْكِلِي بَنِي الْفَخْرِيِّ
فَإِذَا قَدْ وَاثَاهُ بَرَسْبُغَا مِنْ عِنْدِ قَوْصُون ، فَأَرَادُوا أَنْ يُوقِعُوا بِهِ فَكَفَّهِمُ الْفَخْرِيُّ عَنْهُ ،
هَذَا وَقَوْصُونُ قَدْ بَلَغَهُ خَبَرُهُمْ ، فَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ وَيَجْمَعَ الْأَمْرَاءَ فَمَا زَالَ بِهِ مَنْ عِنْدَهُ
حَتَّى سَكَنَ إِلَى بُكَرَةِ النَّهَارِ ، فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ لَيْلَةً مَهُولَةً .

ثُمَّ طَلَبَ الْأَمِيرُ قَوْصُونُ جَنْكِلِي وَالْأَحْمَدِيُّ وَالْفَخْرِيُّ وَبَقِيَّةُ الْأَمْرَاءِ إِلَيْهِ ،
وَأَغْرَاهُمْ بِالْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَخَوْفِهِمْ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ مِنْ أَسْتِخْفَافِهِمْ بِالْأَمْرَاءِ ،
فَبَعَثُوا بِالْأَمِيرِ مَسْعُودِ الْحَاجِبِ إِلَيْهِمْ لِيُحْضِرَهُمْ فَإِذَا جَمَعَهُمْ قَدْ كَثُفَ وَكَثُرَ ، فَلَمْ
يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ فَعَادَ خُفْرَجَ إِلَيْهِمُ الطُّبْنُغَا الْمَارِدَانِيَّ وَقُطْلُوْبُنَا الْفَخْرِيَّ وَهَمَّا أَكْبَرُ
الْأَمْرَاءِ الْخَاصِيكِيَّةِ مِنْ خُشْدَاشِيَّتِهِمْ ، وَمَا زَالَا بِهِمْ حَتَّى أَخَذَا مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ ،
وَدَخَلُوا بِهِمْ إِلَى قَوْصُون ، فَقَبِلُوا يَدَهُ فَقَامَ لَهُمْ وَقَبْلَ رَأْسِهِمْ وَطَيَّبَ خَوَاطِرَهُمْ
وَوَعَدَهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ وَأَنْصَرَفُوا ، وَفِي ذَهْنِ قَوْصُونِ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الصَّلَاحُ ، وَذَلِكَ
فِي يَوْمِ السَّبْتِ . فَلَمَّا كَانَ [لَيْلَةً ^(٢)] الْاِثْنَيْنِ وَقَدْ تَحَالَفَ الْمَمَالِكُ
النَّاصِرِيَّةُ عَلَى قَتْلِ قَوْصُونِ وَبَعَثُوا إِلَى مَنْ بِالْقَاهِرَةِ مِنْهُمْ ، فَبَاتَ قَوْصُونُ
— وَقَدْ بَلَغَهُ ذَلِكَ — عَلَى حَذَرٍ ، وَرَكِبَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنَ عَشَرَ رَيْبِيعِ الْآخِرِ
الْمَوْكِبَ مَعَ الْأَمْرَاءِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، وَطَلَبَ أَبْدُعُشَمَشَ أَمِيرَ آخُورٍ ، وَأَخَذَ قَوْصُونُ يُلَومُ
الْأَمْرَاءَ فِي إِقَامَتِهِ فِي نِيَابَةِ السُّلْطَانَةِ ، وَهُمْ يَتَرَضَّوْهُ وَيَعِدُّوهُ بِالْقِيَامِ مَعَهُ ، فَأَدْرَكَهُ
الْأَمِيرُ بَيْبُوسُ الْأَحْمَدِيُّ وَأَعْلَمَهُ بِأَنَّ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةَ قَدْ آتَفَقُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فَضَى
بِهِمْ (أَعْنَى الْأَمْرَاءَ) إِلَى جِهَةِ قُبَّةِ النَّصْرِ فَأَرْتَجَّتِ الْقَلْعَةُ وَفُيِّلَتْ أَبْوَابُهَا ، وَلَيْسَتْ

(١) زيادة يقتضها السياق .

(٢) زيادة عن السلوك .

الممالك السلطانية السلاح بالقلعة وكسرو الزردخانة^(١) السلطانية، هذا وقد آمنت^(٢) الرملة بالعامة، وصاحوا يا ناصرية ! نحن معكم، فأجابوهم من القلعة، فأشاروا لهم بالتوجه إلى بيت قوصون فتوجهوا نحوه وكسروا بابه وهجموا عليه، وكسروا من كان يرمى عليهم من أعلى البيت، وبلغ ذلك قوصون، فعاد بمن كان معه، وأوقعوا بالعامة

- (١) يستفاد مما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى على وظيفة إمرة جاندار (ص ٢٠ ج ٤)، وما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على أمير جاندار (ص ٢٢٢ ج ٢) أن صاحب هذه الوظيفة علاوة على وظائفه الأصلية كان هو أيضا المتسلم للزردخانة، وكانت أرفع الاعتقالات والسجون فدرا، ومن احتل أو سجن بها لا تطول مدته بها بل يقتل أو يجل سبيله .
- ومن هذا الوصف يتبين أن الزردخانة كانت مكانا ينتقل فيه من يأمر السلطان باعتقالهم، ولكن يفهم من عبارة المؤلف ووصفه للزردخانة السلطانية أنها لم تكن في وقت متفلا بل كانت نوازل السلاح، يؤيد ذلك أن القلقشندي لما تكلم على السلاح خانا (ص ١١ ج ٤) قال : ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزردخانة ومعناها بيت الزرد، وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والفسى والفتاب والرماح والدروع المنخدة من الزرد الماتع وغيرها من سائر أنواع السلاح . قال : وفي هذه السلاح خانا من الصنائع المقيم بها لإصلاح العدد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ويسمى صانع ذلك بالزردكاش وهي لفظة بحمية معناها صانع الزرد وهذا ما يفصده المؤلف .
- (٢) يستفاد مما ذكره ابن إياس في مناسبات متنوعة أشار فيها إلى الزردخانة في الصفحات رقم ١٤٣، ٢٥٥، ٣٨٣، ٤٧٥ من الجزء الرابع من كتاب بدائع الزهور أن باب الزردخانة كان واقعا في الحوش السلطاني السابق التعليق عليه في الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
- وبالبحث عن مكان الزردخانة في الحوش الذي فيه الآن قاعة العدل الضر بمحطة القديمة تبين لي أن الزردخانة مكانها اليوم مجموعة المباني القديمة التي خرب بعضها الواقعة بين الحوش من قبل وبين جامع الناصر محمد بن قلاوون من بحرى، وفيها ساقية قديمة، ويحدها من الشرق الطريق الموصلة من الحوش إلى بئر يوسف، ومن الغرب الطريق الموصلة من الحوش إلى جامع الناصر ومحمد علي بالقلعة بالقاهرة .
- (٣) كانت من الميادين الواسعة تحت قلعة الجبل بالقاهرة، وتعرف الآن بالمنشأة وبها ميدان صلاح الدين . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
- (٤) هو بذاته إعطيل قوصون السابق التعليق عليه . راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

حتى وصلوا إلى سور القلعة فرماهم الممالك من أعلى القلعة بالنشاب وأحوا العامة ،
فُقُتِلَ في المعركة الأمير محمود صهر الأمير جَنْكِي بن البابا بسهم نُشِبَ من القلعة ،
وقُتِلَ معه آخر ، ووصلوا حاشية قُوصُون إلى إسْطِبل قُوصُون ، فقد بدأ النهب فيه ،
فقتلوا من العامة جماعة كثيرة وقبضوا على جماعة ، فلم يُطَق الممالك السلطانية مقاومة
الأمرء فكفوا عن القتال وفتحوا باب القلعة لهم ، فطلع إليهم الأمير برُسْبغا الحاجب
وأَنْزَلَ ثمانية من أعيان الممالك السلطانية إلى قُوصُون . وقد وقف قُوصُون بجانب
زاوية نقي^(٢) الدين رجب تحت القلعة ، فَوَسَطَ قُوصُون منهم واحداً أسمه صربغا ،
فإنه الذي فَتَحَ خزانة السلاح وألبس الممالك ، وأمر به قُوصُون فعلق على باب زويلة ،
وأراد أن يُوسِّطَ البقية فشَقَّ فيهم الأمرء ، فحُيِسُوا بِخِزَانَةِ شِمَائِل مَقِيدِينَ . ثم رسم

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) هذه الزاوية

ذكرها المقرئ في خطه بأسم زاوية نقي الدين (ص ٤٣٢ ج ٢) فقال : إنها تحت قلعة الجبل . أنشأها
الملك الناصر محمد بن قلاوون بسنة ٧٢٠ هـ لسكنى الشيخ نقي الدين رجب بن أشيرك الجمي ، وكان
وجيها محترما عند أمرء الدولة ، ولم يزل مقيا فيها إلى أن مات بها يوم ٨ رجب سنة ٧١٤ هـ ، وما زالت منزلا
للقراء الجم إلى وقتنا هذا .

وأقول : إنه من زيارتي لهذه الزاوية وقراءتي لما فيها من الكتابات التي في اللوحات الرخام المثبتة
في حوائطها تبين لي أن الذي أنشأها هو الملك المنصور حسام الدين لاشين للشيخ نقي الدين رجب الجمي
في شهر صفر سنة ٦٩٧ هـ وأن الملك الناصر محمد بن قلاوون وسع مصل الزاوية وذلك في سنة ٧٢٦ هـ .

وأنَّ الملك الظاهر أبا سعيد جقمق جدها في سنة ٨٤٧ هـ . ثم تبين لي أيضا أن نقي الدين المذكور
مات في سنة ٧٢٤ هـ كما ورد في ترجمته في الدرر الكامنة لأبن حجر وفي السلوك للمقرئ وليس في سنة ٧١٤ هـ كما
ورد في الخطط المقرئية . وهذه الزاوية لا تزال موجودة إلى اليوم ، وقد تجد أدغال مبانيها وهي عامرة الشعائر
الدينية بدرب البابنة المتفرغ من سكة المهجر تحت القلعة بالقاهرة ، وتعرف هذه الزاوية بكنية الجمي أو تكية
نقي الدين البساطي نسبة إلى الشيخ محمد البساطي أحد مشايخها السابقين ، المتوفي في رمضان سنة ٩٠٥ هـ .
وقد اختلف المؤرخون في والد نقي الدين رجب هذا ، فمن الخطط المقرئية : « رجب بن أشيرك .

وفي الدرر الكامنة : « رجب بن أشيرك » . وفي هامش الدرر : « رجب بن أميرك » .

قوصون بتسمير عدة من العوام فُسِّر منهم تسعة على باب زويلة^(١)، ثم أَمَرَ بالركوب على العائمة وقبضهم ففروا حتى إنهم لم يقدرُوا منهم على حَفُوش واحد، ثم طَلَعَ قَوْصُونَ إلى القلعة قريب مصر، ومدَّ للأمراء سِباطًا فأكلوا وبقيت الأطلاب والأجناد واقفة تحت القلعة إلى آخر النهار، فكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة، وكان جملة من قُتِل فيه من الفتيين ثمانية وخمسين رجلاً وأنصرف الناس .

- ثم في ليلة الثلاثاء طلع الأمير برُسْبًا الحاجب إلى طباق الممالك بالقلعة ومعه عدة من الممالك وقبضوا على مائة مملوك منهم وعملوا في الحديد وحبسوا بخزانة شمائل، ففهم من قُتِل ومنهم من نُفِيَ من مصر . ثم في يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر تَمَرَّ قوصون تسعة من العوام . ثم في يوم الأربعاء عشرينه تَمَرَّ قوصون أيضا ثلاثة من الطواشيَّة في عدة من الحُرَّافِيش على باب زويلة ، وسهب ذلك أن قوصون لما نَزَلَ من القلعة ومضى إلى قبة النصر وقابله الممالك السلطانية أخذت الطواشيَّة في الصباح على نسائه وأحفشوا في سببهن ، واستمر الطواشيَّة في التسمير حتى مات أحدهم وشُفِع في الاثنين . ثم عَرَض قوصون ممالك الأَطباق ، وأنهم على مائتين منهم بإقطاعات كبيرة ، وعين جماعة منهم بإمریات . ثم أكثر قوصون من الإحسان إليهم وبينما قوصون في ذلك قَدِم عليه كُتِب نائب الشام وأمراء الشام .
- وفيها كُتِب أحمد ابن السلطان الملك الناصر لهم مختومة لم تُفَك ففتحها قوصون فإذا فيها لنائب الشام أنه كاتب لنائب حلب الأمير طَشْتَمُر الساق حمص أخضر وغيره

(١) الحفوش من الناس : السافل .

(٢) الأطلاب : هم الحرس الخاص لأمراء الممالك، يحملون سلاحا كالأجناد وهم الجند .

(٣) الطباقي هي ساكن الممالك بالقلعة . راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء التاسع من هذه

وأنهم اتفقوا معه وأكثر من الشكوى من قوصون، فأوقف قوصون الأمراء عليها وما زال بهم حتى وافقوه على تجميد العسكر إلى الكرك .

وفي هذه الأيام ظهرت الممالك التي كانت الفتنة بسببهم عند خُشدًا شيتهم، فسلم صرغتمش إلى الأمير أَلُنْبَغَا المارداني، وسلم أَيْتْمَش إلى الأمير أَيْدُغْمَش أمير آخور، وسلم شِيخُون إلى الأمير أَرْنَبَغَا السَّلاح دار، وهؤلاء الأمراء الثلاثة ناصرية .

ثم أُشيع بالقاهرة أن أحمد ابن الملك الناصر قد تحرك من الكرك في طلب المجيء إلى الديار المصرية، فكثُر الاضطراب ووقع الشروع في تجهيز العساكر محبة الأمير قُطْلُوبَغَا الفخرى، واستحلفه قوصون، وبعث إليه بعشرة آلاف دينار، وعين معه أيضا الأمير قُمَارِي أخا بكنمر انساق ومعهما أربعة وعشرون أميراً، ما بين طلبلخانات وعشرات، وأنفق على الجميع . ثم بعث قوصون إلى قُطْلُوبَغَا الفخرى بخمسة آلاف دينار أخرى عند سفره وركب لوداعه محبة الأمراء، حتى نزل بالريذانية^(١) في يوم الثلاثاء^(٢) خامس عشرين ربيع الآخر، وكل ذلك في سنة اثنين وأربعين وسبعائة .

هذا والأمراء لم يكن منهم أحد راضياً بسفر هذه التجريدة، بل أشار الأمير الحاج آل ملك والأمير جَنْكِي بن البابا على قوصون بأنه لا يُحرك ساكناً فلم يقبل قوصون، وكانا أشارا عليه بأنه يكتب إلى أحمد بن الناصر يعتبه على مكاتبته لنائب الشام وغيره، فكتب إليه بذلك فأجاب بأن طوغان أسمعته كلاماً فاحشاً وأغلظ عليه في القول فحمله الحق على مكتبة نائب الشام، وأن قوصون والده بعد والده ونحو ذلك، فلم يقنع قوصون ذلك، وجهز العساكر لأخذه، وبعد خروج العساكر ركب الأمير قوصون في يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى إلى ميراً قوس وصحبته الأمراء على عادتهم [توجه

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء .

(٢) كذا في الأصلين والسلوك . والسياق يقتضى أن يكون : « في يوم الاثنين ... الخ » .

(١) السلطان ثم عاد]. وبعد مدة يسيره ظهر للأمير قوصون مخالفة الأمير طشتمر الساق نائب حلب المعروف بمحمص أخضر، وسبب مخالفته أنه شق عليه إخراج أولاد أستاذه الملك الناصر إلى الصعيد، وأيضاً تجهيز العساكر لقتال أحمد ابن الملك الناصر بالكرّك، وكان قد بعث إليه أيضاً أحمد ابن الملك الناصر يشكو من قوصون، وأنه يريد القبض عليه ويطلب منه النصرة عليه، فكتب طشتمر إلى أمراء الديار المصرية وإلى قوصون بالتّيب، فقبض على قاصده بقطياً^(٢) وتجنّ، وكتب قوصون إلى الأمير الطنبغا الصالحى نائب الشام بأن الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب شرع يتكلم في إقامة الفتنة وأنه لا يصنى إلى قوله، وبعث إليه بأشياء كثيرة من الهدايا والتحف فأجاب الطنبغا نائب الشام بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

ولما تم لقوصون ذلك وقع بينه وبين الأمير أيدغمش أمير آخور، وكادت الفتنة تقوم بينهما وأغلظ أيدغمش لقوصون في الكلام، وسببه أن بعض مماليك أمير على بن أيدغمش وثى إليه بأن قوصون قرر مع برسبغا الحاجب أن يبيت بالقاهرة ويركب في عدة من مماليك قوصون ويكبس على أيدغمش، فأخذ أيدغمش في الاحتراز، وأمتنع من طلوع القلعة أياماً بحجة أنه متوَعك، وكان ذلك بعد أن تصالحا بعد تفاوضهما بمدة يسيرة، وصار أيدغمش إذا سیر قوصون النائب بالريملة^(٣)

(١) العبارة المحصورة ما بين المربعين [] غير ظاهرة المعنى في حين أنها لم ترد في السلوك للقرينى

(٢) قطيا : بلدة مصرية كانت في الطريق ما بين مصر والعريش، وقد أُنْذِرَتْ. راجع الحاشية رقم ٢

ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هي التي سبق التطبيق عليها في الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وأضيف إلى ما سبق ذكره أن الرمية المذكورة كانت قبل التنظيم الحالي وقبل تسميتها ميدان صلاح الدين مقسمة إلى ثلاث شياطين : الأولى الرمية، وكانت تطلق على القضاء القدى يقع اليوم بين جامع السلطان حسن وجامع المحمودية والقلعة وسنبر مركز بوليس قس الخليفة، وهذه المنطقة هي بذاتها التي كانت تعرف قديماً

في أيام الموابك يُغلق أيدغمش باب الإسطبل السلطاني ، و يوقف طائفة من الأوجاقية عليه ، فاشتهر الخبيريّين الناس وكثرت الفلاة ، وبلغ قوصون تغير خاطر أيدغمش عليه ، خلف للأمراء أنه ما يعرف لتغيره سببا ، فزالَت الأمراء بأيدغمش حتى طلع القلعة ، وعرف قوصون بحضرة الأمراء ما بلغه ، خلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ، ولا عنده منه خبر وتصالحا . وبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإسطبل الناقل إليه فردّه قوصون إليه ولم يُعاقبه .

ثم قديم الخبر ب وفاة الأمير بشتك الناصريّ المقدم ذكره بتجيسه بغير الإسكندرية ، فأتهم قوصون بقتله ، وكان الأمير قوصون قد أنشأ قاعة جلوسه مع الأمراء من داخل باب القلعة ،^(١) وفتح فيها شباكا يُطل على الدركاه ، وجلس فيه مع الأمراء ، ومد سباطا بالقاعة المذكورة وزاد في سباطه من الحلوى والدجاج والإوز ونحو ذلك ، وأكثر من الخلع والإنعامات ، وصار يجلس مع الأمراء بالقاعة المذكورة ، فلما قديم الخبر بموت بشتك تغير خاطر جماعة كثيرة من الأمراء وغيرهم لموته ، فما زال بهم قوصون حتى صالحهم وحلف لهم .

ثم قديم الخبر من عبد المؤمن والى قوص ب أن الملك المنصور أبا بكر وجد في نفسه تغيرا ، وفي جسده توهكا لزم الفراش منه أياما ومات ، وأتهم قوصون أيضا بأنه أمر عبد المؤمن بقتله ، فتغير لذلك خاطر الأمراء والمماليك الناصرية قاطبة وهم يوم ذاك عساكر الإسلام ومن سواهم قليل .

== سوق الخيل . والمنطقة الثانية قرا ميدان أى الميدان الأسود ، وهى الواقعة قبل الأول لغاية بحن مصر ، وهاتان المنطقتان تدخلان الآن في ميدان محمد على وصلاح الدين تحت القلعة . وأما المنطقة الثالثة فكانت تعرف باسم تحت السور ، ومكانها اليوم ميدان السيدة عائشة وكانت تسمى تحت السور ، لأنها تقع خلف السور الذى يفصل بين هذا الميدان وبين قرا ميدان ، ولا يزال السور المذكور قائما في ظهر مجموعة المساكن المطلّة على ميدان السيدة عائشة من الجهة الشرقية بقسم الخليفة بالقاهرة .

(١) في الأصلين : « من داخل باب القلعة » . وما أئنه عن السلوك .

ثم قَدِمَ الخبِر على قوصون بنزول العسكر الذي صحبة الأمير قُطْلُوْبغا الفخرى على مدينة الكرك وقد أمتنعت منه وأستعد أهلها للقتال، وكان الوقت شتاءً فأقام العسكر نحو عشرين يوماً في شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلب أهل الكرك عليهم بالسب واللعن والتوبيخ وشنوا الغارات عليهم وصاروا يقطعون قَرَبَهُمْ وَرَوَايَاهُمْ؛ هذا وقوصون يد الفخرى بالأموال ويحضره على لزوم الحصار .

ثم قَدِمَ الخبِر من دِمَشق بأن تَمُر الموسوى قَدِم من حلب وأستمال جماعة من الأمراء إلى طَشْتَمُر الساقى حَصَّ أخضر نائب حلب، فكتب قوصون بالقبض عليه . ثم حمل قوصون تشريفاً إلى نائب حلب المذكور فلم يرَضَ نائب حلب بالتشريف وردّه، وكتب إلى قوصون يَعْثِيهِ على إخراج أولاد أستاذه إلى الصعيد، فأجابه قوصون بأعذار غير مقبولة .

ثم قَدِمَ الخبِر على قوصون أيضاً من شَطَى أمير العرب بأن قُطْلُوْبغا الفخرى قد خامر على قوصون، وحلف لأحمد بن الناصر هو ومن معه من الأمراء وأنهم أقاموا أحمد سلطاناً ونقبوه بالملك الناصر؛ وذلك بمكاسة الأمير طَشْتَمُر الساقى نائب حلب له يَعْثِيهِ على موافقة قوصون وقد فعل بأولاد أستاذه ما فعل، ويعزِم عليه أنه يدخل في طاعة أحمد، ويقوم بِنَصْرته، فصادف ذلك من الفخرى حَجَرَهُ من الإقامة على حصار الكرك وشدة البرد وعظم الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد يخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب لنائب حلب بذلك فأطد جوابه بالشكر، وأعلمه بأن الأمير طَشْتَمُر نائب حماة وأمراء دِمَشق قد وافقوه على القيام بِنَصْرَةِ أحمد. وكان الأمير الطنبغا الصالحى نائب الشام قد أحس بشيء من هذا فأحترس على الطرقات، حتى ظَفِر بقاصد طَشْتَمُر نائب حلب على طريق بعلبك ومعه كتب فأخذها منه، وبعث بها إلى قوصون، فقَدِمَت ثانياً يوم ورود كتاب شَطَى بخبارة

- الفخرى، فإذا فيها: «الملكى الناصرى» فأضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم
 بما وقع وأوقفهم على الكتب، وذكر لهم أنه وصل منه إلى قُطْلُوْبُغا الفخرى في هذه السفرة
 مبلغ أربعين ألف دينار سوى الخيل والفُهاش والتحف. ورسم بإيقاع الحوطة على
 دور الأمراء المجردين مع الفخرى إلى الكرك، فما زال به الأمراء حتى كف عن ذلك.
 ٥ وأزم مباشرهم بحمل ما وصل إليهم وبجميع حواصلهم، وصار قوصون في أمر مريح
 مما بلغه، وكتب إلى الأمير أَلْطُنْبُغا الصالحى نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر الساقى
 حمص أخضر نائب حلب، ومعه نائب حمص ونائب صفد ونائب طرابلس، وكتب إليهم
 قوصون بالسمع والطاعة إلى طاعة نائب الشام، وحمل إليهم التفقات؛ فلما بلغ أَلْطُنْبُغا
 الصالحى نائب الشام ذلك تجهز وخرج من دمشق بعساكرها في جمادى الآخرة فتلقاه الأمير
 أَرْقُطَاى نائب طرابلس على حمص وصار من جملة عساكره، وأخبره بكتاب نائب
 ١٠ حاب إليه يدعوه لموافقته وأنه أبى عليه. ثم بعث أَلْطُنْبُغا نائب الشام إلى الأمير
 طُغْزُدُمر نائب حماة من أسماؤه وحلفه على طاعة الملك الأشرف بَحْكُك. ولما بلغ
 طشتمر حمص أخضر بجىء أَلْطُنْبُغا نائب الشام إليه أرسل استدعى ابن دُلْغادر فقدم
 عليه فاتفق معه على المسير إلى أَلْبُلُستين، وسار به ومعه ما خف من أمواله وأخذ أولاده
 ١٥ ومالكيه فأدركه عسكر حلب، وقد وصل إليهم كتاب نائب الشام بالاحتراس عليه
 ومنعه من الخروج من حلب، فقاتلوه عدة وجوه فلم ينالوا منه غرضاً، وقُتِل من
 الفريقين خمسة نفر وعادوا وأكثرهم جرحى. فلما وصل طشتمر إلى أَلْبُلُستين كتب
 إلى أَرْتَا يستأذنه في العبور إلى الروم فبعث إليه أرتا بقاضيه وعدة من أزمائه، وجهز له
 الإقامات، فمضى طشتمر إلى قيصرية، وقد توجه أرتا لمحاربة ابن ديمرداش بعد
 ٢٠ أن رتب لطشتمر كل يوم ألفي درهم.

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

وأما الطنبغا الصالحى نائب الشام فإنه قَدِمَ إلى حلب وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر نائب حلب إلى جهة الروم، وأنه آستولى على مدينة حلب، فقَدِمَ كتابه على قوصون في يوم الأربعاء ثانى شهر رجب . ثم في يوم الاثنين سابع رجب فزق الأمير قوصون إقطاعات الأمراء المجردين مع قُطْلُوبغا الفخرى الخارجين عن طاعة قوصون؛ وعدَّتهم آشان وثلاثون أميراً، منهم أمراء طبلخانات ستة عشر، وأمراء عشرات ستة عشر، وأميران مقدمان : الفخرى وقمراى .

ثم في يوم الثلاثاء تاسع عشرين رجب قَدِمَ الأمير الشيخ على بن دِلنجى القازانى أحد أمراء العشرات المجردين، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخرى من الكرك إلى دمشق، وأنه يريد مواقفته مع الطنبغا الصالحى نائب الشام، وكان من خبره أن الأمير الطنبغا لما دخل حلب أخذ موجود طشتمر حصن أخضر وباعه ، وبينما هو في ذلك بلغه دخول قطلوبغا الفخرى بمن معه إلى دمشق، وأنه دعا للناصر أحمد، وقد وافقه آق سُنقر السلاوى نائب غزة وأسلم نائب صفد ومن تأخر من أمراء دمشق بها، مثل سَنجَر الجُمُقْدَار وتمر الساقى وأن آق سُنقر نائب غزة وقف لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر إلى الطنبغا الصالحى، وأن قطلوبغا أخذ في تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والجند، وأن الأمير طُقزُدُر نائب حماة قَدِمَ عليه في غد دخوله، وركب الفخرى وتلقاه وقوى بهم وأستخدم جندا كثيرة ونادى بدمشق من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر، وأخذ مالا كثيرا من التجار، وأكَّره قاضى القضاة تقي الدين بن السبكى حتى أخذ مال الأيتام وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين بجمع مالا عظيما، وأنه جماعات من الأجناد والتركمان، وكتب أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد البطالين، وأنهم على البطالين بالخيال والقماش والسلاح، وحلف الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد بن

فلاوون، وعَمِلَ برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفةية والكابيش والسروج والغاشية والقبة والطير وسائر أبهة السلطنة، وكتب إلى الملك الناصر أحمد يعزفه بذلك فأجابهُ الناصر بالشكر والثناء، فلما سمع قوصون ذلك جمع الأمراء للشورة فاتفق الرأي على تجريد أمراء إلى غزاة فتوجه برُسْبُعا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين على بن طُغْزِيل في جماعة .

ثم كتب قوصون إلى الطنبغا نائب الشام على يد أَطْمِش الكَرَمِيّ بأن يسير من حلب إلى قتال الفخرى بِدِمَشْق، فتوجه أَطْمِش الكرمي من البرية لاقْطَاع الطريق حتّى وصل إلى حلب، وعرف الطنبغا الخبر، فخرج الطنبغا بمن معه من العساكر وسار حتى قَدِمَ حِمص، وقد خرج الفخرى من دِمَشْق ونزل على خان لاجين وأمسك المضيق، وأقام الجليّة والعشيرة على الجبلين ووقف هو بالعسكر في وسط الطريق .

وأما الطنبغا فإنه حَلَفَ من معه من العساكر وسار من حِمص يريد الفخرى حتى قَرُبَ منه . وعددُ الجمعَيْن نحو ثلاثة عشر ألف فارس، فتمهل الطنبغا كراهية لسفك الدماء، وأرسل إلى الفخرى رُسْلا، ودام على ذلك ثلاثة أيام فلم يتم بينهما أمر، وبعث قُطْلُوبغا الفخرى إلى جماعة من أصحاب الطنبغا يَعْذِهِم^(١) [ويستميلهم^(٢)] حتى وافقوه . فلما تعبت الرسل بينهم ومات العسكر من شدة البرد بعث الطنبغا في الليل جماعة من أصحابه ليهاجموا على الفخرى من ورائه، ويلقاهم هو من قدامه، ويركب من الغد، فالكلُّ أمير بمن معه من أصحابه إلى جهة الفخرى، وصاروا من جملة، فلم يبقَ معه سوى أَرْقُطاي نائب طرابلس وأَسْبَغَا بن [بَكْتَمَر^(٣) البوبكري

(١) زيادة عن السلوك . (٢) في السلوك : « ولت العساكر من شدة البرد » .

(٣) الكلمة عن الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة والمنهل العاق .

وَأَيْدَمُ الرِّقِيِّ مِنْ أَسْرَاءِ دِمَشْقَ فَأَنْهَزُوا عَلَى طَرِيقِ صَفْدٍ إِلَى جِهَةِ غَزَّةَ ، وَالْقَوْمُ فِي آثَرِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَقَعَةٌ هَائِلَةٌ ؛ إِنْهَزِمَ فِيهَا الطُّنْبُغَا نَائِبُ الشَّامِ .

ثُمَّ أَلْتَفَتِ الْفَخْرِيُّ إِلَى جِهَةِ دِمَشْقَ وَتَرَكَ السَّيْرَ حَلْفَ الطُّنْبُغَا حَتَّى دَخَلَ دِمَشْقَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا ، وَكَتَبَ فِي الْحَالِ مَعَ الْبَرِيدِ إِلَى الْأَمِيرِ طُشْتَمَرِ السَّاقِي حَمَصَ أَخْضَرَ نَائِبَ حَلَبَ يَعْرِفُهُ بِنُصْرَتِهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى الْحَضُورِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ ، وَأَنَّهُ فِي أَيْتَظَارِهِ بِدِمَشْقَ . ثُمَّ حَلَفَ الْفَخْرِيُّ وَمَنْ مَعَهُ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ وَأَمَرَ الْخَطْبَاءَ فَدَعَا لَهُ عَلَى مَنَابِرِ دِمَشْقَ وَضَرَبَ السَّكَّةَ بِأَسْمِهِ .

وَأَمَّا الطُّنْبُغَا الصَّالِحِيُّ نَائِبُ دِمَشْقَ فَإِنَّهُ وَصَلَ إِلَى غَزَّةَ بَيْنَ مَعَهُ فَلْتَقَاهُمُ الْأَمِيرُ بَرَسُغًا الْحَاجِبَ وَرُفَقَتَهُ ، وَكَتَبَ الطُّنْبُغَا إِلَى قُوصُونَ بِمَا وَقَعَ فَلَبَّى بِلُغِ قُوصُونَ الْخَبِيرُ قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَقَبِضَ عَلَى أَحْمَدَ شَادَ الشَّرِيفِيَّانَاةَ وَعَلَى قَرَطَايَ أَسْتَادَارِ الْفَخْرِيِّ .
ثُمَّ قَدِمَ عَلَى قُوصُونَ كَتَابُ الْفَخْرِيِّ يَعْتَبُهُ عَلَى إِخْرَاجِ أَوْلَادِ أَسْتَاذِهِ إِلَى قُوصَ وَقَتَلَ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ أَبِي بَكْرَ ، وَأَنَّ الْإِتْفَاقَ وَقَعَ عَلَى سُلْطَانَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ ، وَيُسِيرُ عَلَيْهِ بِأَنْ يَخْتَارَ بِلْدًا يَقِيمُ بِهَا حَتَّى يَسْأَلَ لَهُ السُّلْطَانُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ أَحْمَدَ فِي تَقْلِيدِهِ نِيَابَتَهَا ، فَقَامَ قُوصُونَ وَقَعْدًا سَمِعَ ذَلِكَ ، وَجَمَعَ الْأُمَرَاءَ فَوَقَعَ الْإِتْفَاقَ عَلَى تَجْهِيزِ التَّقَادِمِ لِلْأُمَرَاءِ بِغَزَّةَ ، بِفَهْزِ قُوصُونَ لِكُلِّ مِنَ الطُّنْبُغَا نَائِبِ الشَّامِ وَأَرْقُطَايَ نَائِبِ طَرَابُلُسَ ثَلَاثِينَ بَدَلَةً قِمَاشَ وَثَلَاثِينَ قَبَاءَ مُسَنَّجَةً بِطَرَاظَاتِ زَرْكَشَ وَمَائَتِي خُفٍّ وَمَائَتِي كَلْفَتَاءَ وَكِسُوةَ لَجِيعَ مَالِيكَيْهِمَا وَغُلَامَيْنِمَا وَحَوَاشِيَهُمَا ، وَجَهَّزَ لِكُلِّ مِنَ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ مَعَهُمَا ثَلَاثَ بَدَلَاتٍ وَأَقِيَّةَ يَسْنَجَابَ وَكِسُوةَ لِمَالِيكِهِمْ وَحَوَاشِيَهُمْ ، وَأَخَذَ قُوصُونَ فِي الْإِنْعَامِ عَلَى الْمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةَ ، وَأَخْرَجَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنَ الذَّخِيرَةِ لِتَجْهِيزِ أَمْرِهِ ، حَتَّى

(١) فِي السُّلُوكِ : « وَقَبِضَ عَلَى إِخْوَةِ أَحْمَدَ شَادَ الشَّرِيفِيَّانَاةَ » .

يُخْرَجُ بالعساكر إلى الشام ، وأنخرج أربعمائة قَوْقُلَ^(١) وَعِدَّةَ زَرَدِيَّاتٍ وَخُوذَ وَغِيَرِهَا .
وَأَنْعَمَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ بِأَمْرِيَّاتٍ ، وَغَيْرِ إِقْطَاعَاتٍ بِجَمَاعَةٍ مِنْهُمْ .
ثُمَّ كَتَبَ قَوْصُونَ إِلَى الْأَمْرَاءِ بِمَسِيرِهِمْ مِنْ غَزَّةَ إِلَى جَهَةِ الْقَاهِرَةِ ، وَهَيَّا لَهُمُ الْإِقَامَاتِ
وَالْخِيُولَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمُ بِالْخِلَاطِ وَالْفَوَاكِهَ وَسَائِرَ مَا يَلِيقُ بِهِمْ .

وَبَيْنَمَا قَوْصُونَ فِي ذَلِكَ إِذْ رَكِبَ الْأَمْرَاءُ عَلَيْهِ فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ تَاسِعَ عَشْرِينَ رَجَبٍ
وَقَتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَسَبَبَ رُكُوبَهُمْ عَلَيْهِ تَنَكُّرُ قُلُوبِ الْأَكْبَارِ عَلَيْهِ لِأُمُورٍ بَدَتْ
مِنْهُ ، مِنْهَا : قَتَلَ الْأَمِيرُ بَشْتَكُ النَّاصِرِيِّ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ، وَهُوَ أَعَزُّ خُشْدَاشِيَّةٍ ، وَلَمْ يَكْفِهِ
ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورَ أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ أَسْتَاذِهِ ، وَكَانَ يَكْفِيهِ الْخَلْعُ مِنَ الْمَلِكِ .
وَمِنْهَا قُوَّةُ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ أَيْدُغْمَشِ النَّاصِرِيِّ أَمِيرِ آخُورٍ وَهُوَ أَكْبَرُ
خُشْدَاشِيَّةٍ ، فَأَخَذَ أَيْدُغْمَشٌ بِدَرِّ عَلَيْهِ . وَغَيْرُ خَوَاطِرٍ بِجَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ عَلَيْهِ ، إِلَى أَنْ
كَانَ مِنْ أَنْتَصَارِ قُطْلُو بَغَا الْفَخْرِيِّ عَلَى الطُّنْبُغَا الصَّالِحِيِّ نَائِبِ الشَّامِ ، وَكَانَ قَوْصُونَ
قَدْ أَحْتَفَلَ لِقَدُومِ الطُّنْبُغَا نَائِبِ الشَّامِ وَمِنْ مَعِهِ أَحْتِفَالًا زَائِدًا ، وَفَتَحَ ذَخِيرَةَ السُّلْطَانِ
وَأَكْثَرَ مِنَ النِّفَقَاتِ وَالْإِنْعَامَاتِ حَتَّى بَلَّغَتْ إِتْعَامَاتُهُ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَالْخَاصِيكَةِ
سِتْمَانَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَشَاعَ بِأَنَّهُ يَرِيدُ يَتَسَلَّطَنَ خِفَافٍ أَيْدُغْمَشَ وَغَيْرَهُ مِنْ تَحْكُمِهِ فِي
السُّلْطَانَةِ ، وَحَرَّضَ الْأَمْرَاءَ الْخَاصِيكَةَ حَتَّى وَافَقَهُ الْأَمِيرُ علاءُ الدِّينِ الطُّنْبُغَا الْمَارِدَانِيَّ
وَالْأَمِيرُ بَلْبُغَا الْيَحْيَاوِيَّ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَجَمَعَ كَثِيرًا مِنَ الْأَكْبَارِ
الْأَمْرَاءِ ، مِنْهُمْ : الْأَمِيرُ الْحَاجُّ آلَ مَلِكٍ وَالْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ جَنْكَلِي بْنُ الْبَابَا وَأَتَفَقُوا
الْجَمِيعُ أَنَّهُمْ يَسِيرُوا جَمِيعًا إِلَى الْكُرْكِ عِنْدَ قَدُومِ الطُّنْبُغَا نَائِبِ الشَّامِ وَخَرُوجِهِمْ
إِلَى لِقَائِهِ .

(١) راجع تفسير هذه الكلمة وما بعدها في ص ١٤٦ حاشية « ٣ » ، ٤ من الجزء التاسع من

فلما كان يوم الاثنين ركب الأمير قوصون في الموكب تحت القلعة على العادة وطلب الأمير تلجك ابن أخته وأخرجه إلى لقاء الأمير أطنبغا الصالحى نائب الشام، وقد ورد الخبر بزوله على بليس ليأتى به مريعا، فوافاه ومن معه إلى بليس، فسأله في القدوم إلى القاهرة بسرعة، فلم يوافق على السرعة وقصد أن يكون حضوره في يوم الخميس أول شعبان، وبات ليلة الثلاثاء على بليس وركب من الغد ونزل ميرا قوس، فبلغه ركوب الأمراء على قوصون، وأنه محصور بالقلعة، فركب بمن معه إلى بركة الحاج، وإذا بطلب قوصون وسدقه قد وافوه في نحو مائة مملوك، وأعلموه أن في نصف الليل ركب الأمراء واحتاطت بإسطبل قوصون، ثم حصروه في قلعة الجبل، فخرجوا هم على حية حتى وصلوا إليهم، هذا ما كان من أمر أطنبغا نائب الشام.

١٠

وأما أمر قوصون فإنه لما بعث تلجك لياتيه بالأمير أطنبغا نائب الشام مريعا تحقق أيدهم وأصحابه أن قوصون فيهم عنهم ما دبروه فتواعد الأمير أيدهم مع من وافقه على أن يركبوا في الليل إلى الكرك، فجهز كل منهم حاله، حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السور من قلعة الجبل ونزلوا إلى الأمير أيدهم بالإسطبل

- (١) كذا في الأصلين والسلوك. ولكن السياق يقتضى أن تكون العبارة هكذا: « فلما كان يوم الثلاثاء... الخ ». (٢) كذا في الأصلين والسلوك. وفي الدرر الكامنة: « ... وابن أخيه بلجك » بالياء الموحدة والجيم. وفي هامشها: « تلجك » بالناء المثناة والحاء المهملة. (٣) مدينة مصرية قديمة وهى قاعدة مركز بليس بمديرية الشرقية بمصر. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٤) كذا في الأصلين والسلوك. والسياق يقتضى أن تكون العبارة هكذا: « وابت ليلة الأربعاء... الخ ».

١٥

- (٥) قرية من ضواحي القاهرة بمصر. راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٦) في أحد الأصلين: « لياتيه بالخبر بالأمير أطنبغا... الخ ».

٢٠

السلطاني، ثم مضى كل واحد إلى إسبطله فلم ينتصف الليل إلا وعامة الأمراء
بأطلائهم في سوق الخيل تحت القلعة، وهم: الأمير الطنبغا المارداني^(١) ويلبغا الحيوي^(٢)
وبهادر الدمرداسي والحاج آل ملك والحاوي^(٣) وقماري^(٤) الحسني^(٥) أمير شكار وأرنبا^(٦)
واق^(٧) مبنقر السلاوي، وبعثوا إلى إسبطلات الأمراء مثل جنكلي بن [محمد بن] البابا
وبيبرس الأحمدي وطوغاي^(٨) وقيانمر^(٩) والوزير وليست ممالكهم وأنحرجت أطلابهم،
ثم خرج إليهم الأمير أيدغمش بماليكه ومن عنده من الأوجاقية، ووقفوا جميعا
ينتظرون نزول قوْصون إليهم فأحس قوْصون بهم وقد آتبه فطلب الأمراء المقيمين
بالقلعة فأناه منهم اثنا عشر أميرا، منهم جَنكَلِي بن البابا وقيانمر والوزير، وليست ممالكُ
قوْصون التي كانت عنده بالقلعة وسأله أن يتزل ويدرك إسبطله ويجمع بمن فيه
من ممالكه، وكانوا سبعة مملوك، وكان قوْصون يعتز بهم ويقول: إيش أباي
بالأمراء وغيرهم، عندي سبعة مملوك ألقى بهم كل من في الأرض، فلم يوافقهم
قوْصون على النزول لما سبق في القدام. وأقام قوْصون بالقلعة إلى أن طلع النهار، فلما
لم يظهر له حركة طمع أيدغمش فيه، وأمر الأوجاقية أن تطلع إلى الطليخاناه السلطانية

(١) في السلوك: «الحسيني» . (٢) التكلة من الدرر الكامنة .

(٣) هو طوغاي بن عداقه الناصري سيف الدين . توفي سنة ٧٤٣ هـ عن المنهل الصافي .

(٤) كذا في الأصلين . وفي السلوك: «قيانمر» بالياء الموحدة بعد القاف .

(٥) يستفاد مما ورد في كتابي صبح الأعشى وانحطط المقرزي عن كلمة طليخاناه أنها وجهت إلى أربعة

أغراض: الأول وهو الأصل، أنها تطلق على دار الطيل . والثاني على الطبول وما يتبعها من الآلات . والثالث
على رجال الجوق أي الفرقة الذين يحملون الطبول . والرابع أنها كانت من أسماء الرتب التي تمنح للأمراء .

فأما الطليخاناه ومعناها دار الطيل فذكرها المقرزي في محطته باسم الطليخاناه تحت القلعة (ص ٢١٣)

ج ٢) فقال: إن الطليخاناه الموجودة تحت القلعة فيما بين باب السلسلة وباب المدرج كانت دار العدل
القديمة التي عمرها الملك الظاهر بيبرس في سنة ٥٦١ هـ ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٢ هـ
وبن في مكانها الطليخاناه المذكورة .

وأخرج لهم الكوسات^(١)، فذقوا حربياً، ثم نادى أيدغمش: معاشر أجناد الحلقة وممالك
السلطان والأجناد [و] البطالين يحضروا، ومن ليس له فرس وليس له سلاح يحضر
ويأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا، ويقاقل قووصون، فأتاه جماعة كثيرة من
أجناد الحلقة والممالك ما بين لابس سلاح وراكب وبين ماشٍ وعلى حمار. وأقبلت
العامة كالجماد المشتير لما في نفوسهم من قووصون، فنادى لهم أيدغمش بالكسابة^(٢):
عليكم بإسطبل قووصون إنبهوه فأحاطوا به وممالك قووصون من أعلاه ترميهم بالنشاب
حتى أتلفوا منهم عدة كثيرة، فركب ممالك يلغا اليحياوى من أعلى بيت يلغا^(٣).
والبيت المذكور هو الآن موضع مدرسة السلطان حسن. وكان بيت يلغا يُشرف
على بيت قووصون، فلما طلعا ممالك يلغا اليحياوى تسلطوا على ممالك قووصون

١٠ = وبالمبحث تبين أن الطلخانة السلطانية مكانها اليوم القاعات المجهزة الآن مخازن لمهمات الجيش
المصري الواقعة على يسار الداخل من باب العزب وهو الباب الغربي لقلعة القاهرة، وكان يسمى قديماً باب
السلسلة أو باب الإسطبل.

ولما تكلم القلقشندي في صبح الأعيى على الطلخانة (ص ٨ ج ٤): قال: وهي طويلة مستدرة منها أبراق
وزمارات وكوسات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، وتدق كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب،
وتكون محبة الطلب في الأسفار والحروب.

١٥ وذكر القلقشندي (في ص ١٥ ج ٤) أن الطلخانة هي الرتبة الثانية من رتب أرباب السيوف وتمنع
الأمراء الذين يكونون تحت قيادة الواحد منهم أربعون فارساً. قال: ومن أمراء الطلخانة كذلك
أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال (الأقاليم) وأكابر الولاة.

(١) الكوسات هي صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص.
ويقصد المؤلف من ذلك أن الكوسات دقت لجمع الممالك وإعلان الحرب بين الفريقين المتنازعين.
راجع الحاشية رقم ١ ص ٤ ج ٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

٢٠ (٢) الكسابة: الذين مهمهم في الحرب كسب الغنائم. (عن كثر مير).
(٣) هذا اليب هو بداهة قصر يلغا اليحياوى الذي سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ١٢١

من الجزء التاسع من هذه الطبعة. ومدرسة السلطان حسن سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٢٣
من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

ورموا عليهم بالنشاب مساعدة للعوام ، وخرجوا منهم جماعة كثيرة وحالوا بينهم وبين العامة ، فهجمت العامة عند ذلك إسطنبول وقوصون ونهبوا زردخاناته وخواصه وأمواله وكسروا باب قصره بالفئوس بعد مكابدة شديدة وطلعوا إلى القصر ونهبوا مافيه ، وقوصون ينظر ذلك من شبك القلعة ويقول : يا مسلمين ! ما تحفظون هذا المال ، إما أن يكون لى أو يكون للسلطان ، فقال أيدغمش : هذا شكرانه للناس ، والذي عندك فوق من الجوهر والتحف يكفي السلطان . وصار قوصون كلما هم للركوب بماليكه كسروا عليه الخاصية وقالوا له : يا خوند غدا نركب ونقتل هؤلاء ، وصاروا يهونوا عليه أمر أيدغمش وأصحابه لباطن كان لهم مع أيدغمش ، حتى كان من أمره ما كان .

١٥ ولما هجمت العامة بيت قوصون خرجوا بماليكه منه على حية وشقوا القاهرة وتوجهوا إلى عند الأمير ألتنبغا الصالحى نائب السهم ، فبعث أيدغمش في أثرهم إلى ألتنبغا نائب الشام ومن معه بالسلام عليهم ، وأن يمنوا بماليك قوصون من الاختلاط بهم ، فإن الأمير يلينا اليحياوى والأمير آق سقر قادمان في جمع كبير لأخذ بماليك قوصون وحواشيه . فأمر ألتنبغا نائب الشام بماليك قوصون وتلجك وبرسبغا الحاجب أن يكونوا على حدة ، وليسوا الجميع وأخذ الأمير برسبغا بماليك قوصون وجماعته إلى جهة الجبل ، فلقبهم الأمير يلينا اليحياوى بمن معه على بُعد ، وكان ذلك بعد ما أسك قوصون ، فسار خلفهم إلى قرب إطفيج . وقيل في أمر بماليك قوصون غير ذلك على ما سذكه بعد القبض على قوصون .

وأما قوصون فإنه بقى واقفاً بسباك القلعة والعامة تنهب في بيته فلم يمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما فى إسطنبول ، وقوصون يضرب يداً على يد

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ويقول: يا أمراء! هذا تصرف جيد، يُنَبِّه هذا المسأل جميعه، وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون . ثم بعث قوصون إلى أيدغمش يقول . إن هذا المسأل عظيم وينفع المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتنادى بنهبه؟ فردّ جوابه: نحن قصدنا أنت ولو راح هذا المسال وأضعافه، هذا كله والقلاع مغلقة الأبواب، وجماعة قوصون يرمون من الأشرية بالنشاب^(١) إلى أن قرب العصر، والعامة تجمع نُسَابهم وتُعطيه لمن هو من جهة أيدغمش . فلما رأى قوصون أمره في إدبار سلم نفسه، ودخل عليه الأمير بلك الجمدار وملكتمر السرجوانى يأمره أن يُقيم في موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك فيتصرف فيه كما يختار، فلم يجد بدا من الإذعان، وأخذ يُوصي الأمير جُنكلى بن البابا وأمير مسعود حاجب الجُحَاب على أولاده، فأخذ وقيد ومضوا به إلى البرج^(٢) الذى كان بُسْتُك فيه، ورسم عليه جماعة من الأمراء . وكان الذى تولى مَسْكه وحسه جُنكلى بن البابا وأمير مسعود الحاجب وأربنغا أمير جَانْدَار .

وأما الأمير أَلْطُنْبغا الصالحى نائب الشام ومن معه فإن برُسْبغا وتلجك والقوصونية لما فارقوا أَلْطُنْبغا المذكور سار أَلْطُنْبغا وأرقطاي والأمراء يريدون

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥ من هذا الجزء .

(٣) سبق أن ذكر مؤلف هذا الكتاب في حوادث سنة ٦٥٨ هـ في الجزء السابع من هذه الطبعة أنه لما وصل الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى إلى مصر احتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه وأنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل ، ويستفاد من ذلك أن البرج المذكور كان من القصور السلطانية وعلقتا عليه في الحاشية رقم ٤ ص ١١٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وأما البرج الذى يشير إليه المؤلف هنا فهو برج آخر كان من مجون القلعة . وبالبحث عن مكانه تبين لى أنه كان موجودا . ولما جدد مجد على باشا باني القلعة بين سنتي ١٢٢٨ و ١٢٤٤ هـ هدم ذلك البرج وجدد في مكانه برجاً أصغر من القديم لا يزال قائماً إلى اليوم ، ويعرف بيزج المقطم لأنه يشرف على جبل المقطم وهو قائم في الساحة التي بها تكناات الجيش على يمين الداخل من البرابة الداخلية بقلعة الجبل .

القاهرة، وأشار الطنبغا نائب الشام على أرقطاي نائب طرابلس أن يرد برسبغا وتلجك والقوصونية ويُقاتل بهم أيدُغْمَشْ، فإنه ينضم إليه جميع حواشي قوصون ويأخذوا أيدُغْمَشْ ويُخرجوا قوصون ويُقيموه كبيرا لهم أو يُخرجوه إلى حيث يختار، ويقيموا سلطانا أو ينتظروا أحمد فلم يُوافقهُ أَرُقُطَاي على ذلك لَعَفَتْهُ عن سَفْكِ الدماء . فلما أعيا الطُّنْبُغَا أمره سارا نحو القاهرة حتى وافيا أيدُغْمَشْ وهو واقف تحت القلعة بأصحابه فاقبل أيدُغْمَشْ عليهما وعانقهما وأمرهما أن يطلعا إلى القلعة فطلعا . ثم أرسل أيدُغْمَشْ الأمير قازان والأمير آق سُنْقَرُ خَلْفَ بَرَسْبُغَا وتلجك ومن معهما . وجلس أيدُغْمَشْ مع تهماته من الأمراء وقتر معهم تسفير قوصون في الليل، إلى الإسكندرية، والقبض على الطنبغا الصالحى نائب الشام وعلى أَرُقُطَاي نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغد، فكان كذلك وقُبِضَ عليهم ، وتسفير الأمير بَرَسْبُغَا الأحمدي والأمير جَنْكَلِي بن البابا لإحضار السلطان الملك الناصر أحمد بن الكرك . ثم أُخْرِجَ بالأمير قوصون من بجته بقلعة الجبل في ليلة الخميس مع مائة فارس حتى أوصلوه إلى النيل وركب البحر ومضى به إلى الإسكندرية فسُجِنَ بها على ماسياتى ذكره .

وأما ما نهب لقوصون في هذه الحركة فشيء كثير، فإنه كان في حواصله من الذهب النقْدُ أربعة آلاف دينار من في أيكاس، ومن الحوائص الذهب والكلفَتَات الزركش والأواني فشيء لا يحصر، وثلاثة أيكاس أطلَس فيها فصوص وجواهر ممتنة بما يُنْفَى على مائة ألف دينار، ومائة وثمانون زوج بسط، منها ما طوله أربعون ذراعا وثلاثون ذراعا، كلها من عمل الروم وآيد وشيراز، وستة عشر زوجا

(١) في الأصلين والسلوك : « فلما أعيا الطنبغا أمره سارا نحو القاهرة حتى وافيا أيدُغْمَشْ ... الخ » .

والسياق يقتضى ما أبتناه .

(١) من عمل الشريف بمصر . وأربعة أزواج بُسُط حريراً يقوم عليها لحسنها ، فأُخِطَ
 سعر الذهب من كثرة ما نُهِبَ لقوصون ، حتى صُرِفَ بأحد عشر درهما الدينار ممّا
 صار وكثُر في أيدي الناس بعد ما كان الدينار بعشرين درهما ، ولأنّ أَيْدُغْمَش نادى
 بعد ذلك بالقاهرة ومصر أنّ من أحضر من العامة ذهباً لتاجر أو صيرفي أو مُتَعَشِّش
 يُقبَض عليه ويُحضَر به إلى أَيْدِغْمَش ، فكان مَنْ معه منهم ذهب يأخذ فيه
 ما يُدْفَع إليه من غير توقُّف ، فرُخص سعرُ الذهب لذلك ، وكثُرَت مَرافعاتُ الناس
 بعضهم لبعض فيما نُهب ، فجمع أَيْدِغْمَش شيئاً كثيراً من ذلك ، فإن العامة يوم نُهب
 إسطنبول قوصون أخذوا من قَصْره حتى سَقُوفه وأبوابه ورُخامه وتركوه خراباً
 ثم مضوا إلى خاناته بِياب القرافة فَنَمَحهم صوفيّتها من النُهْب فما زالت العامة تقاتلهم
 حتى فتحوها ، ونهبوا جميع ما فيها حتى سلبوا الرجال والنساء ثيابهم ، فلم يدعوا لأحد
 شيئاً ، وقطعوا بُسَطها وكسروا رُخامها وأخربوا بركتها ، وأخذوا الشبابيك وخشب
 السقوف والمصاحف وشَعَثُوا الجُدَر ، ثم مضوا إلى بيوت ممالك قوصون وهم
 في حَشْدٍ عظيم فَنهبوها وأخربوها وما حولها ، وتبعوا حواشي قوصون بالقاهرة
 والحُكُورة وبولاق والزَّرِيَّة وبركة قُرْمُوط (٦) وباعت العامة السقوف والأواني بأخس

(١) الشريف : أُمّ صانع اشتهر في صناعة البسط في هذا العصر . وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٧٣) .

(٢) في أحد الأصلين : « فكان مَنْ معه ذهب منهم يأخذ فيه ما يدفع إليه منه ... الخ » .

وفي الأصل الآخر : « فكان من معه من الذهب منهم يأخذ فيه ما يدفع إليه فيه » . وما أثبتناه عن السلوك .

(٣) خاتمة قوصون سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) رواية السلوك : « وهم في وحشة عظيمة » .

(٥) يقصد بها زرية قوصون التي سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع

من هذه الطبعة . (٦) في الأصلين : « وبركة الفيل » . وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن السلوك

للقريزي ، لأن بركة قُرْمُوط كانت واقعة فيما بين اللوق والمقس (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨١ من الجزء

التاسع من هذه الطبعة) . وأما بركة الفيل فوقها الآن خط الحلبية الجديدة (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥

من الجزء السابع من هذه الطبعة) .

الائتمان وصارت العامة إذا أرادوا نهب أحد قالوا : هذا قَوْصُونِي ! . فيذهب في الحلال جميع ماله ، وزادت الأوباش في ذلك حتى خرجوا عن الحد وشمل الخوف كل أحد ، فقام الأمراء على أيد غممش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب ، فأمر لسبعة من الأمراء ، فزلوا إلى القاهرة ، والعامة مجتمعة على باب الصالحية في نهب بيت القاضي الغوري الحنفي ، فقبضوا على عدة منهم وضربوهم بالمقاريع وشهروهم . فأنكفؤا عن نهب الناس . انتهى .

وأما أصل قوصون وأتصاله بالملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار ساقبه أعظم مماليكه هو وبكتمر الساقى ، لأن قوصون كان ممن حضر إلى الديار المصرية من بلاد الترك صحبة [خوند] بنت أذربك خان التي تزوجها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو غير مملوك ، فلما كان في بعض الأيام طلع قوصون إلى القلعة في خدمة بعض التجار فرآه السلطان الملك الناصر فأعجبه ، فقال للتاجر : لأى شىء ما تبعنى هذا المملوك ؟ فقال التاجر : هذا ما هو مملوك ، فقال الملك الناصر : لا بُد أن أشتريه ، ووزن ثمنه مبلغ ثمانية آلاف درهم ، وجهاز إثنين إلى أخيه قوصون إلى البلاد . ثم أنشأه الملك الناصر وجعله ساقياً ، ثم رقاها حتى جعله أمير مائة ومقدم ألف ، وعظم

(١) المقصود هنا المدارس الصالحية التى أسسها الملك الصالح نجم الدين أيوب بخط بين القصرين بالقاهرة . وسبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) يستفاد من عبارة اجتماع العامة على باب الصالحية في نهب البيت المذكور أن القاضي المذكور كان ساكناً في المدارس الصالحية المشار إليها في الحاشية السابقة . ويستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على رحبة وزير بغداد (ص ٥٠ ج ٢) أن القاضي المذكور هو حسام الدين حسن بن محمد بن محمد الغوري الحنفي ، قدم هو والوزير نجم الدين محمود بن علي بن شرين المعروف بوزير بغداد من العراق إلى مصر في شهر صفر سنة ٧٣٨ هـ .

(٣) زيادة عن خطط المقرئ (ج ٢ ص ٣٠٧) .

(٤) يريد بها بلاد القبايق التى نزح منها قوصون إلى الديار المصرية .

- عند الملك الناصر وحَفِيّ عنده وزوجه بأبنته وهى ثانية بنت زوجها الملك الناصر
للمالكة فى سنة سبع وعشرين وسبعماية، وكان له عُرْس حفل، احتفل به الملك الناصر،
وحمل الأمراء التقادِم إليه فكان جملة التقادِم خمسين ألف دينار . ولما كان يقع
بينه وبين بَكْتَمُر الساقى منافسة يقول قَوْصُون : أنا ماتنقلت من الإسطبلات إلى
الطَباق، بل أشتراى السلطان وجعلنى خاصيًّا مقربا عنده دفعة واحدة، فكان الملك
الناصر يتنوع فى الإنعام على قوصون حتى قيل إنه دفع إليه مرة مفتاح دَرْدَخانات
الأمير بكتمر الساقى بعد موته، وقيمتها ستمائة ألف دينار، قاله الشيخ صلاح الدين
الصفدى فى « تاريخه ». ثم تزايد أمر قوصون حتى وقع له ما حكيناه . وأستمر قوصون
بسجن الإسكندرية هو وألطنبغا الصالحى نائب الشام وغيرهما حتى حضر الملك
الناصر أحمد من الكرك وجلس على كرسى الملك بقلعة الجبل حسب ما يأتى ذكره،
اتفق آراء الأمراء على قتل قوصون فجهازوا لقتله شهاب الدين أحمد بن صُبُح إلى
الإسكندرية فتوجه إليها وحقق قوصون وألطنبغا نائب الشام وغيرهما فى سؤال
سنة اثنتين وأربعين، وقيل فى ذى القعدة على ما يأتى بيان ذلك فى وقته .
- وخلف قوصون عدة أولاد من بنت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون .
وكان أميراً جليلاً كريماً خيراً شجاعاً ، وكان يُعطى العطايا المائلة ، وكان إذا
ركب للصيد فى أيام أستاذه يركب فى خدمته ثلث عسكر مصر، وكان يركب قدامه
بالقاهرة مائة نقيب، وكان أخوه صوصون أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية،
وقيل أمير طلبخانة . وكان وقع بين قوصون وبين تنكر نائب الشام، فلما قبض
على تنكر وحمل إلى القاهرة ما عامله قوصون إلا بكل خير . ولما أمسك قوصون
وقُتِل قال فيه الصلاح الصفدى :

(١) تقدّم فى ص ٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة أن عقد زواج آية الناصر محمد بن قلاوون

على الأمير قوصون كان فى سنة ٧٢٦ هـ

- قَوْصُونُ قَدْ كَانَتْ لَهُ رَتْبَةٌ * تَسْمُو عَلَى بَدْرِ السَّمَاءِ الزَّاهِرِ
 فُخْطَهُ فِي الْقَيْدِ أَيْدُغْمَشُ * مِنْ شَاهِقٍ عَالٍ عَلَى الطَّائِرِ
 وَلَمْ يَجِدْ مِنْ ذَلِكَ حَاجِبًا * فَإِنْ عَيْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
 صَارَ عَجِيْبًا أَمْرُهُ كُلُّهُ * فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَفِي الْآخِرِ
٥. وَقَالَ فِي قَوْصُونٍ وَفِي وَاقِعَتِهِ عَدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنَ الشُّعْرِ وَالْبَلَّاقِ وَالْأَزْجَالِ، وَعَمِلَتْ
 الْحُلَاوِيَّةُ مِثَالَهُ فِي حِلَاوَةِ الْعَلَّاقِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ جَمَالُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ الْأُدَيْبِ الْمَعَارِ :
 شَخْصٌ قَوْصُونٌ رَأَيْنَا * فِي الْعَلَّاقِ مَسْمُورٌ
 فَمَجِبْنَا مِنْهُ لَمَّا * جَاءَ فِي التَّسْمِيرِ سُكْرٌ
 وَبَعْضُ عَوَامٍ مَصْرَ قَصِيدَةٍ « كَانَ وَكَانَ » أَوَّلَهَا :
١٠. مِنَ الْكَرْكُ جَانَا النَّاصِرُ * وَجَبَ مَعَهُ أَسَدُ الْغَابَةِ
 وَوَقَعَتْكَ يَا مِيرَ قَوْصُونُ * مَا كَانَتْ آلاَ كَذَابَةٍ
- وَأَشْيَاءٌ غَيْرُ ذَلِكَ، وَقَدْ خَرَجْنَا عَنِ الْمَقْصُودِ وَلَنَرْجِعَ إِلَى ذِكْرِ أَيْدُغْمَشٍ وَمَا فَعَلَهُ بِمَصْرَ.
- وَأَمَّا أَيْدُغْمَشُ فَإِنَّهُ آسَمَتْهُ مَدَبَرُ الدِّيارِ الْمَصْرِيَّةِ وَقَامَ بِأَمْرِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
 أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَجَمَعَ الْأَمْرَاءَ وَخَلَعَ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ علاءُ الدِّينِ بَكْكَ
 أَبْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ مِنَ الْمُلْكِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ أَوَّلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ
١٥. (١) رَوَايَةُ السُّلُوكِ : « صَاحِبًا » . (٢) رَاجِعِ الْخَاشِيَةَ رَقْمَ ١ ص ١٣٩ مِنْ الْجُزْءِ النَّاسِعِ
 مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .
- (٣) ذَكَرَ الْمُقْرِيزِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى سَوَاقِ الْخَلَاوِيِّينَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي ص ١٠٠ أَنَّ فِيهِ مِنَ السُّكْرِ
 الْمَعْمُولِ بِالْهَنْدِ مَا يَحْمِيحُ النَّظَرَ حَسَنًا ... وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ مَنْظَرًا مَا كَانَ يُصْنَعُ مِنَ السُّكْرِ فِي الْمَوَاسِمِ
 مِثْلَ خِيُولٍ وَسَبَاعٍ وَقَطَاطٍ وَغَيْرِهَا تَسْمَى الْعَلَّاقِ وَاحِدُهَا عَلَاقَةٌ تَرْفَعُ بِخَيْطٍ عَلَى الْجَوَانِبِ فَهِيَ مَا يَزْنُ عَشْرَةَ
 أَرْطَالٍ إِلَى رُبْعِ رَطْلٍ تَشْتَرَى لِلْأَطْفَالِ فَلَا يَبْقَى جَلِيلٌ وَلَا حَقِيرٌ حَتَّى يَبْتَاعَ مِنْهَا لِأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ وَتَمْتَلِكُ أَسْوَاقُ
 الْبُلْدَيْنِ : مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ وَأَرَادَ فِيهِمَا مِنْ هَذَا الصَّنْفِ .
- (٤) تَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٩ هـ عَنِ الدَّرَرِ الْكَامَةِ .

أثنين وأربعين وسبعائة ، فكانت مدة سلطته على مصر خمسة أشهر وعشرة أيام ، ولم يكن له فيها من السلطنة إلا مجزء الاسم ، فقط وليس له من الأمر شيء ، وذلك ليصغر سنه ، وكان المتصرف في المملكة في سلطته الأمير قوصون . وكانت إذا حضرت العلامة أعطى قوصون الأشرف بكك في يده قلماً ، وجاء الفقيه الذي يقرئه القرآن فيكتب العلامة والقلم في يد الأشرف بكك ، وأستمر الأشرف بكك بعد خلعه من السلطنة في الدور السلطانية تحت كنف والدته وهو والدته في ذل وصغار وهوان مع من تسلطن من إخوته ، لاسيما مع أم الملك الصالح إسماعيل ، فكانت في كل قليل إذا توقع ولدها الملك الصالح إسماعيل ، وكان كثير الضعف تبهم المذكورة أنها نتعمد له بالسحر وتأخذ جواربها وحواشيها وتعاقبهم ، وأخذت منها جملة مستكثرة فدامت على هذا مدة سلطنة الملك الصالح ، حتى نزل مرة إلى سرحة سرياقوس وبعث دس عليه أربعة خدام طواشبة فقتلوه على فراشه في سنة ست وأربعين وسبعائة ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة ، وعظم مصابه على والدته ، بل على الناس قاطبة . رحمه الله تعالى .

ذكر ولاية الملك الناصر أحمد على مصر

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . تسلمن بعد خلع أخيه الأشرف بَركُك، وكان بُويع بالسلطنة قبل خلع بَركُك أيضا وهو بقلعة الكرك حسب ما ذكرناه في واقعة قُطْلُو بَنا الفخرى مع أَلْطُنْبغا الصالحى- نائب الشام . وأتم الملك الناصر هذا كان اسمها بَيَاض ، كانت تُجيد الفناء وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس توبة، وكانت تُعرف بقومة^(١)، وكان للناس بها اجتماعات في مجالس أُسهم ، فلما بلغ السلطان الملك الناصر خبرها طلبها وأختص بها وحظيت عنده فولدت أحمد هذا على فراشه . ثم تزوجها بعد ذلك الأمير مَلِكْتَمُر السرجوانى- في حياة الملك الناصر محمد . انتهى .

قلت : والملك الناصر أحمد هذا هو الخامس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والثالث من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . والآن نذكر ما وقع بالديار المصرية بعد خلع الأشرف بَركُك إلى حين دخول الملك الناصر هذا إليها من الكرك . ولما قبض أيدُ غُمش على قُوصون وخلع الملك الأشرف بَركُك من السلطنة حسب ما تقدم ذكره بعث بالأمير جَنَكلى بن البابا والأمير بِيَرَس الأحمدي والأمير قُمارى أمير شكار إلى الملك الناصر أحمد بالكرك وعلى يدهم كُتِب الأُمراء يخبرونه بما وقع ويستدعونه إلى تحت مُلكه . ثم جلس الأمير سيف الدين أيدُ غُمش والأمير أَلْطُنْبغا الماردانى والأمير بهادر الدِمرداشى والأمير بَلْبغا اليجايوى واستدعوا الأُمراء فلما حضروا أمر أيدُ غُمش بالقبض على أَلْطُنْبغا الصالحى الناصرى نائب الشام وعلى الأمير

(١) في السلك : « وكانت شهرتها قونية » .

- أَرْقَطَايَ نَائِبَ طَرَابُلُسَ وَجُنَا بَقْلَةَ الْجَبَلِ وَأَمْسَكُوا بَعْدَهُمَا سَبْعَةَ أَمْرَاءَ أُخْرَ مِنْ
أَمْرَاءِ الطَّبْلَخَانَاهِ وَالْأَمِيرَ قِيَاثَمَرٍ أَحَدَ مَقْدِمَى الْأُلُوفِ وَجَرَ كَثْمَرِينَ بِهَادِرٍ أَيْضًا مِنْ
مَقْدِمَى الْأُلُوفِ وَعِدَّةَ أَمْرَاءَ أُخْرَ، حَتَّى كَانَتْ عِدَّةُ مَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ فِي هَذَا
الْيَوْمِ نَحْصَةً وَعِشْرِينَ أَمِيرًا . ثُمَّ كَتَبَ الْأَمِيرُ أَيَّدَغْمَشُ إِلَى الْأَمِيرِ قُطْلُوبَغَا الْفَخْرَى
يَعْرِفُهُ بِمَا وَقَعَ وَيَحْرُضُهُ عَلَى الْحُضُورِ مَعِجَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ . ثُمَّ طَلَبَ أَيَّدَغْمَشُ
جَمَالَ الدِّينِ يَوْسُفَ وَالِىَ الْجِيزَةِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ بُولَايَةَ الْقَاهِرَةِ ، فَزَلَّ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَإِذَا
بِالْعَامَةِ فِي نَهَبِ بَيْوتِ مَمَالِكِ قَوْصُونَ فَقَبِضَ عَلَى عِشْرِينَ مِنْهُمْ وَضَرَبَهُمْ بِالْمَقَارِعِ
وَبَجَنَهُمْ بَعْدَ مَا شَهَرَهُمْ ، فَاجْتَمَعَتِ الْغَوْغَاءُ وَوَقَفُوا لِأَيَّدَغْمَشَ وَصَاحُوا عَلَيْهِ : وَلَيْتَ
عَلَى النَّاسِ وَاحِدَ قَوْصُونٍ مَا يُحَلِّيَ مَنَا وَاحِدًا ! وَعَرَفُوهُ مَا وَقَعَ فَبَعَثَ الْأَوْجَاقِيَّةُ فِي طَلْبِهِ
فَوَجَدُوهُ بِالصَّلِيَّةِ ^(٢) يَرِيدُ الْقَلْعَةَ فَصَاحَتْ عَلَيْهِ الْغَوْغَاءُ : قَوْصُونِي ! يَا غَيْرِيَّةَ ^(٣) عَلَى الْمَلِكِ
النَّاصِرِ ، وَرَجَمُوهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَقَامَتِ الْجَبَلِيَّةُ وَالْأَوْجَاقِيَّةُ فِي رَدِّهِمْ فَلَمْ يُطِيقُوا ذَلِكَ ،
وَجَرَتْ بَيْنَهُمُ الدَّمَاءُ ، فَهَرَبَ الْوَالِي إِلَى إِسْطَبِلِ ^(٤) الطَّنْبُغَا الْمَارْدَانِي ، وَحَمَتَهُ مَمَالِكُ
الطَّنْبُغَا مِنَ الْعَامَةِ ، فَطَلَبَ أَيَّدَغْمَشُ الْغَوْغَاءَ وَخَيْرَهُمْ فِيمَنْ عَلَى فَقَالُوا : نَجْمُ الدِّينِ الَّذِي
كَانَ وَلِيَّ قَبْلِ ابْنِ الْمُحْسَنِ ، فَطَلَبَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ فَصَاحُوا بِحَيَاةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ النَّاصِرِ :

- (١) رواية السلوك : « وَأَخَذُوا بَعْدَهُمَا سَبْعَةَ عَشَرَ أَمِيرَ طَبْلَخَانَاهِ ... الخ » .
(٢) المقصود خط الصليبة بالقاهرة ، وقد علقنا على الصليبة في الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء
التاسع من هذه الطبعة . (٣) كذا في الأصلين والسلوك . والسياق يقتضى أن يكون نسج الكلام
هكذا : « يَأْمَنُ تَفَارُونَ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ » . (٤) يستفاد مما ذكره المقرئى في خطه عند
الكلام على قصر يلغا الجياوى (ص ٧١ ج ٢) أن قصر الطنبغا الماردانى وفيه إسطلبه هدمه السلطان
الناصر حسن مع قصر يلغا الجياوى وأنشأ في موضعها مدرسته الموجودة الآن بأسم جامع السلطان حسن
بميدان محمد على تحت القلعة بالقاهرة . ومن وصف المقرئى هذين القصرين وموضعهما يتبين أن قصر
يلغا الجياوى كان شاغلا للقسـم الجنوبي الشرقى من أرض جامع السلطان حسن ، وأن قصر الطنبغا الماردانى
كان شاغلا للقسـم الشمالى الغربى منه .

إعزل عنا بن ربيعة المقدم وحامص ربيعة، فأذن لهم في نهبهما فتسارع نحو الألف منهم إلى دار ابن ربيعة بجانب بيت الأمير كوكاي فنبهوه ونهبوا بيت ربيعة ثم أنكفوا عن الناس .

وفي يوم الجمعة ثاني شعبان دُعي على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد . وفي يوم الاثنين خامسه تجعت العائمة بسوق الخيل ومعههم رايات صُفر وتصايحوا بالأمير أيْدُغْمُش : زدنا لروح إلى أستاذنا الملك الناصر ونجى صحبته، فكتب لهم مرسوما بالإقامة والرواتب في كل منزلة . وتوجهوا مسافرين من الغد . وفي يوم الأربعاء سابع شعبان وصل الأمراء من سجن الإسكندرية الذين كان سجنهم قوصون حتى أخرج عنهم أيْدُغْمُش ، وهم الأمير مَلِكْتُمُر الحجازي وقُطْلُبُجَا الختوي وأربعة وخمسون نفرا من الممالك الناصرية . وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقبدا وافوه هؤلاء بعد أن أطلقوا فسلموا عليه سلام شامت فبكي قوصون وأعتذر لهم بما صدر منه في حقهم . وعند ما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت الناس لرؤيتهم فكان لقدومهم يوم مشهود . حتى طلعوا إلى القلعة فتلفت خوند الحجازية بنت السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

(١) يستفاد من عبارة المؤلف أن دار ابن ربيعة وبيت ربيعة حامص كانا مجاورين لبيت الأمير سيف الدين كوكاي السلاح دار الناصري الذي كان واقعا برجة كوكاي . ويستفاد مما ذكره المقرئ على هذه الرجة (ص ٤٩ ج ٢) وعلى المدرسة القطبية (ص ٣٦٨ و ٣٩١ ج ٢) أن رجة كوكاي كانت واقعة على رأس شارع خان أبو طافية عند تلاقيه بشارع سوق السمك المتفرع من شارع الخرنفش بقسم الجالية بالقاهرة، وأن المدرسة القطبية هي المعروفة الآن بجامع محب الدين أبو الطيب الواقع على رأس شارع خان أبو طافية المذكور . ومن هذا الوصف يتبين أن هذه البيوت الثلاثة كانت واقعة بالقرب من الجامع المذكور وليس لها أثر اليوم .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وراجع أيضا الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

- (١) زوجها مَلِكْتَمُرَ المَجَازِيَّ بِخُدَامِهَا وجواريها، ومغانيا تَضْرِبُ بالدُفوف والشَّبَابَاتِ فَرَحًا به، ومعها أختها زوجة بَشْتَك تساعدها بالفرح وهي شامسة بقوصون لكونه قَتَلَ زوجها بَشْتَك الناصريّ قبل تاريخه هذا. وأختها بنت الملك الناصر الأخرى زوجة قوصون يجانبها في عويل وبكاء وصياح ولطم على قوصون. وقد أفتقر جوارى الملك الناصر وأولاده فرقتين، فرقة مع المَجَازِيَّة وفرقة مع القَوُصُونِيَّة، والمعجب أن هذا الفرح والعزاء كان قبل ذلك بالعكس، فكان العزاء إذ ذاك في بيت المَجَازِيَّة، والفرح في بيت قوصون، والآن العزاء في بيت قوصون والفرح في بيت المَجَازِيَّة وزوجة بَشْتَك وإن كان فرط في زوجها القَرَط، فهي تساعد أختها المَجَازِيَّة شَمَاتَةً بقوصون، لحالها كقول مَنْ قال :

- ١٠ وما من حُبِّه أحنو عليه * ولكن بنض قوم آخرين
فانتظر إلى هذا الدهر وتقلباته بأسرع وقت من حال إلى حال، فنعوذ بالله من زوال النعم.

- ثم قَدِمَ بعد ذلك كتب الأمراء المتوجهين إلى الكرك لإحضار الملك الناصر، أنهم لما قربوا من الكرك بعث كل منهم مملوكه يعزف السلطان الملك الناصر بحضورهم إلى الكرك فبعث إليهم الملك الناصر رجلاً نصرانياً من نصارى الكرك يقول : يا أمراء، السلطان يقول لكم : إن كان معكم كتب فهاؤها أو مشافهة فقولوها، فدُفِعت الكتبُ إلى النصرانيّ ففضى بها ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم وقال عن السلطان : مسلم على الأمراء وعرفهم أن يقيموا بقرّة حتى يرد عليهم ما يمتدوه. وحضر مملوك من قبله يأمر الأمير قسارى بالإقامة على ناحية

- ٢٠ (١) الشابات، جمع شبابة (بالباء المشددة) : قصة الزمر المعروفة مولدة (عن شفاء الغليل).

(١) صافيتا، ثم بعث إلى الأمراء بخاتم وكتاب يتضمن إقامتهم على غزاة والاعتذار عن لقائهم، فعاد جُنَيْكِي والأحمدى إلى غزاة وتوجه قمارى إلى ناحية صافيتا، فلما وقف الأمير أيدُغْمَش على ذلك كتب من فوره إلى الأمير قطلوبغا الفخرى يسأله أن يصحب السلطان الملك الناصر في قدومه إلى مصر ليجلس على تخت ملّكه . ثم كتب أيدُغْمَش للأمراء بفسزة بالإقامة بها في انتظار السلطان، وعرفهم بمكاتبة الفخرى . وأخذ أيدُغْمَش في تجهيز أمور السلطنة ، وأشاع قدوم السلطان خوفاً من إشاعة ما عامل الناصر أحدُ به الأمراء فيفسد عليه ماديّره، فلما قدّم البريد بكتاب أيدُغْمَش إلى دمشق وآق قدوم كتاب السلطان أيضا من الكرك يتضمن القبض على طُرُنْطَاي البَجمَقْدَار والأمير طينال ، وتحمّل ما لهم إلى الكرك . وكان قطلوبغا الفخرى قد ولّى طينال نيابة طرابلس وطرنطاي نيابة حمص فأعذر الفخرى بأن طينال في شغل

(١) اسم لقضاء في شمال طرابلس الشام ، يحد شمالا بلواء اللاذقية وشرقا بحصن الأكراد وجنوبا بقضاء عكار وغربا بالبحر الأبيض المتوسط . وهو يشمل القسم الجنوبي من جبال النصرية ، وقصبته في القرون الوسطى قلعة صافيتا أو برج صافيتا وهي الحصن الصليبي الشهير ، المبنى على فرع من فروع جبال النصرية الذي فتحه الظاهر بيبرس سنة ٥٦٦٩ هـ . وأبرزه من أيدي الصليبيين .

وكان يحيط بالقلعة سوران : الأول كثير الأضلاع والأخر بمثابة مدخل عمومي للحصن ، وكان بين السورين مخازن مقبّرة وإسطبلات ، وقد حارت البلدة الحالية صافيتا في مكان هذه المخازن والإسطبلات . ولا يزال البرج الداخلى للحصن قائما وهو اليوم كنيسة للروم الأرثوذكس على شكل متوازي الأضلاع ، طوله ٣١ مترا وعرضه ١٨ مترا .

وقبسة صافيتا منتظمة وأهلها متعلّون ، وعدد سكانها يربو على ٢٥٠٠ نفس . (راجع الكلام على صافيتا في كتاب ولاية بيروت الجزء الثاني ص ٣٢٨ وما بعدها . وراجع تقويم سوريا ولسطين ليدكر ص ٣٥٢) .

(٢) ورد هذا اللقب في بعض المصادر التي تحت يدينا : « طرنطاي البشمقدار » وهو يعني : « البشمقدار » لأن بشمق أو بجمق معناه النمل باللغة التركية ، ودار معناه ماسك وعليه يكون المعنى الذي يحمل نمل السلطان . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بحركة الفرنج ، وأشار عليه بالآي حرك ساكتا في هذا الوقت ، وسأله سرية حضور
السلطان ليسير بالعساكر في ركابه إلى مصر ، وأكثر الفخرى من مُصادرة الناس
بدمشق . ثم قَدِمَ الأمير طَشْتَمُر الساقى المعروف بمَحْص أخضر نائب حلب كان من
بلاد الروم إلى الشام فتلقا الفخرى وأنزله في مكان يليق به ، وكان في كتاب الناصر
أنه لا يخرج من الكرك حتى يحضر الأمير طَشْتَمُر من بلاد الروم ، فكتب الفخرى
بمحضوره إلى الناصر وأنه يُسرِع في مجيئه إلى دِمَشق . وأخذ الفخرى أيضا في تجهيز
ما يحتاج السلطان إليه ، وفي ظنه أن السلطان يسير إليه بدمشق فيركب في خدمته
بالعساكر إلى مصر ، فلم يشعر الفخرى إلا وكتب السلطان قد ورد عليه مع بعض
الكرّكين يتضمن أنه يركب من دِمَشق ليجتمع مع السلطان على غزاة فسق ذلك
عليه وسار من دِمَشق بعساكرها ومن استخدمه حتى قَدِم غزاة في عِدّة كبيرة فتلقا
الأمير جَنَكِي والأحمدى وقُصارى أمير شِكار .

وأما أمر الديار المصرية فإن الأميرين يلبغا اليحياوى ومليكتَمُر المجازى تفاوضا
في الكلام حتى بلغا إلى المخاصمة ، وصار لكل منهما طائفة ولبسوا آلة الحرب
فتجمعت الفوجاء تحت القلعة لنهب بيوت من عساه ينكسر من الأمراء ، فلم يزل
الأمير أيدُغُمُش بالأمراء حتى أنكفوا عن القتال ، وبعث إلى العامة عِدّة من الأوجاقية
فقبضوا على جماعة منهم وأودعهم بالسجن .

ثم في يوم الخميس سابع شهر رمضان قَدِم أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون
من قوص إلى القاهرة ، وعِدّتهم ستة فركب الأمراء إلى لقائهم وهرعت العامة إليهم
فخرجوا من الحرافة وركبوا الخيول إلى القرافة حتى جاءوا تربة جريكتَمُر صاحبة^(١)

(١) يستفاد من عبارة المؤلف أن هذه التربة تربيها العامة من ذاك الوقت حتى صارت كوم تراب ،

ولذلك ليس لها أثر اليوم .

العامة هذه تربة الذى قتل أستاذنا الملك المنصور وهجموها وأخذوا ما فيها وأخربوها حتى صارت كوم تراب ، فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة وافاهم الأمير جمال الدين يوسف والى القاهرة كان ، فقتل وقيل رُكبة رمضان ابن الملك الناصر فرفسه برجله وسبه وقال له : أنتسى ونحن فى الحرقة عند توجعنا إلى قوص وقد طلبنا ما كلاً من الجيزة فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله ما عندنا شيء ! فصاحت بهم العامة : بالله مكنا من نهبه ، هذا قوصونى ! فأشار بيده أن أنهوا بيته ففساروا فى الحال إلى بيته المجاور لجامع الظاهر بالحسينية ، حتى صاروا منه إلى باب الفتوح ، فقامت إخوته ومن يلوذ به فى دفع العامة بالسلاح ، وبعث الأمير أيدغمش أيضا لجماعة ليردوهم عن النهب ، وخرج إليهم نجم الدين والى القاهرة ، وقد تقايل القوم حتى كفهم عن القتال فكان يوماً ، مهولاً ، قُتل فيه من العامة عشرة رجال ، وجرح خلق كثير ولم ينتهب شيء .

ثم قليم الخبز من غزاة بقدوم الفخرى وطقزدمر إلى غزاة واجتماعهم مع جنكلى والأحمدى وقارى ، وهم فى انتظار السلطان ، وأن الأمير أيدغمش يحلف جميع أمراء مصر وعساكرها للملك الناصر على العادة ، فجتمعوا بالميدان . فأخرجت نسخة اليمين المحضرة ، فإذا هى تتضمن الحلف للسلطان ثم للأمير فطلبوا بئناً الفخرى فتوقف

(١) جامع الظاهر لا يزال قائماً بميدان الظاهر بالقاهرة . وبالبحت تبين لى أن الجهة التى كانت مشغولة بالمساكن حول هذا الجامع فى ذلك الوقت هى الجهة الغربية ، وبناء على ذلك يكون بيت جمال الدين يوسف والى القاهرة المذكور فى المنطقة الواقعة الآن بين ميدان الظاهر وبين شارع الخليج المصرى .

(٢) فى السلوك : « قتل فيه من القاهرة ... الخ » .

(٣) كذا فى الأصلين . ولم ترد هذه الكلمة فى السلوك .

(٤) المقصود هنا الميدان الذى تحت القلعة ويعرف اليوم بميدان صلاح الدين بالقاهرة . راجع

الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الأمراء عن الحلف لقطلوبغا الفخري ، حتى ابتدأ الأمير أيدهشمش لخلف فتبعه الجميع خوفاً من وقوع الفتنة .

- وأما أمر الفخري والأمراء فإنهم لما وصلوا إلى غزّة جمع لهم نائبيها آق سنقر الإقامات من الشعر والغنم . ثم كتب الأمراء جميعاً إلى الملك الناصر بقدمهم إلى غزّة وعرفوه بذلك واستحثّوه على سرعة الحضور صحبةً ممالئهم والأمير قسارى أمير شكار ، فساروا إلى الكرك ، وكان قد سبقهم إلى الكرك الأمير يحيى بن طائر بغا صهر الأمير أيدهشمش يستحثّ الملك الناصر أيضاً على المسير إلى مصر ، فأقاموا جميعاً ثلاثة أيام لم يؤذن لهم في دخول المدينة . لم أتاهاهم كاتب نصراني وبازدار يُقال له أبو بكر ويوسف بن النصال وهؤلاء الثلاثة هم خاصّة الملك الناصر أحمد من أهل الكرك ، فسأموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب ، فشقّ ذلك على الأمير قسارى وقال لهم : معنا مشافهات من الأمراء للسلطان ، لا بدّ من الاجتماع به ، فقالوا : لا يمكن الاجتماع به ، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة فأعلمونا بها ، فلم يجدوا بدّاً من دفع الكتب إليهم ، وأقاموا إلى غد بغائتهم كتب مختومة وقيل للأمير يحيى بن طائر بغا : اذهب إلى عند الأمراء بغزّة فساروا عائدين إلى غزّة ، فإذا في الكتب الثناء على الأمراء وأن يتوجهوا إلى مصر ، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده ، فتغيرت خواطر الأمراء وقالوا وطالوا ، وخرج الفخري عن الحّد وأفرط به الغضب . وعزم على الخلاف ، فركب إليه طشتهم حصّ أخضر والأمير چنگلي ابن البابا والأمير بيبرس الأحمدي . وما زالوا به حتى كفّ عما عزم عليه ، ووافق على المسير ، وكتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدهشمش ، وتوجهوا جميعاً من غزّة يريدون مصر . وكان أيدهشمش قد بعث ابنه بالخليل الخاص إلى السلطان ، فلما وصل إلى الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل ، ورسم بعوده إلى أبيه ،

وأخرج رجلا من الكرك يُعرف بأبي بكر البازدار ومعه رجلان ليبدئوا بقُدومه ،
فوصلوا إلى الأمير أيدغمش في يوم الاثنين خامس عشرينه ، وبلغوه سلام السلطان^(١)
وعرفوه أنه كان قد ركب الهُجْرَ وسار على البرية صحبة العرب ، وأنه يُصَاحِبُ
أويَاسي ، نفلَ عليهم وبعث بهم إلى الأمراء ، فأعطاهم كل أمير من الأمراء
المقدمين خمسة آلاف درهم ، وأعطاهم بقية الأمراء على قَدْر حالهم ، وخرج
العامة إلى لقائه .

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشرين شهر رمضان قَدِمَ قاصدُ السلطان إلى الأمير
أيدغمش بأن السلطان يأتي ليلاً من باب القرافة ، وأمر أن يُفتح له باب السرحى
يعبر منه ، ففتحه وجلس أيدغمش والطَّبِيبُ المارداني حتى مضى جانب من ليلة
الخميس ثامن عشرينه أقبل السلطان في الليل في نحو العشرة رجال من أهل الكرك ،
وقد تَلَمَّ وعليه ثيابٌ مُفرجة فتلقوه وسأموا عليه ، فلم يقف معهم ، وأخذ جماعته
ودخل بهم ، ورجع الأمراء وهم يعجبون من أمره ، وأصبحوا وقد دُقَّت البشائر
بالقلعة وزُيِّنَت القاهرة ومصر ، وأستدعى السلطانُ أيدغمش في بكرة يوم الجمعة ،
فدخل عليه وقبِل له الأرض فاستدناه وطيب خاطره ، وقال له : أنا ما كنتُ
أَتَطْلُعُ إلى الملك وكنتُ قانعاً بذلك المكان ، فلما سَيرتُ في طلبي ما أمكنني إلا أن
أَحْضُرَ كما رَسِمتُ ، فقام أيدغمش وقبِل الأرض ثانياً ، ثم كتب عن السلطان إلى
الأمراء الشاميين يعزفهم بقُدومه إلى مصر وأنه في آنتظارهم ، وكتب علامته بين
الأسطر : « المملوك أحمد بن محمد » . وكتب إليهم أيدغمش كتاباً ، وخرج مملوكه بذلك
على البريد فلقِيهم على الوَرَادَةِ^(٢) فلم يُعْجِبهم هيئةُ عبور السلطان إلى مصر ، وكتبوا

(١) يريد : « خامس عشرين رمضان سنة ٧٤٢ هـ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

إلى أبدغمش أن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرباقوس لينفقوا على ما يفعلوه .
 فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان الأمراء من طلوع القلعة ، ورسم لكل أمير
 أن يعمل سباطه في داره ، ولم ينزل السلطان لصلاة العيد ، وأمر الطواشي عنبر
 السحرقى مقدم المالك ونائبه الطواشي الإسماعيل أن يجلسا على باب القلعة ويمنعا
 من يدخل عليه ، وخلا بنفسه مع الكركيين . وكان الحاج على « إخوان سلاّر »^(١) إذا أتى
 بطعام للسلطان على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البازدار وأطعماه ششني الطعام
 وتسلما السباط منه وعبرا به إلى السلطان ، ويقف الحاج على « إخوان سلاّر » بمن
 معه حتى يخرج إليهم الماعون .

وحكى الرئيس جمال الدين بن المغربي رئيس الأطباء أن السلطان استدعاه
 وقد عرض له وجع في رأسه فوجده جالسا ويمانه شاب من أهل الكرك جالس ،
 وبقية الكركيين قيام فوصف له ما يلائمه وتردد إليه يومين وهو على هذه
 الهيئة . انتهى .

ثم في يوم الأحد تاسع شوال قديم الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى والأمير
 طشتمر الساق حمص أخضر وجميع أمراء الشام وقضاتها والوزراء ونواب القلاع
 في عالم كبير حتى سدوا الأفق ونزل كثير منهم تحت القلعة في الحليم ، وكان خرج إلى
 لقائهم الأمير أبدغمش والحاج آل ملك والجاوى والطنبغا الماردانى وغيرهم ، وأخذ

(١) ورد في صبح الأعشى للقلقشندي (ج ٥ ص ٤٧١) في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف
 من الأتباع والحواشي والخدم أن إخوان سلاّر هو لقب مختص بكبير رجال المطبخ السلطان القائم مقام
 المهتار في غير المطبخ من البيوت . وهو مركب من لفظين : أحدهما إخوان وهو الذى يؤكل عليه . والثانى
 سلاّر وهو فارسية ومعناها المقدم وكأنه يقول : مقدم إخوان . والمادة تقول « إخوان سلاّر » بألف
 في أوله وهو لحن .

الفخرى يتحدث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من ^(١) قدومه في زِيّ العُربان واختصاصه بالكَرَكَيْن ، وإقامة أبي بكر البازدار حاجبه ، وأنكر عليه ذلك غاية الإنكار ، وطلب من الأمراء موافقته على خَلْعهِ ورَدِّهِ إلى مكانه ، فلم يُمكنه طُشْتُمِرُ حصص أخضر من ذلك ، وساعده الأمراء أيضا ، وما زالوا به حتى أعرض عمّا هم به ، ووافق الأمراء على طاعته . فلما كان يوم الاثنين عاشره لبس السلطان شعار السلطنة وجلس على تخت الملك ، وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد وقضاة مصر الأربعة وقضاة دمشق الأربعة ، وجميعُ الأمراء والمقدمين وبايعه الخليفة بالسلطنة وقبلوا الأرض بين يديه على العادة . ثم قام السلطان على قدميه فتقدم الأمراء وبأسوا يده واحداً بعد واحد على قدر مراتبهم ، وجاء الخليفة بعدهم وقضاة القضاة ماعدا القاضي حُسام الدين الغوري الحنفى ، فإنه لما طَلَعَ مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتى يُؤدَّن لهم على العادة جَمَعَ عليه ^(٢) [طَبَاخُ المَطِيخ السلطاني] بعض صِبيان المَطِيخ جَمْعاً من الأوباش لِحَقْدٍ كان في نفسه منه عند ما تحاكم هو وزوجته عنده قبل ذلك ، فأهانته القاضي المذكور ، فلما وجد الطباخ الفرصة هَمَّ عليه بأوباشه ومدَّ يده إلى الغوري من بين القضاة وأقاموه وحرَقوا عمامته في حلقه وقطعوا ثيابه وهم يصيحون : يا قَوْصُونِي ! ثم ضربوه بالنعال ضرباً مُبرِّحاً ، وقالوا له : يا كافر يا فاسق ! فأرتجت القلعة ، وأقبل علم دار حتى خَلَصَهُ منهم وهو يستغيث يامسلمين ! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين ؟ فأخذ المالك جماعة من تلك الأوباش وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضر بهم وبعث طائفة من

(١) في أحد الأصلين والسلوك : « فيما عليه ... الخ » .

(٢) تكلمة يقتضيه سياق الكلام .

(٣) لقب على الذي يحمل العلم مع السلطان في المواكب ، وهو مركب بين لفظين : أحدهما عربي وهو العلم ، والثاني فارسي وهو « دار » . والمعنى : ممسك العلم . (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٣) .

الأوجاقية ، ساروا بالقُورى إلى منزله ولم يحضر الموكب واثارت العامة على بيته بالمدرسة الصالحية ونهبوه ، فكان يوما شنيعا^(١)

- ثم في يوم الخميس ثالث عشره عمل السلطان موكبا آخر وخلق على سائر الأمراء قاطبة ، وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى بمأ^(٢) حضر معه من البلاد الشامية وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة ، ونزل في موكب عظيم بمن حضر صحبته من أمراء البلاد الشامية وهم الأمير سنجر الجمقدار^(٣) وتمر الساقى وطرنطاي البشمقدار^(٤) وأقبغا عبد الواحد وتمر الموسوى وابن قراستقر وأسنبغا بن البوبكرى وبكتمر العلائى وأصلم نائب صفد . ثم طلب السلطان الوزير نجم الدين ، ورسم له أن يكون يوسف البازدار ورفيقه مقدمى البازدارية ، ومقدمى الدولة ، وخلق السلطان عليهما كلفته زركش وأقبة طردوحش بجواص ذهب ، فحكما مصر فى الدولة وتكبرا على الناس وسارا بمحق زائد .

- ثم في يوم السبت خامس عشره خلق على الأمير طشتمر الساقى حمص أخضر باستقراره فى نيابة السلطنة بالديار المصرية فتوجه بخلفته وباشر النيابة ، وجلس والاحباب قيام بين يديه والأمراء فى خدمته . وفى يوم الاثنين سابع عشره أخرج

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) هكذا فى الأصلين والسلوك .

(٣) الجمقدار أى حامل الدبوس أمام السلطان وهو مركب من كلمتين : « جمق » ومعناه دبوس ،

و« دار » ومعناه حامل أو ماسك . ويلاحظ أن سنجر هذا تقدم ذكره فى الجزء الثامن فى غير موضع باسم « سنجر الجمقدار » وفى الجزء التاسع كذلك ، ولكن صوبناه فى الجزء التاسع فى موضع آخر باسم « سنجر البشمقدار » عن بعض المصادر . وقد ترجح لدينا أخيرا أنه الجمقدار لا البشمقدار لاختلاف الوظيفتين .

(٤) هو طرنطاي البشمقدار .

السلطان عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ السَّلَامِيِّ إِلَى قُوصٍ مِنَ السَّجْنِ ، وَرَسَمَ بِتَسْمِيهِ
فُسْمَرَّ عَلَى بَابِ الْبِيَارِستان المنصوري بِمَسَامِير جَافِيَةٍ شَنِيعَةٍ ، وَطِيفَ بِهِ مَدَّةَ سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَهُوَ يُحَادِثُ النَّاسَ فِي اللَّيْلِ بِأَخْبَارِهِ ، وَمِمَّا حَدَّثَهُمْ بِهِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ وَثَبَ عَلَى
النَّشُو نَاطِرِ الْخَاصِّ وَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ ، حَسَبَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ
مُحَمَّدِ بْنِ قِلَادُونَ مِنْ أَمْرِ النَّشُو ، وَأَنَّهُ لَمَّا سَقَطَتْ عِمَامَتُهُ عَنْ رَأْسِهِ ظَنَّنَهَا رَأْسَهُ .
وَكَانَ إِذَا قِيلَ لَهُ : أَصِيرْ يَا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ ، فَيَقُولُ : أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَصِيرَ ، وَيُنْشِدُ كَثِيرًا قَوْلَهُ
يُنَبِّئُنِي عَلَيْنَا وَلَا تُنَبِّئُنِي عَلَى أَحَدٍ * لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ
وَكَانَ السَّبَبُ لِقَتْلِهِ وَمُثْلَتُهُ هَذِهِ أَنَّهُ قَتَلَ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ أَبَا بَكْرَ بْنَ النَّاصِرِ مُحَمَّدَ بْنَ قُوصٍ
بِأَمْرِ قَوْصُونَ ، ثُمَّ شُنِقَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَانِي عَشْرِينَ شَوَّالٍ عَلَى قَنْطَرَةٍ
السَّدِّ وَأَكَلَتْهُ الْكِلَابُ . ثُمَّ قَبِضَ السُّلْطَانُ عَلَى أَحَدٍ وَعَشْرِينَ أَمِيرًا وَأَخْرَجَهُمْ إِلَى
الْإِسْكَندَرِيَّةِ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ طَشْتَمُرَ طَلَّيْهِ .^(٣)

ثُمَّ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعِ عَشْرِينَ خَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ الْحَاجِّ آلَ مَلِكٍ بَنِيَابَةَ حِمَاةٍ عَوْضًا
عَنْ طَقَرْدَمَرِ الْجُحُودِ وَعَلَى بِيْرَسِ الْأَحْمَدِيِّ وَأَسْتَقَرَّ فِي نِيَابَةِ صَفْدِ عَوْضًا عَنْ أَصْلَمِ
النَّاصِرِيِّ وَعَلَى آقِي سَنْقَرٍ ، وَأَسْتَقَرَّ نَائِبُ غَزَّةَ عَلَى عَادَتِهِ . وَفِي مَسْتَهْلِ ذِي الْقَعْدَةِ
خَلَعَ عَلَى الْأَمِيرِ قُطْلُوْبَغَا الْفَخْرِيِّ بَنِيَابَةَ دِمَشْقَ وَعَلَى الْأَمِيرِ أَيْدُغْمُشَ أَمِيرَ آخُورِ بَنِيَابَةَ
حَلَبَ . ثُمَّ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَانِيهِ أَسْتَقَرَّ قَارِي أَمِيرِ شِكَارِ أَمِيرَ آخُورِ عَوْضًا عَنْ
أَيْدُغْمُشَ ، وَأَسْتَقَرَّ أَحْمَدُ شَاذُ الشَّرْبَنْجَانَاهِ أَمِيرِ شِكَارِ ، وَأَسْتَقَرَّ آقِيْبَغَا عَبْدُ الْوَاحِدِ
فِي نِيَابَةِ حِمَصَ . ثُمَّ أَنْعَمَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ زَيْنِ الدِّينِ قَرَّاجَا بْنِ دُلْعَادِرٍ بِإِنْعَامَاتٍ

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الاستدراك الوارد في ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة

(٣) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٤٩ هـ . وسمي « طليبه » لأنه كان إذا تكلم قال في آخر

كلامه : « طليبه » . وفي الدرر الكامنة : طشتمر طلكيه « بالكاف بعد اللام » .

كثيرة وكتب له بالإمرة على التركان ونيابة أبلستين . وفي يوم الأحد سابع
ذى القعدة خرج الأمير أيدغمش متوجّها إلى نيابة حلب . وفي يوم الاثنين خامس
عشره خرج الأمير قطلوبغا الفخري متوجّها إلى نيابة دمشق ومعه من تأخر من
عساكر الشام ، وخرج الأمير نائب السلطنة بالقاهرة لوداعه وجميع الأمراء ومدّ له
سيماطا عظيما .

ولما توجه الفخري وأيدغمش وغيرهما من الديار المصرية وبقي الأمير طشتمر
الساقى حمص أخضر نائب السلطنة بالقاهرة قبض عليه السلطان بعد خروج الفخري
بخمسة أيام ، وذلك في يوم السبت العشرين من ذى القعدة .

- وسبب القبض على طشتمر أنه بقي يعارض السلطان بحيث إنه كان يردّ مراسمه
ويشعّط على الأمراء والأجناد تعاظما زائدا ، وكان إذا شفع عنده أحد من الأمراء
في شفاعته لا يقبلها ، وكان لا يقف لأمر إذا دخل عليه ، وإذا أنشئه قصّة عليها
علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك منه وطرد من هي بأسمه ، وأحرق به ،
وقرر مع السلطان أنه لا يمتضى من المراسم إلّا ما يختاره ، ورسم للحاجب ألاّ يُقدّم
أحد قصّة للسلطان إلّا أن يكون حاضرا ، فلم يتجاسر أحد أن يُقدّم قصّة للسلطان
في غيبته . وأخذ إقطاع الأمير بيبرس الأحمدي وتقدّمته لولده ، فكرهته الناس ،
وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلّها في بابه ، وتقربوا إليه بالهدايا
والثحف ، وأفرد بتدبير الملك ، وحطّ على الكركيين ومنعهم من الدخول على
السلطان ، فلم يتيّأ له ذلك . وكان ناصر الدين المعروف بفار السقوف قد توصّل
إلى الكركيين حتى استقرّ إمّام السلطان يُصلّي به الخمس وناظر المشهد النفيسى عوضا
عن تقي الدّين على بن القسطلاني خطيب جامع عمرو وجامع القلعة ، وخلع عليه

السلطان بغير علم طَشْتَمَر النَّائِب ، فعث إليه طَشْتَمَرِ عِدَّةُ نُقْبَاء وَتَزَعِ الحِلْفَةِ من عليه وسأله إلى المَقْدَم إبراهيم بن صابر، وأمر بضربه وإلزامه بجمل مائة ألف درهم، فضربه أبْنُ صابر ضرباً مُبْرِحاً وأَسْتَخْرَجَ منه أربعين ألف درهم . ثم أفرج عنه بِسَفَاعَةِ أَيْدُعْمَش والفخرى فيه بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلع القلعة . ثم أخذ قصير مُعِين من مباشرى قَوْصُون وأحاط بما فيه من القُنُود والأعسال والسكر وغير ذلك ، فعظم ما فعله على السلطان وعلى الأمراء، فإنه خرج عن الحد، إلى أن قرر السلطان مع مَقْدَم الممالك عَنَبَر السَّحَرَتِي والأمير آق سنقر السَّلَارِي في القبض على طَشْتَمَر وعلى قُطْلُوفَا الفخرى، وأن سَتَدْعَى ممالك بَشَتَك وقوصون ويُنْزَلَم بالأطباق من القلعة ويُعطِيهم إقطاعات بالحلقة ليصيروا من جملة ممالك السلطان خوفاً من حركة طَشْتَمَر النَّائِب .

ثم رتب السلطان عنده ممالك بداخل القصر للقبض على طَشْتَمَر أيضاً . وكان مما جدد طَشْتَمَر في نيابته أن منع الأمراء أن تُدْخِلَ ممالكهم إلى القصر، وبَسَطَ من باب القصر بساطاً إلى داخله كما كان في الأيام الناصرية فصار الأمير لا يدخل إلى القصر إلا بمفرده ، فكان مادَّرَه عليه . ثم دخل هو أيضاً بمفرده ومعه ولداه إلى القصر، وجلس على السَّهْاط على العادة، فعند ما رُفِعَ السَّهْاط قَبَضَ كَشَلِي السَّلاح دار أحدُ الممالك السلطانية وكان معروفاً بالقوة على كِتِفِهِ من خلف ظهره قبضاً عنيفاً . ثم بَدَرَ إليه جماعة من الممالك وأخذوا سَيْفَهُ وقيدوه وقيدوا ولديه ، ونزل أمير مسعود الحاجب في عِدَّة من الممالك السلطانية فأوقع الحُوطَةَ على بيته وأخذ

(١) في الأصلين : « قنرمين » . وفي السلوك : « قنرمين بالنور » والصواب فيه : قصير معين الدين بالنور من أعمال الأردن ، يكسر فيه نصب السكر ، كان ذلك في القرون الوسطى . انظر معجم ياقوت (ص ١٢٦ ج ٥) وانظر فلسطين الإسلامية لاسترايج ص ٣٢ و ٤٩٠ .

(٢) كذا في الأصلين والسلوك . وفي بعض المصادر التي تحت يدينا : « كشكل » .

(٣) سبق التعليق . عليه في الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

مسايلكة فسجنهم . ثم خرج في الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير الطنبغا
المارداني والأمير أرنبغا أمير سلاح ومعهما من أمراء الطبلخانة والعشرات نحو
خمسة عشر أميرا ومعهم أيضا من الممالك السلطانية وغيرهم ألف فارس ، وتوجهوا
ليقبضوا على الأمير قُطْلُوْبغا الفخرى ، وكتب للأمير آق سنقر الناصرى نائب غزّة
بالركوب معهم بـسكركه وجميع من عنده ومن هو في معاملته ، وكان الفخرى قد ركب
من الصالحية ، فبلغه مسك طشتمر ومسير المسكر إليه من هجان بعث به إليه بعض
نقائه ، فساق إلى قُطْبغا وأكل بها شيئا ، ثم رحل مسرعا حتى دخل العريش فإذا
آق سنقر بـسكركه في انتظاره على الزعقة ، وكان ذلك وقت الغروب فوقف كل منهما
تجاه صاحبه . حتى أظلم الليل سار الفخرى بمن معه وهم ستون فارسا على البرية ،
فلما أصبح آق سنقر علم أن الفخرى فاته ، ومال أصحابه على أنقال الفخرى فنبهوها
وعادوا إلى غزّة . واستمر الفخرى سائرا ليلته ، ومن الغد حتى آتصف النهار وهو
سائق فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ، وبلغ أربعة آلاف وخمسمائة دينار ، وقد وصل
بني وغلبا الأمير أيدغمش وهو نازل قراى عليه ، وعرفه بما جرى وأنه قطع
خمسة عشر بريدا في مسير يوم واحد ، فطيب أيدغمش خاطره وأنزله في خيمة وقام
له بما يليق به . فلما جئته الليل أمر به فقيده وهو نائم وكتب بذلك إلى السلطان
مع بُكا الحضرى ، وكان السلطان لما بلغه هروب الفخرى تنكر على الأمراء

(١) الساحة من إحدى قرى مركز قانوس بمديرية الشرقية بمصر . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٥

من الجزء الخامس من هذه الطبعة

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) سبق الكلام عليها في الحاشية رقم ٤ ص ١٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) ذكرها صاحب صبح الأعشى في (ج ١٤ ص ٣٧٨) على أنها مركز من مراكز البريد ما بين

حريش وبلغ . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وأَتَمَّهم بالخَّاصَّة عليه ، ومَمَّ في يوم الاثنين أن يُسَكِّمهم ، فأخَّر عن الخدمة الجَّاهل في يوم الاثنين المذكور ، وهو تاسع عشرين ذى القعدة وتأخر معه جماعة كبيرة . فلَمَّا كان وقتُ الظَّهر بَعَثَ لكل أمير طائرًا وِزَّ مَشْوِيٍّ وسأل عنهم ؛ ثم بعث إليهم آخر النهار أن يَظْلُمُوا من الغد . فجاء بِكَا الخَضِرَى عَشِيَّة يوم الثلاثاء مستَهْل ذى الحِجَّة ، ومعه البِشَارَةُ بالقَبْضِ على سيف الدين قُطْلُوبُغا الفَخْرِي . فُسِّرَ السلطانُ بذلك ، وكتبَ بحمله إلى الكَرْك . فلَمَّا طلع الأَمراء إلى الخدمة في يوم الثلاثاء رضاهم السلطان وبشَّره بمسك الفَخْرِي ، ثم أخبرهم أنه عَزَمَ على التَّوجُّه إلى الكَرْك ، وتجهَّزَ وأخذ الأموالَ مَعَه ، وأخرج الأَمِيرَ طَشْتَشْمَر حَصَّ أخضر مُقَيَّدًا في مَحَارَةٍ في ليلة الأربعاء ومعه جماعة من المماليك السلطانية موكِّلُون به .

ثم تقدَّم السلطان إلى الخليفة بعد ما ولَّاه نظر المشهد البَغْدَادِيَّ عِوضًا عن ابن القَسْطَلَانِي أن يسافر معه إلى الكَرْك ، ورَسَمَ لجمال الكُفَّاءَ ناظر الجيش والخاص ، وللقاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السَّرَّان يتوجَّه معه إلى الكَرْك . ثم رَكِبَ السلطان ومعه الأَمراء من قلعة الجبل في يوم الأربعاء ثانيه بعد ما أَمَرَ ثمانية من المماليك السلطانية وخلَّعَ عليهم على باب الحِزَانَةِ ، وخلَّعَ على الأمير شمس الدين آق سقَر السَّلَارِي وقرَّره نائب النِّيَّة ، وخلَّعَ على شمس الدين محمد بن عَدْلَان بِاستقراره قاضي العسكر ، وخلَّعَ على زَيْن الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر البُسْطَامِيَّ وأَسْتَفْزَ به قاضي قضاة الحَفِيَّة بِالْأَبْيَارِ الْمُنْصَرِيَّة عِوضًا عن حُسَام الدين التَّوْرِي . فلَمَّا سار السلطان حتَّى قَرِبَ قُبَّةِ النَصْر خَارِجَ الْقَاهِرَةِ وَقَفَ حتَّى قَبِلَ الأَمراءُ يَدَهُ على مراتبهم ورجعوا عنه ، فَنَزَلَ في الحال عن فرسه ، وأبْسَ .

(١) الحارة : مركب يشبه المودج .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة

- ثياب العُرَبان وهي كالمِيتة مُفَرَّجة وعمامة بِلَتَامِينَ ، وسائر الكَرَكِينَ في طريقه ، وترك الأمراء الذين معه وهم قُمارى وَمِلِكْتُمَر المجازى وأبو بكر وعمر أبنا أرغون النائب مع الممالك السلطانية والطلب ، وتوجه على البرية إلى الكرك [وليس معه ^(١) إلا الكركيون ومملوكان] وهم في أثره ففاسوا مشقة عظيمة من العطش وغيره حتى وصلوا ظاهر الكرك وقد سبقهم السلطان إليها ، وقديما في يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة ، وكتب للأمراء بالديار المصرية بمنزتهم بذلك ويُسلم عليهم ، فقدم كتابه القاهرة في يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة .

- ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكن أحدا من العسكر أن يدخل المدينة سوى كاتب السر وجمال الكفاة ناظر الجيش والخاص فقط . ورسم أن يسير الأمير المقدم عبر السَّحَرَى بالممالك السلطانية إلى قرية الخليل عليه السلام ، وأن يسير قُمارى وعمر ابن النائب أرغون والخليفة إلى القدس الشريف . ثم رسم

(١) زيادة عن السلوك .

- (٢) تسمى حبرون أو جبرون على نسبة دمشق باسم جبرون وهي مدينة من أعمال فلسطين ، وتقع في وعدة بين جبال كثيفة الأشجار . بها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام . وفي طريقها قبر يونس عليه السلام . وتقع على خط عرض ٣١/٣١ شمالا وخط طول ٨/٣٥ شرقا . راجع فهرس الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم أمين واصف بك في الكلام على القدس وصبح الأعشى (ج ٤ ص ١٠٢) وتقوم البلدان لأبي الفداء إسماعيل وأطلس فيليب الجغرافى .

- (٣) هي أورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت في أيدي الصليبين في ١٥ يولييه سنة ١٠٩٩ وأسوا فيها ملكة استمرت حتى خلعها منهم صلاح الدين الأيوبي بعد معركة فاصلة في ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة . ينسب إليها أبو عبيد الله المقدسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » المتوفى سنة ٣٧٥ هـ . سكانها ٨٥ ألف نسمة . تقع على خط عرض ٣١/٤٧ شمالا وخط طول ٣٥/١٤ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين واصف بك وأطلس فيليب » .

السلطان لمقدم الممالك عبر السَّحَرَى أن ينتقل بالممالك السلطانية من الخليل إلى غَزَة لغلاء الأسعار بالليل، وفي إنشاء ذلك وصل أمير على بن أيدُغْمَش بالفخرى مقبداً إلى غَزَة وبها العساكر، فبعث السلطان إليه من تَسْلَم منه الفخرى وأعاد ابن أيدُغْمَش إلى أبيه ولم يجتمع به، فسجن السلطان قُطْلُوبُغا الفخرى وطشتمر حص أخضر بقلعة الكرك بعد ما نكل بالفخرى رُهِين من العاقبة إهانة^(١) زائدة .

ثم كتب السلطان لآق سنقر السلاري نائب الغيبة بإرسال حريم الفخرى إلى الكرك، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسير الفخرى بيسوم، فجهزهن إليه، فأخذ أهل الكرك جميع مامهن حتى ثيابهن، وبالغوا في الفُحْش بهن والإساءة . ثم كتب السلطان لآق سنقر السلاري نائب الغيبة بالديار المصرية أن يوقع الخوطة على موجود طشتمر حص أخضر وقُطْلُوبُغا الفخرى، ويحمل ذلك إليه بالكرك . وكان

شأن الملك الناصر أحمد أنه إذا رسم بشيء جاء كاتب كركي لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد، فيكتب كاتب السر ذلك ويتأوله للكاتب الكركي حتى يأخذ عليه علامة السلطان، ويبعثه حيث يرسم به، هذا ما كان من أمر الملك الناصر .

أما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غَزَة فإن ابن أيدُغْمَش لما قدم عليهم بمدينة غَزَة ومعه الفخرى أراد الأمير علاء الدين أَلْطُنْبغا المارداني أن يؤخره عنده بغَزَة حتى يراجع فيه السلطان فلم يوافق ابن أيدُغْمَش، وتوجه به إلى الكرك، فرحل أَلْطُنْبغا المارداني وبقية العساكر عند ذلك إلى جهة الديار المصرية فقيدموها يوم السبت سادس عشرين ذى الحجة وأنمكف السلطان على اللهو واحتجب عن الناس

(١) في الأصلين : « إهنة » . وما أثبتناه من السلوك .

(٢) في أحد الأصلين والسلوك : « نائب غَزَة » . وتصحيحه عن الأصل الآخر وما تقدم ذكره

في ص ٦٦ من هذا الجزء ، وما سيذكره المؤلف بعد قليل .

إِلَّا الْكَرْكَيْنِ . ثم بلغه تغيرُ خواطرِ الأمراء فأخذ في تحصين قلعة الكرك ومدينتها وأمنحها بالغلال والأقوات والأسلحة .

- وأما أمر الديار المصرية فإنه شَسَقَ عليهم غِيَّةُ السلطان منها ، وأضطربت أحوال القاهرة وصارت غوغاء ، وصار عند أكابر الأمراء تشويش كثير لما بلغهم من مُصاب حريم الأمير قطلوبغا الفخرى . وبقي الأمير آق سنقر السلاوي في تخوف عظيم فإنه بلغه بأن جماعة من المهالك الذين قُبِضَ على أساذهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه ، فترك آق سنقر الركوب في أيام المواكب أيا ما حتى اجتمع الأمراء عنده وحلفوا له . ثم اتَّفَقَ رأى الأمراء على أن كتبوا للسلطان الملك الناصر أحمد كتابا في خامس محرم سنة ثلاث وأربعين وسبعائة بأن الأمور واقفة لغِيَّةِ السلطان ، وقد نَأَفَقَ غالبُ عُربان الصعيد وغيره وطَمِعَ أرباب الفساد ، وخيفت السُّبُلَ وفسدت الأحوال ، وسألوا حضوره إلى الديار المصرية وأرسلوا الكتاب على يد الأمير طَقْتَمُرُ الصلاحى فتوجه طَقْتَمُرُ إليه ، ثم عاد إلى الديار المصرية يجوابه في حادى عشره : بأننى قاعد فى موضع أشتى ، وأى وقت أردتُ حضرت إليكم ، وذكر طَقْتَمُرُ أن السلطان لم يُمْكِنَ الاجتماع به ، وأنه بعث من أخذ منه الكتاب ، ثم أرسل إليه الجواب .

وقدم الخبر بأنه قَتَلَ الأمير طَقْتَمُرُ الساقى حمص أخضر ، والأمير قُطْلُوبْغا الفخرى ، وكان قصد قتلها بالجوع ، فأقاما يومين بلباليهما لا يُطعمان طعاما ، فكسيرا قَتَهما — وكان السلطان قد ركب للصيد — وخَلَمَا باب السجن ليلا وخرجا إلى

(١) في أحد الأصلين : « الذين قبضوا على أساذهم » . وعبرة السلوك : « بلغه أن جماعة من

مهالك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا ... الخ » . (٢) هو أحد المهالك الناصرية ، تنقل في المناصب إلى أن تآمر وناب في حمص . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٤ .

الحارس فأخذ سيفه وهو نائم فأحسّ بهما ، وقام يصيح حتى لحقه أصحابه فأخذوهما
وبعثوا إلى السلطان بخبرهما ، فقدم في زىّ العُربان ووقف على الخندق وأحضرهما
وقد كُثرت بهما الجراحات ، فأمر يوسف ورفيقه بضرب أعناقهما ، وأخذ
يسبهما فردا عليه السبّ ردّا قبيحا ، وضربت رقابهما ، فلما بلغ الأمراء ذلك
أشتدّ قلقهم .

ثم قدّم كتاب السلطان للأمراء يُطَيّب خواطرهم ويمزفهم أن مصر والشام
والكرك له ، وأنه حيثما شاء أقام ، ورسم أن تُجهّز له الأغنام من بلاد الصعيد ، فتكرت
قلوب الأمراء ، ونفرت خواطرهم وتكلموا فيما بينهم في خَلَمه ، حتى اتفق الأمراء على
خَلَمه من السلطنة ، وإقامة أخيه إسماعيل ابن الملك الناصر محمد ، فخلع في يوم الأربعاء
حادى عشر من المحرم من سنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، فكانت مدة ولايته ثلاثة
أشهر وثلاثة عشر يوما ، منها مدة إقامته بمدينة الكرك ، ومراسمُهُ نافذة بمصر أحد
وخمسين يوما . وإقامته بمصر شهران^(٢) إلا أياما .

وكان لما خرج من الديار المصرية متوجّها إلى الكرك جمع الأغنام التي كانت
لأبيه وأغنام قوُصون ، وعدّها أربعة آلاف رأس وأربعمائة رأس من البقر التي كان
استحسنها أبوه ، وأخذ الطيور التي كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها ، وحملها
على رؤوس الجمالين إلى الكرك ، وساق الأغنام والأبقار إليها ، ومعهم عدّة سقايين ،
وعرض الخيول والمهجن ، وأخذ ما اختاره منها ومن البخاقى وحُمُر الوحش
والزرايف والسباع ، وسيرها إلى الكرك . ثم فتح الذخيرة وأخذ منها جميع ما فيها
من الذهب والفضة وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التي جمعها أبوه

(١) في السلوك : « فتكرت قلوب الفقراء » .

(٢) في السلوك : « وإقامته بمصر شهران وأيام » .

في مدة سلطته . وتبع جوارى أبيه حتى عرّف الممولات منهن ، فصار يبعث إلى الواحدة منهن يعرفها أنه يدخل عليها الليلة فإذا تجملت بجعلها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه ، فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها ، ثم يأخذ جميع ما عليها ، حتى سلب أكثرهن . ثم عرض الركب خاناه ، وأخذ ما فيها من السروج والخيل والسلاسل الذهب والفضة . وأخذ الطائر الذهب الذي كان على القبة ، وأخذ الفاشية الذهب وعلقات السناجق ؛ وما ترك بالقلعة مالا إلا أخذه ، وأستمر بالكرك .

فلما تسلطن أخوه الملك الصالح إسماعيل حسب ما يأتي ذكره أرسل إلى الكرك يطلب من أخيه الناصر أحمد هذا شعائر الملك ، وما كان أخذه من الخزان وغيرها ، فلم يلتفت الناصر إلى كلامه ، فندب السلطان الملك الصالح تجريدة لحضاره بالكرك ، واستمر يبعث إليه تجريدة بعد أخرى سبع تجاريد ، حتى إنه لم يبق بمصر والشام أمير إلا تجرد إلى الكرك مرة ومرة إلى أن ظفروا به حسب ما يأتي ذكر ذلك كله مفصلاً في ترجمة الملك الصالح إسماعيل . ولما ظفروا بالملك الناصر أحمد قيده وحبسوه بالكرك بعد أن حاصروه بها مدة سنتين وشهر وثلاثة أيام ، حتى قبض عليه ، أتلّف فيها أموالاً كثيرة في النفقات على المقاتلة ، وأخذ أمره يتلاشى وهلك من عنده بالجوع . وضرب الذهب وخلط به الفضة والنحاس ونفق ذلك في الناس ، فكان الدينار الذي ضرب به يساوي خمسة دراهم .

وكان القبض على الملك الناصر من الكرك في يوم الاثنين الظهر ثاني عشر من صفر سنة خمس وأربعين وسبعائة ، وكتب بذلك إلى السلطان ، فأرسل السلطان الملك الصالح الأمير منجك اليوسفي الناصري السلاح دار إلى الكرك فقتله وحز رأسه وتوجه بها إلى القاهرة

وكان الملك الناصر أحمد هذا قد أخرجه أبوه الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الكرك وهو صغير، لعله لم يبلغ العشرين، فُرِيَ بالكرك وأحب أهلها وصارت له وطناً، وكان نائب الكرك إذ ذاك مَلِكْتُمُ السَّرْجَوَانِي زوج أمه. ثم أرسل إليه أبوه أخويه: إبراهيم وأبا بكر المنصور فأقاموا الجميع بالكرك إلى أن طلبهم والدهم، وأعاد الناصر هذا إلى الكرك ثم طلبه ثانياً وزوجه بنت الأمير طائرُ بقا من أقارب الملك الناصر، ثم أعاده إلى الكرك.

وكان الناصر هذا أحسن إخوته وجهاً وشكلاً، وكان صاحب لحية كبيرة وشعر غزير، وكان مخفياً شجاعاً صاحب بأس وقوة مفردة، وعنده شهامة مع ظلم وجبروت، وهو أسوأ أولاد الملك الناصر سيرةً مع خفة وطنش.



السنة التي حكم في أولها المنصور أبو بكر إلى حادى عشرين صفر من سنة ١٠٠٠ أنه حكم من السنة الماضية سعة أيام. ثم حكم فيها من صفر إلى يوم الخميس أول شعبان الملك الأشرف بكحك. ثم حكم فيما بقى منها الملك الناصر أحمد هذا، والثلاثة أولاد الناصر محمد بن قلاوون حسب ما تقدم ذكره، والسنة المذكورة سنة اثنتين وأربعين وسبعائة.

ففيها وقعت حادثة غريبة^(١) وهى أن رجلاً بواردياً^(٢) يقال له محمد بن خلف بخطط السيوفيين^(٣) من القاهرة قُبِضَ عليه في يوم السبت سادس عشر رمضان، واحضر

(١) في الأصلين: «وهو» والتصويب عن السلوك.

(٢) كذا في الأصلين والسلوك. ويفهم من سياق الكلام أن كلمة «بواردى» معناها من يرد

الطبور ويطلعها حتى لا يظنق إليها الفساد

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة

إلى محتسب القاهرة فوجد مخزنه من فراخ الحمام والزرارير المملوحة عدة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين ، من ذلك أفراخ حمام ألف ومائة وستة وتسعون ، فرخا . وزرارير عدة ثلاثة وثلاثين ألف زررور ، وجميعها قد نثنت وتغيرت أحوالها ، فأدب وشهر .

- وفيها توفي الأمير علاء الدين الطنبغا الصالحى الناصرى نائب الشام مقتولا بسجن الإسكندرية . كان أصله من صفار مماليك المنصور قلاوون ، ورُبى عند الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وتوجه معه إلى الكرك ، فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه أنعم عليه بإمره عشرة وجعله جاشنكيره ، ثم ولّاه حاجبا . ثم نقله من الجبوية إلى نيابة حلب بعد موت أرغون النائب ، فسار فيها سيرة مشكورة وغزا بلاد سبيس ، حتى أخذها بالأمان ؛ وقال في ذلك العلامة زين الدين عمر بن الوردى قصيدة طنانة أولها :

- جهدك مقبول وعامك قابل * ألا في سبيل المجد ما أنت فاعل
وعمر الأمير الطنبغا المذكور في نيابته بحلب جامعا في شرقها^(١) ، ولم يكن إذ ذاك داخل سور حلب جامع تُقام فيه الخطبة سوى الجامع الكبير الأموى ، وأقام بحلب حتى وقع بينه وبين تتيكز نائب الشام ، فشكاه تتيكز إلى الملك الناصر فعزله عن نيابة حلب ، وولّاه نيابة غزّة إلى أن غضب السلطان على تتيكز ولّاه عوضه نيابة الشام إلى أن مات الملك الناصر وتسلطن أولاده أنضمّ الطنبغا هذا إلى قوصون ، فكان

- (١) لا يزال إلى اليوم من مشاهير جوامع حلب . بناه بطرف الميدان الأسود سنة ٧١٨ هـ كما هو ثابت على باب الكبير الغرب إلى اليوم ، وهو أول جامع بنى بها بعد الجامع الأموى الكبير داخل سورها شرق المدينة وبين بابيه الشرق والغرب حوش عظيم . وقد كُلى بناؤه سنة ٧٢٣ هـ ولا تزال قبة البديعة تحتفظ برونقها وضخامة بناها ، وقد رُم جداره القبيل الشرق الداخل في بناء السور أبو السعادات محمد بن الملك الأشرف قايتباى سنة ٩٠٣ هـ كما رمت الجامع كله دائرة الاوقاف في حلب سنة ١٣٤٠ هـ فعاد إليه بعض رونقه القديم . (انظر تاريخ حلب للطباخ ج ٢ ص ٣٧٠ وما بعدها) .

ذلك سببا لهلاكه ؛ وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلا . وكان أميرا جليلا شجاعا مشكور السيرة ومات وقد جاوز الخمسين سنة من العمر .

وفيها تُوِّفَّ ملك التتار أُوْزْبَك خان بن طغرلجا بن مَنكُوتْمَر بن طُغْغَان بن بَاطُو^(١) ابن دُوْشِي خان بن جنكز خان . ومات أُوْزْبَك خان بعد أن مَلَكَ نحوًا من ثلاثين سنة ، وكان أسلم وحسن إسلامه وحرص رعيته على الإسلام فأسلم بعضهم ، ولم يَلْبَسْ أُوْزْبَك خان بعد أن أسلم السَّرَاقُوجَات^(٢) ، وكان يَلْبَسُ حِيَاصَةً من فولاذ ويقول : لَبَسْتُ الذهب حرامًا على الرجال ، وكان يميل إلى دين وخر ، ويرتد إلى الفقراء ، وكان عنده عدل في رعيته ، وتزوج الملك الناصر محمد بآبنته . وكان أُوْزْبَك شجاعا كريما مليح الصورة ذا هيئة وحرمة . ومملكته متسعة ، وهى من بحر قُسْطَنْطِينِيَّة إلى نهر إَرْتِش مسيرة ثمانمائة فرسخ ، لكن أكثر ذلك قُوًى ومراع .^(٣)
وَوَلِي الْمُلْك بعده جَآئِي بِك خان .^(٤)

وَوُفِّي الأمير سيف الدين بَشْتَك بن عبد الله الناصرى مقتولا بسجن الإسكندرية في شهر ربيع الآخر . وكان إقطاعه يَعْمَل بمائتي ألف دينار في كل سنة ، وأنعم عليه أستاذهُ الملك الناصر محمد في يوم واحد بألف ألف درهم . وكان راتبه لسماطه في كل يوم خمسين رأسًا من الغنم وفرسًا ، لا بد من ذلك . وكان كثير التَّيِّه لا يُحَدِّث

(١) في المنهل الصافي : « ابن باتو » بالثاء المثناة بدل الطاء . (٢) السراقوجات ، جمع سراقوج ، وهى طاقية تزيى كان يلبسها ملوك التتار في العصور الوسطى . (راجع الملابس عند العرب لدرزى ص ٣٧٩ ، والقاموس الفارسي الإنجليزى لاستينجاس . وكترير ص ٢٣٥ جزء أول) .
(٣) هو بحر ينشأ وهو البحر الأسود الآن . (٤) في الأصلين : « نهر أريسن » . وما أُشْتُبناه من دائرة المعارف الإسلامية وخرائط المساحة الحديثة . وهو أكبر النهرات التى تعد نهر أروى في سيبيريا . وسياق الكلام على مملكة أُوْزْبَك خان بأوفى من هذا عند الكلام على الطاعون الذى وقع في سنة ٧٤٩ هـ . (٥) كذا في أحد الأصلين والسلوك . وفي الأصل الآخر : « جانبك » .

مباشره إلا بَرَّحَان . وهو صاحب القصرين القصرين والحمام بالقرب من سوقِ^(٣) العِزَّى^(٤) والجامع عند قطرة طُفَرْدَمَر^(٥) خارج القاهرة . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : « وكان بَشَنَك أَيْفَ القامة ، حُلُو الوجه . قربه السلطان وادناه ، وكان يُسَمِّيه في غَيْبته بالأمير ، وكان إقطاعه سبعة عشرة [امرأة]^(٦) [طبلخاناه أكبر من إقطاع قوصون ، وما يعلم قوصون بذلك » .

وتُوِّفَّ الأمير سيف الدين طاجار بن عبد الله الناصرى الدَّوَادَارَ قتيلاً بشفر الإسكندرية . وكان من خواص الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن أكابر عماليكه ، ورقاه حتى ولَّاه الدَّوَادَارِيَّةَ ، وكان تَمَن أنضم إلى الملك المنصور أبى بكر فُقَيْض عليه عند خَلْعهِ وقُتِل .

١٠ وفيها تُوِّفَّ الأمير سيف الدين بَرَكْتُمُر بن عبد الله الناصرى قتيلاً .

وتُوِّفَّ الأمير قوصون بن عبد الله الناصرى الساقى قتيلاً بشفر الإسكندرية في شَوَّال ، وقد سَرَّ من ذكره ما فيه كفاية عن تكراره ثانياً .

وتُوِّفَّ الملك الأفضل علاء الدين على آبن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل [آبن الملك الأفضل على]^(٧) آبن الملك المظفر محمود آبن الملك المنصور محمد آبن الملك

١٠ المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه آبن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) حمام الأمير بَشَنَك الناصرى لم يذكره المقرئى في خطه . وهو لا يزال قائماً بشوارع سوق السلاح الذى كان يسمى سوق العزى على رأس عطفة حمام بَشَنَك بالقاهرة . وهو من الحمامات الكبيرة ووجهته مسكوته برخام ملقن جميل وطيباً آسماً . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

٢٠ (٤) هو جامع الألب بَشَنَك الناصرى . راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠٨ ج ٩ من هذه الطبعة .

(٥) هى قطرة طُفَرْدَمَر التى تعرف اليوم بقطرة درب الجلاء بالقاهرة . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) زيادة عن السلوك .

(٧) الكلمة عما تقدم ذكره في ترجمة أبيه ص ٢٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

في « المنهل الصافي » ونبذة كثيرة من أخباره . ومن مصنفاته « كتاب تهذيب الكمال » وهو في غاية الحسن في معناه .

وتوفي الأمير سيف الدين تَمْرُ بن عبد الله الساقى الناصرى - أحد أمراء الألواف في يوم الأحد ثامن عشرين ذى الحجة . وكان من أكابر الأمراء ومن أعيان خاصكية الملك الناصر محمد بن قلاوون ومماليكه .

وتوفي القضاى برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نحر الدين خليل بن إبراهيم الرسغنى الشافعى قاضى حلب بها . وكان فقيها فاضلا ، ولى القضاء بحلب وغيرها وأفتى ودرس .

وتوفي الأمير علاء الدين على ابن الأمير الكبير سيف الدين سَلار في شهر ربيع الآخر . وكان من أعيان الأمراء بالديار المصرية .

وتوفي خطيب جامع دِمَشق الأموى - الشيخ بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى الشافعى . وكان فاضلا خطيبا فصيحاً .

وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الناصرى السلاح دار نائب الفتوحات بآياس وغيرها . وكان من أجل الأمراء الناصرية . كان شجاعا كريما ، وله المواقف المشهودة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وتسع أصابع . والله تعالى أعلم .

(١) توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية وبعض أجزاء غير متتابعة من نسخة أخرى بأرقام مختلفة .

- (٢) في أحد الأصلين : « ثمان عشرين ذى الحجة » . وفي السلوك : « ثامن عشرين ذى القعدة » .
 (٣) الرسغنى (يفتح الزاء والعين وسكون المهمل) : نسبة الى رأس عين : مدينة بالجزيرة وقرية بلسطين .
 (٤) في أحد الأصلين : « بياس » وموابه ما أتيناه عن الأصل الآخر والسلوك وتاريخ سلاطين الممالك ، وما تقدم ذكره في الحاشية رقم ٥ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ذكر ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وهو السلطان السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والرابع من بني محمد بن قلاوون . جلس على تخت الملك في يوم الخميس^(١) ثاني عشر من المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بعد خلع أخيه الملك الناصر أحمد باتفاق الأمراء على ذلك لما بلغهم عن حسن سيرته ، فإنه قيل للأمراء لما أخرج قوصون أولاد الملك الناصر إلى قوص كان إسماعيل هذا يصوم يومى الاثنين والخميس ، ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن مع العفة والصيانة عما يُرمى به الشباب من اللهو واللعب ، فلما بلغهم ذلك اتفقوا على إقامته في الملك وسلطونه وحلفوا له الأمراء والعساكر وحلف لهم أيضا السلطان الملك الصالح إسماعيل المذكور ألا يؤذى أحدا ولا يقيض على أمير بغير ذنب ، فقام أمره ، ولقب بالملك الصالح ، ودقت البشار ، ونودى بزينة القاهرة ومصر ، ورسم بالإفراج عن المسجونين بغير الإسكندرية ، وكتب بالإفراج أيضا إلى الوجه القبلى والبحرى^(٢) ألا يترك بالسجون إلا من استحق عليه القتل . وأسند الأمير

(١) في التوقيعات الإلهامية أنه يومع في الثاني عشر من المحرم سنة ٧٤٣ هـ .

(٢) تنقسم أراضي الدولة المصرية من الوجهة الجغرافية الطبيعية من المهد الفرعونى إلى اليوم إلى قسمين رئيسيين ، وهما الوجه البحرى الذى يمتد في شمال القاهرة على شكل مروحة ويقتضى حده البحرى والبحر الأبيض المتوسط ، ويقال له أسفل الأرض أو مصر السفلى . وأما الوجه القبلى فهو الذى يمتد على جانبي النيل من جنوب القاهرة إلى آخر حدود مصر الجنوبية ، ويقال له أعلى الأرض أو مصر العليا أو الصعيد ، وقد تكلنا عليه تفصيلا في الحاشية رقم ٣ ص ٤٣ من الجزء التاسع من هذه الضبعة .

أَرْغُونُ العِلَّائِي زوج أُم الملك الصالح رأس نوبة ^(١) ، ويكون رأس المشورة ومدير السلطنة وكافل السلطان . وأستقر الأمير آق سُفَر السَّلَارِي نائب السلطنة بالديار المصرية . وكتب للأمرء ببلاد الشام والنواب باستمرارهم وأرسل إليهم الخلع على يد الأمير طُفْتَمِر الصلاحى ، وكتب بتقليد الأمير أَيْدُغْمُش نائب حلب بنبابة الشام ، وأستقر عوضه في نيابة حلب الأمير طُفَرْدَمَر المحوى نائب حماة .
وأستقر في نيابة حماة عوضا عن طُفَرْدَمَر الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولى .

ثم كتب السلطان الملك الصالح إسماعيل إلى أخيه الملك الناصر أحمد بالسلام وإعلامه أن الأمرء أقاموه في السلطنة لما علموا أنه ليس له رغبة في ملك مصر ، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك وهي تحمكك وملكك ، وسأله أن يرسل القبة والطير والناشية والتمجة وتوجه بالكتاب الأمير قُبَلَاي ، وخرج الأمير بيتفرا ومعه عِدَّة من الأوجاقية لحز الخيول السلطانية من الكرك الذى كان الملك الناصر أخذهم من الإسطبل السلطاني ، وتوجه الجميع إلى جهة الكرك . ثم في يوم الأربعاء ثامن عشرين المحرم قَدِم الأمرء المسجونون بشفر الإسكندرية إلى القاهرة ، وعدتهم ستة وعشرون أميرا ، منهم الأمير قِيَاثُ وطِيغَا المجدى وآبن طوغان جق وأسنبغا آبن البوبكرى وآبن سُوسُون وناصر الدين محمد بن المحسنى والحاج أَرْقُطَاي نائب طرابُلس في آخرين ، وطلعوا إلى القلعة وقبلوا الأرض بين يدي السلطان . ثم رَسَم السلطان أن يجلس أَرْقُطَاي مكان الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولى المنتقل إلى نيابة حماة ، وأن يتوجه البقية على إصريات ببلاد الشام .

(١) هو لقب على الذى يتحدث على مالِك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم . والمراد بالزأس هنا الأعلى أخذا من رأس الإنسان لأنه أولاده . ولنوبة واحدة النوب ، وهي المرة بعد الأخرى .
والعامة تقول لأعلام في خدمة السلطان : « رأس نوبة تنوب » وهو خطأ ، لأن المقصود تلز صاحب النوبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : « رأس دوس النوب » أى أعلام عن صبح الأحنى (ج ٥ ص ٤٥٥) .

وفي يوم السبت أول صفر قديم من غزاة الأمير قنارى أمير شكار والأمير أبو بكر بن أرغون النائب والأمير ملكشهر الجايزي ومحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد ، ومقدم الممالك الطوائى عنبر السحرتى والممالك السلطانية مفارقين الملك الناصر أحمد . وفيه خرج الأمير طغر دم الجوى من القاهرة لنيابة حلب .

وفي يوم الاثنين ثالثه خلع على الأمير سنجر الجالوى نائب حماة خلعة السفر ، وخلع فيه أيضا على الأمير مسعود بن خطير الحاجب خلعة السفر لنيابة غزاة ، وخلع على القاضي بدر الدين محمد بن محيى اندين محيى بن فضل الله ، وأستقر فى كتابة السر يدمشق عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد . ورسم بسفر ممالك قوصون والأمير بشتك إلى البلاد الشامية متفرقين ، وكتب إلى النواب بذلك . وفيه أستقر الأمير جنكلى بن البابا فى نظر البيارستان المنصوري بين القصرين عوضا عن سنجر الجالوى . وجلس الأمير آق سقر السلارى بدار النيابة بعد ما عمرها وفتح شباكا . ورسم له أن يعطى الأجناد الإقطاعات من ثمانية دينار إلى أربعة دينار ويشاور فيما فوق ذلك . وأستقر المكين إبراهيم بن قروينة فى نظر الجيش . وعين ابن التاج إسحاق لنظر الخاص كلاهما عوضا عن جمال الكفاة بحكم غيخته بالكرك عند الملك الناصر أحمد . وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناه .

وفي يوم الاثنين رابع عشرين صفر خلع السلطان على جميع الأمراء كبيرهم وصغيرهم الخلع السنية . وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه قديم القاضي علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر وجمال الكفاة ناظر الجيش والخاص من الكرك إلى

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢١ من هذا الجزء .

(٢) فى السلك : « رسم له أن يعطى الأبخاز من ثمانية إلى أربعة دينار ، ويشاور ... الخ » .

(٣) توفى سنة ٧٧١ هـ . (من الدرر الكامنة) .

الديار المصرية مفارقين الملك الناصر بحيلة دبرها جمال الكُفَاة ، وقد بَقِه عن الناصر أنه يُريد قتلهم خوفاً من حضورهم الى مصر وتقلهم لما هو عليه من سوء السيرة . فبذل جمال الكُفَاة ليوسف البازدار مالا جزيلا حتى مكثهم من الخروج ، فأقبل عليهم الأمراء والسُلطان ، وخلع عليهم بأستمرارهم على وظائفهم .

- ثم في يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الأول رَسَم السُلطان للأَمير الطُنْبُجَا الماردانيّ الناصريّ نيابة حمة عوضا عن الأمير سَنَجَر الجاؤلى وكتب بحضور سَنَجَر الجاؤلى الى نيابة قَزّة عوضا عن أمير مسعود ونقل أمير مسعود الى إمرة طبلخاناه يدمشق .

- وَقَدِم الخبر من شَطَى أمير العرب بأن الملك الناصر أحمد قَرَر مع بعض الكَرَكِيِّين أنه يدخل الى مصر ويقتل السُلطان فتشوش الأمراء لذلك فوقع الاتفاق على تجريد العساكر لقتال الملك الناصر وأخذه من الكَرَك . وفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر توجّهت التجريدة الى الكَرَك محبة الأمير بيغرا ، وهذه أوّل التجاريد الى الكَرَك لقتال الملك الناصر أحمد ، وفي عقيب ذلك حَدَث للسُلطان رُعاف مستمر فأتهمت أمّه أم السُلطان الأشراف بِكُك خَوْنَد أَرَدُو بأنها محرّمة ، وهجّمت عليها وأوقعت الحَوَطة على موجودها وضربت عدّة من جوارها ليعترفن عليها . فلم يكن غير قليل حتى عُوفى السُلطان ، ورَسَم بزينة القاهرة ، وحلّت أم السُلطان الى المشهد النفيسيّ قَنْدِيل ذهب ، زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية .

(١) كذا في الأصلين ، ولعله يريد بالجمع ما فوق الواحد .

(٢) في أحد الأصلين : « ليعرضوا عليها » . وما أثبتناه عن السلوك للقرّيزى ولم ترد هذه العبارة

في الأصل الآخر . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٩ من الجزء التاسع والحاشية رقم ٣ ص ٣٧٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

ثم قَدِم الخبر على يد إياز الساقى بموت الأمير أَدْعُمَش نائب الشام بفاة ، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طُقُزْدَمَر الحموى نائب حلب مكانه في نيابة الشام واستقر الأمير الطُّنْبُغا المَارِدَانِي عوضا عن طقزدمر في نيابة حلب ، واستقر الأمير يَلْبُغا اليَحْيَاوِي في نيابة حماة عوضا عن المارداني .

ثم أنعم السلطان على أَرغُون العلاني بإقطاع الأمير قُمَارِي بعد موته ، وكتب السلطان لنائب صَفَدَ وغَزَةَ بالنجدة للأمير بَيَغْرَا لِحِصَار الملك الناصر بالكرك .

ثم قَدِم الخبر من شَطَى أنه ركب مع العسكر على مدينة الكرك وقاتلوا أهل الكرك وهزموهم إلى القلعة ، وأن الملك الناصر أذن وسأل أن يُمهَّل حتى يكتب إلى السلطان ليرسل من يتسلم منه قلعة الكرك ، فرجعوا عنه فلم يكن غير قليل حتى استعدت الملك الناصر وقاتلهم .

وفي يوم الأربعاء رابع شهر رجب كانت فتنة الأمير رمضان أخى السلطان ، وسبب ذلك أن السلطان كان أنعم عليه بتقدمة ألف ، فلما خرج السلطان إلى سِرْيَا قُوس تأخر رمضان عنه بالقلعة وتحدث مع طائفة من المماليك في إقامته سلطانا وأنفقوا على ذلك ، فلما مَرِض السلطان الملك الصالح هذا وأسترخى قَوِي أمره ، وشاع ذلك بين الناس وراسل تُكَا الخُصْرِي ومن خرج معه من الأمراء ، وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر ، فبلغ ذلك السلطان ومدبر دولته الأمير أَرغُون العلاني ، فلم يعبأ بالخبر إلى أن أهل شهر رجب ، جهز الأمير رمضان خيوله وُجَّهَتْ بناحية بركة الحَبَش^(١) ، وواعد أصحابه على يوم الأربعاء ، فبلغ الأمير آق سنقر أمير

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الاستدراكات ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- آخوَر عند الغروب بما هو فيه من الحركة ، فندب عِدَّةً من الثَّربان لياتوه بنجر القوم ، فلما أتاه خبرهم سار إليهم وأخذ جميع الخيل والهجن عن آخرهم من خلف القلعة وساقهم إلى الإسطبل السلطاني وعَرَّفَ السلطان والعلائي أرغون من باب السرِّ بما فعله فطلباه إليهما فصعد بما ظفروا به من أسلحة القوم ، فاتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده والاحتفاظ بهم ، فلما طلع الفجر خرج أرغون العلائي من بين يدي السلطان وطلب إخوة السلطان ووكل بهم ووكل بيت رمضان جماعة حتى طلعت الشمس ، وصعد الأمراء الأكابر إلى القلعة فاستدعى السلطان لهم وأعلمهم بما وقع ، فطلبوا سيدي رمضان إليهم فامتنع من الحضور وهم يلحون في طلبه إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم ، فعادوا عنه إلى أرغون العلائي ، فبعث أرغون يبعده من الممالك والخدام لإحضاره فخرج في عشرين مملوكا إلى باب القلعة^(١) وسأل عن النائب ، فقيل له عند السلطان مع الأمراء فمضى إلى باب القلعة وسيوف أصحابه مُصَلَّةً ، وركب على خيول الأمراء ، ومَرَّ بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة فلم يجد أحدا من الأمراء ، فتوجَّه إلى جهة قبة النصر خارج القاهرة ووقف هناك ومعه الأمير تكتا الخُصِرِي وقد اجتمع الناس عليهم ، وبلغ السلطان والأمراء خبره فأخرج السلطان جمولا بين أربعة لِمَا به من الاسترخاء ، وركب النائب وآق سنقر أمير آخور وقارِي أخو بكتَمَر الساق وجماعة أُخَر ، وأقام أكابر الأمراء عند السلطان وصُفَّت أطلابهم تحت القلعة ، وضربت الكوسات جريبا ، ونزلت النقباء

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من

الجزء التاسع من هذه الطبعة .

في طلب الأجناد ، وتوجه النائب إلى قبة النصر ، ووقف بمن معه نجاها رمضان ، وقد كثر جمع رمضان من أجناد الحُسَيْنِيَّة ومن ممالك تُكَّا والعامة ، وبعث النائب يُخَيِّرُ السلطان بذلك ، فمن شدة ما أزعج نهضت قوته ، وقام قائمًا على قدميه بعد ما كان يمس من نفسه من عظم آسرخاء أعضائه ، وأراد الركوب فقام الأمراء وهنوه بالعافية وقبلوا له الأرض وهنوا عليه أمر أخيه رمضان ، ولا زالوا به حتى جلس مكانه ، فأقام إلى بعد الظهر والنائب يُرسل رمضان ويَعِدُّه بالجميل ويُخَوِّفه العاقبة ، وهو لا يلتفت إلى قوله ، فعزم النائب على الحملة عليه هو ومن معه ودق طبله فلم يثبت العامة المجتمعة على رمضان وأنفلوا عنه وأنهزم هو وتُكَّا الخُصْرَى في عِدَّة من الممالك إلى البرية ، والأمراء في طلبه فعاد النائب إلى السلطان ، فلما كان بعد العشاء الآخرة من ليلة الخميس أُحْضِر رمضان وتُكَّا الخُصْرَى وقد أدركهما بعد المغرب ، ورموا تُكَّا بالنشاب ، حتى ألقوه عن فرسه وقد وقف فرس رمضان من شدة السَّوْق فَوُكِّلَ برمضان مَنْ يَحْفَظُهُ ، وأُذِنَ للأمراء بنزولهم إلى بيوتهم ، وطلّموا من بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة ، وجلس السلطان وطلب ممالك رمضان ، فأحضرُوا فامر بحبسهم فحُبِسُوا أياما ، ثم فرّقهم السلطان على الأمراء ، ثم خلع السلطان على الأمراء وفرّق عليهم الأموال .

وفي يوم الاثنين سادس عشره وصل قاصدُ الأمير بَغْرًا المتوجه إلى الكرك بمن معه من العساكر بعد ما حاربوا الملك الناصر أحمد بالكرك وقتلوه قتالًا شديدًا ، وجرح منهم جماعة وقتل أزوادهم ، فكتب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصرية . وفيه خلع السلطان على طُرُنطاي البَشْمَقْدَار بناية غزّة عوضا عن الأمير عَمّ الدين سَنَجَر الجاُولي ، وكتب بقدم الجاُولي إلى مصر . وفي يوم الثلاثاء

رابع عشر^(١)ينه ووسط السلطان تكا الخضرى بسوق الخيل تحت القلعة ووسط معه مملوكين من المالك السلطانية . وفي هذا الشهر وقف السلطان الملك الصالح صاحب الترجمة ثلثي ناحية سنديس^(٢) من القليوبية على ستة عشر خادما للخدمة الضريح الشريف النبوى عليه الصلاة والسلام ، فتنت عدة خدام الضريح الشريف النبوى بذلك أربعين خادما .

قلت لله نره فيما فعل ! وعلى هذا تحسد الملوك لا على غيره .

ثم اتفق الأمراء مع السلطان على إخراج تجريدة ثانية لقتال الملك الناصر بالكرك ، فلما كان عاشر شعبان خرج الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكلى فى ألفى فارس تجريدة للكرك ، وكتب السلطان أيضا بخروج تجريدة من الشام مضافا إلى من خرج من الأمراء والعساكر من الديار المصرية ، وتوجه الجميع ونصبت المناجيق على الكرك وجدوا فى حصارها .

وأما الملك الصالح فإنه بعد خروج التجريدة خلع على جمال الكفاة بعدما عزل وصودر باستقراره مشير الدولة بسؤال وزير بغداد فى ذلك بعد أن أعيد إلى الوزارة ونزلا معا^(٣) [بتشار يفهما] .

١٥ (١) فى الأصلين : « رابع عشرين شعبان » وما أثبتناه عن السلوك للقريرى وما يقتضيه السياق لأن فنة الأمير رمضان كانت فى رجب .

(٢) من القرى المصرية القديمة ، أسماها الأصل « دسبندس » وردت فى كتاب فتح مصر لأبن عبد الحكم ضمن القرى التى نزل بها العرب فى الحوف الشرق . وفى القرن السادس الهجرى حرف أسماها إلى سنديس فوردت به فى تحفة الإرشاد فى أسماء البلاد من أعمال الشرقية ، ثم فى التحفة السنية لأبن الجيمان من أعمال القليوبية ، وفى اليوم إحدى قرى مركز قلوب بمديرية القليوبية بمصر .

(٣) تكله عن السلوك يقتضها السياق .

وفي ذى القعدة رتب السلطان دروسا للذهاب الأربعة بالقبعة المنصورية ووقف عليهم وعلى قزاق وخدّام وغير ذلك ناحية دهمشا بالشرقية فاستمر ذلك وعُرف بوقف الصالح .

ثم في يوم الأربعاء عاشر المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير آق سنقر السلاوي نائب السلطنة والأمير بيغرا أمير جاندار صهر آق سنقر المذكور والأمير قراجا الحاجب وأخيه أولاجا، وقيدوا ورسّم بحبسهم في الإسكندرية، وخرج الأمير بلك على البريد إلى المجردين إلى الكرك فأدركهم على السعيدية، وطيب خواطرم وأعلمهم بالقبض على الأمراء وعاد سريعاً، فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره، وبعد وصوله قبض السلطان على طيغ الدوادار الصغير، وكان سبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آق سنقر كان في نيابته لا يرد قاصدا ولا قصة تُرفع إليه، فقصده الناس من الأفطار وسألوه الرزق والأراضى التى أنشأها لهم تكن بيد أحد، وكذلك نيابة القلاع والأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة، فلم يرد أحدا سأل شيئا من ذلك سواء أكان ما أنجاه صحيحا أم باطلا، فإذا قيل له : هذا الذى سألته يحتاج أن يكشف عنه تغير وجهه وقال : ليس تقطع رزق الناس، وكان إذا كتب الإقطاع لأحد فيحضر صاحبه من سفره أو تعااق من مرضه وسأله في إعادة إقطاعه

(١) في المجلد السابق : « رتب دروسا للقضاة الأربعة » وعلى هذه الرواية يترن السياق مع قول

المؤلف : « وقف عليهم... الخ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٣٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) من القوس المصرية القديمة . وردت في الحقة السنية لأبن الجيعان بأسم دهمشا الجمام . وهو

اليوم إحدى قرى مركز بلبيس بمديرية الشرقية بمصر .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٥٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

قال له : هذا أخذ إقطاعك ونحن نعوّضك ، ففسدت الأحوال لا سيما البلاد الشامية ، فكتب التواب بذلك للسلطان ، فكلّمه السلطان فلم يرجع وقال : كل من طلب مني شيئا أعطيته ، وما أردت قلبي عن أحد ، بحيث إنه كان تقدّم إليه القصة وهو يأكل فيترك أكله ، ويكتب عليها من غير أن يعلم ما فيها ، فأغلظ له بسبب ذلك الأمير شمس الدين آق سنقر الناصري أمير آخور ، وأتفق مع ذلك أنه وشي به أنه مباطن مع الملك الناصر أحمد ، وأن كُتبه تصل إليه فقزّر أرغون العلاني مسكّه مع السلطان ، فأمسك هو وحاشيته ، هذا ما كان من أمره .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر المحرم من سنة أربع وأربعين المذكورة خلّع السلطان على الأمير الحاج آل ملك ، وأستقر في نيابة السلطنة عوضا عن آق سنقر السلاري المذكور . ثم في ثاني عشر صفر قديم الخبر ب وفاة الأمير الطنبغا المارداني الناصري .
١٠ نائب حلب ، فرسم السلطان للأمير يلبغا اليحايوي نائب حماة بأستقراره في نيابة حلب عوضه ، وأستقر في نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدى نائب صفد وأستقر بلك الجمدار في نيابة صفد . وتوجه الأمير أرغون شاه بتقليد يلبغا اليحايوي وتوجه الأمير الطنبغا البرناق بتقليد نائب حماة .

وفي يوم السبت خامس عشرين صفر قديم الأمير بيبرس الأحمدى والأمير
١٥ شوكاى بمن معهما من المجزدين إلى الكرك ، فركب الأمراء إلى لقائهم ، وأستمر الأمير أصلم على حصار الكرك وهي التجريدة الثانية للكرك ، وعرفوا الأمراء السلطان أنه لا بد من خروج تجريدة ثالثة سريعا تقوية لأصلم لئلا يتنفّس الناصر ويدوم الحصار عليه ، فعين السلطان جماعة من أعيان الأمراء وتجهّزوا وخرجوا في يوم الاثنين رابع شهر ربيع الآخر^{١١} وهم الأمير جنكلى بن الباء والأمير آق سنقر الناصري

الأمير أخور والأمير مَلِكْمَرْ السَّرْجَوَانِي والأمير عمر بن أرغون النائب في أربعة آلاف فارس تقوية لأصلهم ، وهذه التجربة الثالثة إلى الكرك^(١) ، وتوجه مصيبتهم عدة حجارين ونجارين وتقايين وفطية ، وخرج السلطان أيضا في يوم سفرهم إلى سرياقوس على العادة كالمودع لهم .

وفي هذه الأيام آشتد نائب السلطنة الحاج آل ملك على والى القاهرة ومصر في بيع الخمر وغيره من المحرمات ، وماقب جماعة كثيرة على ذلك وكان هذا دأب النائب من يوم أحرب خزنة البنود في العام الماضي وأراق خمرها وبنائها مسجدا ، وحكها للناس فعمروها دورا . وكان الذي يفعل في خزنة البنود من المعاصي والفسق يستحى من ذكره فعف الناس في أيام نيابة آل ملك المذكور عن كثير من المعاصي خوفا منه ، واستمر على ما هو عليه من تتبع الفواحش والخطا وغير ذلك حتى إنه نادى : من أحضر سكرانا واحدا معه جرة نمر خلع عليه فقعد العامة لشربة الخمر بكل طريق ، وأتوه مرة بمجندى قد سكر فضربه وقطع خبزه وخلع على من قبض عليه ، ووقع له أمور مع بيعة الخمر يطول الشرح في ذكرها .

وكان يجلس في شبك النيابة طول النهار لا يمل من الحكم ولا يسأم ، وتروح أصحاب الوظائف ولا يبقى عنده إلا النقاء البطالة حتى لا يفوته أحد ، وصار له مهابة

(١) في السلوك : « وهي التجربة الرابعة » . (٢) خزنة البنود وهي الزايات والأعلام ، ذكرها القرظي في خطه فقال : إنه كان بها ثلاثة آلاف صانع . برزين في سائر الصنائع أي أنها كانت قائمة على مساحة واسعة من الأرض ، كما يدل عليها حدودها المذكورة في الحاشية الخاصة بها . وغير معقول أن يقام على هذه المساحة الكبيرة مسجد واحد . ولعل المقصود أن الحاج آل ملك أقام المسجد الذي أشار إليه المؤلف في مكان الحانة التي كانت تباع فيها الخمر بخط خزنة البنود لتطهير تلك البقعة .

وبالبحث عن مكان المسجد المذكور في منطقة خزنة البنود تبين لي أنه أندروليس له أنزل اليوم بين مباني تلك المنطقة . هذا العلم بأن هذا المسجد الذي أنشاه آل ملك في سنة ٧٤٣ هـ هو غير المدرسة الملكية التي أنشأها الحاج آل ملك الجوكندار المذكور في سنة ٧١٩ هـ تجاه داره التي كانت بخط المنبه الحسيني ، فإن هذه المدرسة لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع أم التلام بالقرب من جامع سيدنا الحسين بالقاهرة ، وكان له جامع آخر خارج باب النصر وقد أندثر . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

عظيمة وحرمة كَفَّتْ الناس عن أشياء كثيرة حتى أعيان الأمراء، حتى قال فيه بعض شعراء عصره :

ال مَلَك الحَجَّ غدا سَعْدُهُ * يملأُ ظَهَرَ الأرضِ مَهما سَلَكَ

فالأمراء من دونه سُوقَةٌ * والمَلِك الظاهر هو المَلَك

- (١) وفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى قَدِمَ الأمير أَصْلَمُ و[أبو بكر] بن أَرْغُونِ النَّائِبِ وأُرْبَعًا من تجريدة الكَرَكِ بغير إذن وأَعْتَذَرَ وَا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات في أصحابهم وقلة الزاد عندهم ، فَقِيلَ السلطان عُدَّهم ، ورَسَمَ بِسَفر طُقْتُمُر الصلاحى وتَمُر الموساوى في عشرين مقدما من الحلقة وألحق فارس نجدة لمن بقى من الأمراء على حصار الكرك فساروا في سَلْخه ، وهذه التجريدة الرابعة بل الخامسة ؛ فإنه تكرر رواح الأمراء في تلك التجريدة مرتين .

- ثم بعد مدة رَسَمَ السلطان بتجهيز الأمير علم الدين سَنَجَر الحاولى والأمير أَرْقُطَاى والأمير قُمازى الأستاذار وعشرين أمير طبلخاناه وثلاثين مقدم حلقة فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال في أَلْفَى فارس إلى الكرك وهى التجريدة السادسة وتوجه معهم أيضا عِدَّةُ حَجَّارين وتقابين ونقطة وغير ذلك .

- (٢) وفي مستهل شهر رمضان قَرَعَتْ عمارة السلطان الملك الصالح إسماعيل صاحب الترجمة من القاعة التى أنشأها المعروفة الآن بالدهيشة الملاصقة للدور السلطانية المِطْلَّة على الحوش وقُرِئَتْ بأنواع البُسُط والمقاعد الزركش .

(١) كذا في الأصلين . وفي السلوك للقرىزى : « وفي يوم الأحد سابع عشرين جمادى الأولى قدم الأمير أصلم ... الخ » . (٢) النكبة من السلوك .

- (٣) كذا في الأصلين والسلوك للقرىزى . ومن الحاشية التالية يتضح أن هذا الخبر سابق لأوانه ، وقد جرت عادة المؤلف أن ينقل عن السلوك للقرىزى وقد ورد فيه ذكر شهر رمضان بعد شهر شوال سنة ٨٧٤٤ هـ (٤) هى قاعة كبيرة مرتفعة البناء ، تدهش كل من نظر إليها بفخم بناؤها وحسن زخرفها وجمال فرائدها الفانر ، ذكرها القرىزى في خطه (ص ٢١٢ ج ٢) فقال : إن الدهيشة عمرها الملك الصالح عماد الدين =

قلت : هي الآن مجازاً لأوباش الرعية لمن له حاجة عند السلطان من التركُّن والأعراب والأوغاد والأتباع . والله دَرِّ القائل :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِقَاعَ وَجَدْتَهَا • تَشْقَى كَمَا تَشْقَى الرِّجَالُ وَتَسْعَدُ

وجلس السلطان الملك الصالح فيها، وبين يديه جواريه وخدمته وحُرَّمه، وأكثر السلطان في ذلك اليوم من الخَلْعِ والعطاء، وكان السلطان قد آخِضَ بَيْبَقًا الصالح- وأمره وخوله في النِّعم وزوجه بآبسة الأمير أرغون العلاني- مدبر مملكة السلطان وزوج أمه، والبنت المذكورة أخت السلطان لأخته، وكثُر في هذه الأيام استيلاء الجوارى والخُدام على الدولة وعارضوا النائب في أمور كثيرة حتى صار النائب يقول لمن يسأله شيئاً : رُوح إلى الطواشي فلان فينْقِضِي شُغْلَكَ . واستمرَّ السلطان يكثر من الجلوس في الدهشة بأبهة عظيمة إلى الغاية .

ثم رَسَمَ السلطان بإحضار المجردين إلى الكرك وعين عِوَصَهم تجريدة أخرى إلى الكرك وهي التجريدة السابعة، فيها الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي وعشرون أميراً طلبخانا وستة عشر أميراً عشرة، وكتب بخروج عسكراً أيضاً من دِمَشْقَ ومعهم المَنَجْنِيق والزحافات، وحَمَلَ إلى الأحمدي مبلغ ألفي دينار، وكذلك

= إسماعيل بن محمد بن فلارون في سنة ٧٤٥ هـ بإشراف أبيجج المهندس، وجلب لبنانها من دمشق وحلب أربعة آلاف قطعة من الحجر الأبيض والأحمر نقلت على ظهور الجمال حتى وصلت إلى قلعة الجبل ، ونقل إليها الرخام من بيوت الأمراء، والكُتَاب حتى تمت في شهر رمضان من تلك السنة ، وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يبجل وصفه .

وبلاحظ أن المؤلف ذكر أنها عمارة هذه الدهشة في مستهل رمضان سنة ٧٤٥ هـ، والأرجح أنها تمت في الشهر المذكور من سنة ٧٤٥ هـ كما ذكر المقرئ .

وبما أن الدهشة المذكورة كانت ملاصقة للدور السلطانية من جهة ومطلية على الحوش من أخرى فبالبحث عن مكانها تبين أنها أُنْشِئت وكانت تقع في الجهة الشرقية للقلعة من جامع مجد على بالقلعة بالقاهرة . (١) في السلوك : « ولكوكاي ألف دينار » .

للكوكاي ، ولكل أمير طبلخاناه خمسائة دينار ، ولكل أمير عشرة مائتي دينار ، وأرسل أيضا مع الأحمدي أربعة آلاف دينار لمن عساه ينزل إليه من قلعة الكرك ظائما ، وجهاز معه تشاريف كثيرة ، وعينت لهم الإقامات ، وكان الوقت شتاء فقاموا من الأمطار مشقات كثيرة ، وأقاموا نحو شهرين وخرج معهم ستة آلاف رأس من البقر ومائتي رأس جاموس ونحو ألفي راجل فاستعد لهم الملك الناصر ، وجمع الرجال وأنفق فيهم مالا كثيرا ، وفرق فيهم الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك . وركب المتجنين الذي بها ، ووقع بينهم القتال والحصار إلى ما سيأتي ذكره .

ثم رسم السلطان بالقبض على الأمير آقبا عبد الواحد فقُبِضَ عليه بدمشق في عِدة من أمرائها وبيحوا بها لملك الناصر أحمد ، واشتد الحصار على الملك الناصر بالكرك وضائق عليه هو ومن معه لقلّة القوت ، وتخلّى عنه أهل الكرك ، وصبروا من طول الحصار ، ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه ، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم . هذا وقد استهم السلطان في أول سنة خمس وأربعين وسبعائة بتجريدة ثامنة إلى الكرك ، وعين فيها الأمير منكلي بغا الفخرى والأمير قاراي والأمير طشتمر طلبة ، ولم يجد السلطان في بيت المال ما ينفقه عليهم فأخذ مالا من تجار العجم ومن بنت الأمير بكتمر الساق على سبيل القرض وأنفق فيهم ، وخرج المجردون في يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم سنة خمس وأربعين وسبعائة ، وهؤلاء نجدة لمن توجه قبلهم خوفا أن يملّ من كان توجه من القتال . فوجد الناصر فرجا بعودهم عنه ، وقطعت الميرة عن الملك الناصر ، ونفذت أمواله من كثرة نفقاته فوقع الطمع فيه وأخذ بالغ ، وكان أجل نقاته في العمل عليه وكاتب الأمراء ووعدهم بأنه يسلم إليهم الكرك وسأل الأمان فكتب إليه من السلطان أمان وقدم إلى القاهرة .

ومعه مسعود وآبن أبي الليث وهما أعيان مشايخ الكرك فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم،
وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضي، وكان من جملة ما طلبه
بالغ وحده [نحو^(١)] أربعمائة وخمسين ألف درهم في السنة، وكذلك أصحابه .

ثم ركب العسكر للحرب ونخرج الكركيون فلم يكن غير ساعة حتى أنهزموا منهم
إلى داخل المدينة، فدخل العسكر أفواجا وأستوطنوها، وجدوا في قتال أهل القلعة
عدة أيام، والناس تنزل إليهم منها شيئا بعد شيء، حتى لم يبق عند الملك الناصر أحمد
بقلعة الكرك سوى عشرة أنفس فأقام يرعى بهم على العسكر وهو يُحذ في القتال ويرى
بنفسه وكان قوى الرمي شجاعا إلى أن جرح في ثلاثة مواضع وتمكنت النقابة من
البرج وعلقوه وأضرموا النار تحته، حتى وقع . وكان الأمير سنجار الجاولي قد بالغ
أشد مبالغة في الحصار وبذل فيه مالا كثيرا .

ثم هجم العسكر على القلعة في يوم الاثنين ثاني عشرين صفر سنة خمس وأربعين
وسبعمائة فوجدوا الناصر قد خرج من موضع وعليه زردية وقد تنكب قوسه وشهر
سيفه فوقفوا ، وسلموا عليه فرد عليهم وهو متجهم^(٢) وفي وجهه جرح، وكتبه
أيضا يسيل دما ، فتقدم إليه الأمير أرقطاي والأمير قاري في آخرين ،
وأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذي كان به وأجلسوه، وطبوا قلبه وهو
ساكت لا يحييهم ، فقيده ووكّلوا به جماعة ، ورثبوا له طعاما ، فأقام يومه
وليلته، ومن باكرا الغد يُقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئا إلى أن سأله أن يأكل
فأبى أن يأكل، حتى يأتوه بشاب يقال له : عثمان، كان يهواه فأتوه به فأكل

(١) في السلوك : «ومعه مسعود بن أبي الليث»

(٢) زيادة عن السلوك يقتضيا السياق .

(٣) في الأصلين : « متحمم » . وما أتبعناه عن السلوك . والمتجهم من تهمه إذا استقبله بوجه

- عند ذلك ، وخرج الأمير آبن بَيْيْفًا حارس طَيْرَ الْبِشَارَةِ إلى السلطان الملك الصالح وعلى يده كُتِبَ الأُمراءُ فَقَدِمَ قلعة الجبل في يوم السبت سابع من عشرين صفر، فدَقَّتْ البشائرُ سبعة أيام . وأخرج السلطانَ مَنبَجَ الْيُوسُفِيِّ الناصريّ السلاح دار لَيْلاً من القاهرة على الْبُخْتِ لقتل الملك الناصر أحمد من غير مشاورة الأُمراء في ذلك ، فوصل إلى الكرك وأدخل عليه من أخرج الشاب من عنده ، ثم خفّفه في ليلة رابع شهر ربيع الأول ، وقطع رأسه وسار من ليلته ولم يُعلم الأُمراء ولا السكر بشيء من ذلك ، حتى أصبحوا وقد قَطَعَ مَنبَجَ مسافة بعيدة ، وقَدِمَ بعد ثلاثة أيام قلعة الجبل ليلاً ، وقَدِمَ الرأس بين يدي السلطان ، وكان مضطجاً مهولاً ، له شعر طويل ، فأقشعر السلطان عند رؤيته وبات مرجوفاً ، وطلب الأمير قُبْلَايَ الحاجب ، ورَسَمَ له أن يتوجّه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها ، وكتب السلطان بعود الأُمراء والعساكر المجزّدين إلى الكرك ، فكانت مدة حصار الملك الناصر بالكرك ستين شهراً وثلاثة أيام . ثم قَدِمَ الأُمراء المجردون إلى الكرك فَنَقَلَ السلطان على الجميع وشكرهم وأكثر من الثناء عليهم . ثم خلع على الأمير مَلِكْتُمُ السَّرْجَوَانِيّ بِأَسْتِقْراره في نيابة الكرك على ما كان عليه قديماً ، وجَهَّزَ معه عدّة صنّاع لعمارة ما تهدم من قلعة الكرك وإعادة البرج على ما كان عليه ، ورَسَمَ بأن يخرج مائة مملوك معه من ممالك قَوْصُونٍ وَبَشْتَكِ الذين كان الملك الناصر قد أسكنهم بالقلعة ، ورتّب لهم الرواتب ويخرج منهم مائتان إلى دِمَشْقٍ وحماة وحمص وطرابلس وصفد وحلب فأخرجوا جميعاً في يوم واحد ، ونساؤهم وأولادهم في بكاء وعويل ، ومخفّروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها .

٢٠ (١) في الأصلين : « ثامن عشرين صفر » . وما أثبتناه عن التوقيفات الإلهامية وما يفرضه السياق .

(٢) في السلوكة : « ونمابة أيام » .

ثم وقعت الوحشة بين الأمير أرغون العلاني والأمير ملكتمر المجازي وبين الحاج آل ملك نائب السلطنة وصار المجازي والعلاني معاً على آل ملك النائب، ووقع بين آل ملك والمجازي أمور يطول شرحها، وكان المجازي مؤلفاً بالخمر وآل الملك ينهى عن شربها، فكان كلما ظفر بأحد من حواشي المجازي مثل به فتقوم قيامة المجازي لذلك، وتفاوضا غير مرة بسبب هذا في مجالس السلطان، وأرغون العلاني يميل مع المجازي لما في نفسه من آل ملك وداما على ذلك مدة .

وأما السلطان فإنه بعد مدة نزل إلى سرياقوس بتجمل زائد على العادة في كل سنة . ثم عاد إلى القلعة بعد أيام، فورد عليه قُصّاد صاحب ابروم وقُصّاد صاحب الغرب . ثم بدا للسلطان الحج قهناً لذلك وأرسل يطلب العُربان وأعطاهم الأموال بسبب كراء الجبال، فتغير مزاجه في مستهل شهر ربيع الأول ولزم الفراش ولم يخرج إلى الخدمة أياماً، وكثرت القالة بسبب ضعفه، وتحسنت الأسعار . ثم أُرِجِف بموت السلطان في بعض الأيام، فأغلقت الأسواق حتى ركب الوالي والمُخَنَسِب وضربوا جماعة وشهروهم، ثم اجتمعوا الأمراء ودخلوا على السلطان وتلطّفوا به حتى أبطل حركة الحج، وكتب بعود طُفْتُمَر من الشام، واستعادة الأموال من العُربان، وما زال السلطان يتعلّل إلى أن تحرك أخوه شعبان وأنفق مع عِدّة ممالك وقد انقطع خبر السلطان عن الأمراء، وكتب السلطان بالإفراج عن المسجونين من الأمراء وغيرهم بالأعمال، وفُرقت صدقات كثيرة، ورُتبت جماعة لقراءة «صحيح البخاري» فقوى أمر شعبان، وعزم أن يقبض على النائب فأحترز النائب منه، وأخذ أكابر الأمراء في توزيع أموالهم وحريمهم في الأماكن، ودخلوا على السلطان وسألوه أن يعهد لأحد من إخوته، فطلب النائب وبقية الأمراء فلم يحضر إليه أحد منهم، وقد اتفق الأمير أرغون العلاني مع جماعة على إقامة شعبان في الملك، وفرق فيهم

مالا كبيرا ، فإنه كان أيضا ابن زوجته شقيق الملك الصالح إسماعيل لأبيه وأمه ، وأقام مع أرغون غُرْلُو وتمرَّ الموساوى وأمنع النائب من إقامته وصاروا حزينين ، فقام النائب آل مَلَك في الإنكار على سلطنة شعبان ، وقد أجمع مع الأمراء بباب القلعة وقبض على غُرْلُو وسجنه وتحالف هو وأرغون العلاني وبقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين .

- ومات السلطان الملك الصالح إسماعيل في ليلة الخميس^(١) رابع شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعائة ، وقد بلغ من العمر نحو عشرين سنة ، فكنم موته ، وقام شعبان إلى أمه ومنع من إشاعة موت أخيه ، وخرج إلى أصحابه وفزر معهم أمره ، فخرج طشتمر ورسلان بصل إلى منكلي بقا ليستعطوا الأمير أرقطاي والأمير أصلم ، وكان النائب والأمراء علموا من العصر أن السلطان في التزع وأنفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة ، فدخل الجماعة على أرقطاي ليستميلوه لشعبان فوعدهم بذلك ، ثم دخلوا على أصلم فأجابهم وعادوا إلى شعبان ، وقد ظنوا أن أمرهم تم ، فلما أصبحوا نهار الخميس خرج الأمير أرغون العلاني والأمير ملكشمر المجازي وتمرَّ الموساوى وطشتمر طلاليه ومنكلي بقا الفخرى وأسنمدر وجلسوا بباب القلعة فاتاهم الأمير أرقطاي والأمير أصلم والوزير نجم الدين محمود والأمير قماري الأستاذار وطلبوا النائب فلم يحضر إليهم ، فضوا كلهم إلى عنده وأستدعوا الأمير جنكلي بن البابا وأشتوروا فيمن يولوه السلطنة فأشار جنكلي أن يرسل إلى المالك السلطانية ويسألهم من يختاروه فلان من اختاروه رضينا سلطانا ، فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا ، فقاموا جميعا ومعهم النائب إلى داخل باب القلعة . وكان

(١) كذا في الأصلين والسلوك . وفي المنهل الصافي : « وتوفي في العشرين من ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعائة » . وفي آين إياس : « مات يوم الخميس حادي عشر ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبعائة » .

شعبان تخيل من دخولهم عليه وتجمع المهالك وقال . من دخل على وجلس على الكرسي قتلته بسيفي هذا ! وأنا أجلس على الكرسي حتى أبصر من يقيني عنه . فسيرأرغون العلاني [إليه ^(١)] وبشره وطيب خاطره ، ودخل الأمراء إليه وسلطونه ولقب بالملك الكامل سيف الدين شعبان حسب ما يأتي ذكره في أول ترجمته . ولترجع إلى بقية ترجمة الملك الصالح إسماعيل .

وكان الملك الصالح سلطاناً سائداً عاقلاً قليل الشر كثير الخير ، هيناً لنا بشوئاً ، وكان شكلاً حسناً حلواً الوجه أبيض بصفرة وعلى خده شامة . ولم يكن في أولاد الملك الناصر خيراً منه . رتب دروساً بمدرسة جدّه المنصور قلاوون . وجتد جماعة من الخدام بالحرم النبوي ، حسب ما ذكرناه في وقته . وله مآثر كثيرة بمكة وآسمه مكتوب على رباط السندرة بحرم مكة ، ولم يزل منابراً على فعل الخير حتى توفى . ولما مات رثاه الشيخ صلاح الدين الصفدي بقوله

مغنى الصالح المرجو للباين والندى * ومن لم يزل يلقي المني بالمتائج ^(٢)

فيا مملك مصر كيف حالك بعده * إذا نحن أشتينا عليك بصالح

وكان الملك الصالح محباً للرعية على مشقة كانت في أيامه من كثرة التجاريد إلى قتال أخيه الملك الناصر أحمد بالكرك وكانت السبل مخيطة . وشغف مع ذلك بالحواري السود ، وأفرط في محبة إتفاق العوادة ^(٣) وفي العطاء لها ، وقرب أرباب الملاهي ، وأعرض

(١) تكله من السلوك . (٢) بمكة ربط موقوفة على الفقراء ، منها الرباط المعروف برياط السندرة بالخان الشرق من المسجد الحرام على يسار الداخل إلى المسجد الحرام من باب بني شبة ، لا أدري من وقفه ولا متى وقف إلا أنه كان موقوفاً قبل سنة أربع مائة . وموضعه هو دار القوارير التي بنيت في زمن الرشيد ، على ما ذكره الأزرق . انظر كتاب تواريخ مكة (ج ٢ ص ١٠٨ طبع أودنبا) في الجزء المتقول من شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . (٣) جمع منيحة ، وهي العطية .

(٤) ذكر لها صاحب الدرر الكامنة ترجمه طويلة فقال : « إتفاق المولدة الجنس ، نشأت عند ضامة المغاني ييليس . ثم انتقلت إلى ضامة المغاني بمصر ، فعلتها عند علي العجمي ضرب العود ، فقدّمها لضامة لبيت الناصر فخلعت عند الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ... الخ »

- عن تدير الملك بإقباله على النساء والمطيرين ، حتى كان إذا ركب إلى سرحة سر ياقوس
أو سرحة الأهرام ركب^(١) أمه في مائتي امرأة الأكاديش بنباب الأطلس الملوّن
وعلى رؤوسهن الطراطير الجلد البرغالي الموضوعة بالجواهر واللاكن وبين أيديهن الخدّام
الطواشية من القلعة إلى السرحة . ثم تركب حظاياها الخيول العربية ويتسابقن
ويركبن تارة بالكاملات الحرير ويلعبن بالكرة ، وكانت هنّ في المواسم والأعياد
وأوقات التّزّهة أمور من هذا التّموذح . وأسّولى الخدّام والطواشية في أيامه على
أحوال الدولة ، وعظّم أمرهم بتحكّم كبيرهم عبّ السحرقي لآلة السلطان ، وأقنّى
عبّ السحرقي البزاة والسناقر ، وصار يركب إلى المَطَم ويتصيد بنباب الحرير^(٢)
المزركشة ، وأخذ له كفا للصيد مرسعا بالجواهر . وعمل له خاصيكة وخدّاما
ومماليك تركب في خدمته ، حتى نُقل أمره على أكابر أمراء الدولة ، فإنه أكثر
من شراء الأملاك والتجارة في البضائع ، كلّ ذلك لكونه لالا السلطان . وأفرد
له ميدانا يلعب فيه بالكرة ، وتصدّى لقضاء الأشغال وقصده الناس فصارت
الإقطاعات والرّزق والوظائف لا تُقضى إلا بالخدّام والنساء .
- وكان متحصّل الدولة في أيام الملك الصالح قليلا ومصرفُ الهارة كثيرا .
- وكان مُغرما بالجلوس بقاعة الدهيشة ، لاسيّما لما ولدت منه إتفاق العوادة ولذا
ذكرا ، عمل لها فيه مِهْمًا بلغ الغاية التي لا توصف ، ومع هذا كانت حياته منقصة
وعيشته منكدة لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠ من هذا الجزء . (٣) الالا : كلمة فارسية معناها :

المرجى الأول . وفي بعض المصادر تأتي بالباء المربوطة وفي بعضها بدون تاء .

(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٥) أطلنا البحت عن هذا الميدان فلم نهد إليه في مظانه .

ثم قَدم عليه مَنجك السلاح دار برأس أخيه الملك الناصر أحمد من الكرك ،
فلما قدم بين يديه ورآه بعد غسله آهت وتغير لونه وذعر ، حتى إنه بات تلك الليلة
يراه في نومه ويفزع فزعاً شديداً ، وتعلل من رؤيته ، وما برح يعتريه الأرق ورؤية
الأحلام المزعجة ، وتمادى مرضه وكثر إرجافه ، حتى أعتراه القولنج ، وقبى
عليه حتى مات منه في يوم الخميس المذكور : ودُفن عند أبيه وجده الملك المنصور^(١)
قلاوون بالقبة المنصورية في ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر ، فكانت مدة ملكه^(٢)
بالديار المصرية ثلاث سنين وشهرين وأحد عشر يوماً . وقال الصفدى :
ثلاث سنين وشهراً وثمانية عشر يوماً . وتسلمن من بعده أخوه شقيقه شعبان ولقب
بالكامل . وعمل للكل الصالح العزاء بالديار المصرية أياماً كثيرة ، ودارت الجوارى
بالملاهي يضربن بالدفوف ، والمختدرات حواسر يبيكين ويلطمن ، وكثر حزن الناس
عليه ووجدوا عليه وجداً عظيماً .



السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر ، وهى سنة
ثلاث وأربعين وسبعمائة .
فيها توفى الشيخ الإمام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السَّفَّاقِينِ^(٣)
المالكي في ذى الحجة . وكان إماماً فقيهاً بارعاً أفتى ودرس سنين ، وله مصنفات
مفيدة ، منها : « إعراب القرآن » « وشرح ابن الحاحب في الفقه » وغير ذلك .
وكان معدوداً من علماء المالكية .

(١) تقدم قبل ذلك بخليل أنه توفى ليلة الخميس . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من
الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) في الدرر الكامنة أنه توفى سنة ٨٧٤٢ هـ . (٤) ويسمى
« المجد في إعراب القرآن المجيد » . توجد منه نسختان مخطوطتان محفوظتان بدار الكتب المصرية
والجزء الأول من نسخة أخرى تحت أرقام : [٢٢٢ ، ٦١٣ ، ٧٣٦] . (فهرس التفسير) .

وتوفي الأمير سيف الدين أرتُغَمُش^(١) بن عبد الله الناصري ناظر طرابلس بها .
وكان من أجل أمراء الدولة ومن أعيان ممالك الناصر محمد وخاصكيته وتنقل
في عدة ولايات . وكان معدودا من الشجعان .

- وتوفي الأمير الكبير علاء الدين أيدُغُمُش بن عبد الله الناصري الأمير آخور ،
ثم نائب حلب ثم نائب الشام بغزة في بكرة يوم الأربعاء رابع جمادى الآخرة ، ودُفن
في آخريمدان الحصى في تربة عُمرت له هناك . وكانت مدة نيابته بحلب والشام
نصف سنة ، وكانت موته غريبة وهو أنه ركب في بكرة ثالث جمادى الآخرة وخرج
ظاهر دمشق وأطعم طيور الصيد وعاد إلى دار السعادة وقُرئت عليه قصص يسيرة ،
ثم أكل السمّاط . ثم عَرَضَ طُلبه والمضافين إليه ، وقدم جماعة وأنحرجا ثم دخل
إليه ديوانه وقرأ عليه مخازيم وحساب ومصروف ديوانه . ثم قال أيدغُمُش : هؤلاء
الذين تزوجوا من ممالكهم آقطعوا مرتبهم . ثم أكل الطاري^(٢) ، وقعد هو وأبن جَمَاز
يتحدثان فسمع حسن جماعة من جواريه يتخاضعن ، فقام وأخذ عصاه ودخل
إليهن وضرب واحدة منهن ضربتين وسقط ميتا لم يتنفس ، فتعير الناس في أمره
فأمهلوه إلى بكرة يوم الأربعاء فلم يتحرك ، ففسلوه وكفنوه ودفنوه .

- (١) ضبط في المجلد الصافي بالقلم : (بضم الألف والراء) . (٢) في الدرر الكامنة أنه توفي
يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٤) المخازيم ، يقصد بها هنا مجمل القيد اليومي . وكانت هذه الوظيفة من اختصاص الصبابة
والجهاز كنية أسنخراج المال وقبضه (انظر قوانين الدواوين لابن عماد طبعها الجمعية الزراعية ص ٣٠٤
وصحح الأعشى ج ٥ ص ٤٦٦) .
(٥) ذكره المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٢١٠) تحت عنوان : « الأسطة السلطانية » فقال :
« وكانت العادة أن يمد بالتصريف طرف النهار من كل يوم أسطة جليلة لعامة الأمراء خلا البرانيين وقليل
مأم ، فبكرة يمد سباط أول لا يأكل من السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل من السلطان وقد
لا يأكل . ثم ثالث بعده ويسمى الطاري ومنه مأكل السلطان » .

وكان أصل أيدغمش هذا من مماليك الأمير بلقان الطَّبَّانِي، ثم اتصل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون فجعله من جملة خاصيته. ثم رَقَّاه حتى جعله أمير آخور كبير بعد بيبرس الحاجب فدام في وظيفة الأمير آخورية نحو عشرين سنة. وقد استوعبنا من حاله مع قَوْصُون وغيره قطعة جيدة في ترجمة الملك الناصر أحمد وغيره. وكان أميراً جليلاً عاقلاً مُهاباً شجاعاً مدبراً مقداماً كريماً، قَلَّ من دخل إليه للسلام إلا وأعطاه شيئاً. وكان مكيناً عند أستاذه الملك الناصر، على أنه أنعم على أولاده الثلاثة بإمرة، وهم أمير حاج ملك وأمير أحمد وأمير على. وكان أيدغمش يميل إلى فعل الخير، وله مائتة حميدة. وهو صاحب الحمام والنخوة خارج بابي زويلة. رحمه الله. وتوفي الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الناصريّ الحاجب بدمشق في شهر رجب وهو أيضاً من المماليك الناصرية، رَقَّاه أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى صار أمير مائة ومقدم ألف. ثم ولَّاه أمير آخور مدة سنين. ثم عزَّله بالأمير أيدغمش المقدم ذكره، وولَّاه المجبوبة ثم جرَّده إلى اليمن فبلغه عنه أنه أخذ بِرِطِيل^(١)

(١) في أحد الأصلين « كيرا » .

(٢) حمام أيدغمش، هو بذاته حمام الدوب الأحمر الآن الواقع في شارع الدوب الأحمر على رأس حارة الروم. ونخوة أيدغمش هي بذاتها باب حارة الروم المذكورة، وكانت هذه النخوة يلقى الحمام رمى في حكم أبواب القاهرة، يخرج منها إلى ظاهر القاهرة عند إغلاق الأبواب في الليل أو حين الفتن. راجع خطط المقرئ (ج ٢ ص ١٤٥) وخطط على باشا مبارك (ج ٢ ص ٣٢) . (٢) عرف المقرئ في هذا النوع من الضرائب في خطته (ج ١ ص ١١١) في الكلام على ذكر أنعام مال مصر فقال: « وأما البراطيل، وهي الأموال التي تؤخذ من ولاية البلاد ومحاسبها ونفقاتها وعمالها... الخ ». وفي هامش ص ٦٨ من كتاب المصرب من الكلام الأجنبي على حروف المعجم لأبي منصور الجواليقي موهوب بن أحمد بن محمد بن الأخضر المتوفى سنة ٥٤٠ هـ المطبوع بمطبعة دار الكتب المصرية في الكلام على « لبرطيل » أنه هو الذي تستعمله العامة في معنى الرشوة، ولا يعرف في الكلام القديم ولبرطيل في كلام العرب حجر مستطيل، تقول العامة « برطيل » يجوز أن يكون مأخوذاً من هذا اللفظ، بر بدون أن الرشوة حجر قد رى به من يحاصمه .

صاحب اليمن وتراعى فى أمر السلطان، فلما عاد قبض عليه وحسبه تسع سنين
وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه. فى سنة خمس وثلاثين وسبعائة وأخرجه إلى حلب
أميرا بها . ثم نُقِلَ إلى إمرة بدمشق ، فما زال بها حتى مات فى التاريخ المذكور .
وكان له ثروة كبيرة وأملاك كثيرة وله دار عند باب الزهومة ^(١) .

- وتوفى الأمير سيف الدين قمارى بن عبدالله الناصرى أمير شكار فى يوم الأحد
خامس جمادى الأولى . وكان خَصِيصًا عند أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون ،
وهو أحد من زوجه الملك الناصر بإحدى بناته ، بعدما أنم عليه بإمرة مائة وثمانية
ألف بالديار المصرية وجعله أمير شكار .

- وتوفى سيف الدين طشتمر بن عبدالله الساقى الناصرى المعروف بمجس أخضر
مقتولا بسيف الملك الناصر أحمد بالكرك ، وكان أيضا أحد مماليك الملك الناصر
محمد بن قلاوون وخواصه ، رقاؤه وأمره وولاه نيابة صفد وهو الذى توجه من

- (١) قال المقرئ فى خطه (ص ٤٩ ج ٢) عند الكلام على الرحاب : « رجة بيروس الحاجب
بخط حارة العدوية من خط باب سر المارستان ، عرفت بالأمير بيروس الحاجب لأن داره بها . وقال
المرحوم على باشا مبارك فى خطه (ج ٢ ص ٢١) : « وهذه الدار باقية على أصلها تجاه من يسلك من
باب المارستان المصورى طالبا سوق الصبابة أو الخاوص ، لأنها فاصلة بين السوفين . ويوجد بهذه
الدار اليوم مقعد عظيم جدا وقاعة أرضية كبيرة ، وهى متشعبة متخربة ، يسكنها من يسكن النحاس من
صناع الأهوان والخفياص وصنع الموازين وغير ذلك . وقال على باشا : ويقال إن دار الشيخ الجهرى
الذى يدرب شمس الدولة من خفوها ، واشتهرت دار بيروس فى زماننا هذا بأسم دار المراجى ، وهو
إسرائيل سكنها مدة طويلة . ثم لما دخلت فى رقب الملا عرفت بدار الملا فهى الآن تعرف بدار الملا
بقسم الجمالية بالقاهرة .

- ٢٠ رَأَوُل : إن القاعة الأرضية هى الباقية من إنشاء بيروس الحاجب ، كما تدل بقاياها المعمورة . أما المقعد
فهو من إنشاء الأمير محمد بن طوران سنة ١٠٦٥ هـ كما هو مكتوب على إزار سقفه .

- (٢) فى النبل الصافى : « جمادى الآخرة » وفى السلوك : « يوم الاثنين خامس جمادى الأولى » .
وفى الدرر : « مات فى أواخر سنة خمس وأربعين أو أوائل سنة ٥٧٤٦ هـ » .

صفد وقبض على تنكير نائب الشام حسب ما تقدم ذكره . ثم نقله إلى نيابة حلب عوضاً عن طوغان الناصري في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، فدام بحلب حتى خرج منها إلى الروم ، وقد مرّ ذكر ذلك كله إلى أن قديم الديار المصرية محبة الأمراء الشاميّين ، وولاه الملك الناصر أحمد نيابة السلطنة . ثم قبض عليه بعد أن باشر النيابة خمسة وثلاثين يوماً وأخرجه معه إلى الكرك ، فقتله هناك وقتل الأمير قطلوبغا الفخري الآتي ذكره . ولمّا قُتل طشتنمر قال فيه الصلاح الصفدى :

طوى الردى طشتنمراً بعدما * بالغ في دفع الأذى وأحترس
عَهْدِي به كان شديد القوى * أنجّع من يركب ظهر القرس
ألم يقولوا محمّصاً أخضراً * فأعجب له يا صاح كيف أندرس

١٠

قلت : وهو صاحب الدار العظيمة والربع الذى بجانبها بمجرة البقر خارج القاهرة والجامع بالصحرَاء والمثذنة الحلزُون والجامعين بالزربية والربع الذى بالحريّرين داخل القاهرة . وكان شجاعاً كريماً كثير الإنعام والصدقات

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

١٥

(٣) يقصد بالزربية زربية قوصون القوسى التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وبما أن زربية قوصون قد زالت ولم يكن لها أثر اليوم فقد زال جامعا طشتنمر حصاً أعرضت بما لذلك .

(٤) كان ربع طشتنمر الذى بسوق الحريريين يعلو قيساريته فيها . وقد خرب الربع وبيعت أبقاضة في حوادث سنة ٨٠٦ هـ . وكانت القيسارية بسوق الحريريين ، أنشأها الأمير طشتنمر في أعوام بضع وثلاثين وسبعمائة ، وكان سوق الحريريين الشرايع بين شارع المعز لدين الله (الأشرقية) عند مدرسة الأشرف برسبى . راجع الخطط المقرزية (ج ٢ ص ٩١) . وخطط على باشا مبارك (ج ٢ ص ٢١) . والحاشية رقم ٥ ص ٦٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

٢٠

وَتُوِّفِيَ الْأَمِيرُ سَلْيَانُ بْنُ مُهَنَّأَ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَهْنَأَ مَلِكِ الْعَرَبِ وَأَمِيرَ آلِ فَضْلٍ
بِظَاهِرِ سَلْطَانِيَّةٍ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِ مُلُوكِ الْعَرَبِ .

وَتُوِّفِيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طَيْتَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ نَائِبَ غَزَّةَ وَنَائِبَ صَفَدَ
ثُمَّ نَائِبَ طَرَابُلُسَ، وَمَاتَ وَهُوَ عَلَى نِيَابَةِ صَفَدَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .
وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ النَّاصِرِيَّةِ .

وَتُوِّفِيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْلُوبُغَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَخْرِيُّ السَّاقِي النَّاصِرِيِّ نَائِبَ
الشَّامِ، مَقْتُولًا بِسَيْفِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ بَالَكَرْكَ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ مَمَالِكِ النَّاصِرِ
مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مِنْ طَبَقَةِ أَرْغُونِ الدَّوَادَارِ . قَالَ الصَّفْدِيُّ : لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ
الْخَاصِكِيَّةِ وَلَا غَيْرِهِمْ إِدْلَالُهُ عَلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ وَلَا مِنْ يُكَلِّمُهُ بِكَلَامِهِ ، وَكَانَ
يُفْعِشُ فِي كَلَامِهِ لَهُ وَيَرِدُّ عَلَيْهِ الْأَجُوبَةُ الْحَادِثَةُ الْمُتَرَدِّدَةُ ، وَهُوَ يَحْتَمِلُهُ ، وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ
السُّلْطَانِ أَتِيئًا إِلَى أَنْ أَمْسَكَهُ فِي نَوْبَةِ إِخْرَاجِ أَرْغُونِ إِلَى حَلَبٍ نَائِبًا ، فَلَمَّا دَخَلَ
تَنَكَّرَ عَقِيبَ ذَلِكَ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَخْرَجَهُ السُّلْطَانُ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ . إِنْتَهَى

قُلْتُ : وَقَدْ سَقْنَا مِنْ ذِكْرِهِ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مَا فِيهِ كِفَايَةٌ عَنْ
ذِكْرِهِ هُنَا ثَانِيًا .

وَلَمَّا أَمْسَكَ وَقُتِلَ قَالَ الْأَدِيبُ الْبَارِعُ خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيُّ شِعْرًا :
تَمَّتْ هِمَّةُ الْفَخْرِيِّ حَتَّى تَرَفَعَتْ * عَلَى هَامَةِ الْجُوزَاءِ وَالنَّسِيرِ بِالنَّصِيرِ
وَكَانَ بِهِ لَلْكَ نَفْسٌ نَفَاةُ الزَّمَانِ فَاحْضَى مُلْكُ مِصْرَ بِلَا نَفِيرِ

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ، ففي الدرر الكامنة : « أنه مات في ربيع الأول سنة ٧٤٤هـ »
وقال ابن حبيب : مات في سنة ٧٤٥هـ . وفي المنيل الصافي : « قتل في ربيع الأول سنة ٧٤٤هـ »
وقيل في سنة ٧٤٣هـ ، كما أفاضوا في أخبار أولاد آل مهنا وأولاد أخيه فضل وأحقابهما في القرن
الثامن والعشرون التي تلت . وقد تغير اسم آل مهنا بعد حين كما هي عادة أهل البادية وجاء من أعقابهم
فرع يدعى بابي ريشة هم الآن أمراء عشيرة الموالي في سلطنة وضواحيها (من مجلة المجمع العلمي العربي دمشق
مجلد ١٣ ص ١٦٧) . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله الجوباني رأس توبة .
وتُوفِّي الأمير سيف الدين بكَّا الحُضْرِيّ^(١) الناصري مَوْسَطًا بسوق الخليل في رابع^(٢)
شهر رجب ، وقد مرَّ من ذكره نبذة في ترجمة الملك الصالح إسماعيل .

وتُوفِّي الشيخ الإمام تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد الحميد البيماني
الحزومي الشافعي الأديب الكاتب بالقدس الشريف في هذه السنة عن ثلاث
وستين سنة .

وتُوفِّي الشيخ الإمام الخطيب محي الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب
ابن علي بن أحمد أبو المعالي السلمي الشافعي خطيب بعلبك في ليلة الأربعاء تاسع
شهر رمضان . ومولده في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وسبعمائة . وكان فاضلا
عالما خطيبا فصيحاً ، وكتب الخط المنسوب .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وإصبعان ، مبلغ الزيادة
سبع عشرة ذراعا سواء . والله تعالى أعلم .

السنة الثانية من ولاية الملك الصالح إسماعيل على مصر ، وهي سنة أربع
وأربعين وسبعمائة .

فيها تُوفِّي قاضي القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي
ابن عبد الحق قاضي القضاة الحنفية بالديار المصرية وهو مقيم بدمشق . وكان إماما
عالما بارعا أفقي ودرّس ستين وناب في الحكم ، ثم استقلَّ بقضاء القضاة بالديار
المصرية وحسنت سيرته .

(١) في الأصلين : « تكا » بالثاء . وما أثبتناه من المثل الصافي والدرر الكامنة وثانوخ سلاطين
الممالك . وفي المثل الصافي : « بكَّا لحضري » بالحاء المهملة والضاد المعجمة وهو تحريف .
(٢) في السلك : « في رابع عشرين شهر رجب » .

وَتُوِّقِي الأمير سيف الدين وقيل شمس الدين آق سُنُقُر بن عبد الله السَّلَارِي نائب السلطنة بالديار المصرية قتيلاً بغير الإسكندرية في السجن . وكان أصله من ممالك الأمير سَلَارٍ وَاتَّصَلَ بعده بخدمة الملك الناصر محمد بن قلاوون فرَقَاهُ إلى أن وَلَّاهُ نيابة غَزَّةَ ثم صَفَدَ . ثم ولى بعد موت الملك الناصر نيابة السلطنة بالديار المصرية . وقد تقدَّم ذكرُه في ترجمة الملك الصالح هذا والتعريف بأحواله وكرمه إلى أن قُبِضَ عليه وَتُحِينَ ، ثم قُتِلَ . وكان من الكرماء الشُّجْعَانِ .

وَتُوِّقِي الأمير علاء الدين الطُّنْبُغَا بن عبد الله المَارِدَانِي الناصري السَّاقِي نائب حلب بها . وكان الطنبغا أحد ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون وخاصيته وأحد من شَغِفَ بحبته ورَقَاهُ في مدة يسيرة ، حتَّى جعله أميرَ مائة ومُقَدِّمَ ألف ، وزوجه بَابْنَتِهِ . ثم وَقَعَ له أمور بعد موته ذكرناها في تراجم : المنصور والأشرف والناصر والصالح أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن وَلِيَ نيابة حماة ، ثم حلب بعد الأمير طُغْرُكْزُدْمَرْ فباشِر نيابة حلب نصف سنة ، وَتُوِّقِي ولم يبلغ من العمر نحسا وعشرين سنة . وكان أميراً شاباً لطيف الذات ، حسن الشكل ، كريم الأخلاق مشهوراً بالشجاعة والكرم . وهو صاحب الجامع المعروف به خارج باب زويلة . وقد تقدَّم ذكر بنائه في ترجمة أستاذه الملك الناصر محمد .

وَتُوِّقِي الأمير الأديب الشاعر علاء الدين الطُّنْبُغَا بن عبد الله الجَلَاوَلِي . أصله من ممالك بن باخُلٍ^(١) . ثم صار إلى الأمير عَلَمُ الدين سَنَجَر الجَلَاوَلِي فجعله دَوَّادَرَهُ لَمَّا كَانَ نائب غَزَّةَ فَعُرِفَ به ، ثم تنقلت به الأحوال حتى صار من جملة أمراء دِمَشْقَ إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول .

(١) في أحد الأصلين : «حسن الشكالة» . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) هو عماد الدين أحمد بن باخُلٍ (عن السلوك الجزء الأول من القسم الثالث ص ٧٢٢ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) والمنهل الصافي .

قلت : وهو أحد لحول الشعراء من الأتراك لا أعلم أحدا من أبناء جنسه
في رتبته في نظم القريض ، اللهم إلا إن كان أيدمر المحيوى فيمكن . ومن شعر
الطنبغا المذكور :

رِدْفُهُ زَادَ فِي الثَّقَالَةِ حَتَّى * أَقْعَدَ الْخَصْرَ وَالْقَوَامَ سَوِيًّا
نَهَضَ الْخَصْرُ وَالْقَوَامَ وَقَامَا * وَضَعِيفَانِ يَنْبُلَانِ قَيَوِيًّا

وله :

وَبَارِدِ النَّفْرِ حُلُو * بِمُرْشِفٍ فِيهِ حُوءٌ
وَخَصْرُهُ فِي أَتْحَالٍ * يُبِيدِي مِنَ الضَّعْفِ قُوَّةٌ

وله :

وَصَالُكَ وَالثَّرِيَّا فِي قِرَانٍ * وَهَجْرُكَ وَالْجَمْعَ فَرَسًا رِهَانٍ
فَدَيْتُكَ مَا حَفِظْتُ لَشُؤْمٍ بَحْتِي^(١) * مِنَ الْقِرَانِ إِلَّا لَنْ تَرَانِي

وله :

يَقُولُ لِي الْعَاذِلُ فِي لَوْمَةٍ * وَقَوْلُهُ زُورٌ وَهُتَاتٌ
مَا وَجَهُ مِنْ أَحِبَّتِهِ قِبَلَةً * قُلْتُ وَلَا قَوْلُكَ قُرْآنُ

وقد سُقْنَا مِنْ شعره قطعةٌ جَيِّدةٌ في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفي

بعد الوافي » .

وتوفى القاضي شرف الدين أبو بكر بن محمد ابن الشهاب محمود كاتب سر مصر
ثم دمشق في شهر ربيع الأول . وكان فاضلا بارعا في صناعته . وهو من بيت علم
وفضل ورياسة وإنشاء . وكان فاضلا مترسلا رئيسا نبیلا ، وله نظم رائع ونثر
فائق . ومن شعره .

(١) رواية المنهل الصافي : « ... حلى » .

بَعَثْتُ رَسُولًا لِلْغَيْبِ لَعَلَّهُ * يُبْرِئُنِي عَنْ وَجْدِي لَهُ وَيُزِيلَ
فَلَمَّا رَأَاهُ حَارًّا مِنْ قَرْطِ حُسْنِهِ * وَمَا عَادَ إِلَّا وَهُوَ فِيهِ مُتِمٌّ

وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُرْغَايَ^(١) الْجَاشَنَكِيرِ النَّاصِرِي نَائِبَ حَلَبٍ وَطَرَابُلُسَ
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ مَمَالِكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَأَصْرَانِهِ . وَكَانَ شَجَاعًا
مُقَدِّمًا سَيُوسًا . وَلَى الْوَلَايَاتِ وَالْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةَ .

وَتُوِّقَ الْأَمِيرُ علاء الدين آقْبَا عَبْدَ الْوَاحِدِ النَّاصِرِي بِمَجْبَسِهِ بِشَهْرِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ،
وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ فِي تَرْجُمَةِ أَسْتَاذِهِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، وَفِي أَوَّلِ تَرْجُمَةِ
الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ أَبِي بَكْرٍ أَيْضًا ، وَكَيْفَ كَانَ الْتَقِيزُ عَلَيْهِ ، وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمَصَادِرَةِ
وغير ذلك إِلَى أَنْ وَلِيَ نِيَابَةَ يَحْصَ ثُمَّ عَزِلَ وَقُبِضَ عَلَيْهِ وَحُبِسَ إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَكَانَ أَصْلُهُ مِنْ مَمَالِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ وَأَخَا زَوْجَتِهِ خَوْنَدُ طُغْغَايَ ، وَتَوَلَّى فِي أَيَّامِ
أَسْتَاذِهِ عِدَّةَ وُظَائِفَ وَوَلَايَاتٍ ، مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ جَمَلَةِ مُقَدِّمِي الْأُلُوفِ ثُمَّ أَسْتَاذَ دارِ .
ثُمَّ مُقَدِّمَ الْمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَشَلَّةَ الْعَائِزِ وَكَانَ يَنْدُبُهُ لِكُلِّ أَمْرٍ مُهِمٍّ فِيهِ الْعَجَلَةُ لِمَعْرِفَتِهِ
بِشِدَّةِ بَأْسِهِ وَقِسَاوَةِ قَلْبِهِ . وَكَثْرَةِ ظُلْمِهِ . وَكَانَ مِنْ أَقْبَحِ الْمَالِكِ النَّاصِرِيَّةِ سِيرَةٍ .
وَهُوَ صَاحِبُ الْمَدْرَسَةِ^(٢) عَلَى يَسَارِ الدَّخْلِ إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَالْدارِ بِالْقَرْبِ مِنْ
الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ .

وَتُوِّقَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ تَمْرَنْشَاسَ بْنِ جُوبَانَ مَمْلُوكَ تَيْرِيْزَ وَالْعِرَاقَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ .
وَكَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ دَاهِيَةً صَاحِبَ حِيلٍ وَمَكْرٍ وَخَدِيْعَةٍ . وَكَانَ كَثِيرَ
الْعَسَاكِ مِنَ التُّرْكِ وَغَيْرِهَا .

(١) فِي الْأَمْلِينَ هُنَا « طُغْغَا » وَتَصْحِيحُهُ عَمَّا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٤ ص ٢٧٧ مِنْ

الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٢) وَاجْعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ ص ١٤٢ مِنْ الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . وَأَمَّا دَارُهُ فَقَدْ انْدَثَرَتْ .

وَتُوِّقَ الْقَاضِي زَيْنُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عِرْفَاتِ بْنِ صَالِحِ بْنِ أَبِي الْمُثَنَّى الْقَسَائِيّ
الشَّافِعِي قَاضِي قِنَا . كَانَ فَقِيهًا رَئِيسًا كَثِيرَ الْأَمْوَالِ . كَانَ يَتَصَدَّقُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِالْفِ
دِينَارِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَعَ مَكَارِمَ وَإِنْعَامٍ .

وَتُوِّقَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِيكَ السُّرُجِيّ . مَوْلَاهُ بِمِصْرَ
فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَسَبِّعِيَّةٍ ، وَمَاتَ بِحُلْبِ فِي الثَّامِنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .
وَتُوِّقَ الْمُحَدِّثُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْفَرَجِ الْحُلَبِيِّ بِمِصْرَ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَ
عَنْ النَّجِيبِ وَالْأَبْرَقُوهِ^(١) وَالرَّشِيدِ بْنِ عَلَّانَ^(٢) وَغَيْرِهِمْ . وَمَوْلَاهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
سَنَةِ خَمْسِينَ وَسَبِّعِيَّةٍ .

وَتُوِّقَ الْقَاضِي عَمَّ الدِّينِ سَلِيمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلِيمَانَ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْمُسْتَوْفَى
الْمِصْرِيِّ نَازِلِ الْخَاصِّ بِدِمَشْقَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ . وَلَهُ فَضِيلَةٌ وَشَعْرٌ جَيِّدٌ ، وَكَانَ يُعْرَفُ
بِكُتَابِ قَرَأُسْتَقْرُ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَخْدُمُهُ . وَبِأَمْرِ حِدَّةٍ وَظَانِفٍ بِدِمَشْقَ : نَظَرَ الْبُيُوتَ
ثُمَّ نَظَرَ الْخَاصَّ ثُمَّ صَحَابَةَ الدِّيَّانِ . وَكَانَ بَارِعًا فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ وَيَكْتُبُ الْخَطَّ
الْمِلْحِيحَ . وَلَهُ يَدٌ فِي النِّظْمِ وَقُدْرَةٌ عَلَى الْأَرْتِجَالِ ، وَكَانَ يَتَكَلَّمُ فَصِيحًا بِاللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ .
وَمِنْ شَعْرِهِ :

غَرَامِي فَيْكَ قَدْ أَحْضَى غَيْرِي * وَهَجْرُكَ وَالتَّجَنِّي مُسْتَطَابُ
وَبَلَوَايَ مَلَالُكَ لَا لَذْنِي * وَقَوْلُكَ سَاعَةَ التَّسْلِيمِ طَابُوا

- (١) هُوَ نَجِيبُ الدِّينِ عَبْدِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَنَّمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ هَبَةِ اللَّهِ
أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الصَّبْرِ الْحَزَائِي الْخَنْزَلِي . تَقَدَّمَ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٦٧٢ هـ فِيمَنْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ .
(٢) هُوَ أَبُو الْمَعَالِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُزَيَّدِ الْأَبْرَقُوهِ . تَقَدَّمَ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٧٠١ هـ .
(ج ٨ ص ١٨٩) مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ هُنَا : (الْأَبْرَقُوهِ) . وَتَصْحِيحُهُ عَمَّا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ .
(٣) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَالسُّلُوكِ . وَلَعَلَّهَا : « الشَّمْسُ بْنُ عَلَّانَ » ، وَهُوَ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْفَنَائِمِ الْمُسْلِمِ
ابْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْلِمِ بْنِ عَلَّانَ . تَقَدَّمَ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٦٨١ هـ (ج ٧ ص ٣٥٣) .
(٤) فِي أَحَدِ الْأَصْلَيْنِ : « وَغَيْرُهُمَا » . وَالسِّيَاقُ بِأَبَاهُ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا .
بلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا . والله تعالى أعلم .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح إسماعيل على مصر ، وهى
سنة خمس وأربعين وسبعمائة .

فيها تُوِّفَى قاضى القضاة العلامة جلال الدين [أحمد] ^(١) ابن القاضى حسام الدين
أبى الفضائل حسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الأنكوري الحنفى قاضى قضاة
دمشق وعالمها في يوم الجمعة تاسع عشر رجب ، ومولده بمدينة أنكورية ببلاد الروم
في سنة إحدى وخمسين وستمائة . وكان إماما عالما دينا عارفا بالمذهب وأصوله ،
محققا إماما في العلوم العقلية ، وأفتى ودرس وتصدر للإقراء في حياة والده . وولي قضاء
نخعت ^(٢) وعمره سبع عشرة سنة ، وحُدِّثَ سيرته . ثم انتقل إلى البلاد الشامية حتى
كان من أمره ما كان .

وتُوِّفَى الأمير علم الدين سنجر الجاولى ، أحد أعيان أسراء بالديار المصرية في يوم
الخميس ثامن شهر رمضان ، ودُفِنَ بمدرسته فوق جبل الكبش . وكان أصله من ^(٣)

(١) تكله عن السلوك والمثل الصافي والدرر الكامنة . (٢) رواية المثل الصافي :
« ابن أبى نوان » بالثاء المتلحة . (٣) تسميا العرب أنكورية ، ضبطها أبو الفداء إسماعيل
في تقويم البلدان فقال : (يفتح الهزلة وسكون النون وضم الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء .
مشاة تحتية مكسورة وهاء في الآخر) . وأنفرة كانت بإقليم غالاطية القديمة بآسيا الصغرى (الأناضول) .
وفىها دفن أمرؤ القيس الشاعر المشهور سنة ٥٦٥ م وأفتتحها المنصم الخليفة العباسى سنة ٢٢٣ هـ =

٨٣٧ م . وعندها أسر تيجورنك السلطان يلدوم بإزيد العتاف سنة ١١١٧ هـ = ١٤٠١ م . وهى
الآن مقر الحكومة التركية . (٤) هى مدينة خربوط الحالية في مقاطعة إزمينية من ولايات شرق
الأناضول تبعد عن ديار بكر مائة كيلو متر في الجهة الشمالية الشرقية ، وهى على نجد مخصب يسقيه الفرات
يسكنها ٣٠٠٠ ألف نسمة أعظم مسلمون (عن دائرة المعارف الاسلامية) .

(٥) في المثل الصافي : « في يوم الجمعة تاسع شهر رمضان » .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ممالك جاول، أحد أمراء الملك الظاهر بيبرس . ثم اتصل بعده إلى بيت السلطان ،
وأُخرج أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك ، واستقر في حملة بحريتها . ثم
قَدِم في أيام العادل كُتُبًا إلى مصر بحال زري^(٢) ، فقدمه الأمير سلار ونوه بذكره إلى
أن ولي نيابة غزة^(٣) ، ثم عدة ولايات بعد ذلك بمصر والبلاد الشامية ، وطالت أيامه
في السعادة وعمر^(٤) . وقد مر من ذكره أشياء فما تقدم . وهو صاحب الجامع^(١) ، بغزة
والخليل عليه السلام وخان يَسَّان^(٣) وخان قاقون^(٤) . وكان فاضلا فقيها ، وله مصنفات
في الفقه وغيره .

(١) لا يزال هذا الجامع قائما بغزة إلى اليوم باسم الجاولية (راجع المختصر في جغرافية فلسطين لحسين
روحى ص ١٠٥) .

(٢) جاء في كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لأبي التين محير الدين عبد الرحمن بن محمد
الخليل (ج ١ ص ٥٨) وما قبلها في الكلام على الحرم الخليلي أنه بظاهر السور السلطاني من جهة الشرق
مسجد في غاية الحسن ، وبين السور السلطاني وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الأبهة
والفخار . والذي عمر هذا الدهليز والمجدد الأمير أبو سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين الشريفين (القدس
والخليل) ونائب السلطة فعرف هذا المسجد بالجاولية ، وهو من العجائب ، قطع في جبل ، ويقال إنه كان
مقبرة يهود على هذا الجبل فقطعه الجاولي وجوفه وبني السقف عليه والقبه وهو مرتفع على أثنى عشرة سارية
قائمة في وسطه ، طوله من القبلة بشام ٤ ذراعا وعرضه شرقا بغرب ٢٥ ذراعا . وكان الابتداء في عمارته
في ربيع الآخرة ٥٧١٨ وأتمت العمارة في ربيع الآخرة ٥٧٢٠ في دولة الناصر محمد بن قلاوون .
ومكتوب على حائطه : أن سنجر عمل ذلك من خالص ماله ، ولم ينفق عليه شيئا من مال الحرمين الشريفين .
(٣) في الأصلين : « وخان السبيل » . وما أثبتناه عن السلوك ، وهي الرواية الصحيحة ، اسمها
القديم : « بيت شان » هي في الجنوب الشرق من برج آبن عامر على نحو ستة كيلو مترات من ضفة الأردن
الغربية وتمتد من أراضي النور ، وهي قائمة على منحدر وادي جالود وتنخفض ١٣١ مترا من سطح البحر ،
يحيط بها الأشجار من جميع أطرافها . وفيها من الآثار القيمة القديمة ما يشهد لها بسالف عزاها ، ويبلغ
عدد سكانها ١٩٤١ سنة .

(٤) وقاقون : قرية في الشمال الغربي من طولكرم من أعمال فلسطين . يبلغ تعداد سكانها ١٩٢٦

نفسا (عن المختصر في جغرافية فلسطين) .

وَتَوَفَّى الأمير سيف الدين طَقْصُبا بن عبد الله الظاهري، وقد أناف على مائة
(١) [وعشرين] سنة . وكان أصله من ممالك الظاهر بيبرس البندقداري .

- (٢) وَتَوَفَّى [إبراهيم القاضي] جمال الكُفَاة الرئيس جمال الدين ناظر الخالص ثم
الجيش ثم المشد تحت العقوبة في ليلة الأحد سادس شهر ربيع الأول . وكان ابن
خاله النشو ناظر الخالص ، وهو الذي آستسلمه وأستخدمه مستوفياً في الدولة ،
ثم عند بَشْتَك ثم وقع بينهما المعادة الصعبة على سوء ظن من النشو ، ولم يزالا على
ذلك حتى مات النشو تحت العقوبة ، وولى جمال الكُفَاة هذا مكانه ، وطالت أيامه
ونالته السعادة . قال الصفدي : وكان شكلاً حسناً ظريفاً مليحاً يكتب خطاً
قوياً جيداً ، ويتحدث بالتركي ، وفيه ذوقٌ للعاني الأدبية ومحبة للفضلاء ولطف
عشرة وكرم أخلاق ومروءة . وكان أولاً عند الأمير طيغاً القاسمي . ومدة مباشرته
الخالص ست سنين تقريباً . انتهى كلام الصفدي باختصار . وقال غيره : وكان أولاً
يباشر في بعض البساتين على بيع ثمرته ، وتنقل في خدمة ابن هلال الدولة ، ثم خَدَم
بَيْدَمُر البَدْرِي وهو خَاصِيكي خبزه بحلة منوفاً ، فكتب على بابه إلى أن تأمر .
ثم أنتقل بعد ذلك حتى كان من أمره ما ذكرناه . ولما صُوِدِر أخذ منه أموال كثيرة .

وَتَوَفَّى الشيخ الإمام العلامة فريد عصره أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف
ابن علي [بن يوسف] بن حيان الغزنأطي المغربي المالكي ثم الشافعي . مولده

(١) الزيادة عن السلوك . (٢) التكلة عن المنهل الصافي . (٣) كذا في الأصلين

والسلوك . وفي المنهل الصافي والدور الكامنة أنه توفي في أوائل صفر من هذه السنة .

- (٤) لازال هذه القرية باقية إلى اليوم باسم محلة منوف . وهي تابعة لمركز طنطا بمديرية الغربية .
(راجع الدليل الجغرافي) لأسماء المدن والنواحي المصرية الذي أصدرته مصلحة المساحة سنة ١٩٤١ .
(٥) التكلة عن الدور الكامنة والمنهل الصافي وبقية الوعاة للسيوطي والوافي بالوفيات للصفدي ونفح

الطيب للقرى طبع أوروبا (ج ١ ص ٨٤٢) .

بِفَرَاطَةٍ^(١) فِي أُثْرِيَّاتِ شَوَّالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ بِالرَّوَايَاتِ ،
وَأَشْتَغَلَ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِفْرِيقِيَّةِ وَإِسْكَندَرِيَّةِ وَالْقَاهِرَةِ وَالْمَجَازِ ، وَحَصَلَ
الإِجَازَاتُ مِنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ ، وَاجْتَهَدَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، حَتَّى بَرَعَ فِي النُّحُوِّ وَالتَّصْرِيفِ
وَصَارَ فِيهِمَا إِمَامًا عَصْرُهُ ، وَشَارَكَ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ . وَكَانَ لَهُ الْبَدُ الطُّوْلَى فِي التَّفْسِيرِ
وَالْحَدِيثِ وَالشُّرُوطِ وَالْفُرُوعِ وَتَرَاجِمِ النَّاسِ وَطَبَقَاتِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ خُصُوصًا الْمَغَارِبَةَ ،
وَهُوَ الَّذِي جَسَرَ النَّاسَ عَلَى مَصْنُفَاتِ أَبِي مَالِكٍ ، وَرَغَّبَهُمْ فِي قِرَائَتِهَا ، وَشَرَحَ لَهُمْ
غَوَامِضَهَا ، وَقَدْ سُقْنَا مِنْ أَخْبَارِهِ وَسَمَاعَاتِهِ وَمَشَائِخِهِ وَمَصْنُفَاتِهِ وَشِعْرِهِ فِي تَرْجُمَتِهِ
فِي تَارِيخِنَا « الْمَنْهَلِ الصَّافِي » مَا يَطُولُ الشَّرْحُ فِي ذِكْرِهِ هُنَا ؛ وَمَنْ أَرَادَ ذَلِكَ
فَلْيَنْظُرْهُ هُنَاكَ . وَلَنَذْكُرْهُ هُنَا مِنْ شِعْرِهِ نَبْذَةً يَسِيرَةً بِسَنَدِنَا إِلَيْهِ : أَنَشَدَنَا الْقَاضِي
عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْفَرَّاتِ إِجَازَةً ، أَنَشَدَنَا الشَّيْخُ صِلَاحُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيُّ
إِجَازَةً ، قَالَ : أَنَشَدَنِي الْعَلَمَةُ أَبُوهُ الدِّينَ أَبُو حَيَّانَ مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

سَبَقَ الدَّمْعُ بِالْمَسِيرِ الْمَطَّابَا * إِذْ تَوَى مَنْ أَحَبُّ مَعَى ثَقَلَه
وَأَجَادَ السُّطُورُ فِي صَفْحَةِ الْخُلْدِ^(٢) وَلَمْ لَا يُجِيدُ وَهُوَ أَبُو مُقَلَّه
وَلَهُ بِالسَّنَدِ :

رَاضٍ حَبِيبِي عَارِضٌ قَدْ بَدَا * يَاحُسَنَهُ مِنْ عَارِضٍ رَائِيضٍ
فَطَلَنْ قَسُومُ أَنْ قَلْبِي سَلَا * وَالْأَصْلَ لَا يُعْتَدُّ بِالْعَارِضِ
وَلَهُ مَوْجَعَةٌ ، أَوَّلُهَا :

إِنْ كَانَ لَيْلٌ دَاجٌ ، وَخَانَتَا الْإِصْبَاحُ^(٣) ، فَنُورُهَا الْوَهَّاجُ ، يُبْنِي عَنِ الْمِصْبَاحِ^(٤)

(١) فِي نَفْعِ الطِّيبِ : « وَلَدَ فِي مَطْلَخِ شَارَشَ ، مَوْضِعَ بَفَرَاطَةِ » .

(٢) رَوَايَةُ قَتَحِ الطِّيبِ لِقُرَى : « وَأَجَادَ الْخَطُوطَ ... الْخُ » . (٣) فِي أَحَدِ الْأَصْلِينَ :

« الصَّبَاحِ » . وَمَا أُجْتَنَاءُ عَنِ الْأَصْلِ الْآخَرِ وَقَتَحِ الطِّيبِ وَالْوَاقِ بِالْوَفَايَاتِ لِلصَّفْدِيِّ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي .

(٤) فِي الْأَصْلِينَ : « عَنِ الصَّبَاحِ » . وَمَا أُجْتَنَاءُ عَنِ الْوَاقِ بِالْوَفَايَاتِ وَقَتَحِ الطِّيبِ وَالْمَنْهَلِ الصَّافِي .

سَلَاةً تَبْدُو * كَالْكُوكَبِ الْأَزْهَرِ

مِرْأَجُهَا شَهْدُ * وَعَرَفُهَا عَنَبَرُ

يَا حَبْذَا الْيُورْدُ * مِنْهَا وَإِنْ أَسْكُرَ

قَلْبِي بِهَا قَدْ هَاجَ ، فَمَا تَرَانِي صَاحَ ، عَنْ ذَلِكَ الْمُنْهَاجَ ، وَعَنْ هَوَى يَاصَاحَ

وَبِي رَشَا أَهَيْفَ * قَدْ لَجَّ فِي بُعْدِي

بَدْرٌ فَلَا يُخَسِّفُ * مِنْهُ سَنَا الْخَلَدِ

بَلَحِظِهِ الْمُرْهَفُ * يَسْطُو عَلَى الْأَسَدِ

كَسَطَوِ الْجَمَّاجُ ، فِي النَّاسِ وَالسَّفَاحِ ، فَمَا تَرَى مِنْ نَاجٍ ، مِنْ لَحْظَةِ السَّفَاحِ

عَلَّ بِالْمَسْكِ * قَلْبِي رَشَا أَحْوَرُ^(١)

مُنْعَمُ الْمَسِكِ * ذُو مَبِيمٍ أَعْطَرُ^(٢)

رِيَاءُ كَالْمَسِكِ * وَرَيْقُهُ كَوَثَرُ

عُصْنٌ عَلَى رَجْرَاجٍ ، طَاعَتْ لَهُ الْأُرُوحُ ، خَفِذَا الْآرَاجُ ، إِنْ هَبَّتِ الْأُرُوحُ

مَهَلًا أَبَا الْقَائِمِ * عَلَى أَبِي حَيَّانَ

مَا إِنْ لَهُ عَاصِمٌ * مِنْ لَحْظِكَ الْفَتَّانِ

وَهَجْرُكَ الدَّائِمِ * قَدْ طَالَ بِالْهَيَّانِ^(٣)

قَدَمُهُ أَمْوَاجُ ، وَسِرُّهُ قَدْ بَاحَ ، لَكِنَّهُ مَا عَاجَ ، وَلَا أَطَاعَ الْآلَاحَ

(١) في قح الطيب (ص ٨٤١ ج ٢) : « قلب رشا أحور » -

(٢) في الأملين : « ذى مبسم أعطر » . وما أثبتناه عن قح الطيب وهو ما يقتضيه السياق .

(٣) كذا في قح الطيب . وفي الأملين : « وسره قد لاح » .

يَارْبُ ذِي بُهْتَانٍ * يَعْذِلْنِي فِي الرَّاحِ^(١)
 وَفِي هَوَى الْغَزْلَانِ * دافعتُ بِالرَّاحِ^(٢)
 وَقُلْتُ لَا سُلُوءَانَ * عَنْ ذَاكَ يَا لَأَحَى^(٣)
 سُبُغُ الوجوه والتَّاجِ، هِيَ مُنِيَّةُ الأَرْوَاحِ، فَأَخْتَرَنِي يَا زَجَاجِ، قُصَّالُ وَزُوجِ أَقْدَاحِ^(٤)
 قُلْتُ : ومذهبي في أبي حيان أنه عالم لا شاعر .

ولم أذكر هذه الموشحة هنا لحسنها؛ بل قصدتُ التعريف بنظمه بذكر هذه الموشحة، لأنه أغفل شعراء المغاربة في هذا الشأن، وأما الشاعر العالم هو الأَرَجَانِي^(٥)

(١) هذه رواية سكردان السلطان لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى الشهير بأبن جملة المغربي طبع بولاق (ص ١٤٥) وفي الأصلين : « يعذل في الراح » . (٢) في المثلث الصافي وسكردان السلطان : « دافعت بالراح » . (٣) ذكرها المقرئ في خطه (ج ١ ص ٤٨١) تحت عنوان : « منظره الخمس وجوه » فقال : هي من المآظر التي كانت الخلفاء ينزل إليها للتنزه . أنشأها الأفضل بن أمير الجيوش، وكان لها فرش ممد، ومن منها آتوا بناء جليل على بزمسة، كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التي تنقل الماء لسق البستان العظيم الوصف السديع الذي البيح الحينة . والعامة تقول : « التاج والسبع وجوه إلى الآن » . وقال المرحوم علي باشا مبارك في خطه (ج ١ ص ١٥) : « وأنشأ الأفضل أيضا بظاهر القاهرة من جهتها البحرية بمجاوب الخليج الغربي منظره للبقل، وكانت في المحل الكائن تجاه قنطرة الإوز، وأغلبها دخل الآن في القنطرة الإسماعيلية، وباقها صار بعضه بركة وبعضه تلاء، وبعدها كانت منظره التاج، ثم فية الهواء، ثم منظره الخمس وجوه وهي الأرض التي يسد الأمير إبراهيم باشا أديم الآن من أرض مهمشة، وكان لكل منها بستان أنيق يحل على النيل .

وقع هذه الأماكن اليوم على الشاطئ الغربي للخليج المصري في المسافة ما بين كوبري عمرة وشارع الملكة نازلي وما بين الوأطى الكبرى على القنطرة الإسماعيلية (راجع مذكره بيان الأغلاط التي وقعت من مصلحة التنظيم في تسمية الشوارع والطرق بمدينة القاهرة وضواحيها وضع المرحوم محمد رمزي بك) .

(٤) هكذا في سكردان السلطان وفي الأصلين : « هي نية الأفراح » .

(٥) في الأصلين وسكردان السلطان والوافي بالوفيات : « بمصالح » بميم . وتصحيحه عن قمع القلب . والقسمال كلمة مغربية، لآتينية الأصل معناها : وعاء كان يستعمل في الأندلس والمغرب للشرب (عن دوزي) . (٦) هو ناصح الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأَرَجَانِي قاضي تستر . تقدمت وقافته في سنة ٥٤١ هـ . راجع صفحة ٢٨٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وأبو العلاء المعزى وابن مسناه^(٢) الملك . انتهى . وكانت وفاته بالقاهرة في ثامن
عشرين صفر .

وتوفي الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصري بطرابلس
وكان من أكابر الأمراء ، وفي الدوادارية الكبرى في أيام الناصر محمد ، ثم ولي
نيابة الإسكندرية ، ثم أُخرج إلى البلاد الشامية إلى أن مات بطرابلس . وكان
كاتباً شاعراً .

وتوفي الأمير علم الدين سنجر بن عبدالله البشمقدار المنصوري ، كان من ممالك
المنصور قلاوون .

وتوفي الأمير سيف الدين طرنتاي المنصوري المحمدي بدمشق ، وكان من
جيلة من وافق على قتل الأشرف خليل ، فسجنه الملك الناصر سبعاً وعشرين سنة ،
ثم أفرج عنه وأخرجه إلى طرابلس أمير عشرة .

وتوفي الأمير سيف الدين بلبان المنصوري الشامي بمدينة حلب . وكان الناصر
أيضاً حبسه سنتين ثم أخرجه إلى حلب .

وتوفي سيف الدين كندغدي بن عبدالله المنصوري بحلب أيضاً وهو رأس
المبصرة ومقدم العساكر المجردة إلى سيس . وكان من كبار الأمراء بالديار المصرية .

(١) هو أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد .
تقدمت وفاته في سنة ٤٤٩ هـ . راجع صفحة ٦١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) هو القاضي أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سناء الملك . تقدمت وفاته سنة ٦٠٨ هـ . راجع
صفحة ٢٠٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) في السلوك والدرر الكامنة : « الجندار »
وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) ضبطه المؤلف — رحمه الله — في المنهل الصافي بالعبارة فقال : « يضم الكاف وسكون النون
وضم الدال وسكون النين المعجمة ودال مكسورة وياء . مثناه بالفة التركية : « يوم وله » .

(٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم سبع أذرع وثماني أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع عشرة ^(١)إصبعا .

ذكر سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدين

محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجى .

والكامل هذا هو السابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية والخامس من أولاد

الملك الناصر محمد بن قلاوون . جلس على تخت الملك بعد موت أخيه وشقيقه

الملك الصالح إسماعيل في يوم الخميس ^(٢)الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين

وسبعمائة ، ولُقّب بالملك الكامل . وفيه يقول الأديب البارح جمال الدين بن نَبَّاتة ^(٣) .

١٠ . رحمه الله تعالى . [مخلف البسيط]

جَبِينُ سُلْطَانِنا المُرْجَى * مُبَارَكُ الطالِجِ البَدِيعِ ^(٤)

(١) صورة ما جاء في آخر الأصل الفوتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بمكتبة أيا صوفيا بالآستانة :

« تم الجزء الرابع من النجوم الزاهرة ، ويشلوه في الخامس من أول ترجمة الكامل شعبان في سابع

المحرم سنة ست وثمانين وثمانمائة على يد فقير رحمة ربه محمد القادري . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

تنبيهه — إلى هنا انتهى الأصل الفوتوغرافى المأخوذ عن النسخة المخطوطة الموجودة بالمكتبة

الأهلية بباريس ، ولم يبق تحت يدينا بعد هذا إلا الأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بأمريكا ، والأصل

الموضح ذكره في الحاشية رقم ١ إلى آخر الكتاب . وقد رمزنا للأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بحرف :

« م » وللأصل الفوتوغرافى بحرف : « ف » .

٢٠ (٢) في تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ١٨٢) : « في يوم الخميس حادى عشر من ربيع الأول » .

(٣) في نسخة « ف » : « ول الدين » وتصحيحه عن نسخة : « م » والمثل الصافى .

(٤) رواية هذين البيتين في تاريخ ابن إياس :

طلعة سلطاننا تَبَدَّت * بكامل السعد في الطلوع

وأعجب لها تيك كيف أبدت * هلال شعبان في ربيع

يَا تَهْجَةَ الدهر إذ تَبَدَّى * هِلَالُ شعبان في ربيع

- وكان سبب سلطنة الملك الكامل هذا أنه لما آشتد مرض أخيه الملك الصالح إسماعيل دَخَلَ عليه زَوْجُ أمه ومدبر مملكته الأمير أرغون العَلَّافِي في عِدَّة من الأمراء لِيُعْهَدَ الملك الصالح إسماعيل بِالْمُلْكِ لأحد من إخوته . وكان أرغون العَلَّافِي المذكور غرضه عند شعبان كونه أيضاً رُبِيهَ ابن زوجته ، فعارضه في شعبان الأمير آل ملك نائب السلطنة حسب ما ذكرنا طَرَقاً من ذلك في مرض الملك الصالح المذكور . ثم وَقَعَ ما ذكرناه إلى أن اتَّفَقَ المهالك والأمراء على توليته ، وحضروا إلى باب القلعة^(١) . وَاسْتَدْعَوْا شعبان المذكور ، وألبسوه أبهة السلطنة وأركبوه بشعار الملك ومشت الأمراء بخدمته ، والجواهرية تصيح بين يديه على العادة ، حتى قرب من الإيوان لِيَلْبَسَ الفرس تحتَه وَجَعَلَ من صباح الناس ، فزل عنه ومَشَى خطوات بسرعة إلى أن طَلَعَ إلى الإيوان فتفاعل الناس بتزوله عن قَرَسِه أنه لَا يُقِيمُ في السلطنة إلَّا يسيراً . ولَمَّا طَلَعَ إلى الإيوان وجلس على الكرسي وباسوا الأمراء له الأرض وأحضروا المصحف لِيَحْلِفُوا له ، فحلف هو أولاً أنه لَا يُؤْذِيهِمْ ، ثم حلفوا له بعد ذلك على العادة . ودَقَّت البشائر بسلطته بمصر والقاهرة ، وخُطِبَ له من الغد على منابر مصر والقاهرة ، وَكُتِبَ بسلطته إلى الأفطار .

١٥

ثم في يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الآخر المذكور جلس الملك الكامل بدار العدل^(٢) ، وَجُدَّ له العهد من الخليفة بمحضرة القضاة والأمراء ، وَخَلَعَ على الخليفة وعلى القضاة والأمراء ، وَكُتِبَ بطلب الأمير آق سُنْقَرُ الباصري من طرابلس وسأل

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية

رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

٢٠

الأمير قُارِي الأستادار أن يستقِرَّ عوضَه في نيابة طرابلس ، فتشفع قُارِي المذكور بأرغون العلاني ومَلِكْتُمُر المِحْزَارِي فَأُجِيبَ إلى ذلك ؛ ثم تغيَّر ذلك وخَلَعَ عليه في يوم الخميس حادى عشره بِنْيَابَة طرابلس نَفْرَج من قُوْره على البريد . وخَلَعَ على الأمير أَرْقُطَاي^(١) وأستقِرَّ في نيابة حلب عوضا عن يَلْبَغَا اليَحْيَاوِي ، وخرج أيضا على البريد ، وَكَتَبَ يطلب اليحياوى ، ثم طلب الأمير آل ملك نائب السلطنة الإعفاء من النيابة وقَبْل الأرض ، وسأل في نيابة الشام عوضا عن طُقَزْدُمُر الحَمَوِي وأن ينتقل طقزدمر إلى مصر فاجيب إلى ذلك ، وَكَتَبَ بعزل طقزدمر عن نيابة الشام وإحضاره إلى الديار المصرية .

وفي يوم السبت ثالث عشره خَلَعَ السلطان الملك الكامل على الأمير الحاج آل ملك نائب السلطنة بأستقراره في نيابة الشام عوضا عن طقزدمر ، وأُخْرِجَ من يومه على البريد ، فلم يدخل مدينة غَزَة لِسُرْعَة تَوَجُّهه ، وبينما هو سائر إلى دِمَشْقَ لِحَقِّه البريد بتقليده نيابة صفد ، وسبب ذلك أنَّ أَرْغُونَ العلاني لَمَّا قام في أمر الملك الكامل شعبان هذا وفي سلطنته قال له الحاج آل ملك : بشرط ألا يلعب بالحمَّام ، فلَمَّا بلغ ذلك شعبان قَمَّ عليه ، فلَمَّا ولى دِمَشْقَ أَسْتَكْرَهَا عليه وحَوَّلَه إلى نيابة صفد . ورسم للأمير يَلْبَغَا اليَحْيَاوِي نائب حلب كان ، بأستقراره في نيابة الشام .

ثم أخذ السلطان الملك الكامل في تدبير مملكته والنظر في أمور الدولة فأنعم بإقطاع أَرْقُطَاي على الأمير أَرْغُونَ شاه ، وأستقرَّ أستاذارا عوضا عن قُارِي المستقِرَّ في نيابة طرابلس . وأخرج السلطان الأمير أحمد شاذ الشرابخانة هو وإخوته من

(١) هو الأمير سيف الدين أرقطاي بن عبد الملك المنصورى . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث

سنة ٨٧٥٠ . (٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى رأس نوبة الجدارة . سيذكر

المؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٥٠ .

أجل أنهم كانوا ممن قام مع الأمير آل ملك هم وقارِى الأستادار في منع سلطنة الملك الكامل هذا . ثم خَلَعَ السلطان على عَلم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زُنْبُور^(١) باستقراره ناظر الخواص عوضا عن المَوْفَّق عبد الله بن إبراهيم ، وعُيِّنَ الأمير أرغون العلاني بالمَوْفَّق حتى نزل إلى داره بغير مصادرة .

- ثم قَدِمَ الأمير آق سُنْقَرُ الناصريّ المعزول عن نيابة طرابُلُس نَخَلَ السلطان عليه ، وسأله بِنِياة السلطنة بالديار المصرية فأَمْتَنَعَ أشدَّ اِبْتِنَاعٍ ، وحَلَفَ اِيْمَانًا مغلظة أنه لا يليها فأعفاه السلطان في ذلك اليوم .

- ثم بدا للسلطان أن يخطُب بنت بَكْتَمُر الساق فأَمْتَنَعَ أمها من إجابته وأَحْتَجَّتْ عليه بأن آبتها تحته ولا يَجْمَعُ بين أُخْتَيْنِ وأنه بتقدير أن يفارق أُخْتَهَا ، فإنه أيضا قد شَغِفَ باتِّفاق العوادة جارية أخيه الملك الصالح شَغَفًا زائدًا ، ثم قالت : ومع ذلك فقد ضَعُفَ حال المخطوبة من شدة الحزن ، فإنه أول من أَعْرَسَ عليها آنوك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان لها ذلك الميهم العظيم ، ومات آنوك عنها وهي يَكُرُّ قَرُوجَهَا من بعده أخوه الملك المنصور أبو بكر ، فقُتِلَ قَرُوجُهَا بعد الملك المنصور أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل ومات عنها أيضا ، ففصل لها حُرْنٌ شديد من كونه تَغَيَّرَ عليها عِدَّةُ أزواج في هذه المدة اليسيرة ، فلم يلفت الملك الكامل إلى كلامها وطلَّقَ أُخْتَهَا ، وأخرج جميع قُاشِهَا من عنده في ليلته ، ثم عَقَدَ عليها ودَخَلَ بها .

ثم أنعم السلطان على ابن طَشْتَمُرُ حُصَصَ أخضر بإمرة مائة وقدمه ألف بالديار المصرية ، وعلى ابن أصْلَمَ بإمرة طبلخاناه .

٢٠ (١) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٥٥ . (٢) كما يسمى « هبة الله » . ثم سمى نفسه : « عبدا لله »
حين ترجموا له باسمه الأصل . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٨٧٥٥ .

ثم في مستهل جُمَادَى الأولى خَلَعَ السلطان الملك الكامل على جميع الأمراء ^(١)المقدمين والطلبخانات ، وأنعم على ستين مملوكا بستين قَبَاءَ بطُرُز زُرْكُش وستين حِياصَةً ذهب ، وفتق الخيول على الأمراء برسم نزول المبدان ^(٢) .

ثم رَمَمَ السلطان ان يتوفَّر إقطاع النيابة للناص ، وخَلَعَ على الأمير بَيْغَرًا وأستقَرَّ حاجبًا كبيرًا . ثم نزل السلطان إلى المبدان على العادة ، فكان لتزوله يوم مشهود .
 وخلع على الشريف عَمَلَانَ بن رُمَيْثَةَ بن أَبِي مُعَى الحُسَيْنِيَّ ^(٣) باستقراره أمير مكة . ثم عاد السلطان إلى القلعة ^(٤) .

وفي يوم السبت خامس عشرين جُمَادَى الأولى قَدِمَ الأمير طُقُزْدُمَر من الشام إلى القاهرة مريضًا في حِقَّة بعد أن خرج الأمير أرغون العلاني وصحبته الأمراء إلى لقائه ، فوجدوه غيرَ وَّاجٍ ، ودَخَلَ عليه الأمراء وقد أَشْفَى على الموت ، ولَمَّا دخل طُقُزْدُمَر إلى القاهرة على تلك الحالة أخذ أولاده في تجهيز تَقْدِمة جلييلة للسلطان تشتمل على خيول ، مُخَفَّ وجواهر فَقَبِلَهَا السلطان منهم ووعدهم بكل خير .

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرغون الصالحى بتقدمة ألف ، ورَمَمَ أن يُقال له : أرغون الكامل ، ووهب له في أسبوع ثلثمائة ألف درهم وعشرة آلاف إردب من الأهرآء ^(٥) ، ورَمَمَ له بدار أحمد شاذ الشرَبخَناه ، وأن يُعَمَّرَ له

(١) في السلوك : « المقدمين في الطلبخانا » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧

من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) كذا في « م » وهو الصحيح وفي « د » : « الحسينى » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٥) يستفاد مما ذكره المؤلف بعاليه أن هذه الدار كانت تجاه الكيش ، وأنها كانت بجوار القصر الذى أنشأه أرغون الكامل بالجسر الأعظم على حافة بركة القيل تجاه الكيش أيضا .

ويستفاد كذلك من عبارة المؤلف أن الدار المذكورة التى نزل بها أرغون لما رسم له الملك الكامل شعبان بنزوله فيها فى سنة ٥٧٤٦ (قبل بناء قصره) . أنشئت فى القرن الثامن الهجرى ، لم يبق من القرن التاسع =

بحواره من مال السلطان قَصْرُ على بركة الفيل^(١) ، وَيُطَلَّ على الشارع فَيَمِيلُ له ذلك .

قلت : والبيت المذكور هو الذى كان يسكنه الملك الظاهر جَمَقْ وتسلطن منه ، ثم سكنه الملك الأشرف إينال وتسلطن منه وهو نُجَاهُ الْكَبْشِ^(٢) . انتهى .

- وفي يوم الخميس مستَهْلُ جُمَادَى الآخِرَةِ رَكِبَ السلطان الملك الكامل لِسَرَحَةٍ سِرِّيَا قَوْسٍ ومعه عساكره على العادة وأخذ حريمه صحبته ، فنصب لمن أحسن الحِمِّ في البساتين .

- ثم في يوم الجمعة قَدِمَ أولاد طُقُزْدُمَرْ على السلطان سِرِّيَا قَوْسٍ بنجر وفاة أبيهم طُقُزْدُمَرْ ، فلم يُمَكِّنَ السلطانُ الأمراءَ من العُودِ إلى القاهرة للصلاة عليه ، ورسم بإخراجه فأنجرح ودُفِنَ بِجَانَفَاتِهِ بِالْقِرَافَةِ ، وَأَخَذَتْ خِيَلُهُ وَحِمَالُهُ وَهَجْنُهُ إِلَى الإِسْطَبْلِ السُّلْطَانِيِّ .

= حيث سكنها الملك الظاهر أبو سعيد بَحَقْ ثم الملك الأشرف إينال العلاءي قبل أن توليا السلطة وكانت تولى الأول سنة ٨٤٢ هـ والثاني ٨٥٧ هـ .

- وبما أن الكبش الذى كانت تقع بجانه هذه الدار هو الجزء الشمالى الغربى من جبل يشكر ، ويعرف اليوم بقلعة الكبش التى تشرف على شارعى مراسينا والخضيرى بقسم السيدة زينب بالقاهرة ، فقد بحثت عن مكان تلك الدار بالجهة المذكورة فبين لى أنها أندثرت . ومكانها اليوم فضاء بشوارع مراسينا .

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة
(٤) ذكر المقرئى في خطه (جزء ٢ ص ٩٣) في الكلام على فندق دار الضاح : « وأما هذه الدار الأمير طُقُزْدُمَرْ بعد ستة أربعين وسبعائة ، ووقفها على خاققائه بالقرافة » . وقد أطلنا البحث عن موضع هذه الخاققاه بالقرافة فلم نجد لها أثراً ، وبتعذر الآن تعيين موقعها بين المقابر الكثيرة التى أنشئت بعدها على أرض هذه القرافة .

- (٥) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل، وأستقر حاجباً ثانياً مع بيغرا،
ورسم له أن يتحكم بين الناس، ولم تكن العادة جرت بذلك أن يحكم الحجاب بين
الناس غير حاجب الحجاب.

قلت : كان الحجاب يوم ذاك كهيئة رموس النوب الصغار الآن . انتهى .
وخلع على الأمير ملكشمر السرجواني^(١) بأستقراره في نيابة الكرك وأنهم بتقدمته
على الأمير طشتمر طليله وأنهم بطبلخانة طشتمر طليله على الأمير قبلاى^(٢).

ثم قدم على السلطان الخبر بموت أخيه الملك الأشرف بكك ابن الملك الناصر
محمد بن قلاوون عن آتقى عشرة سنة، وأتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من
قتله في مضجعه على يد أربعة خدام طواشية، فعظم ذلك على الناس فاطبة.

ثم عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة بعد ما تهتكت الممالك السلطانية
من شرب الخمر والإعلان بالفواحش وركبوا في الليل وقطعوا الطريق على المسافرين
واغتصبوا حريم الناس. ثم أخذ السلطان الملك الكامل في تجديد المظالم والمصادرات.

ثم قدم البريد على السلطان بأن الشيخ حسنا صاحب بغداد واقع سلطان شاه
وأولاد تيمرداش وأنصر الشيخ حسن وحصر سلطان شاه بماردين وأخذ ضياعها.

ثم إن السلطان الملك الكامل بدا له أن ينشئ مدرسته موضع خان الزكاة،
ونزل الأمير أرغون العلای والوزير لنظره، وكان أبوه الملك الناصر محمد قد وقفه
فلم يوافق القضاة على حله.

(١) في السلوك : « وأنهم بإقطاعه على الأمير طشتمر طليله » .

(٢) في السلوك : « وأنهم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاى » .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٤) لما تكلم المقرئ في خطه على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) قال عند كلامه
على قبة القاهرة : « ويجد السالك على يسره المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية ، وكانت =

وفي مستهل شعبان عَمِلَ السلطانُ مُهِمَّةً على بنت الأمير طُقُزْدَمَرِ الحَمَوِي سبعة أيام . وفي مستهل شوال رَسَمَ السلطانُ للأُمير أَرْغُونُ الكاملِي بِزيارة القُدُس وأنعم عليه بمائة ألف درهم ، وكتبَ إلى ثَوَابِ الشَّامِ بِالرَّكُوبِ لخدمته ، وَحَمَلَ التَّقَادِمَ وَتَجْهِيرَ الإِقَامَاتِ لَهُ فِي الْمَنَازِلِ إِلَى حِينَ عَوْدِهِ ؛ وَرَسَمَ لَهُ أَنْ يُنَادَى بِمَدِينَةِ بَلْبَيسَ وَأَعْمَالِهَا أَنَّهُ مَنْ قَالَ عَنْهُ : أَرْغُونُ الصَّغِيرُ شَتَّى ، وَالْأَيُّ قَالَ لَهُ إِلَّا أَرْغُونُ الْكَامِلِي ، فَشَهَرَ النَّدَاءَ بِذَلِكَ فِي الْأَعْمَالِ .

وفي هذه الأيام كَثُرَ لَعِبُ النَّاسِ بِالْحَمَامِ وَكَثُرَ جَرَى السُّعَاةِ ، وَتَزِيدُ شُلَاقُ الزُّعَرِ^(٢) وَتَسْلُطُ عِيْدُ الطَّوَاشِيَةِ عَلَى النَّاسِ ، وَصَارُوا كُلُّ يَوْمٍ يَقْفُونَ لِلضَّرَابِ قُتُسُفَكَ بَيْنَهُمْ دُمَاءٌ كَثِيرَةٌ . وَنُهِيتِ الْحَوَانِيتُ بِالصَّلِيلَةِ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ ، وَإِذَا رَكِبَ إِلَيْهِمُ الْوَالِي لَا يَبْعَثُونَ بِهِ ، وَإِنْ قَبِضَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أُخِذَ مِنْ يَدِهِ سَرِيعًا ، فَاشْتَدَّ قَلَقُ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ .

ثم أَخْتَرَعَ السلطانُ شَيْئًا لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَنَّهُ أَعْرَسَ السلطانُ بَعْضَ الطَّوَاشِيَةِ بِبَعْضِ سَرَارِيهِ بَعْدَ عَقْدِهِ عَلَيْهَا ، وَعَمِلَ لَهُ السلطانُ مُهِمًّا حَضَرَهُ جَمِيعُ جَوَارِي بَيْتِ السلطانِ ، وَجُلِيتِ الْعُرُوسُ عَلَى الطَّوَاشِيِ ، وَتَرَّ السلطانُ عَلَيْهَا وَقَتَ

١٥ — قَبْلَ إِنْشَائِهَا مَدْرَسَةً — فَهَذَا يَعْرِفُ بَحْثُ الزَّكَاةِ . وَلَمَّا تَكَلَّمَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى تَارِيخِ السلطانِ بَرْقُوقِ ذَكَرَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٧٨٦ هـ أَنَّ السلطانَ بَرْقُوقَ أَنْشَأَ الْمَدْرَسَةَ الْقَاهِرِيَّةَ بَيْنَ الْقَصْرِينِ مَوْضِعَ خَانَ الزَّكَاةِ .

وَمَا ذَكَرَ يَتَضَحُّ أَنَّ خَانَ الزَّكَاةِ مَكَانَهُ الْيَوْمَ جَامِعُ السلطانِ بَرْقُوقِ الْمَجَاوِرُ لِجَامِعِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَادُونَ شَارِعِ الْمَرْزُلِينِ اللَّهُ (شَارِعِ بَيْنَ الْقَصْرَيْنِ سَابِقًا) بِالْقَاهِرَةِ .

٢٠ (١) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ٣٤٧ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٢) شُلَاقُ الزُّعَرِ : سَيْئُ الْخَلْقِ . وَالشَّلَاقُ : جَمْعُ شَلَقٍ وَهُوَ مُرَادِفُ الزُّعَرِ . وَالْمُرَادُ بِهِمْ هُنَا مَنْ يَدْخُلُونَ الْخُوفَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ .

(٣) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٤ ص ١٦٣ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

الجلاء الذهب بيده ، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما يكون ، وعظم ذلك على سائر أحيان الدولة .

وفي ذى الحجة كثرت الإشاعة^(١) باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير بلبغا البجاوى نائب الشام لورود بعض مماليك آل ملك هارباً منه كونه شرب الخمر وأشاع هذا الخبر فوسم السلطان بإخراج منجك^(٢) اليوسفى السلاح دار على البريد لكشف الخبر فلما توجه منجك إلى الشام حلف له نائب الشام أنه رىء مما قيل عنه ، وأنهم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش .

ثم نودى بالقاهرة بالآي عارض أحد من لعاب الحمام وأرباب الملاهيب والسعاة ، فترأيد الفساد وشنع الأمر ، كل ذلك لمحبة السلطان في هذه الأمور .

ثم ندب السلطان الأمير طقتمش الصالحى للتوجه إلى الشام على البريد ليوقع الحوطة على جميع أرباب المعاملات ، وأصحاب الرزق^(٣) والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزّة وألا يصرف لأحد منهم شيئاً وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم يرسم سفر السلطان إلى الحجاز ، ويستترى بذلك الجمال ونحوها ، فكثرت الدعاء على السلطان من أجل ذلك ، وتغيرت الخواطر .

(١) هذه رواية الأصلين وفيها غموض وغفاه . وبالرجوع إلى السلوك للقرىزى وجدناها راقية واضحة فائنتها بنصها لأنها الرواية الصحيحة وهي : « وفيه (أى ذى الحجة) كثرت الإشاعة باتفاق الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير بلبغا البجاوى نائب الشام على المخامرة ، فجهز آل ملك محضراً ثابتاً على قاضى صفد بالبراءة مما رى به ، فأذكر السلطان عليه هذا وجه منجك السلاح دار للكشف عما ذكره ، فاتفق قدوم بعض مماليك آل ملك فآذاه من خوفه أن يضربه على شربه الخمر ، وذكره السلطان أنه رى به التوجه إلى بلاد العدو فزاد هذا السلطان كراهة فيه ، وأخرج منجك على البريد إلى بلده فلما قدم عليه حلف أنه رىء مما قيل عنه ، وأنهم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش » .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٧٦ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

- وفي هذه الأيام كَتَبَ بإحضار الأمير آل ملك نائب صفد إلى القاهرة لِيَسْتَقِرَّ على إقطاع الأمير جَنْكِي بن البابا بعد موته وتَوَجَّه لإحضاره الأمير مَنجَك السلاح دار.
- ثم في يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة أَمْسَكَ أَيْبَك أخو قُمَارِي ثم عُفِيَ عنه من يومه . ثم كَتَبَ باستقرار الأمير أَرَأَقُ الْفَتَّاحُ^(١) نائب غَزَّة في نيابة صفد بعد عزل آل ملك . وأما الأمير منجك فإنه وصل إلى صفد في أول المحرم من سنة سبع وأربعين وسبع مائة، وأستدعى آل ملك نفرج معه إلى غَزَّة ، فقبض عليه بها في اليوم المذكور، وقيل بل في سادس عشرين ذى الحجة من سنة ست وأربعين . انتهى .
- ثم في أول المحرم المذكور قَدِمَ إلى جهة القاهرة الأمير مَلِكْتَمُرُ السَّرْجَوَانِي من نيابة الكرك فمات بمسجد التَّيْنِ خارج القاهرة ودُفِنَ بقرته . ثم قَدِمَ إلى القاهرة الأمير أحمد بن آل ملك فقبض عليه ويُحِبُّ من ساعته . وخَلَعَ السلطان على الأمير أَسَدْمُرُ الْعُمَرِي باستقراره في نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قُمَارِي .

- وفي يوم الاثنين سادس المحرم قَدِمَ الأمير آل ملك والأمير قُمَارِي نائب طرابلس مقبدين إلى قُليوب وركبا النيل إلى الإسكندرية فاعتقلا بها . وكان الأمير طَقْتَمُرُ الصَّلَاحِي قبض على قُمَارِي لما توجه للحوطة على أملاك الشام ، وقيده وبعثه على البريد . ثم ندب السلطان الأمير مُغَلَطَاي الأستادار لإيقاع الحوطة على موجود آل ملك ، وندب الطواشي مُقْبِلًا التَّقْوَى لإيقاع الحوطة على موجود قُمَارِي نائب طرابلس ، وألزم مباشريهما بحمل جميع أموالهما ، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين

(١) في السلوك للقرنزي : « سيف الدين أوداق الفلاح » بوابعد الالف .

(٢) هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم بقرب سراي القبة بضواحي القاهرة ، ويعرف الآن بزاوية محمد التبري . وقد تكلمنا عليه في الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) بحثنا عن موضع هذه التربة في الكتب التي تحت يدينا فلم نجف لها على أثر .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ألف إردب غلة، وألزم ولده بمائة ألف درهم، وأخذ زوجته خيبة فيها أشياء جليلة، وأخذ أيضا لزوجته قمارى صندوقا فيه مائت جليل .

ثم خلع السلطان على الأمير أرسلان بصل الحاجب الثانى فى نيابة حماة عوضا عن أرقطاي وكتب بقدم أرقطاي، فقدم أرقطاي إلى القاهرة فأنعم عليه السلطان بإقطاع جنكلى بن البابا بعد وفاته، وأستقر رأس الميمنة مكان جنكلى . ثم خلع السلطان على زوج أمه الأمير أرغون العللى وأستقر فى نظر البيارستان المنصورى عوضا عن الأمير جنكلى بن البابا فترل إليه أرغون العللى وأصلح أموره، وأنشأ بجوار باب البيارستان المذكور سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة الأيتام، ووقف عليه وقفا .

(١) هكذا ورد فى الأصلين . ومبارة السلوك : « وفى هذا الشهر (المهرم) أستقر الأمير رسلان بصل فى نيابة حماة عوضا عن طغتمر الأمدى ونقل طغتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب عوضا عن الأمير أرقطاي وكتب بقدم أرقطاي ... الخ » .

(٢) فى السلوك : « رسلان بصل » بدون ألف

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) ذكر المؤلف أن أرغون العللى لما أول نظر البيارستان (المستشفى) المنصورى أصلح أموره وأنشأ بجوار باب سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة الأيتام . وبما أن البيارستان أكثر من باب وجب أن أبين للقارئ أن باب البيارستان المنصورى الذى بنى بجواره السبيل والمكتب هو الباب الكبير الأصل الذى يشرف على شارع المزلدين الله ويؤدى إلى الدهليز الفاصل بين قبة ربه الملك المنصورى قلاوون وبين المدرسة المنصورية، ثم يوصل إلى مكان البيارستان

ذكر المؤلف أن أرغون أنشأ بجوار الباب المذكور سبيلا ومكتبا، والصواب أن السبيل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون بمباشرة الأمير آقوش نائب الكرك، ولا يزال هذا السبيل موجودا وعليه اسم الملك الناصر . وأما أرغون فقد أنشأ فقط المكتب، كما ورد فى ترجمته فى كتاب الدرر الكامنة لأبن حجر، وكان هذا المكتب على يسار الداخل إلى باب البيارستان بينه وبين السبيل القائم فى الناصية البارزة من المدرسة المنصورية المعروفة الآن بجامع السلطان قلاوون بشارع المزلدين الله بالقاهرة . وقد تهدم المكتب المذكور ولم يبق منه غير الأعمدة التى كانت محمله، وهى لا تزال قائمة على يسار باب البيارستان إلى اليوم .

ثم خَلَعَ السلطان على الأمير نجم الدين محمود [بن علي^(١)] بن شروين وزير بغداد وأعيد إلى الوزارة بالديار المصرية ، وكان لها مدة شاذرة ، وخلَعَ على علم الدين عبد الله ابن زنبور وأستقر ناطق الدولة عوضا عن ابن مراحل^(٢) .

وفي هذه الأيام آتته عمارة قصر الأمير أرغون الكامل بالجسر الأعظم تجاه الكُش^(٣) ، بعد أن صرف عليه مالا عظيما ، وأخذ فيه من بركة الفيل نحو العشرين ذراعا ، فلما عزم أرغون إلى التزول إليه مريض فقلق السلطان لمرضه وبعث إليه بفرس وثلاثين ألف درهم يُصدَّق بها عنه . وأفرج عن أهل السجون ، وركب السلطان لميادته بالميندان^(٤) .

(١) تكملة عن الدرر الكامنة .

(٢) كذا في الدرر الكامنة والمثل « ابن مراحل » بالجم وهو الرواية الصحيحة وهو صاحب نفق الدين سليمان بن علاء الدين علي بن عبد الرحيم بن أبي سالم بن مراحل الدمشقي . ونظر الدولة بمصر ثم واصل الوزارة بدمشق سبعا ثم كثر الخلف وقته في حوادث سنة ٧٦٤ هـ . وفي الأصلين : « ابن مراحل » بالخاء المهملة . (٣) هذا القصر ذكره المقرئ في خطه باسم دار أرغون الكامل (ص ٧٣ ج ٢) قال : إن هذه الدار بالجسر الاظم على بركة الفيل . أنشأها الأمير أرغون الكامل في سنة ٧٤٧ هـ وأدخل فيها قطعة من أرض بركة الفيل .

وذكر على باشا مبارك في الخطط التوفيقية (ص ١١٩ ج ٢) أن هذه الدار عملها الحوض المقابل لجامع الجاولي المعروف بحوش إبراهيم شركن وما جاوره إلى الحوض المرصود .

وبما أن الجسر الأعظم الذي كان عليه هذا القصر هو الذي يعرف اليوم باسم شارع مراينا بقسم السيدة زينب بالقاهرة ، وأن جامع الجاولي يشرف على هذا الشارع بجوار الكُش ، وأن بركة الفيل كانت تنتهي قديما إلى أرض الحوض المرصود التي بها اليوم منزه الحوض المرصود بشارع مراينا . وقد بحثت عن مكان ذلك القصر بتلك الجهة ختينا أنه زال وأندثر .

(٤) سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٧٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٥) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٦) راسع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم أهتم السلطان بسفره إلى الججاز وأخذ في تجهيز أحواله . وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر ولد للسلطان ولدٌ ذكرٌ من بنت الأمير بكتمر الساقى .
ثم في يوم السبت ثانى عشرين صفر أفرج السلطان عن الأمير أحمد بن آل ملك وعن أنى قسارى وأمرهما بلزوم بيتهما .

وفي أول شهر ربيع الأول توجه السلطان إلى ميرياقوس وأحضر الأوباش فلبّوا قدامه باللبخة^(١) وهى عصيٌ يجار، حدث اللعب بها في هذه الأيام، ولما لعبوا بها بين يديه قتل رجلٌ رفيقه ، فخلع السلطان على بعضهم وأنعم على كبيرهم بجُز في الحلقة، واستمر السلطان يلعب بالكرة في كل يوم وأعرض عن تدبير الأمور ، فتمزدت الممالك وأخذوا حرم الناس وقطعوا الطريق وقسدت عدّة من الجوارى ، وكثرت الفتن حتى بلغ السلطان فلم يعبأ بما قيل له ، بل قال : خلوا كل أحد بعمل ما يريد . فلما خَشَّ الأمر قام الأمير أرغون العلانى فيه مع السلطان حتى عاد إلى القلعة وقد تظاهر الناس بكل قبيح ونصبوا أخصاصاً بالجزيرة الوسطانية وجزيرة

(١) البخة : لعبة نفسى عند عامة مصر بالتحطيط (أى اللعب بالنيرت) وهى مأخوذة من الحطب . وهى هنا من حطب البخ . والبخ : شجر عظام كانت تنشر الألواح ويجعلها أصحاب المراكب في بناء السفن فتلصق بعد عام وتصير لوحاً واحداً ، وكان هذا البخ له ثمراً خضر يشبه التمر حلواً جداً إلا أنه كره وهو جيد لوجع الأضراس .

وقد وصف البخة المثمرة عبد اللطيف البغدادى في رحلته إلى مصر وراها أبن مكرم صاحب لسان العرب بجزيرة مصر (الروضة) وشهدا المقرئى مثمرة . ولم نعد نسمع عنها شيئاً بعد ذلك ، وهو غير البخ المعروف لنا . قال الشيخ الشعالى في الطبقات الكبرى فى ترجمة مئات الخطاب المتوفى سنة نيف وخمسمائة : « وكان شجاعاً يلعب البخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويرد الجميع فلا تصبه واحدة » . انظر لعب العرب للرحم تيمورباشا ، ورحلة البغدادى عبد اللطيف . والمقرئى فى الخطوط . واللسان مادة « لبخ » . (٢) هى بذاتها جزيرة بولاق التى كانت تسمى جزيرة أروى . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

- بولاق سَمَّوْهَا حَلِيمَةً ، بلغ مصروفُ كُلِّ حُصٍّ منها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم ، وكان هذا المبلغ يوم ذاك بحقِّ مَلِكٍ هائل . وعُمِلَ في الأخصاص الرُّخام والدَّهَان البديع ، وزُرِعَ حوله المقائى والرياحين وأقام بالأخصاص المذكورة معظمُ الناس من الباعة والتُّجَّار وغيرهم ، وكشفوا سِتْرَ الحياء ، وما كَفَّوْا في التَّهْتِكِ في حَلِيمَةَ والعلمية ^(٢١) وتنافسوا في أرضها ، حتَّى كان كُلُّ قِصْبَةٍ قياسُ ثَوْبَ جَرٍّ بعشرين درهماً ،

- (١) ذكرها المقرئى في خطه (ص ١٨٦ ج ٢) فقال : إن الجزيرة التي عرفت بحليمه خرجت أى ظهرت في مجرى النيل في سنة ٧٤٧ هـ بين بولاق والجزيرة الوسطى ستمها العامة بحليمه ، وقد ذكر المقرئى ارتفاع إيجار أرض هذه الجزيرة ، وما أقيم فيها من الأخصاص ، وما يجده فيها أهل الخلاعة والمجون والتهتك بأنواع المهزومات حتَّى بلغ إيجار الفدان الواحد مدة الانتفاع بأرضه فيما ذكر نحو ستة أشهر من السنة بمبلغ ستة عشر ألف درهم ؛ ومن أراد زيادة البيان في هذا الموضوع فليرجع إلى المخطط المقرئى .
- وبالبحث عن موضع هذه الجزيرة تبين لى أنها كانت مجاورة للجزيرة الوسطى تجاه بولاق ثم اتصلت بها بواسطة طرَح البحر ، وأصبحت الجزيرتان جزيرة واحدة هي الجزيرة الكبيرة الواقعة الآن تجاه بولاق ، وكانت جزيرة حليمه تشغل في أرض الجزيرة الحالية المنطقه التى تحده اليوم تقريباً من الشرق يجرى النيل ومن الشمال شارع فؤاد الأول ، ومن الغرب شارع الأمير فؤاد وما فى امتداده إلى أرض نادى الألعاب الرياضية . ثم سير الحد إلى الجنوب مخترقاً أرض ذلك النادى ، وفيها يميل الحد إلى جهة الشرق بدوران خفيف حتَّى يتقابل بالنيل عند النقطة التى يتلاقى فيها شارع الجزيرة بشارع سراى الجزيرة .

- (٢) لما تكلم المقرئى في خطه على الجزيرة التى عرفت بحليمه (ص ١٨٦ ج ٢) قال : وبلغ أجرة كل قصبة مربعة في هذه الجزيرة وفي جزيرة العلمية التى بين مصر والجزيرة مبلغ عشرين درهماً فقرة . ثم لما تكلم على جزيرة الصابونى (ص ١٨٥ ج ٢) قال : إن هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار والرباط من جملتها . وقفها أبو الملك نجم الدين بن شادى هي قطعة من بركة الحبش ، بفعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده والنصف الآخر على صوفية خاتناه الصابونى المجاورة لقبه الإمام الشافعى ، وبذلك عرفت بجزيرة الصابونى .

- ورود في كتاب وقف السلطان قنصوه النورى المحترق سنة ٩١٦ هـ وكذلك في دليل أسماء البلاد المحترق في سنة ١٢٢٤ هـ أن جزيرة العلمية هي جزيرة الصابونى ومذكور في كتاب الوقف المذكور أن هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار الشريفة وجامع ابن اللبان ، وبناء على ما ذكر بحثنا عن موقع جزيرة الصابونى التى تعرف بجزيرة العلمية فتبين لنا أنها لا تزال موجودة إلى اليوم باسم جزيرة دير العطين ، لأن معظم أراضيها واقعة تجاه أراضي ناحية دير النعين ، والقسم الشمال منها يقع تجاه ناحية أثرائى التى بها رباط الآثار .

فبلغ أجرة الفدان الواحد ثمانية آلاف درهم ، فأقاموا على ذلك ستة أشهر ، حتى زاد الماء وغرقت الجزيرة ، وقبل مجيء الماء بقليل قام الأمير أرغون العلّاق في هدمها قياماً عظيماً ، وحرّق الأخصاص على حين غفلة وضرب جماعة وشهرهم فتلف بها مالٌ عظيم جداً .

وفي هذه الأيام قلّ ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يُحاض ، وصار من بولاق إلى منشأة المهرآني طريقاً يمتدّ فيه ، ومن بولاق إلى جزيرة الفيصل وإلى المنية طريقاً واحداً . وبعد الماء على السقّيين وصاروا يأخذون الماء من ثُجّاه قرية مُنْبَاة ، وبلغت راوية الماء إلى درهين بعدما كانت بنصف درهم وربع درهم . فشكا الناس ذلك إلى أرغون العلّاق فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة وأنكشاف ما تحت بيوت البحر ، فركب السلطان ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة ، حتى كُشِفَ ذلك ، فوجدوا الوقت فيه قد فات لزيادة النيل ، وأقتضى

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة

(٢) هي مدينة بولاق الواقعة على النيل وأحد أقسام مدينة القاهرة . سبق التعلّق عليها في الحاشية

رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هي المنطقة الواقعة على النيل بين مستشفى قصر العيني وميدان تم الخليج بالقاهرة . سبق التعلّق

عليها في الحاشية رقم ٣ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) هي المنطقة الواقعة فيها اليوم قسماً شيراً وروض الفرج بمدينة القاهرة . سبق التعلّق عليها في الحاشية

رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة

(٥) المقصود بما مية الشرج الداخلة في حدود قسم شبرا بالقاهرة . سبق التعلّق عليها في الحاشية

رقم ١ ص ١٨٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وأما الطريق التي كانت بين هذه الأمكنة فهي التي

ذكرها المقرئ في خطه باسم الجسر من بولاق إلى مية الشرج . سبق التعلّق عليه في الحاشية رقم ١

ص ١٩٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٦) راجع الاستدراكات الواردة في ص ٣٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الرأى أن يُنقل التراب والشقاف من مطابخ السكر بمدينة مصر وترقى من برّ الجيزة إلى المقياس حتى يصير جسراً يُعمل عليه العمل، حتى يدفع الماء إلى الجهة التي يُحسّر عنها، فُنقِلَت الأتربة في المراكب وأُلقيت هناك إلى أن بقي جسراً ظاهراً وتراجع الماء قليلاً إلى برّ مصر، فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر وأخذهُ ومحا أثرهُ .

(١) المقصود مقياس النيل الواقع في الطرف الجنوبي من جزيرة الروضة بجها مصر القديمة . سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٤ ص ١٥٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . وأضيف هنا إلى ما سبق ذكره أن هذا المقياس قد بطل استعماله في مقياس ماء النيل من سنة ١٨٨٧ بسبب ما طرأ على عموده من الخلل، فأنشأت نظارة الأشغال في تلك السنة مقياساً من الرخام مثبتاً على حائط مبنية على حافة الشاطئ الشرقي لجزيرة الروضة بجها المقياس الأصل من الجهة الشرقية .

ومن سنة ١٩٣٥ بدأت وزارة الأشغال العمومية في ترميم العمود وإصلاحه هو والبئر التي فيها ذلك العمود . وفي سنة ١٩٣٨ أغامت الوزارة المذكورة حول البئر حافظاً من الأسمت المسلح لمنع دخول الماء إلى المقياس . ثم أقامت فوق البئر القبة الحالية وهي على طراز القبة التي كانت مركبة عليه في عهد السلطان سليمان الأول العثماني ونقلت صورتها من كتاب المسير نوردين الدانجركي . وقد بلغ مجموع ما صرف في ترميم وعمارة هذا المقياس من سنة ١٩٣٥ إلى اليوم حوالي خمسة وخمسين ألف جنيه، وبسد ذلك انتهى به الأمر فتح نسر ماء النيل إليه وبطل استعماله في الغرض الذي أنشئ من أجله، واحتفظت به وزارة الأشغال باعتباره أثراً من الآثار ذات القيمة التاريخية في مصر .

(٢) في مدة تحاريق النيل في الزمن الماضي كان البحر يحف ماؤه تحت شاطئ القاهرة في المسافة الواقعة بين مصر القديمة وبولاق، وبذلك يصبح الماء تحت شاطئ الجزيرة بعيداً عن سكان القاهرة فيصعب عليهم نقله من تحت برّ الجزيرة، لذلك كان الملوك السابقون يقيمون مدة التحاريق في مجرى النيل الحالي جسراً مؤقتاً من التراب بدعائم من الخشب، وكان ذلك الجسر يمتد في النيل ما بين سكن مدينة الجيزة وما بين الطرف الجنوبي لجزيرة الروضة عند المقياس لغرض تحويل ماء النيل من الغرب إلى الشرق، وبذلك تتوفر المياه تحت مصر القديمة وبولاق وتصبح قريبة من القاهرة فيأخذ منها الناس ما يلزم لشربهم ومعالجهم مدة التحاريق، وبعد ذلك يزول الجسر بقوة اندفاع ماء النيل أثناء الفيضان ولا يجدد عند الحاجة إليه .

وهذا الجسر ذكره المفريزي في خطه بأسم الجسر فيما بين الروضة والجزيرة (ص ١٦٧ ج ٢) وتكلم عليه بالتحويل، ومن أراد الوقوف على تاريخ الجسر المذكور فليراجع المخطط المفريزي .

وفي هذه الأيام لعب السلطان الكرة مع الأمراء في الميدان من القلعة فأصطدم الأمير ^(١) يلْبغا الصالحي مع آخر سقطا معا عن فرسيهما إلى الأرض، ووقع فرس يلْبغا على صدره فأقطع نخاعه ومات لوقته فأنعم السلطان بإقطاعه على قُطْلُوبغا الكرّكي.

ثم في هذه الأيام اشتدت المطالبة على أهل النواحي بالجمال والشعير والأعدال والأخراج لسبب سفر السلطان إلى الحجاز وكثرت مغارمهم إلى الولاة وشكا أرباب الإقطاعات ضررهم للسلطان فلم يلتفت لهم، فقام في ذلك الأمير أرغون شاه الأستاذار مع الأمير أرغون العلائي في التحدث مع السلطان في إبطال حركة السفر فلم يُصْغِ لقولهم، وكتب باستعجال العُربان بالجمال واستحثاث طَقْتُمُر الصّلاحي فيما هو فيه بصدد السفر.

ثم أوقع السلطان الحوطة على أموال الطواشي عَرَفات وأخرج عَرَفات إلى الشام منفيًا. ثم قصد السلطان أخذ أموال الطواشي كافور الهندى، فشَقَمَتْ فيه خوند طغاي زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان كافور المذكور من خواص خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون فأخرج كافور إلى القدس، وكافور المذكور هو صاحب التربة بقرافة مصر، ثم قى السلطان أيضا ياقوتا الكبير الخسادم، وكافورا المحرم ومسرورا الدمايني، ثم قى ديناارا الصوّاف ومُختَصّا الخطاى.

ثم في أول شهر ربيع الآخر مات ولد السلطان من بنت بكتُمُر الساقى وولد له من إلتاق العَوادة حَظِيّة أخيه ولد سَتماء شاهنشاه وسُرّبه سرورا عظيما زائدا، وعَمِل

(١) هكذا ورد في الأصلين . وفي السلوك : « بينا الصالحي » ولم نهند الى وجه الصواب فيه .

(٢) ذكرت كل المصادر التي تحت يدينا هذه التربة أنها بقرافة مصر وبالبحث عن معرفة موقعها بذلك

القرافة فلم نقف لها على أثر . (٣) في أحد الأصلين والسلوك : « المحرم » بالميم . وما أثبتناه عن

الأصل الآخر وهو ما يقتضيه السياق . (٤) في السلوك : « مات ولد السلطان من أبة الأمير توكو »

مُهْمًا عَظِيمًا مَدَّةَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ . ثُمَّ مَاتَ أَخُوهُ يَوْسُفُ بْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَافُونَ وَأَتَتْهُمُ السُّلْطَانُ أَيْضًا بِقَتْلِهِ .

- ثُمَّ قَدِيمٌ طُقُتُمَرُ الصَّلَاحِيِّ مِنَ الشَّامِ بِالْقَاشِ الْمُسْتَعْمَلِ بِرِيسِ الْجِجَازِ . ثُمَّ قَدِيمٌ كِتَابُ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِيِّ نَائِبِ الشَّامِ يَتَضَمَّنُ خَرَابَ بِلَادِ الشَّامِ مِمَّا أُتِفِقَ^(١) بِهَا مِنْ أَخْذِ الْأَمْوَالِ وَأَقْطَاعِ الْجَالِبِ إِلَيْهَا ، وَالرَّأْيُ تَأْخِيرُ سَفَرِ السُّلْطَانِ إِلَى الْجِجَازِ الشَّرِيفِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَنَاقِمْ الْأَمِيرِ أَرْغُونَ الْعِلَاقِي وَمَلِكُتُمَرُ الْجِجَازِيَّ فِي تَصْوِيبِ رَأْيِ نَائِبِ الشَّامِ وَذِكْرِهِ لِلْسُّلْطَانِ أَيْضًا مَا حَدَّثَ بِلَادَ مِصْرَ مِنْ نِقَاقِ الْعُرَبَانِ وَضَرَرِ الزَّرْعِ وَكَثْرَةِ مَغَارِمِ الْبِلَادِ ، وَمَا زَالَا بِهِ حَتَّى رَجَعَ عَنْ سَفَرِ الْجِجَازِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى نَائِبِ الشَّامِ بِقَبُولِ رَأْيِهِ ، وَكَتَبَ لِلْأَعْمَالِ بِاسْتِرْجَاعِ مَا قَبَضَتْهُ الْعُرَبُ مِنْ يَكْرَاهِ الْأَحْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُوَافَقْ هَذَا غَرَضَ نِسَاءِ السُّلْطَانِ وَوَالِدَتِهِ ، وَأَخَذَتْ^(٢) فِي تَقْوِيَةِ عِزِّهِ عَلَى السَّفَرِ لِلْجِجَازِ حَتَّى مَالِ الْيَهْمِ ، وَكَتَبَ لِنَائِبِ الشَّامِ وَحَلَبَ وَغَيْرِهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ سَفَرِ السُّلْطَانِ إِلَى الْجِجَازِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِجَمَلٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ الْأَهْتَامُ ، وَتَجَدَّدَ الطَّلَبُ عَلَى النَّاسِ وَغَلَاءُ الْأَسْعَارِ ، وَتَوَقَّفَتْ الْأَحْوَالُ وَقَلَّ الْوَاصِلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَأَخَذَ الْأَمْرَاءُ فِي أَهْبَةِ السَّفَرِ مُهْمَةَ السُّلْطَانِ إِلَى الْجِجَازِ ، وَقَلَقُوا لِذَلِكَ ، وَسَالُوا أَرْغُونَ الْعِلَاقِي وَمَلِكُتُمَرُ الْجِجَازِيَّ فِي الْكَلَامِ مَعَ السُّلْطَانِ فِي إِبْطَالِ السَّفَرِ وَمَعْرِفَةِ رِقَّةٍ حَالِمٍ مِنْ حِينَ تَجَارِ يَدُهُمْ إِلَى الْكَرْكِ فِي نَوْبَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ ، فَكَلَّمَا السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ فَأَشْتَدَّ غَضَبُهُ وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ ، فَمَا زَالَا بِهِ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ . وَرَسَمَ مِنَ الْغَدِ لَجَمِيعِ الْأَمْرَاءِ بِالسَّفَرِ ، وَمَنْ عَجَزَ عَنِ السَّفَرِ يُقِيمُ

(١) فِي « م » : « مَا اتَّفَقَ بِهَا ... الخ » .

(٢) هَكَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ ، وَرَاجِعَ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ١٥ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٣) فِي السُّلُوكِ : « وَتَرَفُّهُ ... الخ »

بالقاهرة ، فاشتد الأمر على الناس بمصر والشام من كثرة السحر ، وكثرت دماؤهم على السلطان ، وتكثرت قلوبُ الأمراء ، وكثرت الإشاعة بنكر السلطان على نائب الشام ، وأنه يريد مسكه حتى يلقه ذلك ، فاحترز على نفسه ، وبلغه قتل يوسف ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقوة عزيم السلطان على سفر الحجاز موافقة لأغراض نسائه ، فجمع أمراء دمشق ، وحلفهم على القيام معه ، وبرز إلى ظاهر دمشق في نصف جمادى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طرطفاى الشمقندار نائب جنح والأمير أراق الفتاح نائب صفد والأمير أسدصر نائب حماة والأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس ، فاجتمعوا جميعا بظاهر دمشق مع عسكري دمشق لخلع الملك الكامل شعبان هذا ، وظاهروا بالخروج عن طاعته ، وكتب الأمير يلبغا اليجاوى نائب الشام إلى السلطان : بأنى أحد الأوصياء عليك ، وأن مما قاله السلطان السعيد الشهيد ، رحمه الله تعالى ، (يعنى عن الملك الناصر) لى وللأمراء فى وصيته : إذا أقم أحدًا من أولادى ولم ترضوا بسيرته جرؤا برجله وأخرجوه وأقيموا غيره أحدًا ، وأنت أفسدت الملكة وأفقرت الأمراء والأجناد ، وقتلت أخاك وقبضت على أكابر أمراء السلطان وأشتغلت عن المسك والتهيت بالنساء وشرب الخمر ، وصرت تبغ أخبار الأجناد بالفضة ، وذكر له أمورًا فاحشة عملها ، فقدم كتابه إلى القاهرة فى يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى فلما قرأه السلطان تغير تغيرًا كبيرًا ، وأوقف أرغون العلائى عليه بمفرده ، فقال له أرغون العلائى : والله لقد كنت أحسب هذا ! وقلت لك فلم تسمع قولى ، وأشار عليه بكتان هذا ، وكتب الجواب يتضمن التلطف فى القول : وأخرج الأمير منجك اليوسفى على البريد

(١) هذه الكلمة غير موجودة فى « م » .

(٢) فى الأصلين : « يوم الخميس » . والتصويب عن السلوك والتوفيقات الإلهامية .

إليه في ثاني عشرينه ، ليرتجعه عما عزم عليه ، ويكشف أحوال الأمراء . وكتب
السلطان إلى أعمال مصر بإبطال السلطان سقر المجاز فكثرت القالة بين الناس بخروج
نائب الشام عن الطاعة ، حتى بلغ ذلك الأمراء والممالك ، فأشار أرغون العلاني
على السلطان بإعلام الأمراء الخبر ، فطلبوا إلى القلعة ، وأخذ رأيهم فوقع الاتفاق
على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاي ، ومعه من الأمراء [منكيغا ^(١)]
الفخري أمير جاندار وآق سقر الناصري وطيبغا المجدي وأرغون الكامل وأمير على
أبن طغريل الطوظاني وأبن طقزدمر وأبن طشتمر وأربعون أمير طبلخاناه ،
وأربعون أمير عشرة وأربعون مقدم حلقة ، وحملت الثقة إليهم لكل مقدم ألف
ألف دينار ، ماعدا ثلاثة مقدمين ، لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار . وكتب بإحضار
الأجناد من البلاد ، فقدم كتاب منجك من الفور بموافقة تواب الشام إلى نائب
الشام ، وأن التجربة إليه لا تفيد ، فإنه يقول : إن أمراء مصر معه .

ثم قدم كتاب نائب الشام ثانيا ، وفيه خط الأمير مسعود بن خضير وأمير على بن
قراسنقر وقلاوون وحسام الدين البشمقدار يتضمن أنك لا تصلح لللك ، وإنما أخذته

(١) تكة عن السلوك .

(٢) هو غور فلسطين ، وهو حوض نهر الشريعة الكبير المسمى نهر الأردن ، وهو ثالث أقسام
فلسطين : السهل الساحلي فالقسم الجبل فالنور ، وهو المنخفض العظيم من الأرض الذي لا توجد بقعة
أبلغ منه انخفاضاً على سطح الكرة الأرضية ، لهذا كان موضوع عناية علماء الجغرافيا وعلم طبقات الأرض .
يلغ انخفاض في الشمال عند مجرى الحولة وطبرية ٨٦ متراً في الجنوب عند البحر الميت ٣٩٤ متراً من
سطح البحر الأبيض المتوسط .

ومعظم وادي النور غير ملائم للصحة لعظم انخفاضه وارتفاع الجبال من غربيه ومجاورة الصحراء من
شرقيه . والقسم العظيم منه قفر لا نبات فيه لانخفاض مجرى النهر عن الأراضي المجاورة ، لكن القسم
الجنوبي منه يزرع لخصب تربته ولكثرة الروافد العديدة التي تصب فيه . راجع ولاية بيروت (ج ١ ص ٤٠)
نصر الحسين روجي (ص ١٢) . (٣) في السلوك : « بمرافة التواب لنائب الشام » .

(١) بالقلبة من غير رضا الأمراء — ثم عدد ما فعله — ونحن ما بقينا نصنع لك وأنت ما تصنع لنا، والمصلحة أن تعزل نفسك من الملك ليتولى غيرك، فلما سمع السلطان ذلك استدعى الأمراء وحلفهم على طاعته ثم أمرهم بالسفر فخرجوا من القد وخرج طلب متكل بئا وبعده أرغون الكامل، فعند ما وصل طلب أرغون إلى تحت القلعة خرجت ريج شديدة ألقت شالبش أرغون الكامل على الأرض، فصاحت العاقبة: راحت عليكم يا كاملية وتظيروا بأنهم غير منصورين. ثم أخذ الأمراء المجرودون في الخروج شيئا بعد شيء. وقدم حلاوة الأوجاق يُخبر بأن متجك ساعة وصوله إلى دمشق قبض عليه الأمير يلبغا نائب الشام وحبسه بقلعة دمشق، فبعث السلطان بالطواشي سرور الزيني لإحضار أخوى السلطان، وهما أمير حاج وأمير حسين فأعذرا بوعكهما وبعث أمهاتهما إلى العلائي والمجازي تسألانها في التلطف مع السلطان في أمرهما، وبلغت العلائي بمض جوارى زوجته أم السلطان بأنها سمعت السلطان وقد سكر وكشف رأسه وهو يقول: «يا إلهي أعطيتني الملك وملكتني آل ملك

(١) رواية السلوك: « ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت ما تصلح لنا ».

(٢) الطلب: لفظ كردى معناه الأمير. ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش،

وكان أول استعمال هذا اللفظ بمصر والشم أيام صلاح الدين الكبير. (انظر تكملة المعجم العربية لعدوى).

(٣) الشالبش (الجالبش): اسم لعلم من الأعلام التي كانت يحملها جيوش المماليك في الحروب.

وكان من الحسري الأبيض الطرز، تعلق في أعلاه خصلة من الشعر. والجالبش كلمة تركية معناها مقدمة القلب، وسمى بذلك لأن ترتيب جالبش السلطان في المواقع التي يحضرها يكون عادة في قلب الجيش.

(٤) كذا في الأصلين والسلوك. وفي الدرر الكامنة والمنهل السافي أنه يسمى: « بها در حلاوة

الأوجاق » كان مقدم البريدية. توفي سنة ٧٤٤ هـ. ومن هذا لا يستلزم أن حلاوة الأوجاق

هذا هو جوار حلاوة الأوجاق المتقدم، بل هو بردي آخر سمي بهذا الاسم مع العلم بأن الكلام هنا

في حوادث سنة ٧٤٦ هـ.

(٥) في الأصلين: « لإحضار أخوة السلطان... الخ ». وما أثبتناه من السلوك وهو ما يقتضيه السياق.

وَمُسَارِي ، وَبَقِيَ مِنْ أَعْدَائِ أَرْغُونِ الْعِلَائِي وَمَلِكْتُمُ الْمَجَازِي فَكُنِّي مِنْهُمَا حَتَّى
 أَلْبَغَ غَرَضِي مِنْهُمَا ، ، فَأَقْلَقَ أَرْغُونُ الْعِلَائِي هَذَا الْكَلَامَ . ثُمَّ دَخَلَ عَلَى السُّلْطَانِ
 فِي خَلْوَةٍ فَإِذَا هُوَ مُتَغَيِّرُ الْوَجْهِ مُفَكِّرٌ ، فَبَدَّرَهُ بِأَنْ قَالَ لَهُ : مَنْ جَاءَكَ مِنْ جِهَةِ إِخْوَتِي ،
 أَنْتَ وَالْمَجَازِي ؟ فَعَرَفَهُ أَنَّ النِّسَاءَ دَخَلْنَ عَلَيْهِمَا [وَطَلَبْنِ^(١)] أَنْ يَكُونَ السُّلْطَانُ طَيْبَ الْخُلَاطَرِ
 عَلَيْهِمَا وَيُؤْمِنَهُمَا ، فَإِنَّهُمَا خَائِفَانِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ جَوَابًا جَافِيًا ، وَوَضَعَ يَدَهُ
 فِي السِّيفِ لِيَضْرِبَهُ بِهِ ، فَقَامَ أَرْغُونُ عَنْهُ لِيَنْجُو بِنَفْسِهِ ، وَعَرَفَ الْمَجَازِي مَا جَرَى لَهُ
 مَعَ السُّلْطَانِ وَشَكَاهُ مِنْ فُسَادِ السُّلْطَنَةِ ، فَتَوَحَّشَ خَاطِرُهُمَا ، وَأَقْطَعَ أَرْغُونُ الْعِلَائِي
 عَنِ الْخِدْمَةِ وَتَعَلَّى ، وَأَخَذَتْ الْمَالِكُ أَيْضًا فِي التَّنَكُّرِ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَكَاتَبَ بَعْضُهُمْ
 نَائِبَ الشَّامِ ، وَأَتَفَقُوا بِأَجْمَعِهِمْ ، حَتَّى أَشْتَهَرُ أَمْرُهُمْ ، وَتَحَدَّثَ بِهِ الْعَامَّةُ وَأَلْحَ
 السُّلْطَانُ فِي طَلَبِ أَخُوهِ ، وَبَعَثَ قَطْلُوبَغَا الْكَرْكِيَّ فِي جَمَاعَةٍ حَتَّى هَجَمُوا عَلَيْهِمَا
 لَيْلًا ، فَقَامَتِ النِّسَاءُ وَمِنْهُمْ مِنْهُمَا فَهَمَّ أَنْ يَقُومَ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَأْخُذَهُمَا ، بَغْيًا
 بِهِمَا إِلَيْهِ وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ تَاسِعِ عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى فَأَدْخَلَهُمَا إِلَى
 مَوْضِعٍ وَوَكَّلَ بِهِمَا ، وَقَامَ الْعَزَاءُ فِي الدُّورِ السُّلْطَانِي عَلَيْهِمَا ، وَأَجْتَمَعَتْ جَوَارِي الْمَلِكِ
 النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَادُونَ وَأَوْلَادُهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ الْمَالِكُ صِيَاحَهُنَّ هَمَّوَا بِالثَّوَرَةِ
 وَالرُّكُوبِ لِلْحَرْبِ وَتَعَبُوا .

١٥

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مَسْتَهْلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ خَرَجَ طَلَبُ أَرْقُطَايَ مُقَدِّمِ
 الْعَسَاكِرِ الْمَجُودِينَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَابِ زَوِيلَةَ وَوَقَفَ هُوَ مَعَ الْأُمَرَاءِ

(١) زيادة مقتضيا السياق . (٢) في ف : « إخوته » ونصحيه عما تقدم قبل ذلك

بقيل . وقد توسع ابن الماس في أخبار أولاد الناصر محمد بن قلاوون فراجع الجزء الأول منه .

(٣) في ف « التركي » . (٤) في ف : « ومنعهم » . (٥) في ف : « منهم »

(٦) في ف : « أخذهما » . ونصحيه عن « م » وما تقدم ذكره .

(٧) هو أحد أبواب القاهرة للقدجة في سورها القبيل ، ويسمى العامة : « بوابة الخول » . سبق

التعليق عليه في الحاشية رقم ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

في الموكب تحت القلعة ، وإذا بالناس قد اضطربوا ، ونزل المجازي سائقا يريد إسطنبول^(١) ، وسبب ذلك أن السلطان الملك الكامل جلس بالإيوان على العادة ، وقد ثبتت مع ثقاته القبض على المجازي وأرغون شاه إذا دخلا ، وكأنا جالسين ينتظران الإذن على العادة ، فخرج طُفَيْتَمَرُ الدَّوَادَارِ في الإذن لها فأشار لها بعينه أن أذهب ، وكأنا قد بلغهما أن السلطان قد تنكر عليهما ، فقاما من فورهما ونزلا إلى إسطنبولهما وألبسا بمالكهما وحواشيهما ودرجا وتوجها إلى قبة النصر ، وبعث المجازي يستدعي آق سُنْقَر من سرياقوس ، فلما تفضي النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر ، فطلب السلطان عند ذلك أرغون العلاني واستشاره فيما يعمل ، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم ، فركب السلطان بمالكيه وخاصيكته ومعه زوج أمه الأمير

(١) سناه ما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على قصر الجازية (ص ٧١ ج ٢) أن هذا الإسطبل كان تحت القصر المذكور ، فانه قال : إن خوند تَر الجازية آبنه الملك الناصر محمد بن علاون وزوج الأمير ملكنجر الجازي لما اشترت قصر قوصون بخط رجة باب العيد بجوار المدرسة الجازية عمرته عمارة ملكية وتأقت فيه وأجرت الماء إلى أعلاه وعملت تحت القصر إسطبلا كبيرا لخيول خدامها وساحة كبيرة يشرف عليها ، وأنشأت بجواره مدرستها التي تعرف إلى اليوم والمدرسة الجازية . ولما ماتت سكة الأمراء بالأجرة إلى أن تولى الأمير جمال الدين يوسف أستاذية الملك الناصر فرج بن برقوق صار يجلس بالعقد الذي كان رجة هذا القصر . وأما القصر فعمله مجنا يجبس فيه من يعاقبه من الوزراء والأعيان ، ثم صار مجنا عاما يعرف بجبس الرجة .

وبما أن رجة باب العيد كانت تنهى من الجهة الغربية بالطريق التي تعرف اليوم باسم شارع بيت المال ، وأن المدرسة الجازية التي كانت مجاورة لقصرها من الجهة البحرية لا تزال قائمة إلى اليوم ، وتعرف بجامع الجازية بطلة القصاصين من شارع حبس الرجة بقسم الجمالية بالقاهرة ، فقد بحثت عن مكان ذلك القصر الذي كان تحته إسطبل ملكنجر الجازي زوج تَر الجازية في تلك الجهة فبين لي أنه أندثر . ومكانه اليوم الأرض القائم عليها الآن مباني إدارة تنمية المصاغات والموازين والمكايل وبيت المال ومركز بوليس قسم الجمالية وزاوية بدر الدين القرافي وما جاورها ، وتحده هذه المنطقة اليوم من الشرق بشارع بيت المال وشارع حبس الرجة ، ومن الشمال حارة القصاصين ومن الغرب ميدان بيت القاضي بالقاهرة .

- أَرْغُونُ العَلاَئِي المَذْكُورَ وَتَمْرَ الْمُوسَاوِيِّ وَغَدَّةَ أَمْرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَالْقُلُوبَ مَتْنِعَةً ، وَدَقَّتِ الْكُوسَاتُ حَرْبِيًا ، وَدَارَتِ النِّقْبَاءُ عَلَى أَجْنَادِ الْحَلْفَةِ وَالْمَهَالِكِ لِيَرْكَبُوا فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ وَتَحَاذَلَ بَعْضُهُمْ ؛ وَسَارَ السُّلْطَانُ فِي جَمْعٍ كَبِيرٍ مِنَ الْعَامَةِ وَهُوَ يَسْأَلُهُمُ الدَّعَاءَ فَاسْمَعُوهُ مَا لَا يَلِيقُ ، وَدَعَّوْا عَلَيْهِ ، وَسَارَ فِي نَحْوِ أَلْفِ فَارَسٍ لَا غَيْرَ حَتَّى قَابَلَ مَلِكُكُمْ الْجَازِيَّ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْمَهَالِكِ ، فَعِنْدَ الْمُوَاجَهَةِ أَنْسَلَ عَنْ السُّلْطَانِ أَصْحَابُهُ ، وَبَقِيَ فِي أَرْبَعَانَةِ فَارَسٍ ، فَبَرَزَ لَهُ آقُ سَنْقَرُ ، وَسَاقَ حَتَّى قَارَبَ السُّلْطَانُ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنْ يَخْلُصَ مِنَ السُّلْطَانَةِ فَاجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَبَكَى ، فَتَرَكَهُ آقُ سَنْقَرُ وَعَادَ إِلَى الْأُمَرَاءِ وَعَرَّفَهُمْ بِأَنَّهُ أَجَابَ أَنْ يَخْلُصَ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَرْضَ أَرْغُونُ شَاءَ ، وَبَدَّرَ مَعَهُ الْأَمِيرُ قَرَابُغَا وَالْأَمِيرُ صَمَّغَارُ وَالْأَمِيرُ بَزْلَارُ وَالْأَمِيرُ غُرْلُو فِي أَصْحَابِهِمْ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى السُّلْطَانِ وَسَيَّرُوهُ إِلَى أَرْغُونِ الْعَلاَئِي لِأَيَّتِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ إِلَى عِنْدِ الْأُمَرَاءِ فَلَمْ يُوَافَقِ ١٠ الْعَلاَئِي عَلَى ذَلِكَ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ وَمَزَقُوا مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ مَمَالِكِهِ وَأَصْحَابِهِ . ثُمَّ ضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَرْغُونَ الْعَلاَئِي بِدُبُوسٍ حَتَّى أَرْمَاهُ عَنْ فَرْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَضَرَبَهُ الْأَمِيرُ بَيْبَغَا أَرُوسَ بِسَيْفٍ قَطَعَ خَدَّهُ ، فَانْهَزَمَ عِنْدَ ذَلِكَ عَسْكَرُ السُّلْطَانِ ، وَفَزَّ الْمَلِكُ الْكَامِلُ شَعْبَانَ إِلَى الْقَلْعَةِ وَأَخْتَفَى عِنْدَ امَةِ رُوحَةِ الْأَمِيرِ أَرْغُونِ الْعَلاَئِي ، فَسَارَ الْأُمَرَاءُ إِلَى الْقَلْعَةِ فِي جَمْعٍ هَائِلٍ وَأَخْرَجُوا أَمِيرَ حَاجٍ وَأَمِيرَ حَسِينٍ مِنْ سِجْنِهِمَا ، وَقَبَلُوا يَدَ أَمِيرِ حَاجٍ ١٥ وَخَاطَبُوهُ بِالسُّلْطَانَةِ . ثُمَّ طَلَبُوا الْمَلِكَ الْكَامِلَ شَعْبَانَ مِنْ عِنْدِ أُمِّهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَخَرَّضُوا فِي طَلَبِهِ حَتَّى وَجَدُوهُ مُحْتَفِيًا بَيْنَ الْأَزْيَارِ ، وَقَدْ أَنْسَخَتْ ثِيَابُهُ مِنْ وَسَخِ الْأَزْيَارِ ، فَأَخْرَجُوهُ بَيْتُهُ إِلَى الرَّحْمَةِ ثُمَّ أَدْخَلُوهُ إِلَى الدَّهِيْشَةِ فَقَبَّلُوهُ وَسَجَنُوهُ حَيْثُ كَانَ أَخُوهُ مَسْجُونِينَ وَوَكَّلَ بِهِ قَرَابُغَا الْقَاسِمِيَّ وَالْأَمِيرَ صَمَّغَارَ .

(١) في ف : « وسيروا إليه أَرْغُونُ الْعَلاَئِي » . (٢) في أعيان مصر لصفدي : « بيغا روس » بدون همزة ، وفي كثير من المصادر وردت همزة وبغيرها . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٩ من هذا الجزء . (٤) في ف : « إغوة » .

ومن غريب الاتفاق أنه كان يحمل طعاما لأخويه : أمير حاج وحسين حتى يكون
غذاءهما في السجن ، وحمل سباط السلطان على العادة فوقعت الضجة ، وقد مدَّ السَّباط ،
فركب السلطان من غير أكل ، فلما أنهزم وقُبِض عليه ، وأُقيم بدله أخوه أمير حاج
مدَّ السَّباط ^(١) [بعينه له] فأكل منه ، وأُدْخِل بطعامه وطعام أخيه أمير حسين إلى
الملك الكامل فأكله في السجن . واستمرَّ الملك الكامل المذكور في السجن إلى
يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة قُتِل وقت الظهر ودُفِنَ ^(٢)
عند أخيه يوسف ليلة الخميس ، فكانت مدة سلطته على مصر سنة واحدة وثمانية
ونحسين يوما ، وقال الصَّغْدِيّ : سنة وسبعة عشر يوما ^(٣) .

وكان من أشرَّ الملوك ظلما وعسقا وفسقا . وفي أيامه — مع قصر مدته —
خربت بلاد كثيرة لشغفه باللهو وعكوفه على معاقرة النخور ، وسمع الأغاني وبيع
الإقطاعات بالبذل ، وكذلك الولايات ، حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه ^(٤)
وهو حيّ بمال آخر ، فإذا وقف من خرج إقطاعه قيل له نعوّض عليك قد أخرجناه
لفلان الفلاني . وكان مع هذا كله سقاكا للدماء ، ولو طالت يده لأتلف خلائق
كثيرة ، وكان سيّئ التدبير ، يُمكن النساء والطواشيّة من التصرف في المملكة والتهتك

(١) تكلّة عن السلوك .

(٢) يستفاد مما ذكره ابن إياس في تاريخ مصر (ص ١٨٦ ج ١) أن الملك الكامل شبان دفن مع
والده في القبة التي بشارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقا) ، وبما أن والده الملك الناصر محمد بن
قلاوون دفن مع والده السلطان المنصور قلاوون في القبة المنصورية بشارع المعز لدين الله فيكون الملك
الكامل معها في القبة المذكورة مع أخيه يوسف الذي لم يتول السلطة .

وقد تكلنا على هذه القبة في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) رواية ابن إياس (ج ١ ص ١٨٦) : « فكانت مدة سلطته بالدار المصرية ستة وعشرين

ونصفا » . (٤) في ف : « بالبذل » بالبدال المهملة .

- في التَّزَهُ والصَّيْد ولعب الكُرَّة بالهَيْئَاتِ الجميلة وركوب الخيول المسقومة ، مع عدم الاحتشام من غير حجاب من الأمير آخورية والعلمان ، ويُعجبه ذلك من تهتكهن على الرجال ، فشُفِفَ لذلك جماعة كثيرة من الجند بحُرْمِهِ بما يفعلن من ركوب الخيول وغيرها . وكان حريمه إذا نزلن إلى نزهة بلغت الحُرَّة النجر إلى ثلاثين درهما ، وهذا كله مع شَرِّهِه وشَرِّهِ حواشيه ونسائه إلى ما في أيدي الناس من البساتين والرِّزْق والدوايب ونحوها ، فأخذت أمه معصرة وزير بغداد ومنظرته على بركة الفيل ، وأشياء غير ذلك . وحدث في أيامه أخذُ خراج الرِّزْق وزيادة القانون ونقص الأجابر ، وأعيدت في أيامه ضَمَانُ أرباب الملاعب وعدة مكوس ، وكان يحب لعب الحمام ، فلما تسلطن تغالَى في ذلك وقرب من يكون من أرباب هذا الشأن ، ومع هذا الظلم والطمع لم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ، إلا أنه كان مُهايَا شُجاعا سَيُوسًا مُتَفَقِّدًا لأحوال مملكته ، لا يشغله لُهوُه عن الجلوس في المواكب والحكم بين الناس . ولما أُمِسِكَ وقُتِل قال فيه الصَفدي :
- يَبْتُ قِلاوُونَ سَعَادَاتُهُ * فِي عَاجِلٍ كَانَتْ فِي [السريع] ^(١)
حَلَّ عَلَى أَمْلَاكِهِ لِلتَّوَدَى * دَيْنٌ قَدِ اسْتَوْفَاهُ بِالْكَامِلِ

١٥



السنة الأولى من سلطنة الملك الكامل شعبان على مصر وهي سنة ست وأربعين وسبعماية ، على أن أخاه الملك الصالح إسماعيل حكم منها إلى رابع

(١) في ف : « إلى ثلاثين ألف درهم » والسياق يأباه .

(٢) كذا في الأصلين . ورواية المهمل الصافي والسلوك وابن إياس وأعيان العصر وأعيان النصر

لأبي الصفا صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي — نسخة في سنة أجرا . مأخوذة بالنصوير الشمسي عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة عاشر أفندي بالآستانة وهي غير كاملة — :

* في عاجل كانت بلا أجل *

شهر ربيع الآخر، ثم حَكَمَ الملك الكامل هذا في باقيها وفي أشهر من سنة سبع كما سيأتي ذكره .

فيها (أعي سنة ست وأربعين) تُوِّفِيَ السلطان الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون حسب ما تقدم ذكره في ترجمته . وفيها أيضا تُوِّفِيَ السلطان الملك الأشرف مُنْجِكُ ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد خَلْعِهِ من السلطنة بسنين ، وقد تقدم ذكر سلطته أيضا ووفاته في ترجمته .

وتُوِّفِيَ الأمير سيف الدين طُغْزَدُمَرْ بن عبد الله الحَمَوِيُّ النَّاصِرِيُّ السَّاقِي بالقاهرة في مُسْتَهْلِ جُمَادَى الآخِرَةِ ، وكان أصله من ممالك الملك المؤيد حماد الدين إسماعيل الأيوبي صاحب حمّاء ، ثم انتقل إلى مَلِكِ الملك الناصر محمد بن قلاوون وَحِطَى عنده وجعله ساقياً ، ثم رَقَاه حتى صار أميراً مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ، ثم جمعه أمير مجلس وزوجه بإحدى بناته ، وصار من عظماء أمرائه إلى أن مات . و[لما] تسلطن^(١) أنه الملك المنصور أبو بكر استقر طُغْزَدُمَرْ هذا نائب السلطنة بديار مصر ، ووقع له أمور حكمتها في تراجم السلاطين من بنى الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أن أخرج إلى نيابة حمّاء . ثم قِيلَ إلى نيابة حلب ، ثم إلى نيابة الشام ، ثم طُلِبَ إلى القاهرة في سلطنة الملك الكامل هذا فحضر إليها مريضاً في حَقَّة ومات بعد أيام حسب ما تقدم . وكان من أَجَلِ^(٢) الأمراء وأحسنهم سيرة . كان عاقلاً ديناً سيّوياً ، عارفاً ، وهو صاحب الخاتقاء بالقرافة والقنطرة خارج القاهرة على الخليج وغير ذلك مما هو مشهور به .

(١) تكله يقتضيه السياق . (٢) في الأصلين : « من أجل الملوك » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) أطلنا البحث عن موضع هذه الخاتقاء فلم نقف لها على أثر .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتوفى القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى محى الدين [محمى ^(١١)] بن فضل الله العمري الدمشقى، كاتب سِرِّ دِمَشْقَ فى سادس عشرين شهر رجب بِدِمَشْقَ. وكان كاتباً فاضلاً من بيت فضل ورياسة، وقد تقدّم ذكر جماعة من آباءه وأقاربه، ويأتى ذكر جماعة أُخر من أقاربه فى محلهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وتوفى الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الأحمدي المنصورى أمير جَانْدَار فى يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم، وهو فى عشر الثمانين. وكان أصله من ممالك الملك المنصور قلاوون، وأحد أعيان أمراء الديار المصرية. وهو الذى قوى عزم قوَّصون على سلطنة الملك المنصور أبى بكر، وكان جَارَ كَيْمَى الجُنس، تنقل إلى أن صار من أعيان الأمراء بمصر، ثم ولى نيابة صَفَد وطرابُلُس، ثم قَدِمَ القاهرة وتوفى أمير جَانْدَار. وكان كريماً شجاعاً ديناً قوى النفس، لم يركب قط إلا فخلاً، ولم يركب خِجْرَةً ولا إكْدِيْسًا فى عُمره. وكان له ثروة كبيرة، وطالت أيامه فى السعادة، وخلف أملاً كثيرة، أذهب غالبها جماعة من أوباش ذريته بالاستبدال والبيع إلى يومنا هذا.

وتوفى الأمير بدر الدين چَنَكَلِ [بن محمد بن البابا بن چَنَكَلِ] بن خليل ابن عبد الله المعروف بابن البابا العجلى أتابك العساكر بالديار المصرية فى عصر يوم الاثنين سابع [عشر ^(١٢)] ذى الحجة. وكان أصله من بلاد الروم، طلبه الملك الأشرف خليل بن قلاوون وكتب له منشوراً بالإقطاع الذى عينه إليه فلم يتفق حضوره إلا فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة أربع وسبعمائة فأمره وأكرمه،

(١) النكتة عن المنهل الصافى والدرر الكامنة والسلوك. (٢) فى السلوك: « فى يوم

الثلاثاء ثالث عشرين المحرم ». (٣) الصواب فيها « هجر » بدون ها. كما فى اللسان. ٢٠

(٤) النكتة عن الدرر الكامنة. (٥) النكتة عن الدرر الكامنة والمخطوط القرزى (ج ٢ ص ١٣٥).

ولا زال يُرَقِّبه حتى صار يجلس ثاني آقوش نائب الكرك . ثم بعد آقوش جلس
جَنَكَلِي هذا رأس الميمنة .

قال الشيخ صلاح الدين : وهو من الحشمة والذين والوقار وعِفَّة الفرج
في المحل الأقصى ، ولم يزل معظماً من حين ورد إلى أن مات . وكان ركناً من أركان
المسلمين ينفع العلماء والصلحاء والفقراء بماله وجاهه ، وكان يتنقّه ، ويحفظ رُجَّع
العبادات . ويقال : إن نَسَبه يتصل بإبراهيم بن آدم رضي الله عنه ، قال : وقلت
فيه ولم أكتب به إليه :

[السريع]

لا تُتَسَلَّى يا قاتلي في الهوى * حُشاشة من حُرْقِي تَسَلَّى

لا تُرْسَلِي أَلْقِي به في الهوى * سِهَام عَيْنِكَ مَتَى تُرْسَلِي

لا تُتَحْتَلِي يَشْرَفْ قَدْرِي به * إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بِي تُخْتَلِي

لا جَنَكْ لِي تُضْرِبُ أَوْتَارَهُ * إِلَّا تَشَأْ يُنْجَلِ عَلَي جَنَكَلِي

وَوُفِّ رُؤْيَا^(١) وَأَسْمُهُ مُنْجِدُ بْنُ أَبِي نُعْمَى مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ

أَبْنُ أَبِي غُرَيْرٍ إِدْرِيسُ بْنُ مُطَاعٍ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَيْسَى بْنِ حُسَيْنِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ

ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُخَضَّبِ بْنِ مُوسَى [بْنِ عَبْدِ اللَّهِ] بْنِ الْحَسَنِ

ابْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْحَسَنِيِّ الْمَكِّيِّ أَمِيرِ مَكَّةَ بِهَا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ

ثَامِنُ ذِي الْقَعْدَةِ .

(١) الجنك ، معرب جنك : آلة موسيقية على شكل رباعي (عن القاموس الفارسي الإنجليزى

لاستينجاس) . (٢) ضبط المؤلف في التمل الصافي بالعبارة فقال : « برا . مهمله مضمونة

وبعدها ميم مفتوحة ويا . آخر الحروف ساكنة ثم ثاء . ملثة مفتوحة وهاء . ساكنة » . وفي الدرر الكامنة

أنه توفي سنة ٧٤٨ هـ (٣) التكلة عن شجرة نسب أشرف مكة من عمل وسفد في الجزء الرابع

من كتاب تواريج مكة طبع ليزج سنة ١٨٦١ (٤) في ف : « ابن الحسين » .

وتوفي الشيخ الإمام نحر الدين أحمد بن الحسين الجمار بردي شارح «البيضاوي»^(١) .
وتوفي الشيخ الإمام العلامة تاج الدين أبو الحسن علي بن عبد الله [أبن أبي الحسن]^(٢)
أبن أبي بكر الأرديسي الشافعي ، مدرس مدرسة الأمير حسام الدين طرنتاي^(٣)
المنصوري بالقاهرة . كان فقيها عالمًا بارعا أفتى ودرس سنتين .

- (١) ضبط في لب الباب السيوطي بالعارة (فتح الرء والموحدة وسكون الرء ومهمله) : نسبة إلى « جابر : قرية من قرى قارس » . (٢) هو منهاج الوصول إلى علم الأصول لأحمد بن البيضاوي . وأما شرحه فغير موجود . (٣) زيادة عن الدرر الكامنة .
- (٤) هذه المدرسة ذكرها المقرئ في خطه بأسم المدرسة الحسامية (ص ٣٨٦ ج ٢) . فقال : إن هذه المدرسة بخط المسطاح تجاه سوق الرقيق ، ويسلك منها إلى درب المداس وإلى حارة الوزيرية من القاهرة . بنها الأمير حسام الدين طرنتاي المنصوري نائب السلطة بمصر إلى جانب داره وجعلها برسم الفقهاء الشافعية ، ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشائها .

- وبالبحث تبين لي (أولا) أن هذه المدرسة أنشئت في سنة ٦٨٤ هـ . (ثانيا) أن خط المسطاح يشمل اليوم المنطقة التي يتوسطها عطفه الصاوي المتفرعة من شارع درب سعادة . (ثالثا) أن سوق الرقيق مكانه بيت محمد بن سويدان وهو من البيوت الأثرية ، يملكه الآن وردة علي باشا برهام بعطفه الصاوي تجاه جامع أبي الفضل . (رابعا) أن درب العباس هو الطريق التي يشغلها اليوم القسم البحري من شارع درب سعادة في المسافة بين شارع الأزهر ومدخل حارة الصاوي . (خامسا) حارة الوزيرية تشمل المنطقة التي تُعرف على القسم الأوسط من شارع درب سعادة فيما بين مدخل حارة الصاوي وسكة النبوية . (سادسا) أن المدرسة الحسامية حل محلها جامع أبي الفضل بعطفه الصاوي بالقاهرة ، يؤيد ذلك أنه يوجد بجوار هذا الجامع تربة الأمير طرنتاي منشي المدرسة الحسامية ، وبها تابوت عليه بعد البسلة : « هذا قبر العبد الفقير إلى الله تعالى الأمير حسام الدين طرنتاي الملكي المنصوري . توفي يوم الخميس ٢٤ من شهر ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ » . وقد سبقت الإشارة في هذا الكتاب ص ٢٨٤ ج ٧ أنه بعد أن دفن بجوار زاوية الشيخ عمر السعدي بن أبي المثنى بالقرافة نقلت جثته إلى المدرسة الحسامية بالقاهرة . ويوجد بجوار قبر الأمير طرنتاي قبر آخر بأسم الشيخ أبي الفضل ، ولهذا عرفت المدرسة بأسم جامع أبي الفضل . ومكتوب بأزار سقف الجامع ما يبين أن الأمير عثمان جاويز تابع المرحوم حسن كشتدا القمذغل جده في سنة ١١٤٠ هـ . وهي الآن جامع صغير قديم . والظاهر أن =

وَمُتَوِّفَى الشَّيْخِ الْمُقَرَّبِيِّ تَقَى الدِّينِ مُحَمَّدٍ ^(١) [بن محمد بن علي] بن مُهَمَّم
ابن راجي الشَّافِعِيِّ، إمام جامع الصالح خارج باب زويلة، ومُصَنِّف «كتاب

ع» على باشا مبارك ثم يوصله بحثه إلى الحقيقة بدليل أن ما ذكره في الخطط التوفيقية عن المدرسة الحسامية وعن جامع أبي الفضل لا يتفق والواقع، فإنه لما تكلم عن المدرسة المذكورة (ص ٦٦ ج ٦) قال :
إن هذه المدرسة قد تجزئت ولم يبق منها إلا المحراب، وأخذ منها قطعة في طهارة جامع المغربي الذي كان
يعرف قديماً بالمدرسة الزمامية بسوق النماصة (تجار الصبني) .

وأقول : إن سوق النماصة هو الذي يعرف اليوم بشوارع السلطان صاحب وشارع البوذية المتفرعين
من شارع الأزهر، وفضلاً عن أن جامع المغربي هو جامع آخر غير المدرسة الزمامية فإن ما ذكره مبارك باشا
لا ينطبق على مكان المدرسة الحسامية، بل ينطبق على مكان المدرسة صاحبة التي تكلمنا عليها في الحاشية
رقم (٤ ص ٢٨٠) من الجزء السادس من هذه الطبعة .

ولما تكلم مبارك باشا على جامع أبي الفضل (ص ٥٣ ج ٤) قال : إن هذا الجامع هو المدرسة
القطبية التي ذكرها المقرئ، وقال : إنها في خط سويقة صاحب داخل درب الحريري .
وأقول : إن المدرسة القطبية قد خربت من قديم وزال أثرها ، وليس لها أية علاقة بجامع أبي الفضل
الذي هو المدرسة الحسامية كما ذكرنا . وقد تكلمنا عن المدرسة القطبية في الحاشية رقم ٧ ص ١٦ من
الجزء السادس من هذه الطبعة .

(١) وافق المؤلف هنا المقرئ حيث ذكر تقى الدين هذا ضمن من توفوا سنة ٧٤٦ هـ . ولما
أردنا تحقيق نسبه وتاريخ وفاته في السنة المذكورة فلم نهند إلى وجه الصواب فيه ، فتابنا البحث عنه
في المصادر التي تحت يدينا حتى ينسنا ، وأخيراً رجعنا إلى كشف الظنون لتحقيق مصنفه « كتابه سلاح
المؤمن » فوجدنا أن نسبه ناقص وأن ذكره في وفيات سنة ٧٤٦ هـ خطأ صوابه سنة ٧٤٥ هـ (انظر كشف
الظنون ج ٢ ص ٢٨ وغاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٣٤٥ وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٤٤
والدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٣) .

(٢) هذا الجامع من المساجد الكبيرة في القاهرة وهو آخر مسجد أنشئ في عهد الدولة الفاطمية بمصر .
أنشأه الصالح طلائع بن زريك ، وكان يلقب بالملك الصالح ، وذلك في سنة ٥٥٥ هـ خارج باب زويلة ،
وكان الصالح وقتئذ وزيراً للخليفة الفاتر بنصر الله عيسى بن الظاهر إسماعيل ، ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشاء
هذا الجامع في حين أن ذلك ثابت في الكتابة التي بأعلى الوجهة الغربية . وقال : إن صلاة الجمعة
لم تقم في هذا المسجد إلا في سنة ٦٥٢ هـ . ولعل تعطيل صلاة الجمعة في هذا المسجد طوال هذه المدة
يرجع إلى كراهة الأيوبيين للذهب الشيعي .

(١١) سلاح المؤمن » . رحمه الله .

§ — أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وخمس عشرة إصبعا .

- = وكتب الأستاذ حسن عبد الوهاب مفتش إدارة حفظ الآثار العربية في مصر في مذكراته عن هذا الجامع قال : إنه من المساجد الكبيرة ، إذ تبلغ مساحته ١٥٢٢ مترا مربعا ، وله أربع وجهات مبنية كلها بالجبر ، وأهمها الوجهة الغربية وبها الباب العمومى المشرف على شارع قصبة وضوان وباب زويلة ، ويتكون الجامع من الداخل من أربعة إيوانات ، أكبرها الإيوان الشرقى الذى به المحراب ، ويتوسطها صحن كبير به صهريج كان يملأ وقت الفيضان من الخليج . وكانت المنارة الأصلية تعلو الباب الغربى ، ثم هدمت ، وتجدد في مكانها منارة بسيطة أزيلت كذلك في سنة ١٩٢٦ م خلال حدث بها .
- ١٠ وقد حليت الوجهات الغربية والبحرية والقلبية للجامع من أعلاها بأفاريز كتب عليها آيات قرآنية بالخط الكوفى المزخرف ، وحليت عقود الشبايك بزخارف هندسية جميلة ، ويتوسط كل وجهة باب يوصل إلى صحن المسجد ، وبأسفل تلك الوجهات عدة دكاكين يعلوها كذلك إفريز حلى برأبع مزخرفة .
- وقد عمل في هذا الجامع عدة إصلاحات أهمها إصلاحان : أولهما في سنة ٦٩٩ هـ ، ومن بقاياها المنبر الحالى ، وثانيهما في سنة ٨٨٢ هـ .
- ١٥ وفي عصرنا الحاضر كان هذا الجامع على حالة سيئة جدا من الخراب كما شاهده ، إذ أقيم بلصق وجهاته منازل ودكاكين أخفتها عن النظر ، واحتجبت الدكاكين التى تحت الجامع بارتفاع الأرض عليها ، وكذلك تهدمت الأواوين التى حول الصحن ما عدا الإيوان الشرقى .
- وقد أدركت إدارة حفظ الآثار العربية هذه الحالة السيئة فبدأت من سنة ١٩٣١ فى تعمير هذا الجامع ، فأعادت بناء الدكاكين وعملت لها خندقا أمامها وسلام فأظهرتها ، ثم نزع ملكية المنازل والدكاكين التى كانت بلصق الوجهات ، وقامت برميم وبناء تلك الوجهات وكشفها حتى عادت إلى حالتها الأولى ،
- ٢٠ وأصلحت الأواوين الثلاثة حول الصحن ، وأعيد بناء الإيوان الرابع الغربى ، وتم تعمير أكبر قسم من الجامع فى سنة ١٩٤٣ — وكان الغرض من المحافظة على نموذج بناء هذا الجامع الفاطمى ، والارتفاع به فى إقامة الشعائر — وقد عاد هذا الأثر الجليل الى ما كان عليه صالحا للصلاة ، وهو اليوم عامر بإقامة الشعائر الدينية ، وأن تقوم لجنة حفظ الآثار العربية التى لها — أن نفتخر بإحياء هذا الأثر — بإعادة بناء المنارة فى مكانها وبرسمها القديم .

٢٥

(١) هو كتاب منتخب من الكتب الستة . توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية

تحت رقم [٧٥ حديث م]

ذكر سلطنة الملك المظفر حاجي على مصر

السلطان الملك المظفر زين الدين حاجي المعروف بأمير حاج ابن السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو السلطان الثامن عشر من ملوك الترك بالديار
المصرية والسادس من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، جلس على سرير الملك
بعد خلع أخيه الملك الكامل شعبان والقبض عليه في يوم الاثنين مستهل
جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة . وكان يحبه أخوه الملك الكامل شعبان
كما تقدم ذكره . فلما أنهزم الملك الكامل من الأمراء بقبة النصر ساق في أربعة
ممالك إلى باب السر من القلعة ، فوجده مغلقا والمالك بأعلاه ، فتلطف بهم حتى
فتحوه له ، ودخل إلى القلعة لقتل أخويه حاجي هذا ومعه حسين ، لأنهما كانا
حبيسا معا ، فلم يفتح له الخلدّام الباب فضى إلى أمه فأخفى عندها وصعد الأمراء
في أثره إلى القلعة بعد أن قبضوا على الأمير أرغون السلائي وعلى اللطواشي جوهر
السحرّبي اللالا وأسندمّر الكامل وقطلوبغا الكرّكي وجماعة أخر ، ودخل بزلار
وصمغار راكبين إلى باب الساترة ^(١) وطلبا أمير حاج المذكور ، فأدخلهما الخلدّام
إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من محبتهما ، وخطبا أمير حاج في الوقت بالملك
المظفر . ثم دخل إليه الأمير أرغون شاه ، وقبّل له الأرض وقال له : بسم الله
أخرج أنت سلطاننا ، وساربه وبأخيه حسين إلى الرحبة وأجلسوه على باب الساترة .

(١) لما تكلم القرّيزي على باب النحاس الذي علقا عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٠ من الجزء
التاسع من هذه الطبعة قال : إن باب النحاس كان من داخل باب الساترة ، والظاهر أن باب الساترة
كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وجرمه ، وقد زال الباب بزوال تلك القصور وحل مكانها
المرابى الكبيرى التى أنشأها محمد على باشا الكبير في سنة ١٢٤٣ هـ لسكناه هو وجرمه ، ولا تزال موجودة
تترب بأسم قصر الحرم في القسم الشمالى الغربى من مباني القلعة أى في الجهة الغربية من جامع سليمان باشا
الذى يعرف بجامع سيدى سارية ، وهذا القصر يشغل اليوم النصف الغربى .

ثم طُلب شعبان حتى وُجد بين الأزيار وحبسوه حيث كان أخواه ، وطلبوا الخليفة والقضاة وفوض عليه الخليفة الخليفة ، وركب من باب الستارة بأبهة السلطنة وشعار الملك من باب الستارة إلى الإيوان . وجلس على تخت الملك وحمل الممالك أخاه أمير حسين على أكتافهم إلى الإيوان . ولُقب بالملك المظفر وقبل الأمراء الأرض بين يديه وحلف لهم أنه لا يؤذى أحدا منهم ، ثم حَفَقُوا له على طاعته ، وركب الأمير بَيْغَرَا البريد ونرج إلى الشام لِيُبَشِّرَ الأمير يَلْبُغَا الْيَحْيَاوِيَّ نائب الشام ويُخَلِّفَهُ ويُخَلِّفَ أيضا أمراء الشام للـك المظفر .

- ثم كتب إلى ولاية الأعمال بإعفاء النواحي من المغارم ورماية الشعير والبرسيم .
- ثم حُبل الأمير أَرْغُونُ العَلائي إلى الإسكندرية . وفي يوم الأربعاء ثالثه قُتل الملك الكامل شعبان وقُبِضَ على الشيخ علي الدوادار ، وعلى عشرة من الخِدام الكاملة ، وسُلبوا إلى شاذ الدواوين ، وسُلم أيضا جَوْهَرُ السَّحَرِيِّ وقُطِلُوا بِمَا كَرَّكِي ، وأُزِمُوا بحمل الأموال التي أخذوها من الناس فمُذِّبُوا بأنواع العذاب ، ووقعت الحوطة على موجودهم . ثم قُبِضَ على الأمير تَمْرُ المِساوِي ، وأُنْجِرَ إلى الشام . وأسر بأم الملك الكامل وزوجاته فَأُتِرِلْنَ من القلعة إلى القاهرة ، وعُرضت جَوَارِي دار السلطان فبلغت عِدَّتُهُنَّ خمسمائة جارية فَفُتِّقْنَ على الأمراء ، وأُحِيطَ بوجود حَظِيَّةِ الملك الكامل التي كانت أولا حَظِيَّةَ أخيه الملك الصالح إسماعيل المدحوقة إتفاقاً وأُتِرِلَتْ من القلعة ، وكانت جارية سوداء حالكة السواد ، إشتَرَتْهَا ضامنة المغاني بدون الأربعمئة درهم من ضامنة المغاني بمدينة بليس ، وعلَّمتها الضرب بالعود على الأستاذ حَبِيدَ على السَّوَاد ، فمَهَّرَتْ فيه وكانت حسنة الصوت جيدة الغناء فمَدَّمتها لبيت السلطان ، فأشهرت فيه حتى شَغِفَ بها الملك الصالح

(١) كذا في الأصلين . وفي الدور الكاتبة : « فطبتا عند علي العجمي ضرب العود » .

إسماعيل ، فإنه كان يهوى الجوارى السودان وتزوج بها . ثم لما تسلطن أخوه الملك الكامل شعبان باتت عنده من ليلته ، لما كان في نفسه منها أيام أخيه ، ونالت عندهما من الحظ والسعادة ما لا عُرف في زمانها لأمراة ، حتى إن الكامل عَمِلَ لها دائر بيت طوله اثنتان وأربعون ذراعا وعرضه ست أذرع ، دخل فيه ^(١) خمسة وتسعون ألف دينار مصرية ، وذلك خارج عن البَشْخَانَه والمخاض والمساند ، وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجواهر ، وستة عشر مقعد زركش ، وثمانون مقنعة ، فيها ما قيمته عشرون ألف درهم وأشياء غير ذلك ، استولوا على الجميع . ثم أسترجع السلطان جميع الأملاك التي أخذتها حريم الكامل لأربابها . ثم نودي بالقاهرة ومصر برفع الظلمات ، ومنع أرباب الملاهيبي جميعهم .

وخلع السلطان على علم الدين عبدالله [بن أحمد بن إبراهيم] بن زُنْبُور بآنتقاله من وظيفة نظر الدولة إلى نظر الخاص عوضا عن نغر الدين بن السعيد ، وقبض على

- (١) في الدرر الكامنة : « فبلغ جميع ذلك ستة وثمانين ألف دينار مصرية » . (٢) البشخانة : النكته (الناموسية) . (٣) في السلوك : « وست عشرة بذلة حرير ثياب بدائر زركش » . (٤) النكته عن الدرر الكامنة . (٥) نظر الدولة (نظر الدواوين) : موضوعها للحدث في كل ما يحدث فيه الوزير ، وكل ما كتب فيه الوزير كتب فيه هو (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١) . (٦) وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون — رحمه الله — حين أبطل الوزارة . وأصل موضوعها للحدث فيما هو خاص بحال السلطان . قال في مسالك الأبحار : « وقد صار كالوزير لقربه من السلطان وتصرفه » وصار إليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين (يعنى في زمن تحليل الوزارة) . وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر [لا بمراجعة السلطان] . ولناظر الخاص أتباع من كتاب ديوان الخاص كستوفى الخاص ، ولناظر خزانة الخاص ونحو ذلك مما لا يسع استيعابه . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٠) .

(٧) هو صاحب الوزير نغمر الدين عبدالله بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر سعيد الدولة .

سبذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٧٦ هـ .

أَبْنُ السَّعِيدِ وَخَلَعَ عَلَى مَوْفَى الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بِأَسْتِقْرَارِهِ نَاضِرَ الدَّوْلَةِ عَوْضًا عَنْ أَبِي زَنْبُورٍ ، وَخَلَعَ عَلَى سَعْدِ الدِّينِ حَرْبًا ، وَأَسْتَقَرَّ فِي أَسْتِفَاءِ الدَّوْلَةِ عَوْضًا عَنْ ابْنِ الرَّيْشَةِ ^(١) .

- ثم قَدِمَ الْأَمِيرُ بَيْغَرًا مِنْ دِمَشْقَ بَعْدَ أَنْ لَقِيَ الْأَمِيرَ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِي نَائِبَ الشَّامِ ، وَقَدْ بَرَزَ إِلَى ظَاهِرِ دِمَشْقَ يَرِيدُ السَّيْرَ إِلَى مِصْرَ بِالْعَسَاكِرِ لِقَاتِلِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ مَا وَقَعَ سُرُورًا عَظِيمًا زَائِدًا بِزَوَالِ دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ ، وَإِقَامَةِ أَخِيهِ الْمَظْفَرِ حَاجَتِي فِي الْمَلِكِ ، وَمَادَ يَلْبَغَا إِلَى دِمَشْقَ وَحَلَفَ لِلْمَلِكِ الْمَظْفَرِ وَحَلَفَ الْأَمْرَاءُ عَلَى الْعَادَةِ ، وَأَقَامَ لَهُ الْخَطْبَةَ بِدِمَشْقَ ، وَضَرَبَ السَّكَّةَ بِاسْمِهِ ، وَسِيرَ إِلَى السُّلْطَانِ دَنَائِرَ وَدِرَاهِمَ ، وَكَتَبَ يَهَيِّ السُّلْطَانُ بِحُلُومِهِ عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ ، وَشَكَمَنْ نَائِبَ حَلَبَ وَنَائِبَ غَزَةَ وَنَائِبَ قَلْعَةِ دِمَشْقَ مُنْطَلَايَ وَمَنْ نَائِبَ قَلْعَةِ صَفَدَ قُرْجِي ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُوَافِقُوهُ عَلَى خُرُوجِهِ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ ، فَرَسَمَ السُّلْطَانُ بَعَزَلَ الْأَمِيرِ طُقْتُمُشَّ الْأَحْمَدِي نَائِبَ حَلَبَ وَقُدُومَهُ إِلَى مِصْرَ ، وَكَتَبَ بِأَسْتِقْرَارِ الْأَمِيرِ بَيْدَمُشَّ ^(٢) الْبَدْرِي نَائِبَ طَرَابُلُسَ عَوْضَهُ فِي نِيَابَةِ حَلَبَ ، وَأَسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ أَسْنَدَمُشَّ الْعُمَيْرِي نَائِبَ حِمَاةَ فِي نِيَابَةِ طَرَابُلُسَ ، وَهَذَا أَوَّلُ نَائِبٍ أَنْتَقَلَ مِنْ حِمَاةَ إِلَى طَرَابُلُسَ ، وَكَانَتْ قَدِيمًا حِمَاةَ أَكْبَرَ مِنْ طَرَابُلُسَ ، فَلَمَّا اتَّسَعَ أَعْمَالُهَا صَارَتْ أَكْبَرَ مِنْ حِمَاةَ .

- ثم كَتَبَ السُّلْطَانُ بِالْقَبْضِ عَلَى الْأَمِيرِ مُنْطَلَايَ نَائِبَ قَلْعَةِ دِمَشْقَ وَعَلَى قُرْجِي نَائِبَ قَلْعَةِ صَفَدَ ، ثُمَّ كَتَبَ بَعَزَلَ نَائِبَ غَزَةَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ يَلْبَغَا الْيَحْيَاوِي لَمَّا عَادَ إِلَى دِمَشْقَ بِغَيْرِ قِتَالِ عَمَرَ — مَوْضِعَ كَانَتْ خِيَمَتُهُ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقَدَمِ — قُبَّةَ سَمَاهَا قُبَّةُ النُّصْرِ ^(٣) .

(١) هو عبد الله بن ريشة أمين الدين القبطي الأسلي ناضر الدولة . سبَّحَ المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٩٠ هـ . (٢) في الأصلين : « أيدمر البدرى » . وما أثبتناه عن الدرر الكامنة والسلوك . (٣) رواية المنهل الصافي في الكلام على يلبغا المذكور : « وعمره قبة النصر عند مسجد القدم » ولا يزال مسجد القدم قائمًا إلى الآن في الجنوب من دمشق (راجع دليل سور يا وقلطين ليدكر) .

التي تُعرف الآن بِقُبَّةِ بِلْبَا . ثم خلع السلطان على الطواشي عَتَبَ السَّحَرَتِي باستقراره
مقدَّم الممالك السلطانية ، كما كان أولا في دولة الملك الصالح عوضا عن محسن
الشهابي . وخلع على مختص الرشوى باستقراره زَمَام دار ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه .
ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير أرغون الصلائي على الأمير أرغون شاه ، وأنعم على
كل من أصله وأرقطاي بزيادة على إقطاعه ، وأنعم على ابن شِكْر بإمرة طبلخاناه ،
وعلى أخيه الصغير بإمرة عشرة .

ثم في يوم الاثنين خامس [عشر]^(١) جمادى الآخرة أمر السلطان ثمانية عشر أميرا
ونزلوا إلى قُبَّة المنصورية ولبسوا الخلع ، وشقوا القاهرة حتى بلغوا إلى القلعة فكان
لهم بالقاهرة يوم مشهود . ثم في يوم الخميس ثالث شهر رجب خلع السلطان على
الأمير أرقطاي باستقراره نائب السلطنة بديار مصر باتفاق الأمراء على ذلك بعد
ما امتنع من ذلك تمنعاً زائدا ، حتى قام الجحازي بنفسه وأخذ السيف ، وأخذ
أرغون شاه الخلعة ودارت الأمراء حوله ، وألبسوه الخلعة على كُرّه منه ، فخرج
في موكب عظيم ، حتى جلس في شباك دار النيابة ، وحكم بين الناس ، وأنعم السلطان
عليه — بزيادة على إقطاعه — ناحيتي المطرية والخصوص ، لأجل سباط النيابة . ثم
ركب السلطان بعد ذلك ونزل إلى سرياقوس على العادة كل سنة ، وخلع على الأمير
تُخْرُبغا العقيلي باستقراره في نيابة الكرك عوضا عن الأمير قُبَلَاي . ثم عاد السلطان

(١) تكملة بقتضيا السياق . (٢) هي القبة التي بها قبر السلطان المنصور قلاوون بشوارع
العزيزين اقه (بين القصرين سابقا) وتكلمنا عليها فيما سبق في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من
هذه الطبعة . (٣) سبق التعلق عليها في الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٤) هي قرية واقعة في شمال بلدة المطرية من ضواحي القاهرة على بعد أربعة كيلومترات منها ، وهي
الآن إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية ، وكانت تسمى قديما خصوص عين شمس لقربها
من مدينة عين شمس التي تقع أعلاها بأراضي ناحية المطرية . مساحة أراضيها ١٩٨٧ فداناً . وعدد سكانها
حوالي ٤٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

(١) إلى القلعة، وبعد عودته في أول شهر رمضان مريض السلطان عدة أيام . ثم في يوم الاثنين خامس عشرين شهر رمضان خرج الأمير أرغون شاه الأستادار على البريد إلى نيابة صفد، وسبب ذلك تكبره على السلطان، وتعاظمه عليه وتحككه في الدولة، ومعارضته السلطان فيما يرسم به، وفحشه في مخاطبة السلطان والأمراء حتى كرهته النفوس، وعزّم السلطان على مسكه فتلف به النائب حتى تركه، وخلع عليه باستقراره في نيابة صفد، وأخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها، فإنه كان قد اتفق مع عدة من الممالك على المخامرة، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير ملكتمر الجبازي وأعطى ناحية بوتيغ زيادة عليه .

ثم في يوم الأحد أول شوال تزوج السلطان ببنت الأمير تثير زوجة أخيه الكامل . وفي آخر شوال طُلبت إتفاق العودة إلى القلعة فطلعت بجواربها مع الخدام وتزوجها السلطان خفية، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوبجري

- (١) في السلوك : « في ثاني شهر رمضان » . (٢) في الأملين : « خامس عشر » . وما أنشأه عن السلوك . (٣) هي من المدن المصرية القديمة في صعيد مصر، تعرف باسم «أبوتيج» . اسمها المصري القديم «باشتا» ومعناها الخزن أو الشون لأنها كانت في العهد القديم شونة لجميع الفلال التي تجمع من بلاد الصعيد وتنقل إلى الإسكندرية ، ثم تصدر إلى روما . وترجم الروم اسمها إلى بوتيكي ومنها اسمها العربي بوتيغ ثم أبو تيج . وذكرها ياقوت في معجمه فقال : «بوتيغ بلدة بالصعيد غربي النيل بمصر . وهي عامرة نزع ذات نخيل كثير وشجر كثير» . ثم ذكرها ابن دقاق في كتاب الانتصار فقال : « بوتيغ من المدن المليحة بها جامع كبير قديم وبها مدارس وحمام مليحة وبها قيسارية وفنادق ولها سوق أسبوعي كبير ويقوم بها قاض » . ولما أنشئ قسم أبو تيج في سنة ١٨٣٢ جعلت مدينة أبو تيج قاعدة لها ، ولا زالت قاعدة لمركز أبو تيج أحد مراكز مديرية أسيوط ومن مدنها الشهيرة . ومساحة أطرافها ٢٥١٤ فداناً وعدد سكانها حوالى ١٨٠٠٠ نفس .

- (٤) الجوبجري : نسبة إلى جوبر، وهي قرية قديمة وردت في قوانين الدواوين طبع الجمعية الزراعية ص ١٢٥ والصفحة السنية ص ٧٥ طبع بولاق . وفي خطط المقرئ في الكلام على كناس اليهود ج ٢ ص ٤٧٠ وفي خطط على باشا ج ١٠ ص ٧٠، وهي تقع على الشاطئ الغربي لفرع دمياط . وفي مقابلتها منية بدرخيس على الشاطئ الشرق وفي قلبها منية الفرق وإليها ينسب علماء مشاهير : وهي اليوم إحدى قرى مركز طلخا مديرية الغربية .

(١) شاهد الخزانة، وبقي عليها من ليلته، بعد ما جُلبت عليه، وفُرش تحت رجلها ستون شقة أطلس، وتُر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت فانعم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات، ثمنها أربعة آلاف دينار.

قلت : وهذا ثالث سلطان من أولاد ابن قلاوون تزوج بهذه الجارية السوداء، وحظيت عنده، فهذا من الغرائب، على أنها كانت سوداء حالكة لا مولدة، فإن كان من أجل ضربها بالعود وغنائها فيمكن من تكون أعلى منها رتبة في ذلك وتكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذه. فسبحان المسخر.

(٣) وفي ثاني شوال أنعم السلطان على الأمير طنيرق مملوك أخيه يوسف بتقدمة ألف بالديار المصرية دفعة واحدة، نقله من الجندية إلى التقدمة لجمال صورته، وكثرة كلام الممالك بسبب ذلك. ثم رسم السلطان بإعادة ما كان أُخرج عن اتفاق العوادة من خدامها وجوارها، وغير ذلك من الرواتب، وطلب السلطان عبد الله المود المفضي معلم اتفاق إلى القلعة وغنى السلطان فانعم عليه بإقطاع في الحلقة زيادة على ما كان بيده وأعطاه مائتي دينار وكاملية حرير بفرو سمور. وأنهمك أيضا الملك المظفر في الذات، وشغف باتفاق حتى شغلته عن غيرها وملكت قلبه، وأفرط في حبها، فشقى ذلك على الأمراء والممالك وأكثروا من الكلام، حتى بلغ السلطان، وعزم على مسك جماعة منهم، فما زال به النائب حتى رجع عن ذلك.

(١) هي من الوظائف الديوانية. وفي دوزي بمعنى موظف المالية والجرك وأيضاً مفتش ومسجل (عن كتاب قوانين الدواوين لابن عماد فهرس الاصطلاحات ص ٤٥٦ من طبعة الجمعية الزراعية الملكية). وفي صبح الأعي (ج ٥ ص ٤٦٦) هو الذي يشهد بتعلقات الديوان نقياً وإيثاباً.

(٢) في السلوك : « أربعة آلاف درهم ».

(٣) في م وف : « ثاني ذي القعدة » وهو خطأ، صوابه ما أثبتناه عن السلوك وما يقتضيه السياق.

ثم خلع السلطان على قُطَيْبِجَا الحموي^(١) وأستقر في نيابة حماة عوضا عن طَيْبُغَا المجدى
وخلع أيضا على أَيْمَنْش عبد الغنى وأستقر في نيابة غَزَّة ، وخرجا من وقهما على
البريد ، وكتب بإحضار المجدى ، فقدم بعد ذلك إلى القاهرة ، وخلع عليه
بأستقراره أستاذارا عوضا عن أرغون شاه المنتقل إلى نيابة صَفَد^(٢) .

- وفي يوم أول محرم سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ركب السلطان في أمرائه
الخاصية ونزل إلى الميدان ولعب بالكرة فغلب الأمير مَلِكْتَمَر المجازى في الكرة ،
فلزم المجازى عمل وليمة فعملها في سِرْيَا قُوس ، ذبح فيها خمسمائة رأس من الغنم
وعشرة أفراس ، وعمل أحواضا مملوءة بالسكر المذاب ، وجمع سائر أرباب الملاهي
وحضرها السلطان والأمراء ، فكان يوما مشهودا . ثم ركب السلطان وعاد ، وبعد
عوده قدم كتاب الأمير أَسَدْمَر نائب طرابُلُس يسأل الإعفاء فأعفى . وخلع على
الأمير مَنَكَلِي بُغا أمير جاندار وأستقر في نيابة طرابُلُس .

- وفي هذا الشهر شكوا الناس للسلطان من بُعد الماء عن بر مصر والقاهرة ،
حتى غلت روايا الماء ، فرسم السلطان بزول المهندسين لكشف ذلك ، فكتب
تقديرًا ما يُصَرَف على الجسر مبلغ مائة وعشرين ألف درهم ، جُيِّت من أرباب
الأُملاك المطلّة على النيل ، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما ، فبلغ قياسها
سبعة آلاف ذراع وستمائة ذراع ، وقام بأستخراج ذلك وقياسه مَحْتَسِب القاهرة
ضياء الدين [يوسف^(٣) بن أبي بكر محمد الشهير بأ^(٤)] بن خطيب بيت الأَبَار^(٥) .

(١) في ف : « بأستقراره وأستاذار » وهو خطأ تصحيحه عن م واللوك .

(٢) في ف : « وفي يوم الثلاثاء أول محرم ... إلخ » . وما أشتناه عن السلوك وم .

(٣) يريد بالميدان هنا الميدان الذي تحت القلعة وقد سبق التطبيق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ .
من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) التكة عما سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٦١ هـ
وهي السنة التي توفي فيها . (٥) قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق ، فيها عدة قرى . نرج
منها غير واحد من رواة العلم (عن ياقوت) .

وفي هذه الأيام توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدم والعباثر والحوارى، وأخذهم الرزق بأرض بهتيم^(١) من الضواحي وأراضى الجيزة وغيرها، بحيث إنه أخذ مُقْبِلُ الروم عشرة آلاف فدان .

وفي هذه الأيام رَسَمَ السلطان للطواشي مُقبِلُ الروم أن يُخْرِجَ إِتِّفَاقَ العوادة وسَلَمَى والكَرْكِيَّةَ حظايا السلطان من القلعة بما عليهن من الثياب ، من غير أن يَحْمِلْنَ شَيْئاً من الجوهر والزُّرْكَش ، وأن تُقْلَعَ عَصْبَةُ إِتِّفَاقٍ عن رأسها ويدعها عنده ، وكانت هذه العصبة قد آشهرت عند الأمراء ، وشُنَّتْ قائلها ، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك الإخوة من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون : الملك الصالح إسماعيل والملك الكامل شعبان والملك للمظفر حاجى هذا ، وتنافسوا فيها وأعتنوا بجواهرها حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية .

وسبب إخراج إِتِّفَاقٍ وهؤلاء من الدور السلطانية أن الأمراء الخالصية : قَرَابِئاً وصَمْفَارٍ وغيرهما بلغهما إنكار الأمراء الكبار والماليك السلطانية شدة شغل السلطان بالنسوة الثلاث المذكورات وأنهما كه على اللهو بهن ، وأنقطاعه إليهن بقاعة الدهيشة عن الأمراء وإتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لمن ولأمثالهن ، وإعراضه عن تدبير الملك ، وخوفوه عاقبة ذلك ، فتلطف بهم وصوب ما أشاروا

(١) أصلها من المدن المصرية القديمة أسمها المصرى « حنب حيم » والقبطى « بهتيم » وذكرها ابن دقاق فى كتاب الانتصار فقال : « بهتيم من المدن القديمة وبها كيان وآثار قديمة ، وهى إلى جانب قرية الأميرية من ضواحي القاهرة » . وذكرها المقرئ فى خطه عند الكلام على ضواحي القاهرة (ص ١٢٩ ج ٢) باسم بهتيم ثم حرف أسمها بعد ذلك من بهتيم وبهتيم إلى بهتيم وهو أسمها الحالى ، وهى الآن قرية زراعية من قرى ضواحي القاهرة

وقد أخذت الجمعية الزراعية الملكية جزءاً من أراضى هذه البلدة حقولاً لتجارب الزراعة وأنشأت بها مزرعة نموذجية كبيرة ، وحظائر لتربية الخيول العربية وأنواع البقر والجاموس والأغنام والدواجن وغيرها . وتقع بهتيم فى شمال القاهرة على بعد سبعة كيلومترات . ومساحة أراضها ٢٦٣٢ فداناً . وسكانها حوالى ٦٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها وعددها ٣٣ عزبة .

- به عليه من الإفلاق عن اللهو بالنساء ، وأخرجهم السلطان وفي نفسه حَزَازَات
لِقَرَأَتِهِمْ ، تمنعه من الهدوء والصبر عنهم ، فأحب أن يتعوض عنهم بما يلهمه
ويُسَلِّيه ، فأختار صنف الحَمَام ، وأنشأ حَضِيرًا ^(١) على الدهيشة رُكِّبَه على صواري
وأخشاب عالية ، وملاؤه بأنواع الحَمَام ، فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعة آلاف
درهم ، وبينما السلطان في ذلك قَدِم جماعة من أعيان الحلبيين وشكوا من الأمير
يَدمر البدرى نائب حلب فعزله السلطان بأرغون شاه نائب صفد، ورسم ألا يكون
لنائب الشام عليه حُكْم ، وأن تكون مكاتباته للسلطان ، حمل إليه التقليد الأمير
طَنْسِيق .

- ثم وَرَدَ الخَبْرُ باختلال مراكز البريد بطريق الشام ، فأخذ من كل أمير مقدم
الف أربعة أفراس ، ومن كل طبلخاناه فرسان ، ومن كل أمير عشرة فرس واحد ،
وَكُشِفَ عن البلاد المُرَصَّدة للبريد فوجد ثلاث بلاد منها وقف الملك الصالح إسماعيل ،
وقف بعضها وأخرج باقيها لإقطاعات ، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجَّان ^(٢)
بلدًا تعمل في كل سنة عشرين ألف درهم ، وثلاثة آلاف إردب غلَّة ، وجعلها
مرصدة لمراكز البريد .

- وَأَسْتَمَرَ خاطر السلطان موغرا على الجماعة من الأمراء بسبب إلتفاق وغيرها ،
إلى أن كان يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ،
كانت الفتنة العظيمة التي قُتِلَ فيها مَلِكُكُمْرَ المِجَازِي وآق سنقر وأُمِسِك بَزْأَر

(١) في الدرر الكامنة : « حظير » بالظاء المعجمة

(٢) في السلوك والدرر الكامنة : « فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم » .

- (٣) هو عيسى بن حسن العائدي ، خدم الناصر أحمد وهو بالكرك فلما عاد إلى ملكه سلم إليه الهجس
السلطانية وأحمد عليه فظلمت مرتبته وكثرت أمواله ، وصارت الشرقية كلها في حكمه إلى أن ول الحُكْم
السلطان حسن بن الناصر فقبض عليه في ربيع الآخر سنة ٧٥٤ هـ (عن الدرر الكامنة) .

وصَفَّارَ وَأَيْمَنُشَ عبد الغنى، وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج إتفاق وغيرها ،
وتشاغل بلعب الحمام صار يُحضِر إلى الدهيشة الأوباش، ويلعب بالعصا لعب صَبَاح^(١)،
ويُحضِر الشيخ على بن الكسيح مع حفاظه يَسْخَرُ له وينقل إليه أخبار الناس، فسُقَّ
ذلك على الأمراء وحدثوا أُلْجِيفًا وَطَنَرَقَ بأن الحال قد فسد، فعرفا السلطان ذلك،
فاشتدَّ حَنَقُهُ، وأطلق لسانه ، وقام إلى السطع ودَبَّجَ الحمام بيده بحضرتيها، وقال
لها : والله لأذْبَحَنَّكم كما ذبحت هذه الطيور ، وأغلق باب الدهيشة، وأقام غضبان
يومَهُ وِلَّتَهُ ، وكان الأمير غُرْلُو قد تَمَكَّنَ من السلطان فأعلمه السلطان بما وقع ،
فنال غُرْلُو من الأمراء وهَوَّنَ أمرهم عليه ، وجسَّره على الفتك بهم والقبض على
أَق سُنْقَرٍ، فأخذ السلطان في تدبير ما يفعله ، وقزَّر ذلك مع غرلو . ثم بعث طَنَرَقَ
في يوم الأربعاء خامس عشر شهر ربيع الآخر إلى النائب يُعزِّفه أن قرَابَةً القاسمي
وصَفَّارَ وَبُزْلازَ وَأَيْمَنُشَ عبد الغنى قد اتَّفَقُوا على عمل نِئْنة، وعزى أن أقبض عليهم
قبل ذلك ، فوعده النائب برَدِّ الجواب غدًا على السلطان في الخدمة ، فلما اجتمع
النائب بالسلطان أشار عليه النائب بالثبُّت في أمرهم حتى يَصْبحَ له ما قيل عنهم .
ثم أصبح فعزَّفه السلطان في يوم الجمعة بأنه صحَّ عنده ما قيل بإخبار بَيْيغَا أُرُسَ أنهم
تخالفوا على قتله ، فأشار عليه النائب أن يجمع بينهم وبين بَيْيغَا أُرُسَ ، حتى يُحقِّقَهم بحضرة

(١) في الدرر الكامنة : « وصار يحضر الأوباش بين يديه يلعبون بالصراع » . ولم تقف على معنى :

« لعب صباح » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) تقدم ذكر هذا الأسم في الجزء التاسع من هذه الطبعة في غير موضع وضبطناه هناك بناء على ما ورد
في المنهل الصافي ؛ وحيث إن المؤلف نفسه قال هنا في أثناء ترجمة الملك المظفر حاجي : « وقد ذكرناه
أيضاً نحن في المنهل الصافي في حرف الهزة ، غير أن جماعة كثيرة ذكروه « غرلو » فأفندنا بهم هنا
وخالفناهم هناك » . وسنعمد على ما ذكره المؤلف هنا . وقد ضبط بالقلم في غير موضع في تاريخ سلاطين
المماليك (بضم الفين المعجمة وسكون الراء وضم اللام) . انظر ابن إياس (ج ١ ص ١٨٧) وانظر السلوك
طبعة زبادة (ص ٨٠٨ ج ١) .

الأمراء يوم الأحد، وكان الأمر على خلاف هذا، فإن السلطان كان آتق مع عُزْلُو
وَعَبَر السَّحَرَى مَقْدَم الممالك على مسك آق سُتْقَر وَمَلِكْتَمَر المجازى في يوم الأحد.
فلما كان يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر المذكور حضر الأمراء والنائب^(١)
إلى الخدمة على العادة بعد العصر ومُدَّ السباط ؛ وإذا بالقصر قد مُلِيَ بالسيوف
المسألة من خلف آق سُتْقَر والمجازى ، وأحيط بهما وبِقَرَأُغَا، وأخذوا إلى قاعة
هناك ، فضُرب مَلِكْتَمَر المجازى بالسيوف وقُطِعَ هو وآق سُتْقَر قطعاً ، وهَرَبَ
صَمْفَار وأَيْتَمَش عبد الغنى ، فركب صمفار فرسته من باب القلعة، وفر إلى القاهرة ،
وأخفى أَيْتَمَش عند زوجته، ونحرت الخيل وراء صمفار حتى أدركوه خارج القاهرة ؛
وأخذ أَيْتَمَش من داره فَأَرْتَمَتْ القاهرة ، وغُلِّقَت الأسواق وأبواب القلعة ، وكَثُرَ^(٢)
الإرجاف إلى أن خرج النائب والوزير قريب المغرب ، وطلبا الوالى وَنُودَى بالقاهرة ،
فاشتهر ما جرى بين الناس ، وخاف كُلُّ أحد من الأمراء على نفسه .

ثم أمر السلطان بالقَبْض على مرزة على وعلى محمد بن بَكْتَمَر الحاجب وأخيه
وعلى أولاد أَيْدُعْمَش [وأولاد قُمَارَى ، وأُخْرِجُوا الجميع إلى الإسكندرية هم وبُزْلَار
وأَيْتَمَش] وصمفار ، لأنهم كانوا من أَلِزام المجازى ومعاشره ، فسُجِنُوا بها ، وأُخْرِجَ
آق سُتْقَر وَمَلِكْتَمَر المجازى في ليلة الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر على جَنَوِيَّاتٍ^(٣)
فَدَفِنَا بالقرافة . وأصبح الأمير شُجَاع الدين عُزْلُو وجلس في دَسْت عظيم ، ثم رَكِبَ^(٤)

(١) في الأصلين : « تاسع عشر شهر ربيع الأول » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) في م والسلوك : « وبضع ... الخ » . (٣) في الأصلين : « وكثرت » . وما أثبتناه
عن السلوك . (٤) في م : « ثم رسم السلطان ... الخ » . (٥) العبارة المصورة بين
المرجعين [غير موجودة في ف . والنكدة عن م والسلوك . (٦) الجنويات جمع جنوبية ،
وهي النقال التي تستخدم لنقل الجرحى والموتى (انظر كترميز ج ٣ ص ١١٣) .

(٧) في الأصلين : « فدفعوا » وما أثبتناه عن السلوك . هو ما اقتضاه السياق .

وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والمسوكين وعلى أموالهم ، وطلع بجميع خيولهم إلى الإسطبل السلطاني ، وضرب عبد العزيز الجوهري صاحب آق سُنقر وعبد المؤمن أستاذاره بالمقارع ، وأخذ منهما مالا جزيلا ، فخلع السلطان على الأمير غُرْلُو قَبَاء من ملابسه بطرز زَرَكَش مريض ، وأركبه فرساً من خاص خيل الجحازي بسرج ذهب وكنبوش زَرَكَش :

ثم خلا به يأخذ رأيَه فيما يفعل فأشار عليه بأن يكتب إلى نواب الشام بما جرى ، ويُعَدِّد لهم ذنوباً كثيرة ، حتى قبض عليهم ، فكتب إلى الأمير يلبغا اليحيائي نائب الشام على يد الأمير آق سُنقر المظفري أمير جَاندَار ، فلما بلغ يلبغا الخبر كتب الجواب يستصوب ما فعله في الظاهر ، وهو في الباطن غير ذلك ، وعظم عليه قتل الجحازي وآق سُنقر إلى الغاية . ثم جمع يلبغا أمراء دِشَق بعد يومين بدار السعادة وأعلمهم الخبر ، وكتب إلى النواب بذلك ، وبعث الأمير ملك آص إلى خُص وحمّة وحلب ، وبعث الأمير طيغنا القاسمي إلى طرابُلُس . ثم أنتقل في يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى إلى القصر بالميدان فنزل به ، ونزل أُلزامة حوله بالميدان ، وشرع في الاستعداد للخروج عن طاعة الملك المظفر هذا .

(١) المقصود بدار السعادة هنا دار الحكومة التي يقيم فيها الوالي أو الحاكم لإدارة شؤون الحكم . سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٢٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) يلاحظ أن تواريخ الحوادث ابتداء من جمادى الأولى سنة ٧٤٨ هـ فيها اختلافات كثيرة عما ورد في السلوك للقریزی ، وقد رجحنا إبقاؤها على ما هي عليه طبقاً للأصلين واعتاداً على ما ورد في أعيان العصر للصفدي (ج ٧ ص ٢٩٨) والمتهل الصافي لتؤلف . انظر ترجمة يلبغا اليحيائي الناصري في الخطط القرزية (ج ٢ ص ٤١ و ٤٤ و ٧١ و ٧٢ و ٣٠٥ و ٣٠٨) وانظره في ابن أبياس (ج ص ١٧١ و ١٧٨ و ١٨٤ و ١٨٧ و ١٨٨) وانظره في صبح الأعشى للقلقشندي (ج ١٢ ص ٢٠) وانظره في الخطط التوفيقية في (ج ١ ص ٣٦ ، ج ٤ ص ٨٣) وانظره في تاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤٠٧ و ٤٢٦) .

وأما السلطان الملك المظفر فإنه أخذ بعد ذلك يستميل أماليك السلطانية بتفرقة المال فيهم، وأمر منهم جماعة، وأنعم على غُرْلُو بإقطاع أَيْمَشْش عبد الغنى وأصبح غُرْلُو هو المشار إليه في المملكة، فعظمت نفسه إلى الغاية .

- ثم أخرج السلطان ابن طُقْرَدْمَرْ على إمرة طبلخاناه بحلب وأنعم بتقدمته على الأمير طاز، وتولى غُرْلُو بيع قماش الأمراء وخيولهم، وصار السلطان يخوف من الثواب بالبلاد الشامية إلى أن حضرت أجوبتهم بتصويب ما فعله، فلم يطمئن بذلك، ورسم بخروج تيجريدة إلى البلاد الشامية، فرسم في عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء من المقدمين بالديار المصرية، وهم الأمير طَيْبُغَا المَجْدِيَّيْ وَبُلَّكْ الجَمْدَار والوزير نجم الدين محمود بن ثَمْرَوَيْنَ وطَنْفَرَا وَأَيْمَشْش الناصري الحاجب وَكُوكَايَ وَالزَّزَاقَ ومعهم مضافوهم من الأجناد، وطلب الأجناد من النواحي، وكان وقت إدراك المغل، فصعب ذلك على الأمراء، وأرتجت القاهرة بأسرها لطلب السلاح وآلات السفر .

- ثم كتب السلطان إلى أمراء دِمَشْقَ ماطفات على أيدي النجابة بالتيقظ بحركات الأمير يَلْبُغَا الْيَحْيَاوِيَّ نائب الشام . ثم أشار النائب على السلطان بطلب يَلْبُغَا ليكون بمصر نائباً أو رأس مشورة فإن أجاب وإلا أعلم^(١) بأنه قد عُزِلَ عن نيابة الشام بَارْغُونُ شاه نائب حلب، فكتب السلطان في الحال يطلبه على يد أَرَايَ أمير آخُور، وعند سفر أَرَايَ قدمت كُتُبُ نَائِبِ طَرَابُلُسَ ونائب حماة ونائب صَفَدَ على السلطان بأن يلبغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتل الأمراء، وبعثوا بكتبه إليه فكتب السلطان لَارْغُونُ شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مُهَنَّا بمنك الطرقات على يَلْبُغَا وأعلمه أنه ولآه نيابة الشام عوضه، فقام أَرْغُونُ شاه في ذلك أتم قيام ،

(١) في الأصلين: « وإلا فاعلم » . وما أثبتناه عن السلوك .

وأظهر لبلغا أنه معه ، ولما وصل إلى بلغا رأى أمير آخور في يوم الأربعاء
سادس جمادى الأولى ودعاه إلى مصر ليكون رأس أمراء المشورة ، وأن نيابة
الشام أنعم بها السلطان على الأمير أرغون شاه نائب حلب ، ظنَّ بلغا أن امتدعاه
حقيقة ، وقرأ كتاب السلطان فأجاب بالسمع والطاعة ، وأنه إذا وصل أرغون
شاه إلى دمشق توجه هو إلى مصر ، وكتب الجواب بذلك ، وأعادته سريعاً ،
فتحلَّت عند ذلك عزائم أمراء دمشق وغيرها عن بلغا ، وتجهَّز بلغا وخرج إلى الكسوة^(١)
ظاهر دمشق في خامس عشره ، وكانت ملطقات السلطان قد وردت إلى أمراء
دمشق بإمساكه ، فركبوا على حين غفلة وقصدوه ففتر منهم بماليكه وأهله وهم
في أثره إلى خلف ضمير^(٢) . ثم سار في البرية يريد أولاد تمر دأش ببلاد الشرق ، حتى
نزل على حماة بعد أربعة أيام ونحس ليل ، فركب الأمير قطليجا نائب حماة بعسكره
فتلقاه ودخل به إلى المدينة وقبض عليه وعلى من كان معه من الأمراء ، وهم الأمير
قلاوون والأمير سيفه والأمير محمد بك بن جُحَى وأعيان مماليكه وكتب للسلطان
بذلك ، فقدم الخبر بذلك على السلطان في جمادى الأولى أيضاً ، فسرَّ سروراً زائداً ،
ورسم في الوقت بإبطال التجريدة . ثم كتب يحمل بلغا اليحايوى المذكور إلى مصر .

ثم بدا للسلطان غير ذلك وهو أنه أخرج الأمير منجك اليوسفى السَّلاح دار
بقتله ، فسار منجك حتى لقي آجُنباً^(٣) [المحوى] ومعه بلغا اليحايوى وأبوه بقاقون^(٤)
فترَل منجك بقاقون ، وصعد ببلغا اليحايوى إلى قلعة قاقون وقتله بها في يوم الجمعة

(١) في السلوك : « وخرج إلى الجسورة » . وقد تقدَّم الكلام على الجسورة في الحاشية رقم ٣
ص ٢٩٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة كما تقدَّم الكلام على الكسوة في الجزء السابع أيضاً من هذه
الطبعة ص ٧٦ الحاشية رقم ٢ (٢) بالتصغير ، موضع قرب دمشق ، وقيل هي قرية وحصن في آخر
حدود دمشق مما يلي السَّوْدَة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) التكله عن السلوك والمنهل الصافي .
(٤) في م : « واغوه » . وفي ف : « أبوه » . وتصحيحه من السلوك والمنهل الصافي .

عشرين جمادى الأولى ، وحرّ رأسه وحمله إلى السلطان . قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : « وكان يلغا حسن الوجه مَلِيحٌ الثَّغْرُ أبيض اللون ، طويل القامة من أحسن الأشكال ، قل أن ترى العيون مثله ، كان ساقياً ، وكانت الإنعامات التى تصل إليه من السلطان لم يفرح بها أحد قبله . كان يُطْلَقُ له الخيل بسرّوجها وعددها وآلاتها الزركش والذهب المصوغ خمسة عشر فرسا والأكاديش ما بين مائتى رأس فيُنعم بها عليه ، وتُجهز إليه الخلع والحوائص وغير ذلك من التشاريّف التى يرسمُ له بها خارجة عن الحد . وب له الإسطبل الذى فى سوق الخيل تُجاء القلعة » .

قلت : والإسطبل المذكور كان مكان مدرسة السلطان حسن الآن . اشتراه السلطان حسن وهدمه وبني مكانه مدرسته المعروفة به . وقد سقنا ترجمته أى يلغا اليغياوى بأوسع من هذا فى تاريخنا « المنهل الصافى » إذ هو كتاب تراجم . انتهى . ١٠

وفى يوم الأحد خامس عشرين جمادى الأولى المذكور أخرج السلطان الوزير نجم الدين محمود والأمير بيدمر البدرى نائب حلب كان ، والأمير طغتمش النجمى الدوادار إلى الشام ؛ وسببه أن الأمير نجما الدين غرّو لما كان شاذ الدواوين قبل تاريخه حقد على الوزير نجم الدين المذكور وعلى طغتمش الدوادار ، فحسن للسلطان أخذ أموالها ، فقال السلطان للنائب عنهما وعن بيدمر أنهم كانوا يكتبون يلبفاً ١٥ فأشار عليه النائب بإبعادهم ، وأن يكون الوزير نجم الدين نائب غزّة وبيدمش نائب حصّ وطغتمش نائب طرابلس ، فأخرجهم السلطان على البريد ، فلم يجب غرّو ذلك ، وأكثر عند السلطان من الوقعة فى الأمير أرقطاي النائب حتى غير السلطان عليه . وما زال به حتى بعث السلطان بأرغون الإسماعلى إلى نائب غزّة بقتلهم

(١) فى الأملىن . « ملحق النفس » . وما أشتاد عن المنهل الصافى .

فدخل أرغون معهم إلى غزاة بعد العصر وعرف النائب ما جاء بسببه ، فقبض عليهم
 نائب غزاة وقتلهم في ليلته ، وعاد أرغون وعرف السلطان الخبر ، فتغير قلب الأمراء
 ونفر خواطهم في الباطن من السلطان وميله إلى غرلو ، وتمكن غرلو من السلطان
 وأخذ أموال من قتل ، وتزايد أمره واشتدت وطأته ، وكثر إتمام السلطان عليه
 حتى إنه لم يكن يوم إلا وينعم عليه فيه بشيء . ثم أخذ غرلو في العمل على علم
 الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص^(١) وعلى القاضي علاء الدين على بن فضل الله
 العمري كاتب السر . وصار يحسن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالهما ، فتلطف
 النائب بالسلطان في أمرهما حتى كف عنهما ، فلم يبق بعد ذلك أحد من أهل الدولة
 حتى خاف من غرلو وصار يضامه بالمال حتى يسترضيه . ثم حسن غرلو^(٢)
 للسلطان قتل الأمراء المحبوسين بالإسكندرية ، فتوجه الطواشي مقبل الروم بقتلهم
 فقتل الأمير أرغون العلائي وقرباغا القاسمي وتمر الموساوي وصمغار وأيتمش عبد الغني ،
 وأفرج عن أولاد قماري وأولاد أيدغمش وأخرجوا إلى الشام . واستمر السلطان على
 الأتھماك في لهوه ، فصار يلعب في الميدان تحت القلعة بالكرة في يومى الأحد
 والثلاثاء ، ويركب إلى الميدان الذي على النيل في يوم السبت .

فلما كان آخر ركوبه إلى الميدان رسم السلطان بركوب الأمراء المقدمين
 بمضافهم^(٣) ووقوفهم صفين من الصليبية إلى فوق القلعة ليرى السلطان عسكره ، فضاقت
 الموضوع ، فوقف كل مقدم بخمسة من مضافيه ، وجمعت أرباب الملاحى ، ورتبت

(١) في ف : « الخواص » والتصويب عن م والسلوك . (٢) في ف : « القبض
 على هؤلاء » والتصويب عن السلوك وم . (٣) في ف : « إلا خاف » . (٤) في ف :
 « حتى يستوصيه » . (٥) هو الميدان الناصري الذي كان على النيل بأرض القصر العالي
 (جاردن سى) بالقاهرة . سبى التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
 (٦) في السلوك : « عصاميهم » . (٧) في السلوك : « الاصطبل »

في عدة أماكن من القلعة إلى الميدان . ثم رَكِبَت أُمُّ السُلْطَانِ فِي جَمْعِهَا ، وَأَقْبَلَ
النَّاسُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَبَلَغَ كِرَاءُ كُلِّ طَبَقَةٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَكُلُّ بَيْتٍ كَبِيرٍ لِنِسَاءِ الْأُمَرَاءِ
مِائَتِي دِرْهَمٍ ، وَكُلُّ حَانُوتٍ خَمْسِينَ دِرْهَمًا ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ إِنْسَانٍ بِدِرْهَمَيْنِ . فَكَانَ يَوْمٌ
لَمْ يَمُودَ فِي رُكُوبِ الْمِيدَانِ مِثْلَهُ .

- (١١) ثم في يوم الخميس خامس عشره قبضَ السُلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ هَذَا عَلَى أَكْثَرِ أَمْرَائِهِ
وَمَدَّ بِرَمْلِكَتِهِ الْأَمِيرَ تُجَاعَ الدِّينِ غُرْلُو وَقَتْلَهُ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ أُمُورٌ : مِنْهَا شِدَّةُ كِرَاهِيَةِ
الْأُمَرَاءِ لَهُ لِسُوءِ سِيرَتِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَخْلُو بِالسُّلْطَانِ ، وَيُشِيرُ عَلَيْهِ بِمَا يَشْتَبِيهِ ، فَمَا كَانَ السُّلْطَانُ
يُخَالِفُهُ فِي شَيْءٍ ، وَكَانَ عَمَلُهُ أَمِيرُ سِلَاحٍ نَخَرَجَ عَنِ الْحَدِّ فِي التَّعَاطُفِ ، وَجَسَّرَ السُّلْطَانُ
عَلَى قَتْلِ الْأُمَرَاءِ ، وَقَامَ فِي حَقِّ النَّائِبِ أَرْقُطَايَ يَرِيدُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ وَقَتْلَهُ ، وَاسْتِمَالِ
الْمَالِكِ النَّاصِرِيَّةِ وَالصَّالِحِيَّةِ وَالْمُظْفَرِيَّةِ بِكَلَمِهِمْ ، وَأَخَذَ يُقَرِّرُ مَعَ السُّلْطَانِ ، أَنْ يُقَوِّضَ
إِلَيْهِ أُمُورَ الْمَمْلَكَةِ بِأَسْرَافِهَا لِيَقُومَ عَنْهُ بِتَدْيِيرِهَا ، وَيَتَوَقَّرَ السُّلْطَانُ عَلَى لَذَاتِهِ .

- ثم لم يكفِ ذلك ، حَتَّى أَخَذَ يُغَرِّى السُّلْطَانُ بِالْجُيُفَا وَطَنْبَرِقَ وَكَانَا أَخَصَّ النَّاسِ
بِالسُّلْطَانِ ، وَلَا زَالَ يُعْمِنُ فِي ذَلِكَ حَتَّى تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمَا ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْجُيُفَا ،
وَتَنَاقَلَتْهُ الْمَالِكِيَّةُ فَتَعَصَّبُوا عَلَيْهِ وَأَرْسَلُوا إِلَى الْأُمَرَاءِ الْبُكَارِ ، حَتَّى حَدَّثُوا السُّلْطَانُ
فِي أَمْرِهِ ، وَخَوَّفُوهُ عَاقِبَتَهُ ، فَلَمْ يَعْزَّ بِالسُّلْطَانِ بِقَوْلِهِمْ ، فَتَنَكَّرُوا بِأَجْمَعِهِمْ عَلَى السُّلْطَانِ
بِسَبَبِ غُرْلُو إِلَى أَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ مِنْ بَعْضِ ثِقَاتِهِ ، فَأَسْتَشَارَ النَّائِبَ فِي أَمْرِ غُرْلُو
الْمَذْكُورِ ، فَلَمْ يُشِيرْ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ لِلْسُّلْطَانِ : لَعَلَّ الرَّجُلَ قَدْ كَثُرَتْ حُسَادُهُ
عَلَى تَقَرُّبِ السُّلْطَانِ لَهُ ، وَالْمَصْلَحَةُ التَّثْبُتُ فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ أَرْقُطَايَ النَّائِبُ عَاقِلًا
سَيُوسًا ، يَتَحَنَّنُ مِنْ مَعَارَضَتِهِ غَرَضُ السُّلْطَانِ فِيهِ ، فَأَجْتَهَدَ الْجُيُفَا وَعَدَّةٌ مِنَ الْخَاصِيكَةِ
فِي التَّدْيِيرِ عَلَيْهِ وَتَخْوِيفِ السُّلْطَانِ مِنْهُ وَمِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ ، حَتَّى أَثَرَقُوا لَهُمْ فِي نَفْسِ

السلطان ، وأقاموا الأمير أحمد شاذ الشراينجناه ، وكان مزارحاً للوقعة فيه ،
 فأخذ أحمد لحاق الشراينجناه في خلوته مع السلطان يذكر كراهية الأمراء لفُسرلُو
 وموافقة المالك له ، وأنه يريد أن يدبر الملكة ويكون نائب السلطنة ليتوثب
 بذلك على الملكة ^(١) ويصير سلطاناً ، ويخرج له قوله هذا في وجه المسخريه والضحك ،
 وصار أحمد المذكور يُبالغ في ذلك على عدة فنون من الهزل ، إلى أن قال
 السلطان : أنا الساعه أخرجه وأعمله أمير آخور ، فعصى أحمد شاذ الشراينجناه
 إلى النائب وعرفه بما وقع في السر ، وأنه جسر السلطان على الوقعة في غرلُو ،
 فبعث السلطان وراء النائب أرطاي واستشاره في أمر غرلُو ثانياً فأنهى عليه
 النائب وشكره ، فعرف السلطان كثرة وقعة الخاصكية فيه ، وأنه قصد أن يعمله
 أمير آخور ، فقال النائب : غرلُو رجل شجاع جسور لا يليق أن يعمل أمير آخور ،
 فكأنه أيقظ السلطان من رقدته بحسن عبارة وألفظ إشارة ، فأخذ السلطان
 في الكلام معه بعد ذلك فيما يوليه ! فأشار عليه النائب بتوليته نيابة غرة ، فقبل
 السلطان ذلك ، وقام عنه النائب ، فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة وبعث الأمير
 طنيرق إلى النائب أن يخرج غرلُو إلى نيابة غرة ، فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلُو
 على عادته إلى القلعة وجلس على باب القلعة ، فبعث النائب يطلبه ، فقال : مالى عند
 النائب شغل وما لأحد معي حديث غير أستاذي ، فأرسل النائب يعرف السلطان
 جواب غرلُو فأمر السلطان مغلطاي أمير شكار وجماعة من الأمراء أن يعرفوا غرلُو
 عن السلطان أن يتوجه إلى غرة ، وإن أمتنع يسكوه ، فلما صار غرلُو بداخل
 القصر لم يتحدثوه بشئ ، وقبضوا عليه وقيدوه وسلموه لألجبيغا فأدخله إلى بيته

(١) فم : « الدولة » (٢) رواية السلوك : « ويخرج قوله هذا في صورة المسخريه والضحك »

(٣) في الأصلين : « جسر » وما أثبتناه عن السلوك

(١) بالأشرنية ، فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة قتلوا غُرُلُو وهو في الصلاة ، وأخذ السلطان بعد عودته من الصلاة يسأل عنه ، فقتلوا عنه أنه قال : أنا ما أروح مكانا ، وأراد سَل سيفه وضرب الأمراء به فتكاثروا عليه فما سلم نفسه حتى قُتِل ، فمز قتلته على السلطان ، وحقد عليهم لأجل قتله ، ولم يُظهر لهم ذلك ، ورَمَمَ بإيحاء الحوطة على حواصله . وكان لموته يوم مشهود .

(٢) ثم أُخرج بُرُلُو المذكور ودُفِنَ بباب القرافة ، فأصبح وقد خرجت يده من القبر ، فأثاه الناس أفواجا ليروه ونبشوا عليه وجروه بحبل في رجله إلى تحت القلعة ، وأتوا بنار ليحرقوه وصار لهم منجيج عظيم ، فبعث السلطان عتة من الأوجاقية قبضوا على كثير من العامة ، فضربهم الوالى بالمقارع وأخذ منهم غُرُلُو المذكور ودفنه . ولم يظهر لغرلو المذكور كثير مال .

١٠

قلت : ومن الناس من يُسميه «أَغْرُلُو» بالف مهموزة وبعدها غين معجمة مكسورة زاي ساكنة ولا مضمونة وو او ساكنة . ومعنى أَغْرُلُو باللغة التركية : «له فم» وقد ذكرناه نحن أيضا في المنهل الصافي في حرف الهمزة ، غير أن جماعة كثيرة ذكروه «غُرُلُو» فأقتدينا بهم هنا وخالفناهم هناك ، وكلاهما أسم باللغة التركية . انتهى .

١٥

وكان غُرُلُو هذا أصله من ممالك الحاج بهادر العزى ، وخدم بعده عند بكتمر الساق وصار أمير آخوره ، ثم خدم بعد بكتمر عند بُشْتَك ، وصار أمير آخوره أيضا . ثم ولي بعد ذلك ناحية (أشمون) ، ثم ولي نيابة القنوبك . ثم ولي القاهرة ، وأظهر العقّة

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك : «من الأرض» .

(٣) المقصود هنا أشمون الرمان التي بمركز دكنس بمديرية الدقهلية بمصر . سبق الطبق عليها في الحاشية رقم ٢

ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة ، وذكرنا في الحاشية المذكورة أن أسمها الروى «يانغوسوس» والصواب أن هذا الاسم الروى هو أسم بلدة المنزلة الواقعة مع أشمون على البحر الصغير بمديرية الدقهلية .

(٤) قلعة من تلاح الكوك : انظرها في ياقوت ج ٢ ص ٣٣٢ وصحح الأضج ج ٢ ص ١٥٦

والأمانة، وحسنت سيرته، ثم تقرب عند الملك الكامل شعبان، وفتح له باب الأخذ
 في الولايات والإقطاعات، وعمل لذلك ديوانا قائم الذات، سُمي ديوان البذل^(١)،
 فلما تولى صاحب نقي الدين بن مراحيل الوزر شاحمه في الجلوس والعلامة، فترجى
 صاحب نقي الدين وعزل غرلوهذا عن شد الدواوين، ودام على ذلك إلى أن
 كانت نوبة السلطان الملك المظفر كان غرلوهذا ممن قام معه، لما كان في نفسه
 من الكامل من عزله عن شد الدواوين، وضرب في الوقعة أرغون العلاني
 بالسيف في وجهه، وتقرب من يوم ذاك إلى الملك المظفر، حتى كان من
 أمره ما حكينا .

ثم خرج السلطان الملك المظفر بعد قتله إلى سرباقوس على العادة وأقام بها
 أياما، ثم عاد وخلص على الأمير منجك اليوسفي السلاح دار باستقراره حاجبا يدمشق
 عوضا عن أمير على بن طغرل . وأنعم السلطان على آثني عشر من الممالك
 السلطانية بإمرات ما بين طبلخاناه وعشرة وأنعم بتقدمة الأمير منجك السلاح دار
 على بعض خواصه .

وفي يوم مستهل شعبان خرج الأمير طينغا المجدي والأمير أسندمر العمري
 والأمير بئغرا والأمير أرغون الكامل والأمير بئغا أرص والأمير بئغا ططر إلى
 الصيد . ثم خرج الأمير أرقطاي النائب بعدهم إلى الوجه القبلي بطيور السلطان،
 ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من شهر رمضان، فخلا الجو
 للسلطان، وأعاد حضير الحتام وأعاد أرباب الملاعب من الصراع والثقاف
 والشباك، وجرى السعاة، ونطاح الكباش، ومناقرة الديوك، والقيار، وغير ذلك
 من أنواع الفساد. ونودي بإطلاق اللعب بذلك بالقاهرة [ومصر]^(٢) وصار للسلطان

(١) في م : « البذل » . (٢) الزيادة عن السلوك .

- (١) اجتماع بالأوباش وأراذل الطوائف من الفراشين والبابية ومُطَيَّرى الحمام ، فكان السلطان يقف معهم ويُرَاهن على الطير الفلاني والطيرة الفلانية ؛ وبينما هو ذات يوم معهم عند حَضِيرِ الحمام ، وقد سَيَّهَا إِذْ أَذِنَ المصير بالقلمة والفرافة بَحَقَلَتْ الحمام عن مقاصيرها وتطارت فَنَضِبَ وبعث إلى المؤذنين بأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم . ويلعب مع العَوَامَ بالعصى وكان السلطان إذا لعب مع الأوباش يتعزى ويلبَسُ ثُبَانٌ يَجْلِدُ ويصارع معهم ويلعب بالرُّمَحِ والكُرَّةِ ، فيظَلُّ نهاره مع الغلمان والعبيد في الدهيشة ، وصار يتجاهر بما لا يليق به أن يفعله .
- ثم أخذ مع ذلك كله في التديير على قتل أخيه حسين ، وأرصد له عِدَّةَ خُدَّامٍ ليهجموا عليه عند إمكان الفرصة ويقتالوه ، فبلغ حسينا ذلك فتمارص وأحترس على نفسه فلم يحدوا منه غَفْلَةً .

١٠

- ثم في سابع عشر شعبان تُوُفِيَ الخليفة أبو الربيع سليمان ، وبُوع بالخلافة ابنه أبو بكر ولُقِّبَ بالمعتصم بالله أبي الفتح . وفي آخر شعبان قَدِمَ الأشراف من الصيد شيئاً بعد شيء ، وقد بلغهم ما فعله السلطان في غيبتهم ، وقَدِمَ ابنُ الحزاني من دمشق بمال يَلْبِغُ اليَحْيَاوِي فتسلمه الخُدَّامُ ، وأنعم السلطان من ليلته على حَظِيَّتِهِ « كيدا » من المال بعشرين ألف دينار ، سوى الجواهر والآلَى ونَثَرَ الذهب على الخُدَّامِ والجواري ، فاخطفوه وهو يضحك ، وفترق على لُعَابِ الحمام والفراشين والعبيد الذهب والوَلُولُ ، وهو يَحْدِفُهُ عليهم وهم يترامون عليه وياخذونه بحيث إنه لم يدع من مال يلبغا سوى

١٥

- (١) البابية جمع باباء ، وهو حسب ماورد في صبح الأعشى (ج ٥ ص ٤٧٠) لقب عام بجميع رجال الفتن حاناه من يتعاضى النسل والصقل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ومعناه أبو الآباء ، وكأنه لقب بذلك نساً تماطى ما فيه ترفه مخدومه من تنظيف قماشه ونحسين هيئته — أشبه الأب الشفيق فلقب بذلك .
- (٢) في الأصلين : « ثياب جلد » وتصويب عن السلوك والبيان . (بالغصم والتشديد) : سروال صغير مقدار شبر يستر العورة المظلمة يكون للآحين والمصارعين (عن لسان العرب) .

٢٠

القماش، فكان جملة التي فزقها ثلاثين ألف دينار وثلثمائة ألف درهم، وجواهر وحلياً
 ولؤلؤاً وزركشاً ومصاعاً، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار، فعظم ذلك على
 الأمراء، وأخذ ألبليغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من لعب الحمام
 وتقريب الأوباش، وخوفاه فساد الأمر، فغضب وأمر أجبأشاد والعماد بن خراب
 حَضِير الحمام، ثم أحضر الحمام وذبحهم واحداً بعد واحد بيده وقال لألبليغا وطنيرق:
 والله لأذبحنكم كلُّكم كما ذبحتُ هذا الحمام وتركهم وقام، وفرق جماعةً من خُشْدَاشِيَّةِ
 ألبليغا طنيرق في البلاد الشامية، وأستمر على إغراضه عن الجميع، ثم قال لحظايه
 وعنده معهن الشيخ على بن الكسيح: والله ما بقيَ ههنا لى عيش وهذان الكذابان
 بالحياة (يعنى بذلك عن ألبليغا وطنيرق) فقد فسدا على جميع ما كان لى فيه سرور،
 وأنفقا على، ولا بُد لى من ذبحهما، فنقل ذلك أبْنُ الكسيح لألبليغا فإن ألبليغا
 هو الذى أوصله إلى السلطان، وقال: مع ذلك خذ لنفسك فوائده لا يرجع عنك
 وعن طنيرق، فطلب ألبليغا طنيرق وعرفه ذلك، فأخذا في التدبير عليه في الباطن
 [وأخذ في التدبير عليهما]، وخرج الأمير بيغاً أرُس للصيد بالعباسة، فإنه كان
 صديقاً لألبليغا وتتمر السلطان على طنيرق وأشتد عليه وبالغ في تهديده، فبعث طنيرق
 وألبليغا إلى الأمير طَشْتَمَر طَلِيلِيهِ، وما زال به حتى وافقهما ودارا على الأمراء،
 وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان الملك المظفر، وتوقع به أنه يفتك به،
 فصاروا معهما يدا واحدة لى في نفوسهم. ثم كلَّوا النائب في موافقتهم وأعلموه

(١) تمكلة من السلوك . (٢) هي الآن إحدى قرى مركز أبو حماد بمديرية الشرقية بمصر .

وسبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة

(٣) ضبطه الصلاح الصفدى في أعيان مصر بالعبارة فقال: « بالطاء المهمة وبعدد ألمان
 متحركان بالفتح وبعدد ياء آخر الحروف ساكنة وهاء . إنما عرف بهذا لأنه كان إذا تكلم بشئ قال
 في آخره : طليله . انظره في جزء ثالث قسم أول ص ١٣١ .

أنه يريد القبض عليه ، وكان عنده أيضا حُسٌّ من ذلك ، وأكثروا من تشجيعه .
حتى وافقهم وأجابهم ، وتواعدوا جميعا في يوم الخميس تاسع شهر رمضان على الركوب
على السلطان في يوم الأحد ثاني عشر شهر رمضان

- فبعث السلطان في يوم السبت يطلب بَيْبُغًا أُرُسَ من العباسية ، وقد قُتِرَ مع
الطواشي عَنَبَرٌ مقدّم الممالك أن يعزف الممالك السلاح دازية أن يلقوا خلفه
• فإذا دخل بَيْبُغًا أُرُسَ ، وقبل الأرض ضربه بالسيوف وقطعوه قطعا ، فَعِلِمَ بذلك
أُلْحِيغًا ، وبعث إليه يُعلمه بما دبره السلطان عليه من قتله ويعزفه بما وقع اتفاق
الأمراء عليه ، وأنه يُوافيهم بكرة يوم الأحد على قُبَّة النصر ، فاستعدوا ليلتهم ونزل
أُلْحِيغًا من القلعة ، وتلاه بقية الأمراء ، حتى كان آخرهم ركو با الأمير أُرُقُطاي نائب
السلطنة ، وتوافوا بأجمعهم عند مطعم الطير^(١) ، وإذا بَيْبُغًا أُرُسَ قد وصل إليهم ،
فعبوا أطلابهم وممالكهم ميمنة وميسرة^(٢) ، وبعثوا في طلب بقية الأمراء ، فصار رفع
النهار حتى وقفوا بأجمعهم ملبسين عند قُبَّة النصر^(٣) ، وبلغ السلطان ذلك ، فأمر
بضرب الكوسات فدقت ، وبعث الأوجاقية في طلب الأمراء بجاء طُنَيْرِقَ
وشيوخون وأرغون الكاملى وطاز ونحوهم من الأمراء الخاصية . ثم بعث المقدمين
في طلب أجناد الحلقة فحضروا .

١٥

- (١) تكلنا على مطعم الطير وسبب إنشائه في الحاشية رقم ٥ ص ٢٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة ،
وذكرنا أنه كان واقعا في الجهة التي بها اليوم جبانة الباسية المحروقة بقراة الخميم . وبإعادة البحث تبين
لنا أن مطعم الطير كان واقعا بالريمانية في المنطقة التي يتوسطها اليوم قبة الملك العادل طومانباى المحروقة
بقبة العادل القائمة إلى اليوم بين تكات الجيش شرق سراى الزعفران التي بشارع الخليفة المأمون وعلى بعد
٤٠٠ متر منها ، يؤيد ذلك ما ورد في حوادث يوم ١٧ ربيع أول من سنة ٧٩٦ هـ الآتي ذكرها في هذا
• الكتاب ، وما ورد في (ص ١٧٦ ج ٢ وص ١٥٥ و ٢٢٨ ج ٣ من كتاب تاريخ مصر لابن إياس) .
٢٠ (٢) في ف : « فعبوا » . (٣) رواية السلوك : « حتى وقفوا بأجمعهم ملبسين آلة
الحرب ... الخ » .

ثم أرسل السلطان يعتب النائب على ركوبه فردّ جوابه بأن مملوكك الذي ربّيته
 ركب عليك (يعنى عن الجيغا) وأعلمنا فساد نيتك لنا، وقد قتلّت ممالكك أهلك
 وأخذت أموالهم، وهتكّت حريمهم بغير موجب، وعزمت على الفتك بمن بقي،
 وأنت أول من حلف أنك لا تخون الأمراء ولا تخزب بيت أحد، فردّ الرسول
 إليه يستخيره عما يريدوه الأمراء من السلطان حتى يفعله لهم، فعاد جوابهم أنه
 لا بدّ أن يسلطوا غيره، فقال: ما أموت إلّا على ظهر فرسي، فقبضوا على رسوله
 وهبوا بالزحف عليه، فتمهم النائب أرقطاي من ذلك حتى يكون القتال أولاً من
 السلطان، فبادر السلطان بالركوب إليهم وأقام أرغون الكامل وشيخون في الميمنة،
 ثم أقام عدة أمراء أخر في الميسرة، وسار بماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر،
 فكان أول من تركه ومضى إلى القوم الأمير طاز ثم الأمير أرغون الكامل ثم الأمير
 ملكتمر السعدى ثم الأمير شيخون وأنضافوا الجميع إلى النائب أرقطاي والأمراء،
 وتلاهم بقيتهم حتى جاء الأمير طنيرق والأمير لاجين أمير جانداز صهر السلطان آخرهم،
 وبقي السلطان في نحو عشرين فارساً، فبرز له الأمير بيغا أرس والأمير الجيغا فولّى
 السلطان فرسه وأنهمز عنهم فتبعوه وأدركوه وأحاطوا به، فتقدّم إليه بيغا أرس
 فضربه السلطان بالطبر، فأخذ بيغا الضربة بقرسه. ثم حمل عليه بالرمح وتكاثروا عليه
 حتى قلعوه من سرجه وضربه طنيرق بالسيف جرح وجهه وأصابه. ثم ساروا به على
 فرس غير فرسه محتفظين به إلى تربة آق سنقر الروم تحت الجبل وذبحوه من ساعته قبيل
 عشرين يوماً من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ودُفن بتربة أمه،

(١) ورد في تاريخ مصر لابن إياس أن الأمير يلغا أرس (وهو الذى ذكره المؤلف باسم بيغا أرس
 أخذ السلطان المظفر حاجى ومضى به إلى تربة في الباب المحروق نفقة هناك، والظاهر أن تربة آق سنقر
 الروم كانت خارج الباب المحروق تحت الجبل، وبما أن الجبانة الواقعة شرق الباب المحروق تعرف
 بقراءة المجاورين فبحثنا عن تربة آق سنقر الروم فلم نجد لها أثراً اليوم في تلك الجهة).

ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه قال لهم : بالله لا تستعجلوا علىّ ، خلوني ساعة ، فقالوا :
كيف أستعجلت أنت على قتل الناس ! لو صبرت عليهم صبرنا عليك فذبحوه .
وقيل : إنهم لما أنزلوه عن فرسه كتفوه وأحضره بين يدي النائب أرقطاي
ليقتله ، فلما رآه النائب نزل عن فرسه وترجل ورعى عليه قباه وقال : أعوذ بالله ،
هذا سلطان ابن سلطان ما أقتله ! فأخذوه ومضوا إلى الموضع الذي ذبحوه فيه ،
وفيه يقول الشيخ صلاح الدين الصفدى :

أيها العاقل الليبُ تَعَكَّرْ * في المليك المظفر الضرام
كم تَمَادَى في البنى والنبي حتى * كان لعبُ الحمامِ جدَّ الحمام
وفيه يقول :

حان الردى للظفر * وفي التراب تَعَفَّرْ
كَمْ قد أباد أميرًا * على المعالي تَوَفَّرْ
وقاتلُ النفسِ ظلمًا * ذُنُوبُهُ ما تُعَكَّرْ

ثم صعد الأمراء القلعة من يومهم ، ونادوا في القاهرة بالأمان والأطمئنان
وباتوا بالقلعة ليلة الاثنين ، وقد اتفقوا على مكتبة نائب الشام والأمير أرغون شاه
بما وقع ، وأن يأخذوا رأيه فيمن يقيموه سلطانا فأصبحوا وقد اجتمع الممالك
على إقامة حسين ابن الملك الناصر محمد عوضا عن أخيه المظفر في السلطنة ووقعت
بين حسين وبينهم مراسلات فقام الممالك في أمره فقبضوا الأمراء على عدة منهم
ووكّلوا الأمير طاز بباب حسين ، حتى لا يجتمع به أحد من جهة الممالك ، وأغلّقوا
باب القلعة ، واستمروا بآلة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء^(١) ، وقصد الممالك إقامة
الفتنة ، وخاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من
الممالك ما لا يدرك فارطه ، فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن مسلتنوه قَمَّ أمره .

(١) ف ف : « ولهم » . وما أثبتاه عن السلوك وم .

وكانت مدة سلطنة الملك المظفر هذا على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً . وكان المظفر أهوج سريع الحركة ، عديم المداواة ، سيئ التدبير ، يؤثر محبة الأوباش على أرباب الفضائل والأعيان ، وكان فيه ظلم وجبروت وسفك للدماء ، قتل في مدة سلطته مع قصرها خلائق كثيرة من الأمراء وغيرهم وكان مُسْرِفاً على نفسه ، يُحبّ لب الحماّم وغيره ، ويُحسِن فنونا كثيرة من الملاعب ، كالرمح والكرة والصراع والثقاف وضرب السيف ، مع شجاعة وإقدام من غير تهتّب في أموره .

قلت : وبالجملّة هو أسوأ سيرة من جميع إخوته ممّن تسلطن قبله من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، على أن الجميع غير نجباء وحالم كقول الفائل :
« عجيب نجيب من نجيب » ؛ اللهم إن كان السلطان حسن الآتي ذكره ، فهو لا بأس به . انتهى .



السنة التي حكم في أولها الملك الكامل شعبان إلى سلع جمادى الأولى ، ثم حكم في باقيها الملك المظفر حاجي صاحب الترجمة وهي سنة سبع وأربعين وسبعمائة . فيها توفي الأمير بهاء الدين أصلم بن عبد الله الناصري أحد أمراء الألوّف بالديار المصرية في يوم السبت عاشور شعبان ؛ وإليه يُنسب جامع أصلم خارج القاهرة

(١) ذكر المؤلف أن هذا الجامع خارج القاهرة بسوق الفم أي أنه خارج سور القاهرة القبل الذي فيه باب زويلة ، وذكر في كتاب المنهل الصافي وهو من مؤلفاته أن ترجمة أصلم البهائي أنه عمر بالقاهرة بباب المحروق بالقرب من داره مدرسة تقام فيها الجمعة ، ومن هذا يفهم أن هذه المدرسة هي بذاتها هذا الجامع واقعة في القاهرة بالباب المحروق أي في داخل السور . ولما تكلم المقرئ في خطاطه على جامع أصلم البهائي (ص ٣٠٩ ج ٢) قال : إن هذا الجامع داخل الباب المحروق أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار في سنة ٧٤٦هـ وأنشأ بجواره داراً سنّة وحوض ماء للسبيل ، وهو من أحسن الجوامع .

بُسوق الغنم . وكان أصله من ممالك الملك المنصور قلاوون وكان من خواص
الملك الناصر محمد وقبض عليه وحبسه سنين ، ثم أطلقه ، وكان من أعيان الأمراء ،
وتولى عدة ولايات بالبلاد الشامية وغيرها حسب ما تقدم ذكره فيما مضى ، طالت
أيامه في السعادة والإمرة حتى صار من أمراء المشورة .

- وتوفي الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ، ثم نائب السلطنة
بالديار المصرية مقتولا بالإسكندرية في أيام الملك الكامل شعبان ، وأحضر ميتا
إلى القاهرة في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة . وأصله من كسب الأبلستين
في الأيام الظاهرية يبرئ في سنة ست وسبعين وستمائة ، وأشتهر قلاوون وهو أمير
ومعه سائر النائب ، فأنعم بسلار على ولده على ، وأنعم بآل ملك هذا على ولده الآخر .
وقيل قدمه ليهبه الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر يبرئ ، فأعطاه الملك
السعيد لكوندك^(٢٢) وقيل غير ذلك . وترقى آل ملك في الخدم إلى أن صار من جملة

== ولما تكلم على باشا مبارك في الخطط التوفيقية على هذا الجامع (ص ٥٩ ج ٤) نسب إلى القريري
أنه قال : إن هذا الجامع خارج الدرب المحروق في حين أن القريري لم يقل ذلك بل قال ، إن الجامع
داخل الباب المحروق ، وهو أحد أبواب القاهرة في سورها الشرق .

- ولاختلاف الروايات في تعيين مكان الجامع عاينه فوجدته واقعا داخل الباب المحروق أي داخل
القاهرة وليس خارجها كما ذكر المؤلف هنا وكما قال على مبارك باشا في خطته . وهذا الجامع يدرب شغلان
عند تلاقيه بشارع النبوية بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، وهو على شكل المدارس بأربعة أبوابات صغيرة
وعلى باب أسم منشئه وتاريخ إنشائه ، وتسميه العامة جامع أصيلان وهو عامر بالمشائر الدينية ، ولا يزال
يوجد أمام بابه حجرة صغيرة من بقايا سوق الغنم الذي كان في تلك الجهة .
- (١) في الأصلين : « وكان أصله من ممالك الناصر محمد بن قلاوون » . وتصحيحه عن السلوك والخطط
لقريري (ج ٢ ص ٣٠٩) وأظن أنه في الخطط التوفيقية (ج ٤ ص ٥٩) . (٢) ورد في السلوك
في وفات سنة ٥٧٤٧ : « أن آل ملك بعد كوندك صار لعل بن قلاوون . وورد في الخطط القريرية
(ج ٢ ص ٣١٠) وفي الخطط التوفيقية (ج ٤ ص ٤٤) أنه أنعم بآل ملك هذا على ولده الأمير على ، وما زال
مترقى في الخدم إلى أن صار من كبار الأمراء المشايخ وروس المشورة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ... الخ » .
- نظرة أيضا في الخطط القريرية (ج ١ ص ٢٥) وفي الجزء الثاني صفحات (٣٦ و ٣٧ و ١٣٩ و ١٨٨
٣٠٨ و ٣٩٢ و ٣٩٣) وأظن أنه في ابن إياس (ج ١ ص ١٤٨ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٤ و ٢١٠) .

أمراء الديار المصرية . وتردّد للسك الناصر محمد بن قلاوون في الرسلية لما كان بالكرك من جهة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، فأعجب الملك الناصر عقله وكلامه . فلما أن عاد الملك الناصر إلى ملكه رقاہ وولاه الأعمال الجلييلة إلى أن ولي نيابة السلطنة بديار مصر في دولة الملك الصالح إسماعيل . فلما ولي الملك الكامل شعبان أنجره لنيابة صفد . ثم طلبه وقبض عليه وقتله بالإسكندرية، وقد ذكرنا من أحواله نبذة كبيرة في عدة تراجم فلا حاجة لتكرار ذلك ، إذ ليس هذا المحل محل الإطتاب إلا في تراجم ملوك مصر فقط ، ومن عداهم يكون على سبيل الاختصار . وآل ملك هذا هو صاحب الدار العظيمة بالقرب من باب مشهد الحسين - رضى الله عنه - وله هناك مدرسة أيضا تعرف به ، وهو صاحب الجامع بالحسينية . وكان

١٠ (١) يستفاد مما ذكره المقرئى عند الكلام على المدرسة الملكية (ص ٣٩٢ ج ٢) أن الدار المذكورة كانت واقعة تجاه المدرسة بخط المشهد الحسينى بالقاهرة . وبالبحت عن هذه الدار تبين أنها اندثرت وذاكت معالمها . ومكانها اليوم المبانى الواقعة تجاه مدرسة آل ملك وهى المدرسة الملكية التى تنوف اليوم بجامع حالومة بشارع أم الفلام بقسم الجمالية بالقاهرة .

١٥ (٢) هذه المدرسة هى التى سماها المقرئى فى خطه المدرسة الملكية (ص ٣٩٢ ج ٢) قال : إنها بخط المشهد الحسينى فى القاهرة . بناها الأمير الحاج سيف الدين آل ملك الجوكندار تجاه داره وعمل فيها درسا للفقهاء الشافعية وخرانة كتب معتبرة، وجعل لها عدة أوقاف . ثم قال : وهى الآن من المدارس المشهورة . وموضعها فى جملة رحبة قصر الشوك، وكان فى موضعها قبل إنشائها دار تعرف بدار ابن كرمون صهر الملك الصالح نجم الدين أيوب . ولم يذكر المقرئى تاريخ إنشاء هذه المدرسة . وبمعانيها تبين لى أنها لا تزال باقية وعامرة الشعائر إلى اليوم باسم جامع آل ملك الجوكندار بشارع أم الفلام بالقاهرة . ومكتوب على جاني الباب بالخط النسخ بعد البسملة : « أنشأ هذا المسجد المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى آل ملك الجوكندار الناصرى الراجى غفر الله تعالى ومفرته . بتاريخ سنة تسع عشرة وسبعمائة للهجرة النبوية على صاحبها السلام » .

٣٥ ومن العلوم أن كبة مسجد يجوز إطلاقها على كل مكان خصص للصلاة سواء أكان جامعا أم مدرسة أم خاقاه . وهذا المسجد تسميه العامة بزاوية حالومة ، وهو رجل مغربى طالت خدمته لهذا المسجد فمصرف به .

(٣) هذا الجامع سنن التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

خيرا. دينا عفيفا مثريا ، كان يقول : كل أمير لا يقيم رحمه ويسكب الذهب حتى يساوي السنان ما هو أمير .

وتوفي الأمير سيف الدين قماري بن عبد الله الناصري أخو بكتمر الساقى مقتولا ، وقد ولي نيابة طرابلس والأستادارية بديار مصر ، وكان من أعيان الأمراء الناصرية مشهورا بالشجاعة والإقدام ، وهو غير قسارى أمير شكار ، وكلاهما من الأمراء الناصرية .

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله السرجواني نائب الكرك في يوم الاثنين مستهل المحرم خارج القاهرة ، وقد قدمها من الكرك مريضا ، وكان من أعيان الأمراء ، وتولى عدة ولايات ، لاسيما نيابة الكرك ، فإنه وليها غير مرة .

١٠ قلت : وغالب هؤلاء الأمراء ذكرنا من أحوالهم في عدة مواطن من تراجم ملوك مصر ما يستغنى عن ذكره ثانيا هنا .

وتوفي ملك تونس من بلاد الغرب أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى ابن عبد الواحد في ليلة الأربعاء ثامن شهر رجب ، بعد ما ملك تونس نحو من ثلاثين سنة ، وتولى بعده ابنه أبو حفص عمر ، وكان أبو بكر هذا من أجل ملوك الغرب ، وطالت أيامه في السلطنة ، وله مواقف في العدو مشهودة . رحمه الله تعالى .

١٥ وتوفي القاضي تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان المصري كاتب سر دمشق في ليلة الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر . وكان كاتباً فاضلاً باشر عدة وظائف .

(١) في م : « وكلاهما من المالكة الناصرية » . (٢) انظره في السلوك في وفيات هذه السنة . وانظره في دولة بني حفص وتصاريف أحوالهم في « حقائق الأخبار عن دول البحار » لأسماعيل سرهنك (ج ١ ص ٤١٥ — ٤١٦) . (٣) في م : « مع العدو » . (٤) انظره في الدرر الكامنة طبع الهند (ج ٣ ص ٤٣٢) .

وتُوفى الأمير سيف الدين طُغْتَمَرْ بن عبد الله الصلاحى نائبِ حِمْص بها . وكان من أعيان أمراء مصر . وقد مرَّ ذكره أيضاً في تراجم أولاد الملك الناصر محمد ابن قلاوون .

وتُوفى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد [بن نعيم] بن السراج بن نعيم بن السراج في شعبان؛ وكان كاتباً فاضلاً مقرئاً، وعنده مشاركة في فنون .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وخمس أصابع . والله أعلم .



السنة الثانية من ولاية الملك المظفر حاجى على مصر، وهى سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، على أنه قُتِل في شهر رمضان منها ، وحكم في باقيها أخوه السلطان الملك الناصر حسن .

فيها تُوفى الأمير شمس الدين آق سنقر بن عبد الله الناصرى مقتولاً بقلعة الجبل ، وقد تقدّم ذكر قتله أن الملك المظفر حاجياً أمر بالقبض على آق سنقر وعلى المجازى بالقصر، ثم قُتِلا من ساعتها تهبيراً بالسيوف في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر، وكان آق سنقر هذا اختص به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوجه إحدى بناته وجعله أمير شكار ، ثم أمير آخور ، ثم نائب غزّة، وأُعيد بعد موت الناصر في أيام الملك الصالح إسماعيل ثانياً واستقرّ أمير آخور على عادته ، ثم ولى نيابة طرابلس مدة ، ثم أحضر إلى مصر في أيام الملك الكامل

(١) انظره في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٢٣٥ ب) وانظره في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) في الأصلين : «محمد بن محمد بن محمد» وانظره في حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢٩١) وعناية النهاية في طبقات القراء لأبن الجزرى (ج ٢ ص ٢٥٦) طبعة الخانجي والسلوك والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٣٢) .

شعبان ، وعظم قدره ، ودبر الدولة في أيام الملك المظفر حاجي . ثم ثقل عليه
وعلى حواشيه فوشوا به وبمليكتهم حتى قبض عليهما وقتلها في يوم واحد .
وكان آق سنقر أميراً جليلاً كريماً شجاعاً عارفاً مدبراً . وإليه ينسب جامع آق سنقر^(١)

- (١) هذا الجامع ذكره المقرئ في خطه بأسم جامع آق سنقر (ص ٣٠٩ ج ٢) فقال : إنه قريب من قلعة الجبل فيما بين باب الوزير والنبانة ، كان موضعه في القديم مقابر القاهرة . أنشأه الأمير آق سنقر الناصري و بناه بالحجر وجعل سقفه عقوداً من حجارة ورخى . وقرفه درسا فيه عدة من الفقهاء ، وبني بجواره مكاناً ليدفن فيه . ثم قال : إن هذا الجامع من أجل جوامع مصر .
- وأقول : إن هذا الجامع لا يزال باقياً إلى اليوم تقام فيه الشعائر ومعروف بجامع إبراهيم أغا مستحفظان بشارع باب الوزير بالقاهرة . ولم يذكر المقرئ تاريخ إنشائه في حين أنه ثابت بالنقش على أبوابه أن الأمير آق سنقر الناصري بدأ في بنائه في سنة ٧٤٧ هـ . وأتم عمارته في سنة ٧٤٨ هـ . وقد تيمم منشئ جامع النور ، كما ورد في كتاب وقفه وفيما هو ثابت بالنقش في اللوحة المثبتة على الجزء الذي خصص لقبره في عمارة إبراهيم أغا . ويوجد على يسار الداخل من الباب العمومي الغربي في قبلة أنشأها الملك الأشرف علاء الدين بكك ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ودفن فيها سنة ٧٤٦ هـ أي قبل بناء الجامع .
- وفي سنتي ١٠٦١ هـ و ١٠٦٢ هـ أحدث إبراهيم أغا مستحفظان عمارة كبيرة لهذا الجامع عند ما كان ناظرًا طيه ، فغير في عقود السقف التي كانت من الحجر وأستبدل ما أختل منها بسقوف من الخشب وكسا الحائط الشرق الذي فيه المهراب إلى السقف بالقاشاني الأزرق الجميل .
- ويوجد على يسار الداخل بمؤخر الإيوان القبلي حجرة أنشأها إبراهيم أغا المذكور وكسا جدرانها بالقاشاني حتى السقف ويتوسطها قبر من الرخام أنشأه في حياته سنة ١٠٦٤ هـ . ثم دفن فيه بعد موته ، لذلك عرف هذا الجامع بأسم إبراهيم أغا مستحفظان من ذلك الوقت ، ويعرف على السنة العامة وناحية عند الوائرين الأجانب بالجامع الأزرق ، نسبة إلى مجموعة القاشاني العظيمة ذات اللون الأزرق الموجودة فيه .
- وفي سنة ١٣٠٧ هـ قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإجراء عمارة بهذا الجامع فأصلحت العقود والقاشاني والمهراب والرخام المهراب ، وأعادت بناء الدورة الثالثة للثنية بسد سقوطها ، وكشفت وجهات الجامع من الأبنية التي تحجبها حتى ظهر بمظهره الجميل .
- وعما بلغت النظر بهذا الجامع منبره الرخامي المزخرف بالنقوش ومنذته التي تسترعى الأنظار بحسن رسمها وتناسق أجزائها .
- وقد لاحظت بعض أطلاط تاريخية في كتب الخطط ، خاصة بهذا الجامع ، أهمها : أن المقرئ لما أراد الترجمة لمنشئ آق سنقر السلوي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ . في حين أن منشئ الجامع هو آق سنقر الناصري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . ولما تكلم على باشا مبارك في الخطط التوفيقية عن هذا الجامع (ص ٤٤ ج ٤) ذكر أن البدء في عمارته كان في سنة ٧٢٧ هـ . والفراغ منه في سنة ٧٢٨ هـ . وصواب التاريخين هو ٧٤٧ هـ و ٧٤٨ هـ . ثم ذكر أن إبراهيم باشا أغا مستحفظان أنشأ قبره في سنة ١٠٢٣ هـ . والصواب في سنة ١٠٦٤ هـ .

بُحْتُ التَّيَّانَةَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْوَزِيرِ .^(٢)

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَيْدَمْرُ الْبَدْرِي مَقْتُولًا بِغَزَّةٍ فِي أَوَّلِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ،^(٣)
وهو أيضا أحد المماليك الناصرية وترقى إلى أن ولى نيابة حلب . وقد تقدم ذكر
مقتله في ترجمة الملك المظفر حاجي . وإليه تُنسب المدرسة البيدمرية قريبا من
مشهد الحسين رضى الله عنه .

(١) يستفاد مما ذكره المؤلف أن خط التبانة كان يشمل قديما المنطقة التي تمتد من باب الوزير إلى
الدرب الأحمر بالقاهرة . وهذه المنطقة يتوسطها اليوم شارع باب الوزير وشارع التبانة بقسم الدرب
الأحمر ، وعرف بخط التبانة لأنه كان فيه الأسواق التي يباع فيها التبن اللازم لمسئونة دواب القاهرة
في الزمن الماضي .

وأصبح الآن شارع التبانة يطلق على الطريق التي تمتد من شارع باب الوزير عند تلاقيه بشارع النبوة
وسوق السلاح إلى شارع الدرب الأحمر . ومن محاسن المصادفات أن يحتفظ بهذا الاسم عن عهد
المقرئى إلى اليوم .

(٢) هو أحد أبواب القاهرة الخارجة في سورها الشرق الذى أنشأ صلاح الدين في المسافة الواقعة
بين الباب المحروق وبين قلعة الجبل .

وبالبحث تبين لى أن هذا الباب فتحه في السور المذكور الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروين
المعروف بوزير بغداد وقت أن كان وزيرا لملك الأشرف بكحك بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٥٧٤٢هـ .
لمرور الناس منه بين المدينة وبين الجبابة الواقعة خارج السور ، وعلى الأخص بعد سد الباب المحروق ولهذا
عرف من ذلك الوقت إلى اليوم بأسم باب الوزير وإليه يغيب باب الوزير وقراة باب الوزير بالقاهرة .
وموقع هذا الباب لا يزال قائما إلى اليوم على رأس شارع التربة الموصل بينه وبين شارع باب الوزير
بالقرب من جامع أيتش الجباجى . والباب الحالى جده الأمير طرabay الأشرفى صاحب القبة المجاوزة لهذا
الباب في سنة ٥٩٠٩هـ .

(٣) انظر أخباره في المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٧٧) والسلوك في حوادث سنة ٥٧٤٨هـ . وخطط
المقرئى (ج ٢ ص ٤٨ و ٧٥ و ٤٢٥) وتاريخ حلب للطباخ (ج ٢ ص ٤١٩ و ٤٢٢) والدور
للكتابة (ج ١ ص ٥١٢) .

(٤) هذه المدرسة ذكرها المقرئى في خططه باسم المدرسة البيدمرية (ج ٢ ص ٣٩١) فقال : إنها
رحبة الأيدمرى بالقرب من باب قصر الشوك فبا بينه وبين المشهد الحسينى ، بناها الأمير بيدر الأيدمرى
ولذلك سماها المقرئى المدرسة البيدمرية . ولما تكلم عن رحبة البدرى (ج ٢ ص ٤٨) قال : هذه الرحبة
يدخل إليها من رحبة الأيدمرى وهى من جملة القصر الكبير ، عرفت بالأمير بيدر البدرى صاحب المدرسة
البدرية . وهنا ذكر اسم منشئها صحيحا ، ثم نسب المدرسة إلى لقبه وهو البدرى ، وأما المؤلف فنسبها
إلى اسم وهو بيدر .

وتوفى قاضي القضاة عماد الدين علي بن محي الدين أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرمسوسي الحنفى الدمشقي قاضي قضاة دمشق بها، عن تسع وسبعين سنة تقريباً، بعد ما ترك القضاء لولده وأنقطع بداره للعبادة، إلى أن مات في يوم الاثنين ثامن عشرين ذى الحجة. وكان منشؤه بدمشق، وقرأ الخلاف على الشيخ بهاء الدين بن النحاس، والفرائض على أبي العلاء، وتفقه على جماعة من علماء عصره، وبرع في عدة علوم وأقنى ودّس بعدة مدارس. وكان كثيرة التلاوة سريع القراءة، قيل إنه كان يقرأ القرآن في التروايح كاملاً في أقل من ثلاث ساعات بحضور جماعة من القراء. وتوفى قضاء دمشق بعد قاضي القضاة صدر الدين علي الحنفى في سنة سبع وعشرين وسبعائة ومجئدت سيرته. وكان أولاً ينوب عنه في الحكم. رحمه الله تعالى.

١٠

وأقول: إن هذه المدرسة لا تزال باقية إلى اليوم وتعرف بمجامع البهلوان بشارع أم الغلام على رأس ساحة الجهادية بقسم الجمالية بالقاهرة. وهو جامع أثرى صغير، وله قبة، كما احتفظ بحمائه وشبابه الخفية الثائرة وله منقوشة، ذكره على بابها مبارك في المخطط التوفيقية باسم زاوية اللبان (ج ٦ ص ٤٢) وقال: إن المتكلم عليها هو الحاج داود اللبان صاحب الدكان المجاورة لها، ولذلك عرفت بزاوية اللبان، وبعضهم يسميها زاوية أيدير أو جامع أيدير البهلوان.

١٥

(١) انظره في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٣٨٤ ب) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٨) والسلوك.
(٢) هو بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي النحوي المعروف بأبن النحاس تقدمت وفاته سنة ٦٩٨ هـ، وانظره في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٨٧ ب) وتاريخ حلب للطباخ (ج ٤ ص ٥٣٣) ودائرة المعارف للبستاني في «بهاء الدين».

٢٠

(٣) هو الحافظ شمس الدين أبو العلاء محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي الحنفى الصوفي القرصى. تقدمت وفاته فيمن ذكر القدي وفاتهم في سنة ٥٧٠ هـ (ج ٨ ص ١٩٧) وانظره في شذرات الذهب لابن العماد (ج ٥ ص ٥٧) والمنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٣٦) وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن تطلوبغا (ص ٥٢).

(٤) انظره في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٣٨٣ و ص ٤٤٠ ب).

وتُوفِّي قاضي قضاة المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبي بكر
ابن ظافر بن عبد الوهاب الهمداني^(١) في ثالث المحرم عن ثلاث وسبعين سنة . وكان
فقيها عالما صوفياً .

وتُوفِّي الشيخ الإمام الحافظ المؤرخ صاحب التصانيف المفيدة شمس الدين
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز^(٢) [بن عبد الله الترمكاني الأصل الفارقي]
الذهبي الشافعي - رحمه الله تعالى - أحد الحفاظ المشهورة في ثالث ذي القعدة .
ومولده في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وسمي الكثير ورعل البلاد ،
وكتب وألف وصنّف وأرخ وصحّح وبرع في الحديث وعلومه ، وحصل الأصول
وأنتقى ، وقرأ القراءات السبع على جماعة من مشايخ القراءات . استوعبنا مشايخه
ومصنّفاته في تاريخنا « المنهل الصافي » مستوفاة . ومن مصنّفاته : « تاريخ الإسلام »
وهو أجل كتاب نقلت عنه في هذا التاريخ . وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي -
بعد ما أثنى عليه -- قال : « وأخذتُ عنه وقرأتُ عليه كثيرا من تصانيفه ،
ولم أجد عنده بُحُودَة المحدثين ، ولا كُودَة النّقلَة^(٣) ، بل هو فقيه النظر ، له دُرْبَة
بأقوال الناس ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات ، وأعجبتني منه ما يعنيه
في تصانيفه ، ثم إنه لا يتعدى حديثا يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن ، أو ظلام
إسناد ، أو طعن في روايته ، وهذا لم أر غيره يُراعى هذه الفائدة » . وأنشدني من
لفظه لنفسه مضمّنا ، وهو تحيّل جيّد إلى الغاية :

- (١) ضبطها المؤلف في المنهل الصافي بالعارة فقال : (يسكنون الميم وبالذال المهملة) وقد ضبطت
أيضا بالعارة في الدرر الكامنة وأظنّه في ابن كثير (ج ٤ من القسم الثالث ص ٣٤٤) .
(٢) التكلّة من الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٣٦) والمنهل الصافي (ج ٣ ص ١٠٦ ب) وطبقات
الشافعية للسبكي (ج ٥ ص ٢١٦) . وأظنّه أيضا في ابن كثير (ج ٤ قسم ثالث لوحة ٣٤٤) وشذرات
الذهب لابن الهادي (ج ٦ ص ١٥٣) وصحّح الجمان للسبكي (ج ٥ قسم أول لوحة ٨٤) .
(٣) الكودون : البرزون يوكف ريشه به البليد . راجع اللسان . مادة كدن ص ٢٣٧ ج ١٧ .

إذا قرأ الحديث على شخص * وأخل مَوْضَعًا لوفاء مثلى

فأجازى بإحسانٍ لأتى * أريدُ حَيَاتَهُ ويريدُ قَتْلِي

- وتوفى الأمير الوزير نجم الدين محمود [بن على] ^(١) بن شروين المعروف بوزير بغداد مقتولا بغزة مع الأمير بيدهم البدرى فى جمادى الآخرة . وكان قديم من بغداد إلى القاهرة فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فلما سلم على السلطان وقبل الأرض ثم قبل يده حط فى يد السلطان حجر بلخش ^(٢) ، زنته أربعون درهما ، قوم بمائتى ألف درهم ، فأمره السلطان وأعطاه تقديمة ألف بديار مصر . ثم ولى الوزير غير مرة إلى أن أخرجته الملك المظفر حاجتى إلى غزوة ، وقتله بها هو وبيدهم البدرى وطغيتهم الدوادار ، وكان — رحمه الله — عاقلا سيوسا كريما محسنا مدبرا ، محمود الاسم والسيرة فى ولاياته ، وهو ممن ولى الوزير شرقا وغربا ، وهو صاحب الخلقاء بالقرافة بجوار ترربة كافور الهندى .

وتوفى الشيخ الإمام البارع المفتى قوام الدين مسعود بن محمد بن محمد بن سهل ^(٣) الكرماني الحنفى يدمشق ، وقد جاوز الثمانين سنة . وكان إماما بارعا فى الفقه والنحو

- (١) التكلية عن السلوك والدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٣١) والخطط المقرزية (ج ٢ ص ٦٠) وأنظره أيضا فى المقرزى فى صفحات ٥٠ و ٧٦ و ٣٠٥ و ٣٨٤ و ٤٢٥ من الجزء الثانى . وأنظره فى حسن المأخرة للسيوطى (ج ٢ ص ١٦٨) . (٢) كلمة فارسية أصلها : بدعش وبدعشان والأخيرة أكثر استعمالا ، وهى اسم لإقليم بين الهند وخراسان يستخرج من جباله حجر الياقوت الأحمر النفيس ذو اللون الجليل وقد سمى باسم الإقليم المستخرج منه (عن استنجاس والألقاظ الفارسية المعربة) . (٣) كذا فى الأصول والسلوك . وفى المنهل الصافى والدرر الكامنة : « مسعود بن إبراهيم » كما سماه الخافظ عبد القادر فى طبقاته ، وهو عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبى الوفاء القرشى محب الدين الحنفى أبو محمد وأنظره فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٩٢) ولخط الألقاظ بذييل طبقات الحفاظ للخافظ تقي الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمى المكي (ص ١٥٧) والفوائد البية فى تراجم الحنفية لأبى الحسانات محمد بن عبد الحى الكنى الهندى ص ٩٩

والأصليين واللغة ، وله شعر وتصانيف ، وسماه الحافظ عبد القادر في الطبقات مسمود بن إبراهيم .

وتوفى الأمير سيف الدين مَلِكْتَمَرُ بن عبد الله المجازي الناصري قتيلا في تاسع عشر شهر ربيع الآخر مع الأمير آق سُنْقَرُ المَقْدَم ذكره . وكان أصل المجازي من ممالك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشَّهْرَزُورِي البغدادى ، فَبَدَلَ فيه الملك الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم ، حتى آتباعه له منه المجد السلامي بمكة لما حج الشَّهْرَزُورِي ، وقَدِم به على الناصر ، فلم يُرَ بمصر أحسن منه ولا أظرف فُحِرَ بالمجازي ، وحَظِيَ عند الملك الناصر ، حتى جعله من أكابر الأمراء وزوجه بإحدى بناته . وكان فيه كلُّ الحِصَالِ الحسنة ، غير أنه كان مُسْرِفا على نفسه مُنْهَمِكا في اللذات ، مَدِينا على شرب الخمر ، فكان مرتبته منه في كل يوم خمسين رطلا . ولم يسمع منه في سُكْرِهِ وقَحْوِهِ كلمة فُحْش ، ولا تَوَسَّط بسوء أبدا ، هذا مع سماحة النفس والتواضع والشجاعة والكرم المُقَرَّط ، والتجَمُّل في ملبسه ومركبه وحواشيه . وقد تقدَّم كيفية قتله في ترجمة الملك المظفر هذا .

وتوفى الأمير طَغْيَتَمَرُ بن عبد الله النجمي الدوادار ، صاحب الخاقانة النجمية خارج باب المحروق من القاهرة مقتولا بفزة مع بَيْدَمُ البدرى وزير بغداد المقدم

(١) في الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٣٥) والسلوك في رفيات هذه السنة : أنه ولد سنة ٦٥٤ هـ ببغداد ، وتوفى سنة ٧٤١ هـ ببغداد أيضا . وتفق له شافعي وأتقن الخط المنسوب والموسيقى ، وكان حَفِيّا عند الملوك . (٢) هي خوند قمر الحجازية أئنة الملك الناصر محمد بن قلاوون وإليها تنسب المدرسة الحجازية . انظر الحاشية رقم ١ ص ١٣٨ من هذا الجزء .

(٣) كان دوادار الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، فلما مات الصالح استقر على حاله في أيام أخويه : الملك الكامل شيمان والملك المظفر حاجي ، وهو أول دوادار أخذ إمرة مائة ومقدّم ألف وذلك في أول دولة المظفر حاجي . (٤) ذكرها المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٤٣٥) فقال : « هذه الخاقانة بالصحراء خارج باب البرقية فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر . أنشأها الأمير طغيتمر النجمي ،

ذكرهما . وكان طُغَيْتَرٌ من أجل أمراء مصر ، وكان عارفا عاقلا كاتباً وعنده فضيلة ومشاركة . وكان مليح الشكل .

- وتوفى الأمير سيف الدين بَلْبَغَا الْبَحَاوِيُّ الناصريّ نائب الشام مقتولا بقلعة قاقون ، تقدم ذكر قتله في ترجمة الملك المظفر هذا . وكان يلعب هذا أحد من شُفِيف به أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمر له الدار العظيمة التي موضعها الآن مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة . ثم جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية . ثم ولى بعد موت الملك الناصر حماة وحلب والشام . وعمر بالشام الجامع المعروف بجامع بلبلغا بسوق الخيل ، ولم يكمله ، فحُكِّل بعد موته . وكان حسن الشكالة ، شجاعا كريما ، بلغ إنعامه في كل سنة على مماليكه فقط مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب . وعاش أبوه بعده ، وكان تركي الجنس ، وتقلب في هذه السعادة ، ومات وسنه تيف على عشرين سنة .

وتوفى الأمير أَرْغُون بن عبد الله العلائي قتيلا بالإسكندرية ، وكان أرغون أحد المماليك الناصرية ، رقاها الملك الناصر محمد في خدمته ، وزوجه أم ولديه : الصالح إسماعيل والكامل شعبان ، وعمله لالالآولاده ، فدبر الدولة في أيام ربيبه

- ١٥ = بلغت من المبادئ الجليلة ، ورتب بها عدة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ برهان الدين الرشيدى وبني بجانبها حماما وعمر في قبلها بستانا ، وعمل بجانب الحمام حوض ماء للسبيل رده الدواب ، ووقف على ذلك مدة أوقات ، ثم إن الحمام والحوض تطلعا مدة ، فلما ماتت أُرْباى زوجة القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر في سنة ٨٠٨ هـ دفنها ، خارج باب النصر ثم بدا له فنقلها إلى خانقاة طينتر هذا ، ودفنها بالقبة التي فيها وأدار الساقية وملا الحوض ، ورتب لقراء هذه الخانقاة معلوما : وجدد ما تشعث من بنائها وأدار حمامها . ثم بدا له فأنشأ بجانب هذه الخانقاة تربة نقل إليها زوجته مرة ثالثة ، وجعل أملاكه وفقا على هذه التربة .

٢٠ وهي غير موجودة الآن . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) حدّ عمره صاحب الدرر الكامنة فقال : « وله قيل ستة عشرين قليل وعش في آخر جمادى الأولى سنة ٧٤٨ » (انظر ج ٤ ص ٤٢٦ — ٤٣٧) .

- (٤) في الأصلين : « أم ولديه إسماعيل والصالح وشعبان الكامل » والباقي يقتضى ما أئبتناه .

الملك الصالح إسماعيل أحسن تدبيره ثم قام بتدبير يديه أيضا الملك الكامل شعبان، حتى قُتل شعبان لسوء سيرته وأرغون ملازمه، فقبض على أرغون المذكور بعد الهزيمة ونُجِن بالإسكندرية إلى أن قتله الملك المظفر حاجي^(١)، فبمن قُتل، وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلاً في وقته. وأرغون هذا هو صاحب الخلقاء بالقرافة. وكان عاقلاً عارفاً مدبراً سيّوساً كريماً، يُنعم في كل سنة بمائتين وثلاثين فرساً، ومبلغ أربعين ألف دينار. قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: وعظمت حرمة لما دبر الملكة وكثرت أرزاقه وأملاكه، وصار أكبر من التواب بالديار المصرية، وهو باقٍ على وظيفته رأس نوبة الجندارية، وجنديته إلى آخر وقت.

قلت: وهذا الذي ذكره صلاح الدين من العجب، كونه يكون مدبراً مملكتي الصالح والكامل، وهو غير أمير. انتهى.

وتوفى جماعة من الأمراء بسبب السلطان الملك المظفر حاجي، منهم: الأمير أيتمش عبد الغني والأمير تمر الموساوي الساق والامير قرابغا والأمير صمغفار، الجميع بسجن الإسكندرية، وهم من المماليك الناصرية محمد بن قلاوون، وقتل أيضاً بقلمه الجبل الأمير غرلو^(٢) في خامس عشرين جمادى الآخرة، وقد تقدم التعريف بحاله عند قتله في ترجمة الملك المظفر حاجي. وكان جرگي الجنس، ولهذا كان جمع الجراكسة على الملك المظفر حاجي، لأنهم من جنسه.

§ أمر النيل في هذه السنة -- الماء القديم أربع أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثمانى أصابع.

(١) في ف: « أكثر من التواب... الخ ».

(٢) في الأصلين والمنهل الصافي أن قتله كان في شهر جمادى الآخرة سنة ٧٤٨ هـ. وفي الدرر الكامنة أنه قتل في مستهل شهر رجب من هذه السنة.

ذكر سلطنة الملك الناصر حسن الأولى على مصر

- السلطان الملك الناصر بدر الدين وقيل ناصر الدين أبو المعالي حسن . وألقب
 الثاني أصح ، لأنه أخذ كنية أبيه ، ولقّب به وشهرته ، ابن السلطان الملك الناصر
 محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون ، وأمه أُم ولد مات عنه وهو صغير ،
 فسوّى تربيته خوّنْد أودو ، وكان أولاً يُدعى قُمارى واستمر بالدور السلطانية إلى
 أن كان من أمر أخيه الملك المظفر حاجي ما كان . وطلبت الممالك أخاه
 حَسِينًا للسلطنة : فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا ، وأجلسوه على تخت الملك
 بالإيوان في يوم الثلاثاء . رابع عشر شهر رمضان سنة ثمانٍ وأربعين وسبعماية ،
 وركب يشعار السلطنة وأبنة الملك . ولما جلس على تخت الملك لقبوه بالملك
 الناصر سيف الدين قُمارى ، فقال السلطان حسن للنائب أرقطاي : يا أبيت
 ما أسمي قُمارى . إنما أسمى حسن ، فأستلفه الناس لِصَغَرِ سِنِهِ ولذكائه ، فقال له :
 النائب : يا خوّنْد — والله — إن هذا أسم حسن ، حسن على خيرة الله تعالى .
 فصاحت الجاوشية في الحال بأسمه وشهرته وتم أمره ، وحلف له الأمراء على
 العادة . وعمره يوم سلطته إحدى عشرة سنة ، وهو السلطان التاسع عشر من
 ملوك الترك بالديار المصرية ، والسابع من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون .
 وفي يوم الأربعاء خامس عشره اجتمع الأمراء بالقلعة وأخرج لهم الطواشي
 دينار الشَّيْلِ المال من الخزانة ، ثم طلب الأمراء خدام الملك المظفر وعبيده ، ومن
 كان يعاشره من الفُراشين ولُعاب الحمام ، وسلموا لشاد الدواوين على حَمَل ما أخذه
 من الملك المظفر من الأموال ، فأظهر بعض الخُدام حاصلات تحت يده من الجواهر
 واللؤلؤ . ما قيمته زيادة على مائة ألف دينار ، وتفاصيل حرير ، وبذلات زركش
 مائة ألف دينار أخرى

- وفي يوم الخميس قبض على الأمير أيَّدُر الزقاق والأمير قُطز أمير آخور والأمير
بُلك الجندار ، وأخرج قُطز لنيابة صَفَد ، وقُطعت أخبازُ عشرين خادما وخُبزُ
عبد على - العواد المنفى وخُبزُ إسكندر بن بدر الدين كُثَيْلَة الجَنْكِي ، ثم قبض أيضا
على الطواشي عَنبر السَّحَرَتِي مقدم الممالك ، وعلى الأمير آق سُتْقُر أمير جندار ،
ثم عَرَضَت الممالكُ أربابُ الوظائف وأُخرج منهم جماعةٌ ، وأُحيط بِمال « كيدا »
حظية الملك المظفر التي أخذها بعد اتفاق السوداء العوادة وأموال بقية الحظايا
وأُزِلن من القلعة ، وكُتِبَت أوراق بمرتبات الخُدّام والعبيد والجواري فُقِطعت كلّها .
- وكان أمرُ المشورة في الدولة والتدبير لتسعة أمراء : يَبِغَا أَرْمس القاسمي
والبُيغينا المظفرى وشيخون العُمري وطاز الناصري وأحمد شاذ الشراب خاناه
وَأَرْغُون الاسماعلي وثلاثة أُنحر ، فاستقر الأمير شيخون رأس نوبة كبيراً وشارك
في تدبير المملكة ، واستقر الأمير مُنْطَاطي أمير آخور عِوَصَا عن الأمير قُطز ، ثم
رسم بالإفراج عن الأمير بَزَلار من سجن الإسكندرية ، ثم جُهزت التشاريف لنواب
البلاد الشامية ، وكُتِبَ لهم بما وقع من أمر الملك المظفر وقاتله ، وسلطنة الملك
الناصر حسن وجلوسه على تخت الملك .
- ثم اتَّفَقُوا الأمراء على تخفيف الكُلف السلطانية ، وتقليل المصروف بسائر
الجهات ، وكُتِبَت أوراق بما على الدولة من الكُلف ، وأخذ الأمراء في بيع طائفة
البحرأكسة من الممالك السلطانية ، وقد كان الملك المظفر حاجتَ قُرْبهم إليه بواسطة
عُرُلُو وجلبهم من كلّ مكان ، وأراد أن يُنشئهم على الأتراك ، وأدناهم إليه حتى عُرِفُوا
بين الأمراء بِكِبَر عمامتهم ، وقوى أمرهم وعملوا كَلَفَات خارجة عن الحد في الكِبَر ،
فطلبوا الجميع وأخرجوهم منغيزين خروجا فاحشا وقالوا : هؤلاء جيمة النفوس
كثيرو الفتن .

ثم قَدِمَ كَتَّابُ نَائِبِ الشَّامِ الْأَمِيرِ أَرْغُونُ شَاهٍ يَتَضَمَّنُ مَوَاقِفَتَهُ لِلْأَمْرَاءِ وَرِضَاهُ
بِمَا وَقَعَ ، وَغَضَّ مِنَ الْأَمِيرِ نَخْرَ الدِّينِ إِيَّاسَ نَائِبِ حَلَبَ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ أَرْقُطَايَ
النَّائِبُ قَدْ طَلَبَ مِنَ الْأَمْرَاءِ أَنْ يُعْفَوْهُ مِنَ النِّيَابَةِ وَيُوَلَّوْهُ بِلَادَ مِنْ الْبِلَادِ فَلَمْ يُوَافَقُوهُ
الْأَمْرَاءُ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَرَدَ كَتَّابُ نَائِبِ الشَّامِ يَذْكُرُ فِيهِ أَنَّ إِيَّاسَ يَصْفُرُّ عَنْ
نِيَابَةِ حَلَبَ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْلُحُ لَهَا إِلَّا رَجُلٌ شَيْخٌ كَبِيرُ الْقَدَرِ ، لَهُ ذِكْرٌ بَيْنَ النَّاسِ وَشُهْرَةٌ ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَبَ الْأَمِيرُ أَرْقُطَايَ النَّائِبُ نِيَابَةَ حَلَبَ ، فَنُحِّلِعَ عَلَيْهِ بِنِيَابَةِ حَلَبَ فِي يَوْمِ
الْخَمِيسِ خَامِسِ شَوَّالَ ، وَأَسْتَقَرَّ عَوْضُهُ فِي نِيَابَةِ السُّلْطَنَةِ بِالْأَمِيرِ الْيُوسُفِيِّ
أُرْسَ الْأَمِيرُ مَجْلِسَ وَخُلِعَ عَلَيْهِمَا مَعًا ، وَجَلَسَ يَبِيغَا أُرْسَ فِي دَسْتِ النِّيَابَةِ وَجَلَسَ
أَرْقُطَايَ دُونَهُ بَعْدَ مَا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ أَرْقُطَايَ فِي دَسْتِ النِّيَابَةِ وَيَبِيغَا دُونَهُ .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ سَابِعِهِ قَدِمَ الْأَمِيرُ مَنَجَكُ الْيُوسُفِيِّ السَّلَاحَ دَارَ حَاجِبِ دِمَشْقَ
وَأَخُو يَبِيغَا أُرْسَ مِنَ الشَّامِ ، فَرُسِمَ لَهُ بِتَقْدِيمِهِ أَلْفَ بَدْيَارٍ مِصْرَ وَخُلِعَ عَلَيْهِ وَأَسْتَقَرَّ
وَزِيرًا وَأُسْتَاذَارًا ، وَخَرَجَ فِي مَوْكِبٍ عَظِيمٍ وَالْأَمْرَاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَصَارَ حَكَمُ مِصْرَ
لِلْأَخْوَيْنِ : يَبِيغَا أُرْسَ وَمَنَجَكُ السَّلَاحَ دَارَ .

ثُمَّ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ عَاشِرِ شَوَّالَ خَرَجَ الْأَمِيرُ أَرْقُطَايَ إِلَى نِيَابَةِ حَلَبَ ، وَصَحْبَتُهُ
الْأَمِيرُ كَشَلَى الْإِدْرِيسِيِّ مَسْفَرًا .

١٥

ثُمَّ إِنَّ الْأَمِيرَ مَنَجَكَ اشْتَدَّ عَلَى الدَّوَاوِينِ ، وَتَكَلَّمَ فِيهِمْ حَتَّى خَافُوهُ بِأَمْرِهِمْ ،
وَقَامُوا لَهُ بِتَقَادُمِ هَائِلَةٍ ، فَلَمْ يَمُضْ شَهْرٌ حَتَّى أُسِّسَ بِهِمْ ، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِ
كُلِّهَا ، وَتَحَدَّثَ مَنَجَكُ فِي جَمِيعِ أَقَالِيمِ مِصْرَ وَمَهَّدَ أُمُورَهَا .

ثُمَّ قَدِمَ سَيِّفُ الْأَمِيرِ نَخْرَ الدِّينِ إِيَّاسَ نَائِبِ حَلَبَ بَعْدَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ فَنُفِجَ مَقِيدًا
وَحُبِسَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ .

(١) كَذَا فِي مِ وَالْمُلُوكِ فِي إِحْدَى رَوَايَتِهِ . وَرَوَايَتُهُ الْآخَرَى : « كَشَلَى » « الْأَدْرُسِي » .
وَفِي ف : « كَشَلَى الْإِدْرِيسِي » . (٢) كَذَا وَرَدَّ فِي الْأَصْلَيْنِ . وَلَمْ نَعْرِضْ لِهَذَا الْخَطْبِ فِي مَصْدَرِ آخَرِ .

ثم ترأس المالِك الجراكسة مع الأمير حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على أن يُقيموه سلطانا فقبض على أربعين منهم، وأخرجوا على المُجَنّ مفترقين الى البلاد الشامية . ثم قبض على ستة منهم وضربوا نُجْاه الإيوان من القلعة ضربا مبرحا، وقيدوا وحُبسوا بخزانة شمائل .

ثم عملت الخدمة بالإيوان ، واتفقوا على أن الأمراء إذا انفضوا من خدمة الإيوان ، دخل أمراء المشورة والتدبير إلى القصر دون غيرهم من بقية الأمراء ، ونفذوا الأمور على اختيارهم من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء في ذلك، فكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير متكليا بفا الفخرى والأمير بِنَغْرا والأمير بِنَبْغا طَطَر والأمير طَبْغا المجدى والأمير أرلان وسائر الأمراء فيمضوا على حالهم، إلا أمراء المشورة وهم ، الأمير بِنَبْغا أُرْس النائب والأمير شيخون العُمري رأس نوبة التوب والأمير طاز والأمير الوزير مَتَجَك اليوسفى السلاح دار والأمير أَلْبِيغا المظفرى والأمير طَبْغَر فأنهم يدخلون القصر، وينفذون أحوال المملكة بين يدي السلطان بمقتضى علمهم وحسب اختيارهم .

وفي هذه السنة استجدت بمدينة حلب قاض مالكي وقاض حنبلي، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرباطي^(٣)، وتولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض، ولم يكن بها قبل ذلك مالكي ولا حنبلي، وذلك في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من هذا الجزء . (٢) غير موجود في الأصل الفوتوغرافي .

(٣) في ف والسلوك : « الرايس » . بالياء، وتصويبه عن الدرر الكامنة وم وتاريخ حلب

٢٠ للطباخ (ج ٥ ص ٣٨) وقد ضبط بالعبارة في الدرر وتاريخ حلب : « بضم الراء وتخفيف الموحدة » .

توفي سنة ٧٦٤ هـ . (٤) انظره في المنيل الصافي (ج ٣ ص ٢٧٧) والدرر الكامنة

(ج ٤ ص ٣٧٩) وتاريخ حلب (ج ٥ ص ٦٣) وقد أجمعت هذه المصادر على أنه توفي سنة ٧٧٨ هـ .

وفي يوم الثلاثاء أول المحرم سنة تسع وأربعين وسبعمائة، قُبِضَ على الشيخ
 على الكسيح نديم الملك المظفر حاجي، وضُرب بالمقارع والكسارات ضرباً عظيماً،
 وقُلعت أسنانه وأضرأسه شيئاً بعد شيء في عدة أيام، ونُوع له العذاب أنواعاً حتى
 صمك، وكان يشع المنظر، له حدة في ظهره وحدة في صدره، كسيحاً لا يستطيع
 القيام، وإنما يُحمل على ظهر غلامه، وكان يلوذ بألحيماً المظفرى، فعُرف به ألحيماً
 الملك المظفر حاجياً فصار يُضحكه، وأخرج المظفر حرمة عليه، وعاقره الشراب،
 فوهبته الحظايا شيئاً كثيراً. ثم زوجه الملك المظفر بإحدى حظاياه، وصار يسأله عن
 الناس فنقل له أخبارهم على ما يريد، وداخله في قضاء الأشغال، نغافه الأمراء
 وغيرهم خشية لسانه، وصانعه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث إنه كان إذا دخل
 خزانة الخالص، لا بد أن يعطيه ناظر الخالص منها له شيئاً له قدر، ويدخل عليه
 ناظر الخالص حتى يقبله منه، وإنه إذا دخل إلى النائب أرقطاي استعاذ أرقطاي
 من شره، ثم قام له وترحب به وسقاه مشروباً، وقضى شغله الذي جاء بسببه
 وأعطاه ألف درهم من يده وأعتذر له، فيقول للنائب: هأنا داخل إلى أبي السلطان
 وأعرفه إحسانك إلى، فلما دالت دولة الملك المظفر عني به ألحيماً، إلى أن شكاه
 عبد العزيز العجمي أحد أصحاب الأمير آق سنقر على مال أخذه منه، لما قبض
 عليه غرلُو بعد قتل آق سنقر حتى خلصه منه، فتذكره أهل الدولة وسلموه إلى
 الوالى، فعاقيه وأشتد عليه الوزير منبجك حتى أهلكه.

وفي المحرم هذا وقعت الوحشة ما بين النائب بيبغا أُرُس وبين شيخون، ثم دخل
 بينهما منبجك الوزير حتى أصلح ما بينهما.

ثم في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول عُزل الأمير منبجك عن الوزارة،
 وسببه أن ابن زُنبور قديم من الإسكندرية بالجمل على العادة، فوقع الاتفاق على

تفرقه على الأمراء، فحُمِلَ إلى النائب منه ثلاثة آلاف دينار، وإلى شَيْخُون ثلاثة آلاف دينار، وللجماعة من الأمراء كُلُّ واحد ألف دينار، وهم بقيّة أمراء المشورة، والجماعة الأمراء المقدمين كُلُّ واحد ألف دينار، فامتنع شيخون من الأخذ وقال: أنا ما يَحِلُّ لى أن آخذ من هذا شيئا. ثم قَدِمَ حُمْلُ قَطِيّا وهو مبلغ سبعين ألف درهم، وكانت قَطِيّا قد أُرْصِدَت لنفقة الممالك، فاخذ الوزير مِنْجَك منها أربعين ألف درهم، وزَعَم أنها كانت له قَرْضًا فى نفقة الممالك، فَوَقَّفت الممالك إلى الأمير شيخون وشكوا الوزير بسببها، فَحَدَّثَ الوزير فى ردِّ ما أخذه فلم يفصل، وأخذ فى الحطِّ على آبن زُبُور ناظر الخواص، وأنه يأكل المال جميعه، وطلب إضافة نظر الخاص له مع الوزارة والأستادارية وألح فى ذلك عدّة أيام، فنعته شَيْخُون من ذلك، وشدَّ من آبن زنبور وقام بالمحافقة عنه، وغَضِبَ بحضرة الأمراء فى الخدمة، ففجَّ النائب مِنْجَك من التحدّث فى الخاصِّ وأنقَضَ المجلس، وقد تنكَّر كُلُّ منهما [على الآخر]^(١) وكثُرَت القالة بالركوب على النائب ومِنْجَك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الإعفاء من النيابة وإخراج أخيه مِنْجَك من الوزارة، وأبدأ وأعاد حتى كثر الكلام ووقع الاتفاق على عزل مِنْجَك من الوزارة، وأستقراره أستاذارًا على حاله وشادًا على عمل الجسور فى النيل. وطُلبَ أَسَدْمُرُ العمرى المعروف برسلان بَصَل من كشف الجسور ليتولّى الوزارة، فحضر وحُلِعَ عليه فى يوم الاثنين رابع عشرينه.

[وفيه أُخْرِجَ]^(٢) الأمير أحمد شاد الشراب خاناه إلى نيابة صنفد؛ وسبب ذلك أنه كان كَبُرَ فى نفسه وقام مع الممالك على الملك المظفر حاججًا حتى قَتِلَ، ثم أخذ

(١) الكلمة عن السلوك. (٢) فى الأصلين: «ثم أخلع على الأمير أحمد شاد الشرايجاناه... إلخ»

وما أبقناه عن السلوك، وهو ما يقتضيه السياق.

في تحريك الفتنة وأتفق مع ألبجيغا وطنيرق على الركوب فبلغ يديغا أرس النائب الخبر فطلب الإعفاء، وذكر ما بلغه وقال : إن أحمد صاحب قن ولا بد من إخراجهم من بيتنا فطلب أحمد وخُلع عليه وأُخرج من يومه .

- ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع الأول أنهم على الأمير منجك اليوسفى بتقدمة أحمد شاذ الشراب خاناه . ثم في الغد يوم الخميس أمتنع النائب من الركوب في الموكب وأجاب بأنه ترك النيابة ، فطلب إلى الخدمة وسُئِل عن سبب ذلك فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إقامة الفتنة وتبيّت خيولهم في كل ليلة مشدودة، وقد آنفقا على مسكه، وأشار لألبجيغا وطنيرق فأنكرا ما ذكر النائب عنهما ، فحاققهما الأمير أرغون الكامل أن ألبجيغا واعد بالأمس على الركوب في غد وقت الموكب ومسك النائب ومنجك، فعتب عليهما الأمراء فاعتذرا بعذر غير مقبول، وظهر صدق ما نقله النائب ، فخلع على ألبجيغا بنبابة طرابلُس وعلى طنيرق بامرة في دمشق وأخرجوا من يومهما، فقام في أمر طنيرق صهره الأمير طشتمر طلبه حتى أغفى من السفر وتوجه ألبجيغا إلى طرابلُس في ثامن شهر ربيع الآخر من السنة بعد ما أمهل أياما ، واستمر منجك معزولا إلى أن أعيد إلى الوزير في يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر باستعفاء أسندم العمرى لتوقف أحوال الوزارة .

وفيه أيضا أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلاني وطبيغا المظفرية ومنكلى بقا المظفرية وفرقوا ببلاد الشام .

- ثم قدمت مقدمة الأمير أرغون شاه نائب الشام زيادة عما جرت به العادة ، وهي مائة وأربعون فرسا بُعي تدمرية فوقها أجلة^(٢) أطلس، ومقاود سلاسلها فضة،

(١) في السلوك : « في ثاني ربيع الآخر » . (٢) في الأصلين : « بعي تدمرى » وما أثبتناه عن السلوك . (٣) في الأصلين : « أجلية » . وما أثبتناه عن السلوك ولسان العرب مادة « جمل » .

(١١)
ولواوين بخلق فضة ، وأربعة قُطْرُهْنِ بمقاود حرير ، وسلاسل فضة وذهب ،
وأكوارها ممتشة بذهب ، وأربعة كتابش ذهب عليها ألقاب السلطان ، وتعاوي
قماش مبقعة من كل صنف ؛ ولم يدع أحدا من الأمراء المقدمين ولا من أرباب
الوظائف حتى الفزاش ومقدم الإسطبل ومقدم الطبلخانة والطباخ ، حتى يمض إليهم
هدية ، فخلع على مملوكه عتة خلع وكتب إليه بزيادة على إقطاعه ، ورسم له بتفويض
حكم الشام جميعه إليه ، يعزل ويولي من يختار .

وفيه أنعم على خليل بن قوضون بإمرة طبلخاناه ، وأنعم أيضا على ابن المجدي
بإمرة طبلخاناه ، وأنعم على أحد أولاد منجك الوزير بإمرة مائة وتقدمة ألف
ثم في ثالث ذي الحجة أخرج طشبا الدوادار إلى الشام ، وسببه مفاوضة جرت
بينه وبين القاضي علاء الدين علي بن فضل الله كاتب السر ، أفضت به إلى أن أخذ
طشبا بأطواق كاتب السر ودخلا على الأمير شيوخون كذلك ، فأنكر شيوخون على
طشبا ، ورسم بإخراجه ، وعمل مكانه قُطْلِيَجَا الأرغوني دوادارا . ثم رسم للأمير
بيغرا أمير جانداز أن يجلس رأس ميسرة ، وأستقر الأمير أيتمش الناصري حاجب
الحجاب أمير جانداز عوضه ، وأستقر الأمير قُبلَاي حاجب الحجاب عوضا عن أيتمش .

(١) أصلها أووين جمع إيوان وهو مقدم الحمام ثم حُرقت إلى لواوين جمع ليران .

(٢) الأكوار جمع كور بالضم وهو الرجل وقيل الرجل بأداته (عن لسان العرب) .

(٣) في قاموس دوزي : الكتبوش وهو الناشية تحت مرج الفرس ، وهي هنا للهجن أشبه ما تكون
بالأجلة للخيول من حوائث الكور ، كان يكتب عليها بالزركش والحرير ألقاب السلطان في عصر المماليك .
(انظر دوزي وقاموس الملابس العربية له ودرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المنظمة لابن
عبد القادر الحنبلي) . (٤) في السلوك : « وتعاوي قاش مفتخر » . (٥) في الأصلين :
« الأمير جندر حاجب الحجاب ... الخ » والتصويب ما أثبتناه عن السلوك ودرر الكامة لأن قُبلَاي
المذكور في المجبوبة في أيام الناصر حسن صاحب الترجمة في حين أننا لم نقف على اسم جندر .
في المصادر التي تحت يدينا .

وكانت هذه السنة (أعنى سنة تسع وأربعين وسبعمائة) كثيرة الوباء والفساد بمصر والشام من كثرة قطع الطريق لولاية الأمير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وأنفراده وأخيه بئبغا أُرْس بتدبير المملكة .

- ومع هذا كان فيها أيضا الوباء الذى لم يقع مثله في سالف الأعصار ، فإنه كان أبشدا بأرض مصر آخر أيام التخضير في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين ، فما أهل المحرم سنة تسع وأربعين حتى أشتت بديار مصر في شعبان ورمضان وشوّال ، وأرتفع في نصف ذى القعدة ، فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفس [إلى عشرين ألف نفس ^(١)] في كل يوم ، وعملت الناس التوابيت والدّكك لتفصيل الموتى للسبيل بغير أجره ، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلام والأبواب ، وحُفرت الحفائر وأُلقيت فيها الموتى ، فكانت الحفيرة يُدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر ، وكان الموت بالطاعون ، يئسّق الإنسان دما ثم يَصْبِغ ويموت ، ومع هذا عمّ الفلاء الدنيا جميعها ، ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم ، بل عمّ أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس بنى آدم وغيرهم ، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر .
- وكان أول آبئدائه من بلاد القن الكبير حيث الإقليم الأول ، وبعدها من تبريز إلى آخرها ستة أشهر وهى بلاد الخطا والمغل وأهلها يعبدون النار والشمس ^(٢) ^(٣)

- (١) تمكة عن السلوك . (٢) هى — كما يرى في أطلس (اسبروز) الألماني التاريخي — تمتد من أذربيجان الحالية غربا إلى قبرصية القسطنطينية ، وشرقا إلى مملكة الخطا وبلاد الصين . وأشهر مدنها تبريز . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .
- (٤) ضبطها الفلقشندي في صبح الأعشى (ج ٤ ص ٤٨٣) بالعارة فقال : « بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر . والخطا : اسم يطلق على بلاد متاخمة للصين ، يسكنها جنس من الترك ، ويطلق اسم الخطا على بلاد الصين جميعها في القرون الوسطى . (راجع السلوك طبع زيادة ج ١ قسم ١ وصبح الأعشى) . وتحديدعا كما يرى من أطلس اسبروز الألماني التاريخي : « تمتد بلاد (الخطا) من البلاد التي كانت تسمى بما وراء النهر جنوبا إلى منابع نهري إرانش وأو من أنها سبيرا الحالية شمالا .

والقمر، وتزيد عدتهم على ثلثائة جنس فهلكوا بأجهم من غير طلة ، في مشاتهم ومصايفهم وعلى ظهور خيلهم ، وماتت خيولهم وصاروا جيفة مرمية فوق الأرض ؛ وكان ذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة . ثم حملت الريح نقتهم إلى البلاد ، فما مرت على بلد إلا وساعة شتمها إنسان أو حيوان مات لوقته فهلك من أجناد القان خلائق لا يحصياها إلا الله تعالى . ثم هلك القان وأولاده الستة ولم يبق بذلك الإقليم من يحكمه .

ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها : بلاد أذربك^(١) وبلاد إسطنبول^(٢) وقيصرية^(٣) الروم ، ثم دخل أنطاكية حتى أفنى من بها ، وخرج جماعة من بلاد أنطاكية^(٤) فازين من الموت فأتوا بأجهم في طريقهم ، ثم عم جبال ابن قرمان وقيصرية ، فقضى أهلها ودوابهم ومواشيهم ، فرحلت الأكراد خوفا من الموت فلم يجدوا أرضا إلا وفيها الموت ، فعادوا إلى أرضهم وماتوا جميعا . ثم وقع ذلك ببلاد سيس فمات لصاحبها تكفور في يوم واحد بموضع مائة وثمانون نفسا وختل سيس . ثم وقع في بلاد الخطا مطر عظيم لم يمهده مثله في غير أوانه ، فماتت دوابهم ومواشيهم

(١) كانت تطلق بلاد أذربك على ما كان يسمى ببلاد القفجاق وهي أرض القبائل الذهبية التي كانت

تمتد (كما يرى في أطلس اسبروز الألمانى التاريخى) شمالى بحر بنطس (البحر الأسود) وبحر قزوين إلى منابع نهري إرتش وأوب من سيبيريا .

(٢) هي بلاد اسطنبول الحالية :

(٣) يراد بها قيصرية القسطنطينية أي بلاد الأناضول (كما يرى في أطلس سبروز الألمانى التاريخى) .

(٤) في السلوك : « من جبال أنطاكية » .

(٥) تقع جبال ابن قرمان في وسط تركية آسيا اليسرى ، وهي إمارة كانت في وسط بلاد الأناضول محصورة ما بين إمارات العثمانيين وغيرها ، وما بين بحر الروم (البحر الأبيض) وما بين مملكة إرمينية ومملكة خانات العراق .

عقيب ذلك المطر حتى قَنِيَتْ . ثم مات الناس والوحوش والطيور حتى خلت بلاد الخطأ وهلك ستة عشر مَلِكًا في مدة ثلاث أشهر ، وأبقى أهل الصَّين حتى لم يبق منهم إلا القليل ، وكذلك بالهند .

ثم وقع ببغداد أيضا فكان الإنسان يُصبح وقد وجدَ بوجهه طُلوفاً ، فما هو إلا أن يَمُدَّ يده على موضع الطلوع فيموت في الوقت . وكان أولاد دمرداش قد حَصَرُوا الشيخ حسناً صاحب بغداد ، ففجأهم الموتُ في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار إلى الغد ، فمات منهم عدد كثيرٌ نحو الألف وماتت رجل وستة أمراء ودوابٌ كثيرة ^(١) ، فكتب الشيخ صاحب بغداد بذلك إلى سلطان مصر .

ثم في أول جمادى الأولى ابتدأ الوباء بمدينة حلب ثم بالبلاط الشامية كلها وبلاد ماوردين وجبالها ، وجميع ديار بكر ، وأُفْنِي بلاد صَفَدَ والقُدْس والكَرْك وناَبْلُس والسواحل وعُربان البوادي حتى إنه لم يُبق ببلد جينين غير عجوز واحدة خرجت منها فائزة ، وكذلك وقع بالزملة وغيرها ، وصارت الخانات ملائمةً بِجَيْف الموتى ، ولم يدخل الوباء مَعرَّة النعمان من بلاد الشام ولا بَلَد شِير ولا حارما .

- (١) في الأصلين : « ودواب كثير » . وما أثبتناه من السلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) هي قلعة تشتمل على كوة بالشام . وتقع قرب الحرة ، بينها وبين حماة يوم . في وسطها نهر الأزد . ولقلعة شير شهرة كبرى في التاريخ فقد كانت مقر إمارة بني منقذ الكنايين منذ ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) حتى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) . وبها ولد أسامة بن منقذ الشاعر صاحب كتاب الاعتبار في ٢٧ من شهر جمادى الثانية سنة ٤٨٨ هـ (٤ يولييه سنة ١٠٩٥ م) أي قبل ابتداء الحروب الصليبية ببضع سنين . وكتابه الاعتبار المذكور ثبت منذ كرات طيلة ضافية من تلك الحروب . وقد وصف فيها ابن منقذ تجاربه وأعماله ، وملاحظاتاً عن عادات الفرنج وأزيائهم زمن الحروب الصليبية وهي فريدة في بابها . وقد انتهى ملك المناقة لقلعة شير سنة ٥٥٢ هـ بوفاته أتمر أمراتها تاج الدولة ناصر الدين محمد . وفي نفس العام استولت الإسماعيلية على شير ، ثم أخذها منهم السلطان نور الدين محمود بن زكي سنة ٥٦٤ هـ (انظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٣٥٣) وكتاب الروضتين لأبي شامة (ص ٩٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠) والكامل لابن الأثير (ج ١١ ص ٢٢٠) .

- وأول ما بدأ يَدْمَشُقْ ، كان يخرجُ خلف أذن الإنسان بُرةً فيخترُ صريعا ،
ثم صار يخرج للإنسان^(١) كُبةً فيموت أيضا سريعا ، ثم خرجت بالناس خيابة فقتلت
خَلْقًا كثيرا ، ثم صار الآدمي يبصق دَمًا ويموت من وقته ، فأشدَّ الهول من كثرة
الموت ، حتى إنه أكثر من كان يعيشُ ممن يُصيبه ذلك خمسين ساعة . وبلغ عِدَّةُ
مَن يموت في كلِّ يوم بمدينة حلب خمسمائة إنسان ، ومات بمدينة غزّة في ثاني
المحرم الى رابع صفر — على ما ورد في كتاب نائبا — زيادة على اثنين وعشرين
ألف إنسان ، حتى غلقت أسواقها ، وشمل الموت أهل الضياع بها ، وكان آخر
زمان الحرث ، فكان الرجل يوجد ميتا خلف مخبرائه ، ويوجد آخر قد مات
وفي يده ما يتذكره . ثم مات أبقارهم ؛ وخرج رجل بعشرين رأس بقر ، لإصلاح
أرضه فماتوا واحدا بعد واحد ، وهو يراهم يتساقطون قُدَّامه ، فعاد إلى غزّة .
ودخل ستة نفر لسرقه دار بغزّة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا بأجمعهم ،
وفتر نائبا الى ناحية بُدْعَرَش^(٢) ، وترك غزّة خالية ، ومات أهل قطيّا وصارت
جُثثُهم تحت النخل وعلى الحوانيت ، حتى لم يبق بها سوى الوالى وغلّامين وجارية
عجوز ، وبعث يَسْتَعْفِي ، فولّى عُوضه مُبارك ، أستاذار طُنْجِي .
- ثم عم الوباء بلاد الفرنج ، وأبتدأ في الدواب ثم في الأطفال والشباب ، فلما
شَنَّ الموتُ فيهم جمع أهل قُبْرُسَ مَن في أيديهم من أسرى المسلمين وقتلهم جميعا
من بعد العصر الى المغرب ، خوفاً من أن تفرَّغَ الفرنج فتملك المسلمون قُبْرُسَ ،
فلما كان بعد العشاء الأخيرة هبَّت رِيحٌ شديدة ، وحدثت زلزلة عظيمة ، وأمتد البحر
(١) الكبة بالضم والتشديد : غدة شبه الخراج ، وأهل مصر يطلقونها على الطاعون (عز شرح القاموس) .
(٢) رواية م : « حتى إنه أكثر ما كان يعيش من يصيبه ذلك خمسين ساعة ... الخ » .
(٣) في الأصلين : « بدعوس » وما أثبتناه عن السلوك وما تقدم ذكره في الحاشية رقم ٢ ص ١٣١
من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

في المينة نحو مائة قصبة، ففريق كثير من مراكبهم وتكسرت، فظن أهل قُبرُس أن الساعة قامت. فخرجوا حَيَّارَى لا يَدْرُونَ ما يصنعون. ثمَّ حادوا إلى منازلهم، فإذا أهابهم قد ماتوا، وهلك لهم في هذا الوباء ثلاثة ملوك، وأستمر الوباء فيهم مدة أسبوع، فركب منهم ملكهم الذي ملكوه رابعا، في جماعة في المراكب يريدون جزيرة بالقرب منهم، فلم يَمِضْ عليهم في البحر إلا يومٌ وليلةٌ ومات أكثرهم في المراكب، ووصل باقيهم إلى الجزيرة فأتوا بها عن آخرهم، ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مَرَكَبٌ فيها تجار فأتوا كلهم وبحارَتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قُبرُس فوصلوها، وقد بقوا أربعة نفر فلم يجدوا بها أحداً فساروا إلى طرابلس، وحدثوا بذلك فلم تَطُلْ مدتهم بها وماتوا

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفريج لا تجد رُكَّابها بها أحداً، وفي بعضها جماعة يدعونهم أن يأخذوا من أصناف البضائع ما أحبوا بنير من لكثرة من كان يموت عندهم، وصاروا يلقون الأموات في البحر، وكان سبب الموت عندهم ريحٌ تَمُرُّ على البحر فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يَهْرِبُ برأسه إلى الأرض حتى يموت.

وقدِمَت مراكب إلى الإسكندرية، وكان فيها أثنان وثلاثون تاجرا وثلثمائة رجل ما بين تجار وعبيد، فأتوا كلهم ولم يصل منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة.

وعَمَّ الموتُ جزيرةَ الأندلس بأكملها إلا جزيرةَ غرناطة، فإنهم نجَّوا، ومات من عداهم حتى إنه لم يبق للفريج من يمنع أموالهم، فأتتهم العرب من إفريقية

(١) في ف: « ريح نهب »

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٥٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

تريد أخذ الأموال إلى ن صاروا على نصف يوم منها ، فترت بهم ريحٌ فمات منهم على ظهور الخيل جماعةٌ كثيرةٌ ودخلها باقيهم ، فأروا من الأموات ما هالم ، وأموالم ليس لها من يحفظها ، فأخذوا ما قدرُوا عليه ، وهم يتساقطون موتى ، فنجوا من بقي منهم بنفسه ، وعادوا إلى بلادهم وقد هلك أكثرهم ، والموت قد فشا بأرضهم أيضا بحيث إنه مات منهم في ليلة واحدة عددٌ كثير ، وبقيت أموال العُربان سائبة لا تجد من يرعاها ، ثم أصاب الغم داءً ، فكانت الشاة إذا دُحيت وُجد لحمها مُنتنًا قد أسود وتغير ، ومات المواشي بأسرها .

ثم وقع الوباء بأرض بركة إلى الإسكندرية ، فصار يموت في كل يوم مائة . ثم صار يموت مائتان ، وعظم عندهم حتى إنه صُلّي في اليوم الواحد بالجامع دفعة واحدة على سبعمائة جنازة ، وصاروا يحملون الموتى على الجنويات والألواح ، وغُلقت دار الطراز لعدم الصناع ، وغُلقت دار الوكالة ، وغُلقت الأسواق وأريق ما بها من الخمر . وقدمها مركب فيه إفرنج فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير تحوم في غاية الكثرة ، فقصدوه فإذا جميع من فيها ميت والطير يأكلهم ، وقد مات من الطير أيضا شيء كثير ، فتركهم ومروا فوصلوا إلى الإسكندرية حتى مات منهم زيادة على ثلثهم . ثم وصل إلى مدينة دمهور

(١) في ف : « على ظهور خيلهم » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٢ من الجزء

الثامن من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٩ من هذا الجزء .

(٤) في السلوك : « مات زيادة على ثلثهم » . (٥) قاعدة مديرية البحيرة إحدى مديريات

الوجه البحري بمصر ، وهي من المدن المصرية القديمة ، اسمها المصري القديم دمهور وهو اسمها الحالي

الذي لم يطرأ عليه أي تحريف من العهد الفرعوني إلى اليوم . ومعناها مدينة الإله هوريس وهو الصقر الذي

يسميه اليونان : « أبو لون » . ولما تولى البطالسة حكم مصر ، وجدوا أغلب سكان مدينة دمهور معتقدين

عبادة الإله هرمس ، ولذلك سموها هرموبوليس بأرفا أي مدينة الإله هرمس الصغيرة ، تميزا لها من

هرموبوليس عجا ، أي الكبيرة وهي الأشمونين التي بمركز ملوى . واحتفظ القبط والعرب باسمها القديم

وهو دمهور إلى اليوم .

وَتَرْوُجَةٌ بِالْبَحِيرَةِ كُلِّهَا حَتَّى يَمُتْ أَهْلُهَا ، وَمَاتَتْ دَوَابُّهَا وَمَوَاشِيهَا وَبَطَلَ مِنَ الْبَحِيرَةِ
سَائِرُ الضَّمَانَاتِ ، وَشَمِلَ الْمَوْتَ أَهْلُ الْبُرْلُسِ ^(٣) وَنَسْرَاوَةٌ ^(٤) وَتَعَطَّلَ الصَّيْدُ مِنَ الْبَحِيرَةِ
بِمَوْتَ الصَّيَادِينَ فَكَانَ يَخْرُجُ فِي الْمَرْكَبِ عِدَّةُ صَيَادِينَ فَيَمُوتُ أَكْثَرُهُمْ وَيَعُودُ مِنْ

- = دمنهورى قاعدة إقليم غربى الدلتا من عهد الفراعنة . ولما تولى العرب حكم مصر أطلقوا على
هذا الإقليم اسم الحوف الغربى ، وقسموا مدينة دمنهور إلى ست نواح ، وهى دمنهور الوحش واسكنيدة
(سكنيدة) وقرطسا وطاموس (أبو الریش) ونقرها وشبرويتا (شبرا الدمنهورية) ، وجعلوا لكل ناحية من
هذه النواحي زماما خاصا بها من الأراضى الزراعية وسكنا معروفا باسمها ، وسكن هذه النواحي يجمعه الآن
سكن واحد يطلق عليه اسم دمنهور .
- وفى أيام الدولة الفاطمية قسم الحوف الغربى إلى كورتين ، وهما كورة البحيرة وقاعدتها دمنهور ، وكورة
حوف رمسيس وقاعدته مدينة رمسيس ، وهذه اليوم إحدى قرى مركز إيتاى البارود .
- وفى سنة ٥٧١٥ هـ أصدر الملك الناصر محمد بن قلاوون مرسوما بإلغاء حوف رمسيس ، وجعل البحيرة كلها
إقليما واحدا باسم البحيرة وقاعدته مدينة دمنهور .
- وبسبب زيادة عدد سكان هذه المدينة وكثرة ما يقع فيها من مخالفات اللوائح العامة التى نشأ عنها كثرة
أعمال الضبط والأعمال الإدارية والمالية ، أصدر ناظر الداخلية قرارا فى فبراير سنة ١٩١٢ بفصل مدينة
دمنهور عن بلاد مركز دمنهور ، وجعلها مأمورية قائمة بذاتها باسم بندر دمنهور .
- ومدينة دمنهور هى اليوم من كبريات المدن المصرية يبلغ عدد سكانها حوالى ٦٦٠٠٠ نفس ، وبها كل
ما يلزم سكانها من معاهد العلم على اختلاف أنواعها ، وبها كلية الزراعة التابعة لجامعة فاروق الأول
بالاسكندرية ، وبها المساجد والمستشفيات والمصالح الأميرية والمحاكم ، وبها الخلق الكثرة والمحال التجارية
التي يباع فيها كل ما يستحق حاجات الناس ، وكذلك بها الفنادق والأندية وأماكن الألعاب الرياضية ودور
السینما ، وهى بالإجمال من المدن المصرية الجامعة لأسباب الحضارة ووسائل المدنية .
- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) فى السلوك :
« فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات والموجبات السلطانية » . (٣) راجع الحاشية رقم ١
ص ٢٤٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) يستفاد مما ورد فى معجم البلدان لياقوت
وفى الانتصار لابن دقاق ، أن نسرأوة و يقال لها نسرور : بلدة واقعة بين البحر الملح والبحر الأبيض
المتوسط وبين بحيرة نسرأوة ، وهى بحيرة البرلس وليس بها زراعة ويشغل أهلها بصيد الأسماك ، وكانوا
يدفعون للحكومة ضريبة تخلف قيمتها بسبب قلة الصيد وكثرته من ١٧٥٠٠ دينار إلى ٥٠٠٠٠ دينار
سنويا ، وأغلب غذاء أهلها السمك وماء الشرب ينقل إليهم من النيل فى المراكب .
- وكانت نسرور قاعدة لبلاد القمم الواقعة على البحر الأبيض ومنها البرلس وبلطيم . وبالبحت عن مكان
هذه البلدة تبين لى ، أنها اندثرت من القرن الثامن عشر الميلادى ، ومكانها اليوم يعرف بكمم مسطورة
فى الساحل الرملى الممتد على شاطئ البحر الأبيض ، فى المسافة بين فرع النيل الغربى وهو فرع رشيد وبين
البرلس . وكانت بحيرة البرلس تعرف قديما باسم بحيرة نسرور نسبة إلى تلك البلدة .

بقي منهم فيموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله . ووُجِدَ في جيتان البطارخ شيءٌ متن، وفيه على رأس البطارخة كُبةٌ ^(١) متنة قدر البندقة قد أسودت . ووُجِدَ في جميع زراعات البُرْلُس وبلحها دودٌ، وتَلَفَ أكثر تمر النخل عندهم ، وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحرى لا يوجد من يدفنها .

ثم عَظُمَ الوباءُ بالهَلَّةِ حتى إنَّ الوالى كان لا يجد من يشكو إليه ؛ وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على شخص لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقتهم . وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها ، وماتت الفلاحون بأسرهم إلا القليل ، فلم يوجد من يضمّ الزرع ، وزهد أربابُ الأموال في أموالهم وبدلوا للفقراء ، فبعث الوزير متجك إلى الغربية ، كريم الدين ابن الشيخ مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة ، فدخلوا على سُبَّاط وسمنود وبوصير وسنهور ونحوها من البلاد ، وأخذوا مالا كثيرا ، لم يُخَصِّرُوا منه سوى ستين ألف درهم .

(١) في السلوك : « البطرخة » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٨ من هذا الجزء .

(٣) سبق التطبيق عليها في الحاشية رقم ٨ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) سبق التطبيق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٥) سبق التطبيق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٣١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٦) يوجد بمصر عدة قرى باسم « بوصير » والمقصودة هنا بوصير التي بمديرية الغربية ، وهى من المدن المصرية القديمة ، اسمها المصرى القديم « براوزايد » ومعناها محل إقامة الإله « أوزيريس » واسمها الرومى « بوزيريس » والقبلى « بوصير » ، وهو اسمها العربى الذى حرف إلى أبو صير وهو اسمها الحالى ويقال لها صير بنا لمجاورتها لبلدة بنا أبو صير وتميزا لها عن القرى الأخرى المسماة أبو صير بمصر . وكانت بوصير قاعدة القسم التاسع بالوجه البحرى قديما ، وكانت في عهد العرب قاعدة كورة (قسم) من كور بطن الريف ، وكانت بلدة كبيرة عامرة ؛ بها أسواق وحمامات ومتاجر ، وهى الآن بلدة زراعية ضمن قرى مركز سمنود بمديرية الغربية بمصر . تبلغ مساحة أراضيها ٤٤٣٢ فداناً ، وسكانها حوالى ٨٥٠٠ نفس بما فيهم سكان العرب التابعة لها .

(٧) يوجد بمصر عدة قرى باسم سنهور . والمقصود هنا سنهور المدينة التى بمديرية الغربية ، وهى من المدن المصرية القديمة ، ذكرها ابن حوقل في كتاب المسالك بأنها مدينة ذات إقليم كبير عليه عامل أى حاكم وبها أسواق وحمامات وفنادق ، ولها غلات كثيرة من القمح والكتان وقصب السكر . وتعرف اليوم باسم سنهور المدينة ، وتميزا لها عن القرى الأخرى التى باسم سنهور فى مصر . وهى الآن من بلاد مركز دسوق بمديرية الغربية ، تبلغ مساحة أراضيها ٥٩٨٩ فداناً وعدد سكانها حوالى ١٢٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العرب التابعة لها .

- وعجز أهل بلبيس وسائر الشرقية عن صَمّ الزرع لكثرة موت الفلاحين . وكان
 ابتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف الموافق لأثناء شهر ربيع الآخر من
 سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ففاحت الطُّرُقَات بالموتى ، ومات سُكَّان ييسوت
 الشَّعر ودواثيم ومواشيهم ، وأمتلأت مساجد بلبيس وفناديقها وحوانيئها بالموتى ،
 ولم يبق مؤذَنٌ ، وطُرحَت الموتى بجامعها ، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى . ٥
- ثم قَدِمَ الخبرُ من دِمَشق أنَّ الوباء كان بها آخر ما كان بطرابلس وحمّة
 وحلب ، فلما دَخَلَ شهر رجب والشمس في بُرْج المِيزَان أوائل فصل الخريف ،
 هَبَّت في نصف الليل ريحٌ شديدة جدًّا ، واستمرت حتى مَضَى من النهار قَدْرُ
 ساعتين ، فأشدت الظُّلْمَة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه . ثم آنجَلَتْ وقد
 عَلَتْ وجوه الناس صُفْرَةً ظاهرة في وادي دِمَشق كُلِّه ، وأخذ فيهم الموتُ مدّة ١٠
 شهر رجب فبلغ في اليوم ألفًا ومائتي إنسان ، وبَطَلَ إطلاق الموتى من الديوان ،
 وصارت الأموات مطروحة في البساتين على الطُّرُقَات ، فقَدِمَ على قاضى القضاة
 تَقِيّ الدين السُّبْكِيّ قاضى دِمَشق رجلٌ من جبال الرُّوم ، وأخبر أنه لما وَقَعَ الوباء
 ببلاد الروم رأى في نومه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ما نَزَلَ بالناس من
 الفناء فأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : « اقرءوا سورة نوح ثلاثة آلاف ١٥
 وثلاثمائة وستين مرّة ، وأسألوا الله في رفع ما أتم فيه » فعرّفهم ذلك فأجتمع الناس
 في المساجد ، وفعلوا ما ذَكَرَ لهم ، وتضرّعوا إلى الله تعالى وتابوا إليه من ذنوبهم .
 ودَبِحُوا أبقارًا وأغنامًا كثيرة للفقراء مدّة سبعة أيام ، والفناء يتناقص كل يوم
 حتى زال . فلما سمع القاضي واللائب ذلك نُودِيَ بدِمَشق بأجتماع الناس بالجامع
 لأموى . فصاروا به جمعًا كبيرًا وقرءوا « صحيح البخارى » في ثلاثة أيام وثلاث ٢٠

(١) حيدكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٥٦ هـ .

ليال . ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى وكشفوا رؤوسهم وتجهوا بالدعاء ، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة .

وكان أبتداؤه بالقاهرة ومصر في النساء والأطفال ثم بالساعة حتى كثرت عدد الأموات ، فركب السلطان إلى سرياقوس ، وأقام بها من أول شهر رجب إلى العشرين منه ، وقصد العود إلى القلعة فأشير عليه بالإقامة في سرياقوس وصوم رمضان بها .

ثم قدّم كُتّابُ نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه فشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء ، فأمره صلى الله عليه وسلم بالتوبة ، والدعاء بهذا الدعاء المبارك وهو : « اللَّهُمَّ سَكِّنْ هَيْبَةَ صَدَمَةِ قَهْرْمَانِ الْجَبُورِ بِالطَّافِكِ النَّازِلَةِ الْوَارِدَةِ مِنْ فَيْضَانِ الْمَلَكُوتِ ، حَتَّى تَنْشِبْتَ بِأَذْيَالِ لُطْفِكَ ، وَتَنْتَصِمَ بِكَ عَنْ إِنْزَالِ قَهْرِكَ ، يَا ذَا الْقُوَّةِ وَالْعِظْمَةِ الشَّامِلَةِ ، وَالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » .^(١) وأنه كتب بها عدّة نسخ بعث بها إلى حمّة وطرابلس ودمشق .

وفي شعبان تزايد الوباء بديار مصر ، وعظم في شهر رمضان وقد دخل فصل الشتاء فُرِّسَ بالاجتماع في الجوامع للدعاء ، في يوم الجمعة سادس شهر رمضان ، فنسودى أن يجتمع الناس بالصنائح الخليفة والمصاحف ، إلى قبة النصر خارج القاهرة ، فأجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة ، وخرج المصريون إلى مصلى

(١) في العلوك : « اللهم سكن غيبة » . (٢) في السلوك وم « صدمة قهرمان الحروب » .

(٣) في هامش م عن نسخة أخرى : « اللهم سكن هيبة صدمة قهرمان الجبوت ، بالطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت . حتى تنشب بأذيال لطفك ، وتنتصم بك عن إنزال قهرك ، يا ذا القوة الكاملة والقدر الشاملة . يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام . اللهم يا أولي الولاء ، يا كاشف الضر والبلاء ، اصرف عنا القحط والنار والعلّاق والوباء ، بحق آدم وحواء ، وبحق محمد المصطفى وآله المرتضى ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين » . من كتاب « أعجب العجائب » لمحمود ابن قاضي مينا .

خَوَلَانُ بِالْقِرَافَةِ ^(١) ، وَاسْتَمَزَتْ قِرَاءَةُ الْبُخَارَى بِالْجَامِعِ الْأَزْهَرِ وَغِيَرِهِ حَتَّى أَيَّامٍ ، وَالنَّاسُ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيُقَاتِلُونَ فِي صَلَوَاتِهِمْ . ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى قُبَةِ النَّصْرَوِيِّينَ الْأَمِيرِ شَيْخُونِ وَالْوَزِيرِ مَتَجَكِ الْيُوسُفِيِّ وَالْأَمْرَاءِ بِمَلَابِسِهِمُ الْفَاخِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَغِيَرِهِ ، فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ثَامِنِ شَهْرِ رَمَضَانَ .

- ومات في ذلك اليوم الرجلُ الصالحُ . يَدَى عَبْدِ اللَّهِ الْمُنَوَّى ^(٢) ، تَعَمَّدهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَأَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ ، فَصَلَّى عَلَيْهِ ذَلِكَ الْجَمْعُ الْعَظِيمُ ، وَعَادَ الْأَمْرَاءُ إِلَى سِرِّيَا قَوْسَ وَأَنْفَضَ الْجَمْعُ ، وَأَشْتَدَّ الْوَبَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى عَجَزَ النَّاسُ عَنْ حَضَرِ الْمَوْتِ ^(٣) .

فَلَمَّا أَنْقَضِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ حَضَرَ السُّلْطَانُ مِنْ سِرِّيَا قَوْسَ ، وَحَدَّثَ فِي النَّاسِ فِي شَوَالِ نَفَثَ الدَّمِ ، فَكَانَ الْإِنْسَانُ يَحْسُ فِي نَفْسِهِ بِحَرَارَةٍ وَيَجِدُ غَشْيَانًا فَيَبْصُقُ دَمًا وَيَمُوتُ عَقِيْبَهُ ، وَرِيتْبَعُهُ أَهْلُ دَارِهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى يَفْنَوْا جَمِيعًا بَعْدَ لَيْلَةٍ .

- ١٠ (١) تَكَلَّمَ عَلَيْهِ الْمَقْرِزِيُّ فِي خُطْبَتِهِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمَصْلِيَّاتِ وَالْمَحَارِبِ الَّتِي بِالْقِرَافَةِ الْكُبْرَى (ص ٤٥٤ ج ٢) فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْمَصْلَ عَرَفَ بَطَانَتُهُ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ شَهِدُوا فَتْحَ مِصْرَ يَقَالُ لَهُمْ خَوَلَانُ ، وَهُمْ مِنْ قِبَالِ الْإِنِّ . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ مَوْضِعَهُ يَعْرِفُ بِالْمَصْلِ الْقَدِيمِ عِنْدَ دَرْبِ السَّبَاعِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ سَنَةَ ٨٢١ هـ ، ثُمَّ بَنَاهُ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ فِي سَنَةِ ٨٢٦ هـ وَاسْمُهُ بَاقٍ عَلَيْهِ إِلَى الْيَوْمِ . ثُمَّ قَالَ : وَلَمَّا ضَاقَ الْمَصْلُ بِالنَّاسِ ، فِي إِمَارَةِ عَنَسَةِ بْنِ إِسْحَاقَ الْفُصِّيِّ عَلَى مِصْرَ . بَنَى الْمَصْلَ الْجَدِيدَ فِي سَنَةِ ٨٤٠ هـ وَهُوَ الَّذِي بِالصَّحْرَاءِ عِنْدَ الْبَحَارِ وَدَى ، ثُمَّ جَدَّدَهُ الْحَاكِمُ فِي سَنَةِ ٨٤٣ هـ .

وَيَسْتَفَادُ مَا ذَكَرَهُ آيْنُ إِيَّاسَ فِي تَارِيخِ مِصْرَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٩٠٢ هـ ص ٣٢٣ وَ ٣٢٤ مِنْ الْجُزْءِ الثَّانِي ؛ أَنَّ مَصْلَ خَوَلَانَ كَانَ بِالْقِرَافَةِ الْكُبْرَى . بِالْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ لِشَهِيدِ لَسِيدَةِ نَجْصَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

- ٢٠ وَبِالْبَحْثِ عَنْ مَكَانِ هَذَا الْمَصْلِ تَبَيَّنَ لِي ، أَنَّهُ كَانَ وَاقِعًا فِي النِّهَايَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَرْضِ الْقِرَافَةِ الْكُبْرَى . وَفِي شِمَالِ قَبْرِ الْقَاضِي بَكَارِ بْنِ تَقِيَّةٍ ، أَيْ فِي أَرْضِ الْمَثَلِ الَّذِي يَحْتَدُّهُ الْيَوْمَ مِنَ الشَّرْقِ ، جِبَاةُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَالسُّورِ الَّذِي أَنْشَأَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْكَبِيرِ لِنَقْلِ الْمَاءِ عَلَيْهِ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ وَمِنْ الشَّمَالِ ، الْقِطْعَةُ الَّتِي يَتَلَقَّى فِيهَا ذَلِكَ الْهَيْرُ بِمَحَرِّ الْبُيُوتِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْقَلْعَةِ مِنَ الْغَرْبِ ، بِقَايَا قَدِيمَةٍ مِنْ سُوْرْمَدِيَةِ الْقُسْطَاطِ الَّذِي يَتَفَرَّغُ مِنَ الْقِطْعَةِ السَّالِفِ ذَكَرَهَا مَتَجَهَا إِلَى الْجَنُوبِ ، وَيفصل بين أطلال مدينة القسطنطين وبين القرافة الكبرى .

- ٢٥ (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : « فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ شَهْرِ رَمَضَانَ » وَالسَّبَاقُ بِأَيَّامِهِ لِأَنَّ أَوَّلَ رَمَضَانَ سَنَةِ ٨٧٤٩ هـ يَوْمُ الْأَحَدِ ، كَمَا وَرَدَ فِي التَّوْفِيقَاتِ الْإِلَهَامِيَّةِ وَالسُّلُوكِ . (٣) سَيَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ وَفَاةَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٨٧٤٩ هـ (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « عَنْ حَضَرِ الْمَوْتِ » وَتَصْجِيحُهُ عَنِ السُّلُوكِ وَمَا يَقْتَضِيهِ السَّبَاقُ .

أو ليلتين ، فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء، وأستعد الناس جميعا وأكثروا من الصدقات، وتحالّلوا وأقبلوا على العبادة، ولم يحتاج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء لسرعة الموت ، فما أنتصف شوال إلا والطرق والأسواق قد امتلأت بالأموات، فانتدب جماعة لمواراتهم وأقطع جماعة للصلاة عليهم، وخرج الأمر عن الحد، ووقع المعجز عن العدد، وهلك أكثر أجناد الحلقة وخلت الطباق بالقلمة من الممالك السلطانية لموتهم .

فما أهل ذو القعدة إلا والقاهرة خالية مقيمة، لا يوجد بشوارعها مأثر، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لا اشتغال الناس بالموتى، وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلات الأماكن بالصباح، فلا تجد بيتا إلا وفيه صيحة، ولا تمر بشارع إلا وترى فيه عدة أموات. ١٠
وصل في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكى فصفت التوابت آئين آئين من باب مقصورة الخطابة إلى باب الجامع، ووقف الإمام على العتبة والناس خلفه خارج الجامع . وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة من الناس، وصار بحارة برجوان آنتان وأربعون دارا خالية، وبقيت الأزقة والدروب المتعددة

(١) سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) هي من الحارات الكبيرة القديمة بالقاهرة، تنسب إلى الأستاذ أبى الفتوح برجوان، كان من جملة خدام القصر في أيام الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمى، ثم صار بعد ذلك مدير مملكة الحاكم بأمر الله . والحارة هنا ليس المقصود بها الطريق الذى يمر فيه الناس بين المساكن كما هو معروف اليوم ، بل إن الحارة هي كل محلة دنت منازلها، والمحلة منزل القوم ، وعندما بنى الفاطميون القاهرة جعلوها حارات، فالحارة كالخط، جزء من مجموع مباني القاهرة، تخطها الطرق وفيها المساجد والمدارس والأسواق والحمامات وغيرها ، وإلى اليوم يقال لشيخها شيخ حارة .

وحارة برجوان لا تزال من الحارات الشهيرة في القاهرة ، سنفل المحطة التى يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما تنفرع منهما من المظف والأزقة بقسم الحامية بالقاهرة .

جالية، وصار أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا وِثَ إنسان شيئا انتقل في يوم واحد [عنه^(١)] لربيع وخامس.

وحُصِرَت عِدَّة من صُلِّيَ عليه بالمصلّيات التي خارج باب النصر وباب زويلة وباب المحروق وتحت القلعة، ومصلّى قتال السبع نجاء باب جامع قوصون^(٢) في يومين فبلغت ثلاث عشرة ألفا وثمانمائة، سوى من مات في الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين وفي الحسينية وجامع ابن طولون^(٣)، ومن يتأخر دفته في البيوت.

ويقال: بلغت عِدَّة الأموات في يوم واحد عشرين ألفا، وحُصِرَت الجناز بالْقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان فكانت تسعمائة ألف، سوى من مات

- ١٠ (١) تكلّمة عن السلوك يقتضيا السياق. (٢) يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على جامع قوصون (ص ٣٠٧ ج ٢) أن هذا الجامع أصله دار الأمير جمال الدين آقوش المنصوري المعروف بقتال السبع الموصلي ثم أخذها قوصون من ولده وهدمها وأقام في مكانها جامع المعروف بشارع محمد علي بالقاهرة. وبما أن المؤلف قال: إن مصلّى قتال السبع نجاء باب جامع قوصون، في حين أن هذا الجامع ثلاثة أبواب: أحدها البحري في درب الأغوات والثاني الشرقي في شارع السروجية وهما بابان قديمان، والباب الثالث بشارع محمد علي وهو باب حديث أنثى بعد سنة ١٨٧٣ م التي فتح فيها شارع محمد علي.
- ١٥ وقد تكلّمت على هذا الجامع في الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. وبالبحث عن مكان مصلّى قتال السبع عند الباحثين القديمين تبين لي أن هذا المصلّى يقع نجاء الباب الشرقي الذي بشارع السروجية، ومكانه اليوم مدرسة الأمير جاثم البهلوان بشارع السروجية بالقاهرة.
- (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة. (٤) يقصد بذلك المنطقة التي بها اليوم ميدان محطة القاهرة وميدان باب الحديد وما جاورهما إلى بولاق. وقد سبق التطبيق على باب البحر في الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٥) يقصد بذلك حارة الحسينية السابق التطبيق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة.
- (٦) يقصد بذلك خط جامع ابن طولون. وأما الجامع ذاته فسبق التطبيق عليه في الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٧) إن هذا العدد مبالغ فيه كثيرا، ولعل المؤلف يقصد تسعين ألفا، لأن التاريخ دللنا على أن عدد سكان القاهرة وضواحيها لم يزد في أي سنة من السنين السابقة لقرن الماسخي عن خمسمائة ألف نفس على أكثر تقدير فكيف يكون عدد الموق تسعمائة ألف في سنة ٧٤٩ هـ في المدينة الأصلية دون الضواحي.

بالأحكار والحسنية والصليبية وباقي الخلط خارج القاهرة وهم أضعاف ذلك،
وعُدَّت النعوش وكانت عدَّتْها ألفا وأربعمائة نَعَش، فحُمِلَت الأموات على الأقفاس
ودرَّأَ رَيْب الحوانيت، وصار يُجَمَلُ الاثنان والثلاثة في نَعَش واحد وعلى أوح واحد،
وطُلِبَت القزاء على الأموات فأبطل كثير من الناس صناعاتهم^(١)، وأنْتَدَبُوا للقراءة
على الجنائز، وعَمِلَ جماعةٌ مَدْرَاءَ وجماعةٌ غُسَالًا وجماعةٌ تصدَّوْا لِحُلِّ الأموات،
فقالوا بذلك جُمْلًا مستكثرةً، وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم، وإذا وصل إلى
المُصَلَّة تركه وأنصرف لآخر، ويأخذ الحمال ستة دراهم بعد الدُّخْلَة [عليه]^(٢)، وصار
الحفَّار يأخذ أجرة حفر كل قبر خمسين درهما، فلم يُتَمِّعْ أكثرهم بذلك وماتوا.

ودخلت امرأة غاسلة لتُغَسِّلَ امرأة فلما جردتها من ثيابها، ومَرَّتْ بيدها على
موضع الكُبة صاحت الغاسلة وسقطت ميتة، فوجدوا في بعض أصابعها التي
لمَسَتْ بها الكُبة كُبة قَدَرِ القولة، وصار الناس يَبْتَئُونَ بموتهم في التَّربُّبِ لعجزهم عن
تواربهم، وكان أهل البيت يموتون جميعاً وهم عشرات، فلا يوجد لهم سوى نَعَش
واحد يُنْقَلُونَ فيه شيئاً بعد شيء، وأخذ كثير من الناس دُوراً وأموالاً بفقر استحقاق
لموت مُسْتَحِقِّها فلم يُجَمَلْ أكثرهم بما أخذ حتى مات بعدهم بسرعة، ومن عاش منهم
استغنى [به]، وأخذ كثير من العامة إقطاعات حلقية.

(١) درارب جمع دراية (فتح الدال وتشديد الراء) وهي أحد مصراعي باب المكان الذين ينطبق
الأعلى منها على الأسفل مولدة (عن دوزي) . (٢) في الأصلين : « صنائعهم » وما أثبتناه
عن السلوك . (٣) في السلوك : « وانتدبوا القراءة أمام الجنائز » . (٤) جمع مادر
وهو الذي يقدِّر القبر أى يصلحه بالمد الذي هو قطع الطين اليابس . (د) زيادة عن هامش « م » .
(٦) في « م » : « فلم يجز » . وما أثبتناه عن « ف » والسلوك وهامش « م » ، وهو مشتق من
يجل فلان عمره استغنى منه . (٧) زيادة عن السلوك . (٨) في م : « من العامات » .

وقام الأمير شيخون العمري والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الأموات وتكفينهم ودفنهم . وبطل الأذان من عدة مواضع ، وبقي في المواضع المشهورة يُؤذّن مؤذّن واحد ، وبطلت أكثر طبليخانة الأمراء ، ^(١) بهار في طبليخانة الأمير شيخون ثلاثة نفر بعد خمسة عشر نفراً . وغُلقت أكثر المساجد والزوايا . وقيل إنه ما وُلِدَ لأحد في هذا الوباء إلا ومات الولد بعد يوم أو يومين ولحقته أمه . ثم شمل في آخر السنة الوباء بلاد الصعيد بأسرها ولم يدخل الوباء أرض أسوان ، ولم يمت به سوى أحد عشر إنساناً . ووجدت طيور كثيرة ميتة في الزروع ما بين غربان وحداة وغيرها من سائر أصناف الطيور ، فكانت إذا أُتِفقت وُجد فيها أثر الكلبة .

- ١٠ وتواترت الأخبار من القور وبيسان وغير ذلك أنهم كانوا يحدون الأسود والذئاب وحمر الوحش ، وغيرها من الوحوش ميتة وفيها أثر الكلبة . وكان ابتداء الوباء أول أيام التخضير ، فاجاء أوان الحصاد حتى فنوا الفلاحون ولم يبق منهم إلا القليل ، خرج الأجناد بفلبانهم للحصاد ونادوا : من يحصد يأخذ نصف ما حصد ، فلم يحدوا واحداً ، ودَرسوا غلاتهم على خيولهم وذرّوها بأيديهم ، وعجزوا عن غالب الزرع فتركوه ، وكان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى واحد حتى إلى السابع والثامن ، فأخذ إقطاع الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأساكفة ، وركبوا الخيول ولبسوا الكفتاه والقباء . وكثير من الناس لم يتناول في هذه السنة من إقطاعه شيئاً ، فلما جاء النيل ووقع أوان التخضير

(١) في الأصلين : « إلا ومات الوالد » والسياق يأباه .

(٢) في الأصلين : « ولم يدخل الوباء نرا أسوان » وما أبتناه عن هاشم ف .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٥ من هذا الجزء . ورواية السلوك : « من التنور » .

(٤) في السلوك : « فإن الوباء ابتداء في آخر أيام التخضير » .

(١)
تعذر وجود الرجال فلم يُخَضَّرْ إلا نصفُ الأراضى، ولم يوجد أحدٌ ليشترى القُرْطَ
الأخضر ولا من يربط عليه خيوله، وترك ألفاً وخمسمائة فدان بناحية ناي وطان،
(٢) (٣)
وأنكسرت البلاد التي بالضواحي ونحريت. وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها،
بحيث كانت مكلفة مساحة أرض أسبوط تشتمل على ستة آلاف نفر يؤخذ منها
الخراج، فصارت في سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفراً .

ومع ذلك كان الرخاء موجوداً وانحطَّ سعرُ القماش حتى أبيع بجمس ثمنه وأقل،
ولم يوجد من يشتريه، وصارت كُتُبُ العِلْمِ يُنادَى عليها بالأحمال، فيباع الحِمْلُ
منها بأرخص ثمن. وانحطَّ قَدْرُ الذهب والفضة حتى صار الدينار بخمسة عشر درهماً،
بعد ما كان بعشرين. وصدمت جميع الصناعات، فلم يوجد سقاء ولا باباً ولا غُلامٌ .
(٤) (٥)
وبلغت جَامِيَةُ الفلام ثمانين درهماً، عنها خمس دنانير وثلاث دنانير، فُسِدِي
بالقاهرة : من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضُرب جماعة منهم، وبلغ ثمن
راوية الماء ثمانية دراهم لقلة الرجال والحمال، وبلغت أجرة طحن الإردب
القمح ديناراً (٧) .

- (١) القرط : هو النبات الذي يعرف اليوم باسم البرسيم وهو مخصص لغذاء الدواب على اختلاف أنواعها
في فصل الشتاء بمصر، وما يجفف منه يسمى الدريس . (٢) ناي : قرية من القرى المصرية
القديمة اسمها المصري « نانهاني » ثم حرف في العصر العربي إلى « ناي » وهي الآن قرية بمركز قليوب
بمديرية القليوبية . تبلغ مساحة أطيائها ١٧٦٨ فداناً وسكانها حوالي ٣٥٠٠ نفس بما فيهم سكان
الزب التابعة لها . (٣) هي من القرى المصرية القديمة، اسمها المصري « نانت » ثم حرف في عهد
العرب إلى « طنان » . ذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال : إنها من أعيان قرى مصر ذات بساتين .
وهي الآن قرية بمركز قليوب بمديرية القليوبية . مساحة أطيائها ٢٥٤٠ فداناً وسكانها حوالي عشرة
آلاف نفس بما فيهم سكان الزب التابعة لها . (٤) في السلوك : « وعدمت جميع الصناعات » .
(٥) البابا، هو غاسل الثياب (عن معبد النعم وببئد النعم) طبع أوروبا ص ١٩٦ لتاج الدين السبكي .
وفي شفاء الغليل هو الخزين . ورواية السلوك : « ولا يربوا » . (٦) عبارة السلوك : « وبلغت
جائكة غلام الخيل ثمانين درهماً في كل شهر بعد ثلاثين درهماً » . (٧) في السلوك « وبلغت
أجرة طحن الإردب القمح خمسة عشر درهماً » .

ويقال : إن هذا الوباء أقام يدور على أهل الأرض مدة خمسة عشرة سنة .
قلت : ورأيتُ أنا مَنْ رأى هذا الوباء ، فكانَ يسمُّونه الفصل الكبير ،
ويسمُّونه أيضا بسنة الفناء ، ويتحاشون عنه أضعاف ما حكيناه ، يطول الشرح
في ذكره .

وقد أكثر الناس من ذكر هذا الوباء في أشعارهم فما قاله شاعر ذلك العصر
الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة : [الخفيف]

سِر بنا عن دِمَشق يا طالِبَ العَيْدِ * يَس فَا في المَقامِ للسرِّ رَغْبَةُ
رَخِصَتْ أَنْفُسُ الخلائِقِ بالطَّاءِ * عَوْنٍ فِيهَا فَكُلُّ نَفْسٍ بِجَبَّةٍ

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي وأكثر في هذا المعنى على عادة إخوانه ،
فما قاله في ذلك : [الوافر]

دَعَى الرَّحْمَنُ دَهْرًا قَدْ تَوَلَّى * يُجَاوِزُ بِالسَّلَامَةِ كُلَّ شَرِيطٍ
وَكَانَ النَّاسُ فِي غَفَلَاتٍ أُمْرِ * بِحَاطَاعُونُهُمْ مِنْ نَحْتٍ لَبِيطٍ

وقال أيضا : [الكامل]

قَدْ قُلْتُ لِلطَّاعُونِ وَهُوَ بَغْزَةٌ * قَدْ جَالَ^(١) مِنْ قَطِيًّا إِلَى بَيْرُوتٍ
أَخْلَيْتَ أَرْضَ الشَّامِ مِنْ سُكَّانِهَا * وَأَتَيْتَ^(٢) يَاطَاعُونُ بِالطَّاعُونِ

وقال الشيخ بدر الدين حسن [بن عمر بن الحسن]^(٣) بن حبيب في المعنى من قصيدة
أولها : [الخفيف]

(١) كذا في م واللوكة . وفي ف : « قد جاك » . (٢) كذا في م . وفي للوك :

« وحسكت » ... الخ . وفي ف : « ربحت ... الخ » . (٣) التكلة عن الدرر الكامنة والمنهل

الصافي . وسيد ذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٠٩ هـ .

إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ يَقْتِكُ فِي الْعَا * لَمْ فَتَكَ أَمْرِي ظُلُومَ حُسُودِ^(١)
وَيَطُوفُ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا * وَيَسُوقُ الْخُلُوقَ نَحْوَ الْمُحُودِ^(٢)
وَلَا بِنَ الْوَرْدِي فِي الْمَعْنَى :

[البسيط]

قَالُوا فَسَادُ الْمَوَاءِ يُرْدِي * فَقُلْتُ يُرْدِي هَوَى الْفَسَادِ
كَمْ سَبَّاتٍ وَكَمْ خَطَايَا * نَادَى عَلَيْكُمْ بِهَا الْمُتَنَادِي

وقال أيضا :

[الزمل]

حَلَبٌ - وَاللَّهُ يَكْفِي * شَرُّهَا - أَرْضُ مَشَقَّةٍ
أَصْبَحَتْ حَيَّةً سُوءٍ * تَقْتُلُ النَّاسَ بِرَقَّةٍ

وَلَا بِنَ الْوَرْدِي أَيْضًا :

[الرجز]

إِنَّ الْوَبَا قَدْ ظَلَبَا * وَقَبْدٌ بَدَا فِي حَلَبَا
قَالُوا لَهُ عَلَى الْوَرَى * كَأَنَّ وَرَا قُلْتُ وَبَا

وقال أيضا :

[الكامل]

سُكَّانَ سِيَسٍ يَسْرِهُمْ مَا سَاءَ مَا * وَكَذَا الْعَوَائِدُ مِنْ عُدُوِّ الدِّينِ
اللَّهُ يُنْفِذُهُ إِلَيْهِمْ عَاجِلًا * لِيَمْزِقَ الطَّاغُوتَ بِالطَّاغُوتِ

وقال الأديب جمال الدين إبراهيم المعمار في المعنى :

[الزمل]

فُبِحَ الطَّاغُوتُ دَاءً * فَقَدْتُ فِيهِ الْأَجَّةَ
بِيعَتِ الْأَنْفُسُ فِيهِ * كُلُّ إِنْسَانٍ بِجَبَّةٍ

(١) رواية السلوك : « حقود » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة في ف . ورواية السلوك : « ويسوق العباد ... الخ » .

(٣) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٤٩ هـ .

(٤) هو إبراهيم بن علي المعمار المعروف بعلام النوري . مات في الطاعون سنة ٧٤٩ هـ .

(عن الدرر الكامنة) .

وله أيضا في المعنى :

[السريع]

يا طالب الموت أَفْنَى وَأَنْتَيْه * هذا أَوَانُ الموتِ ما فاتا

قد رَخَّصَ الموتُ على أهله * ومات مَنْ لا عُمْرُهُ مَاتَا

ثم أخذ الوباء يتناقص في أول المحرم من سنة خمسين وسبعائة .

- ثم في يوم الأربعاء^(١) تاسع عشر من ربيع الأول ، ورد الخبر بقتل الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام ، وأمره غريب ، وهو أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشرينه وهو بالقصر الأبلق بالميدان خارج مدينة دمشق ومعه عياله ، وإذا بصوت قد وقع في الناس بدخول العسكر، فثاروا بأجمعهم ودارت النُّقَبَاءُ على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان ، فركبوا جميعا إلى سوق الخيل تحت القلعة ، فوجدوا الأمير أُلْجِيغَا المظفرى نائب طرابُلُس وإذا بالأمير أرغون شاه نائب الشام مُكْتَفًى بين ممالك الأمير إياس ؛ وخبر ذلك أن أُلْجِيغَا لما ركب من طرابُلُس سار حتى طَرَقَ دِمَشْقَ على حين غَفْلَةٍ ، وركب معه الأمير نغر الدين إياس السَّلاح دار ، وأحاط إياس بالقصر الأبلق وطَرَقَ بابه ، وعلم الخدّام بأنه قد حَدَّثَ أمرهم فأيقظوا الأمير أرغون شاه ، فقام من قفرشه وخرج إليهم فقبضوا عليه ، وقالوا له : حضر مرسوم السلطان بالقَبْضِ عليك ، والعسكر واقف ، فلم يَتَحَسَّرْ أحد أن يَدْفَعْ عنه ، وأخذ الأمير إياس وأتى به أُلْجِيغَا فسَلَّمَ أمراء دِمَشْقَ على أُلْجِيغَا ، وسألوه الخبرَ ، فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دِمَشْقَ بمسكّر طرابُلُس ، والقبض على أرغون شاه المذكور وقتله ، والحوطة على

(١) في الأصلين : « ثاني عشر المحرم المذكور » والتصويب من الملوك .

٢٠ (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ماله وموجوده ، وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك ، فأجابوا بالسمع والطاعة ،
وعادوا الى منازلهم ونزل ألبليغا الى الميدان ، وأصبح يوم الخميس فوقع الحوطة على
موجود أرغون شاه وأصبح يوم الجمعة رابع عشرين ربيع الأول أرغون شاه المذكور
مذبوحا ، فكتب ألبليغا محضرا أنه وجده مذبوحا والسكين في يده ، (يعنى أنه
ذبح نفسه) فانكر عليه كونه لما قبض أموال أرغون شاه ، لم يرفعها الى قلعة دمشق
على العادة ، وأتهموه فيما فعل ، وركبوا جميعا لقتاله في يوم الثلاثاء ثامن عشرينه
فقاتلهم ألبليغا المذكور وجرح الأمير مسعود بن خطير ، وقطعت يد الأمير ألبليغا
العادل أحد أمراء دمشق ، وقد جاوز تسعين سنة ، فعند ذلك ولّى ألبليغا المظفرى
نائب طرابلس ، ومعه خيول أرغون شاه وأمواله ، وتوجه الى نحو المزة^(١) ومعه الأمير
إياس نائب حلب كان ، ومضى الى طرابلس .

وسبب هذه الواقعة أن إيаса لما عزل عن نيابة حلب وأخذت أمواله
وُجِن ، ثم أُفْرِج عنه واستقر في جملة أمراء دمشق ، وعدّوه أرغون شاه الذى كان
سعى في عزله عن نيابة حلب نائبها ، فصار أرغون شاه يهينه ويحرق به ، وأتفق أيضا
إخراج ألبليغا من الديار المصرية الى دمشق أميرا بها ، فترفع عليه أيضا أرغون شاه
المذكور وأذله ، فأتفق ألبليغا وإياس على مكيدة ، فأخذ ألبليغا في السعى على خروجه
من دمشق عند أمراء مصر ، وبعث الى الأمير بييغا أرُس نائب السلطنة بالديار
المصرية ، وإلى أخيه الأمير منبجك الوزير هدية سنية فولاه نيابة طرابلس ، وأقام
بها الى أن كتب يعزف السلطان والأمراء أن أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق .
وطلب أن نائب الشام يردهم الى طرابلس ، فكتب له بذلك فشق على أرغون شاه

(١) في الأصلين : « رابع عشرين المحرم » وتصحيحه عن السلوك .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

نائب الشام كون ألبليغا لم يكتب إليه ، وأرسل كاتبَ السلطان في ذلك فكتب إلى ألبليغا بالإنكار عليه فيما فعل ، وأغلظ له في القول ، وحمل البريديُّ إليه مشافهةً شنيعةً ، فقامت قيامةُ ألبليغا لما سمعها ، وفعل ما فعل ، بعد أن أوسع الحيلة في ذلك ، فاتفق مع إياس فوافقه إياس أيضاً ، لما كان في نفسه من أرغون شاه حتى وقع ما ذكرناه .

- وأما أمراء الديار المصرية فإنهم لما سمعوا بقتل الأمير أرغون شاه ارتاعوا ، وأنهم بعضهم بعضاً ، خلف كلُّ من شيخون والنائب يبيعاً رأساً على البراءة من قتله ، وكتبوا إلى ألبليغا بأنه قتل أرغون شاه بمرسوم من ! وإعلامهم بمستنده في ذلك ، وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة ، وكان ألبليغا وإياس قد وصلا إلى طرابلس ، وخيماً بظاهرها ، فقصد في غد وصولهما كتبُ أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاعتراض على ألبليغا حتى يرد مرسوم السلطان ، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان ، ومشت حيلته علينا . ثم كتبوا إلى نائب حمّاة ونائب حلب وإلى العُربان بمسك الطُرقات عليه ، فركب عسكر طرابلس بالسلاح وأحاطوا به ، ثم وافاهم كتابُ السلطان بمسكه ، وقد سار عن طرابلس وساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت فوقف قدامهم نهّاره ، ثم كر راجعا عليهم ، فقاتله عسكر

(١) نهر لبنان عند الأقدمين باسم «ليكوس» أي الذئب . فعُرب نهر الكلب . وسبب تسميته بنهر الذئب أو الكلب هو على الأرجح للدوى العظيم الذي يسمع عند أنصبابه في البحر وأصطدام مياهه بالأمواج المتلاطمة . يخرج هذا النهر من منارة في سفح جبل جعيتا تدعى منارة جعيتا وتبعد عن البحر نحو ٧ كيلو مترات فتجتمع مياهه بالمياه المتحدرة في الشتاء من أعالي لبنان من نبعي اللبن والعسل ومن وادي الصليب ، فتكون غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف وهو كثير الصخور لا يتخلو من العقبات إلا عند مصبه ، فكشفه شاهقة ولا ترى على جانبيه قرى مأهولة ، تؤدى مياه نهر الكلب خدمات عديدة كسقي البساتين الواقعة شمال النهر ، وتدوير الطواحين ، ومن أعظم فوائده رى مدينة بيروت ويزر يد أهلها بالمياه الطيبة بفضل شركة مياه بيروت (راجع جغرافية لبنان ص ٢٩ طبع بيروت) .

- طرابلس، حتى قبضوا عليه، وفز إياس، ووقعت الحوطة على ممالك ألبانيا وأمواله،
ومسك الذي كتبت الكتاب بقتل أرغون شاه، فأعذر أنه مكره، وأنه غير القاب
أرغون شاه، وكتب أوصل الكتيب مقلوبة حتى يعرف أنه زور، وحمل ألبانيا
المذكور مقيدا إلى دمشق. ثم قبض نائب بعلبك على الأمير إياس، وقد حلق لحيته
ورأسه، وأختفى عند بعض النصارى، وبعث به إلى دمشق، فخيسا معا بقلعتهما،
وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فندب الأمير قبا الساق على البريد إلى دمشق
بقتل ألبانيا وإياس، فأخرجهما من حبس قلعة دمشق ووسطهما بسوق الخيل
بدمشق، وعلق إياس على خشب وقدامه ألبانيا على خشبة أخرى، وذلك
في يوم الخميس حادى عشرين شهر ربيع الآخر. وكان عمر ألبانيا المذكور
يوم قتل نحو تسع عشرة سنة وهو ماعطو شاربه. ١٠
- ثم كتبت السلطان باستقرار الأمير أرقطاي نائب حلب، في نيابة الشام عوضا
عن أرغون شاه المذكور، وأستقر الأمير قطليجا الحموي نائب حماة في نيابة حلب
عوضا عن أرقطاي، وأستقر أمير مسعود بن خطير في نيابة طرابلس عوضا عن
ألبانيا المظفرى المقدم ذكره. ثم قدم إلى مصر طلب أرغون شاه وماليكه وأمواله
وموجود ألبانيا أيضا، فتصرف الوزير منجك في الجميع. ١٥
- وبعد مدة يسيرة ورد الخبر أيضا بموت الأمير أرقطاي نائب دمشق، فكتب
بأستقرار قطليجا الحموي نائب حلب في نيابة دمشق، وتوجه الأمير ملكتمر^(١)
المحمدي بتقليده بناية الشام، وسار حتى وصل إليه فوجده قد أخرج طلبه إلى جهة
دمشق وهو ملازم الفراش، فمات قطليجا أيضا بعد أسبوع، ولما وصل الخبر إلى
مصر بموت قطليجا، أراد النائب بنبغا أرمن والوزير منجك إحراج طاز لنيابة الشام، ٢٠

(١) كذا في ف والسلوك. وفي م: « تلكنمر المحمدي ».

والأمير مُغلطاي أمير آخور إلى نيابة حلب، فلم يُوافقهما على ذلك، وكادت الفتنة أن تقع، فخلع على الأمير أَيْمَش الناصري نيابة الشام، وأستقر بعد مدة الأمير أرغون الكامل في نيابة حلب .

- وفي محرم سنة إحدى وخمسين وسبعائة، ابتدأت الوحشة بين الأمير مُغلطاي أمير آخور وبين الوزير منجك اليوسفي، بسبب الفار الضامن، وقد شكاه، فطلبه مُغلطاي من الوزير وقد آحتمى به، فلم يُمكنه منه . وكان منجك لما فرغ صهره^(٢) الذي عمره ثمانية القلعة عند باب الوزير، اشترى له من بيت المال ناحية بُلْقينة^(٣) بالغربية بخمسة وعشرين ألف دينار، وأنعم عليه بها، فوقفها منجك على صهره المذكور، فأخذ مُغلطاي يعدد لمنجك تصرفه في المملكة، وسكن الأمر فيما بينهما .
- ثم توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة في كل سنة وأنعم على الأمير^(٤) قُطلوبغا الذهبي بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور بعد موته، وأنعم بإمرته وتقدمته على الأمير عمر بن أرغون النائب . ثم استقر بكلمش أمير شكار في نيابة طرابلس،

- (١) في ف : « فلم يوافقهما » . (٢) يقصد المؤلف أنه لما فرغ من بناء صهره، ذكر المقرئ هذا الصريح في خطه عند الكلام على جامع منجك (ص ٣٢٠ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع يعرف موضعه بالثغرة تحت القلعة خارج باب الوزير، أنشأه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي في سنة ٥٧٥١ . وبني فيه صهريجا (أي خزاناء) فصار يعرف بصهرج منجك . وأقول : إن هذا الصريح لا يزال باقيا إلى اليوم في وسط جامع منجك اليوسفي، وتصلوه فسقية من الرخام في وسطها فتحة الصريح، وهذا الجامع تسميه العامة المنشكية داخل درب المنشكية بشارع باب الوداع في شمال القلعة بالقاهرة . (٣) هي قرية من القرى المصرية القديمة ذكرها الإدريسي في نزهة المشتاق فقال : إنها قرية كثيرة البساتين والجنان، متصلة بالمارات والفلات، وذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال : إنها قرية في كورة بنا (بنا أبو صير) يقال لها البوب، وهي الآن من قرى مركز الهلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر . مساحة أراضيها ٢٦٣٠ فدانا وسكانها حوالي ٥٠٠ نفس، بما فيهم سكان الغزب التابعة لها .
- (٤) في الأصلين : « وأنعم على الأمير قُطليبا الذهبي بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور بعد موته، وأنعم بإقطاع قُطلوبغا وتقدمته على الأمير عمر بن أرغون النائب » . وتصحيحه عن السلوك .

عوضاً عن أمير مسعود بن خَظير ، وكتب بإحضار أمير مسعود إلى القاهرة . ثم عاد السلطان من سَرَحة سِرْيَاقوس ، وكتب يعود أمير مسعود إلى دِمَشق بَطَّالاً ، حتى يَحْتَلَّ له ما يليق به ، وخلع على الأمير فارس الدين ألبكى باستقراره في نيابة غزّة بعد موت الأمير دَلْنَجِي ، ودَلْنَجِي باللغة التركية هو المُكْدَى (وهو بكسر الدال المهملة وفتح اللام ويكون النون وكسر الجيم) .

وفي هذه الأيام توجه الأمير طاز إلى سَرَحة البَحْرة ، وأنعم السلطان عليه بعشرة آلاف إردب شكير وخمسين ألف درهم وناحية طموه زيادة على إقطاعه . وفي خامس عشر شوال خرج أمير حاج المحمل الأمير بُزْلاز أمير سلاح . ثم خرج بعده طُلبُ الأمير بَيْيُفا أُرْسُ النَّائب بِتَجْمُلْ زائد ، وفيه مائة وخمسون مملوكاً مُعَدَّةً بالسلاح . ثم خرج طُلبُ الأمير طاز وفيه ستون فارساً ، فوَحَلَ بَيْيُفا أُرْسُ قبل طاز بيومين . ثم رحل طاز بعده . ثم رحل بُزْلاز بالحاج رَجَاً ثالثاً في عشرين شوال من بركة الحاج .

وفي يوم السبت رابع عشرينه عُزِلَ الأمير مَنَجَك اليوسفى عن الوَزَر ، وقِيض عليه ، وكان الأمير شَيْخُون خرج إلى العباسية ؛ وسبب عزله أن السلطان بعد توجه شيخون طلب القضاء والأمراء ، فلما اجتمعوا بالخدمة ، قال لهم : يا أمراء

(١) هي قرية من القرى المصرية القديمة اسمها الأصل « طموى » وحرف إلى طموه كما وردت في المشترك لأقوت . وفي التحفة السنية لأبن الجيعان من أعمال الجيزة . ثم حرف الاسم إلى طموه وهو اسمها الحالى . وطموه قرية بمركز الجيزة بمديرية الجيزة بمصر . ومساحة أراضيها ٨٦٠ فداناً وسكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها . (٢) في ف : « معه بالسلاح... الخ » .

(٣) في م : « من البركة » والمقصود منها ناحية البركة إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية بمصر في شمال القاهرة ، وكانت تسمى بركة الحب أو بركة الحاج . وقد سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

- هل لأحد على ولاية حَجَر ، أو أنا حاكم نفسي ! فقال الجميع يا خَوْنَد : ما تمَّ أحدٌ
يَحْكُمُ على مولانا السلطان ، وهو مالكٌ رقابنا ، فقال : إذا قلتُ لكم شيئاً ترجعوا
إليه ؛ قالوا جميعهم : نحن تحت طاعة السلطان وممثلون ما يرسمُ به ، فالتفت إلى
الحاجب وقال له : خذ سيف هذا ، وأشار إلى منبجك الوزير ، فاحذ سيفه وأخرج
وقيد ، ونزلت الخوطة على أمواله مع الأمير كشل السلاح دار ، فوجد له خمسون
يحمل زردخاته ، ولم يوجد له كبير مال ، فرسم بعقبته ، ثم أخرج إلى الإسكندرية
فسجن بها ، وساعة القبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخون من العباسية وإعلامه
بمسك منبجك الوزير ، فقام الأمير مغلطاي أمير آخور والأمير منكلي بقا في منعه
من الحضور ، وما زالوا يُخَيِّلَان السلطان منه حتى كتبت له مرسوم بنبابة طرابلس ،
على يد طينال الجاشنكير ، فتوجه إليه فلقبه قريب بلبيس ، وقد عاد محبة الجدار
الذي توجه بإحضاره من عند السلطان ، وأوقفه على المرسوم فأجاب بالسمع والطاعة ،
وبعث يسأل في الإقامة بدمشق ، فكتب له بنجر الأمير تلك بدمشق ، وحضور
تلك إلى مصر فتوجه شيخون إليها .

- ثم قبض السلطان على الأمير عمر شاه الحاجب وأخرج إلى الإسكندرية ،
وأستقر الأمير طنيرق رأس نوبة كبيراً عوضاً عن شيخون . ثم قبض على حواشي
منبجك وعلى عبده عنبر البابا وصودر ، وكان عنبر قد ألخس في سيرته منع الناس ،
في قطع المصانع ، وترفع على الناس ترغماً زائداً ، فضرب ضرباً مبرحاً : ثم

(١) رواية ف : « ما تم أحد يحكم عليك وأنت مالك رقابنا ... الخ » . (٢) هذه العبارة

غير موجودة في نسخة « ف » . (٣) في السنوك : « كشلي » . (٤) هو عمر شاه التركي ،

أزل ما تأمر بطلخانة ثم ولي نياحة حاة ، ثم أمر مقدمة في دمشق وعمل حاجب إلهاب إلى أن مات بها .

سنة ٧٧١ هـ (عن الدرر الكامنة) .

ضُرِبَ بِكَتْمُرْشَادِ الْأَهْرَاءِ فَاعْتَرَفَ لِلْوَزِيرِ مِنْجَكَ بِأَنِّي عَشْرُ أَلْفٍ إِرْدَبَ غَلَّةً ،
أَشْتَرَاهَا مِنْ أَرْبَابِ الرَوَاتِبِ .

وَفِي مَسْتَهْلَ ذِي الْقَعْدَةِ قُبِضَ عَلَى نَاضِرِ الدَّوْلَةِ وَالْمُسْتَوَفِينَ ، وَأُزْمِوا بِخَمْسِمِائَةِ أَلْفٍ
دِينَارٍ ، فَتَرَفَّقَ فِي أَمْرِهِمُ الْأَمِيرُ طَنْبُرُقٌ ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ خَمْسِمِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَوُزِعَتْ
الْمَوْقِقُ نَاضِرُ الدَّوْلَةِ عَلَى جَمِيعِ الْكُتَّابِ ، وَالتَّرَمَ عِلْمُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُبَيْرٍ نَاضِرُ
الْخِصَاصِ وَالْجُوشِ بِتَكْفِيَةِ جَمِيعِ الْأَمْراءِ الْمُقَدِّمِينَ بِالْخَلْعِ مِنْ مَالِهِ ، وَقِيَمَتِهَا
خَمْسِمِائَةُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ، وَفَصَّلَهَا وَعَرَضَهَا عَلَى السُّلْطَانِ ، فَوَكَّبُوا الْأَمْراءَ بِهَا الْمَوْكِبَ ،
وَقَبَلُوا الْأَرْضَ وَكَانَ مَوْكِبًا جَلِيلًا .

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَامِنِ ذِي الْقَعْدَةِ خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ بَيْبُغَا طَطَّرَ حَارِسَ
طَبْرِ ، وَاسْتَقَرَّ فِي السُّلْطَنَةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ عَوْضًا عَنْ بَيْبُغَا أُرْسَ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى الْحِجَازِ ،
بَعْدَ أَنْ عُرِضَتْ النِّيَابَةُ عَلَى أَكْبَرِ الْأَمْراءِ فَلَمْ يَقْبَلْهَا أَحَدٌ ، وَتَمَنَّعَ بَيْبُغَا طَطَّرَ أَيْضًا
مِنْهَا تَمَنُّعًا كَبِيرًا ، ثُمَّ قَبِلَهَا . وَاسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ مُغْلَطَايَ أَمِيرَ آخُورِ رَأْسِ نَوْبَةِ كَبِيرًا ، عَوْضًا
عَنْ طَنْبُرُقٍ ، الَّذِي كَانَ وَلِيهَا عَنْ شَيْخُونٍ ، وَأُطْلِقَ لَهُ التَّحَدُّثُ فِي أَمْرِ الدَّوْلَةِ كُلِّهَا
عَوْضًا عَنْ الْأَمِيرِ شَيْخُونٍ ، مُضَافًا إِلَيْهَا بِيَدِهِ مِنَ الْأَمِيرِ خُورِيَّةٍ . وَاسْتَقَرَّ الْأَمِيرُ
مَنْكَلِي بَغَا الْفَخْرِي رَأْسَ مَشُورَةٍ وَأَتَاكَ الْعَسَاكِرَ ، وَأُنْعِمَ عَلَى وَلَدِهِ بِأَمْرَةٍ ، وَدَقَّتْ
الْكُوسَاتُ وَطَبْلُخَانَاتُ الْأَمْراءِ بِاجْمَعِهَا ، وَزُيِّنَتْ الْقَاهِرَةُ وَمِصْرُ ، فِي يَوْمِ الْأَحَدِ
تَاسِعِ ذِي الْقَعْدَةِ وَاسْتَمَرَّتْ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ .

(١) كَذَا فِي مِ وَالسُّلُوكِ . وَفِي : « خَمْسِمِائَةُ أَلْفٍ إِرْدَبَ » .

(٢) رَوَايَةُ السُّلُوكِ : « مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّحَدُّثِ فِي الْإِصْطِلَاقِ » .

وأما شيوخون فإنه لما وصل إلى دمشق، قدم بمده الأمير أرغون^(١) التاجي بإمساكه، فقبض عليه وقيد وأخرج من دمشق في البحر وتوجه إلى الطينة^(٢)، ثم أوصله إلى الإسكندرية فسجن بها .

وخلع على طشبقا الدوادار على عادته تدوادارا، وتصلح هو والقاضي علاء الدين ابن فضل الله كاتب السر، فإنه كان نفى بسببه حسب ما تقدم ذكره، وأرسل كل منهما إلى صاحبه هدية .

وكان السلطان لما أمسك منجك، كتب إلى الأمير طاز وإلى الأمير بزلار على يد قردم، وأخبرهما بما وقع، وأنها يحترسان على النائب بينغا أرس، وقد نزل سطح العقبة، فلما قرأ بينغا الكتاب وجم وقال: كلنا ممالك السلطان . وخلع عليه، وكتب أنه ماض لقضاء الحج .

ثم إن السلطان عزل الأمير صرغتمش والأمير عليا من وظيفتي الجندارية، وكانا من جملة حاشية شيوخون، ورسم لصرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، ثم أخرج أمير على إلى الشام، وأخرج صرغتمش لكشف الجسر بالوجه القبلي، وألزم أستاذار بينغا أرس بكتب حواصل بينغا، وتدب السلطان الأمير آقبا الحموي لبيع حواصل منجك، وأخذت جوارى بينغا أرس ومماليكه وجوارى منجك .

(١) وردت في معجم البلدان لياقوت أنها بلدة بين القرماتين من أرض مصر . وبالحديثين لي أنها لم تكن بلدة، بل كانت نقطة عسكرية لحراسة الحدود، وكان بها قلعة هذا الغرض، وسميت هذه النقطة بالطينة لوقوعها في أرض رخوة تعلوها مياه البحر في بعض الأوقات .

ولا تزال آثار قلعة الطينة ظاهرة بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط، في الشمال الغربي لأملال . مدينة القرمات، على بعد ثلاثة كيلومترات، وشرق مدينة بور سعيد على بعد ٢٤ كيلومترا . وإليها تنسب محطة الطينة إحدى محطات السكة الحديدية بين بور سعيد والقنطرة .

(٢) العقبة بلدة كانت تسمى أيلة، وقد سنن الخطيب عليها في الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وماليكه ، الى القلعة ، فطَلَعَ لمنجك خمسة وسبعون مملوكا صغارا ، وطلع لببغا أُرْس
خمس وأربعون جارية ، فلما وصلن نُجَاه دار النيابة ، صَحْنُ صَبِيحَةٍ واحدة وَبَكَيْنَ ،
فأَبَكَيْنَ من كان هناك .

ثم قَدِمَ الخبرُ على السلطان بأن الأمير أحمد الساقى نائب صفد ، خرج عن طاعة
السلطان ، وسببه أنه لما قَبَضَ على منجك ، خرج الأمير قُمارى الحموى - وعلى يده
ملطقات لأمرء صفد بالقبض عليه ، فبلغه ذلك من هَجَانِ جَهَرٍ له أخوه . فندَبَ
طائفة من مماليكه لَتَلَقَى قُمارى ، وطلب نائب قلعة صفد وديوانه ، وأمره أن
يقرأ عليه : كم له بالقلعة من الفسلة ، فأمر لماليكه منها بشيء فزقه عليهم إحانة لهم
على ما حصل من الخلل في البلاد ، وبعثهم ليأخذوا ذلك ، فعند ما طلعوا القلعة تهرروا
سيوفهم وملكوها من نائب قلعة صفد ، وقبضوا على عِدَّة من الأمراء ، وطلَّع بحريمه
الى القلعة وحَصَّنَها ، وأخذَ مماليكهُ قُمارى وأتوا به ، فأخذ مامعه من الملطقات
وحبسه . فلما بلغ السلطان ذلك كتب إلى نائب غَزَّة ونائب الشام بتجريد العسكر إليه .
هذا والأراجيف كثيرة ، بأن طاز تحالف هو وبيغا أُرْس بعبقة أيلة فخرج الأمير
فَيَاضُ والأمير عيسى بن حسن أمير العائذ ، فتفرقا على عقبه أيلة بسبب بيغا أُرْس ،
وكتب لعرب شَطْلَى وبنى عُبَّة وبنى مَهْدَى ، بالقيام مع الأمير فضل ، وكتب لنائب
غَزَّة فارسى السوقة الى العقبة .

ثم خَلَعَ السلطان على الأمير شهاب الدين أحمد بن قزمان بِنَابَةِ الإِسْكَندَرِيَّةِ
عوضا عن بَكْتُمُرِ الْمُؤْمِنِ .

(١) هو فَيَاضُ بن مهنا بن عيسى بن مهنا . توفي سنة ٧٦٠ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية

رقم ٢ ص ٦٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) هو فضل بن عيسى بن مهنا . لم تقف له على

تاريخ وفاة . (٥) ف : «ثم أخذ... الخ» وهو تحريف . (٦) ف م «ابن قزمان» .

ثم في يوم الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة قَدِمَ سَيِّفُ الأمير بيبغا أُرُسَ،
وقد قَبَضَ عليه، وسبب ذلك، أنه لما ورد عليه كتاب السلطان بمسك أخيه منجك،
اشتدَّ خوفه وطلَّعَ الى العَقْبَةِ ونزل الى المتزلة، فبلغه أنَّ الأمير طاز والأمير بُزْلا رَجَا
للقبض عليه، فَرَكَبَ بيبغا أُرُسَ بمن معه من الأمراء والمماليك بألة الحرب، فقام
الأمير عز الدين أزدَمَرُ الكاشف بملاطفته، وأشار عليه ألا يُعْجَلَ ويَكْشِفَ الخبر،

- (١) هذه المتزلة هي بذاتها منزلة المويطة التي ذكرها المؤلف فيما بعد . وهي بلدة تعرف باسم المويطح
واقعة على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر جنوب بلدة العقبة على بعد ٢٣٠ كيلومترا منها ، وتقع تجاهها على
الشاطئ الغربي في رادى النيل بلدة منفلوط بمصر .
- وقد دلت البحت على أن المويطح أقيمت على أطلال بلدة قديمة كانت تسمى مدين ذكرها المقرئى
في خطه باسم مدينة مدين (ص ١٨٦ ج ١) فقال : مدين أسم بلد وقطر، وقيل أسم قبيلة سميت باسم
أبيها مدين، ويقال له مديان بن إبراهيم الخليل واقعة على بحر القلزم تحاذى بلدة تبوك على نحوست مراحل
بين الحجاز والشام، وهي أكبر من تبوك، وبها الى الآن آثار عجبية وعمد عظيمة . ثم قال : إن مدين عن
من أعمال مصر، يشمل مدينة مدين والقلزم والطور وفازان والرقه وأيلة .
- وأقول : إن مدين كانت عملا من أعمال مصر، وتابعة لما الى أيام الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م
فالحققت بيلاذ الحجاز، وبسبب خراب مدينة مدين اختفى اسمها ، وحل محلها بلدة المويطح ، وهذه تابعة
اليوم إلى المملكة السعودية العربية .
- وكانت المويطح كما كانت من قبلها مدين محطة من محطات الحج قديما ، في الطريق بين مصر وجدة ، وقت
أن كان الحجاج يسافرون للحج عن طريق البر . وذكر على باشا مبارك بلدة المويطح في الخطط التوفيقية
عند الكلام على محطات الحجاج (ص ٢٦ ج ٩) فقال : المويطح وهي بلدة بها قلعة حصينة ونخل وآبار
عذبة ، ويزرع في أرضها الخان والبطيخ والقثاء ، ويبيع فيها السمك والتمر والدقيق والبقسماط والفول ،
وبغير ذلك مما يلزم المسافرين .
- والذي دلت على أن هذه البلدة هي في مكان مدينة مدين أن المقرئى قال : إنها تحاذى بلدة تبوك
على بعد ست مراحل ، ولا تزال تبوك قائمة الى اليوم على السكة الحديدية الحجازية في محاذة المويطح ، وعلى
بعد ١٥٠ كيلومترا منها الى الشرق . يؤيد ذلك أنه باطلاعى على الخريطة الدولية للمملكة الرومانية التي
طبعت في مصلحة المساحة في سنة ١٩٣٤ نقلا عن الخريطة الأصلية ، وجدت أسم مدينة مدين واردا بها
ومذكورا تحته بين نوسين اسم المويطح والمسافة بينها وبين مدينة أيلة (العقبة) ٢٣٠ كيلو مترا كما ذكرنا .

فبعث نجاباً في الليل لذلك، فعاد وأخبر أن الأمير طاز مقيم بركيه، وأنه سار بهم وليس
فيهم أحد ملبس، فقلع بيغل السلاح هو ومن معه، وتلق طاز وسأله عما تخوف منه،
فاوقفه على كتاب السلطان إليه، فلم ير فيه ما يكره. ثم رحل كل منهما بركيه من
العقبة، وأتت الأخبار للأمراء بمصر باتفاق طاز وبيغا أُرُس فكتب السلطان
للاُمير طاز وللأُمير بُزَلار عند ذلك القبض على بيغا أُرُس قبل دخوله مكة،
وتوجه إليهما بذلك طيلان الجاشنكير، وقد رسم [له] أن يتوجه بيغا إلى الكرك،
فلما قدم طيلان على طاز وُبُزَلار، ركبوا إلى أزدُمُر الكاشف فأعلمه بما رسم
به إليهما من مسك بيغا أُرُس ووَكَّدَا عليه في استمالة الأُمير فاضل، والأُمير محمد بن
بكتُمُر الحاجب، وبقية من مع بيغا أُرُس، فأخذ أزدُمُر في ذلك. ثم كتب
ليبيغا أُرُس أن يتأخر حتى يسمع مرسوم السلطان، [و] حتى يكون دخولهم لمكة
جميعاً، فأحس بيغا بالشر، وهم أن يتوجه إلى الشام، فما زال أزدُمُر الكاشف به
حتى رجعته عن ذلك. وعند نزول بيغا أُرُس إلى منزلة المويliche، قدم طاز وُبُزَلار
فتلقاهما، وأسلم نفسه من غير ممانعة فأخذ سيفه، وأرادا تسليمه لطيلان حتى يحمله
إلى الكرك، فوَّغِب إلى طاز أن يمج معه، فأخذه طاز محتفظاً به، وكتب طاز
بذلك إلى السلطان، فتوهم مُقلطاي والسلطان أن طاز وُبُزَلار قد مالا إلى
بيغا أُرُس وتشوَّشا تشويشاً زائداً، ثم أكد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد

(١) ورواية السلوك: «وليس فيهم أحد لابسة عدة الحرب... الخ». (٢) كذا في الأصلين

والسلوك. وفي الدرر الكامنة: «طيلان الجاشنكير» ويظهر من مراجعة السلوك أن طيلان وطيلان
أسم واحد. (٣) زيادة عن السلوك. (٤) في ٣: «فضل». وما أثبتناه عن ف

والسلوك والدرر الكامنة، لأن الأُمير فاضلاً هذا أخو بيغا أُرُس. (٥) زيادة يقتضيا السياق.

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢٣ من هذا الجزء. (٧) في ف: «وتلقاهم».

(١١)
الساق نائب صفد ، وظنوا أنه مياطن ليبغا أُرُس ، وأنخرج طينال يُقيم بالصفراء
حتى يرد الحاج إليها ، فيمضي ببغا أُرُس إلى الكرك .

ثم في يوم الخميس ساج عشرين ذى القعدة خُلع على الأمير علم الدين عبد الله
ابن زنبور خُلة الوزارة ، مضافا لما بيده من نظرائه الخاص ونظر الجيش بعد
ما أمتنع وشرط شروطا كثيرة .

وفيه أيضا خُلع السلطان على الأمير طنيرق باستقراره في نيابة حماة ، عوضا عن
استدمر العمرى . ثم كتب القاضي ملاء الدين بن فضل الله كاتب السر تقليد
ابن زنبور الوزير ، ونعمته فيه بالجناب العالي . وكان جمال الكفاة سعى أن يكتب
له ذلك ، فلم يرش كاتب السر ، وشح عليه بذلك ، ففرج الوزير وتلقى كاتب
السر ، وبالغ في إكرامه ، وبعث إليه بتقدمة سنية .

ثم قدم الخبر على السلطان بزل عسكر الشام على محاصرة أحمد نائب صفد ،
وزحفهم على قلعة صفد عدة أيام . جرح فيها كثير من الناس والأجناس ، ولم
ينالوا من القلعة غرضاً ، إلى أن بلغهم القبض على ببغا أُرُس ، وعلم أحمد بذلك
وانحسل عزمه ، فبعث إليه الأمير بكتكش نائب طرابلس يرغبه في الطاعة ، ودس
على من معه بالقلعة ، حتى خامروا عليه وهموا بمسكه ، فوافق على الطاعة ، وحلف
له نائب طرابلس ، فزل إليه بمن معه ، فسرت السلطان بذلك ، وكتب بإهانتته
وحمله إلى السجن .

(١) الصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع فوق ينبع مما يلي المدينة ، فسمى باسمها وادى الصفراء
نحاه بدر . كانت مزاراً من منازل الحاج في القديم . انظر خطط على بلشا مبارك (ج ١٤ ص ٣٢)
وانظر درر القرائد المنظمة (ج ٢ ص ٢٢٢ — ٢٢٣) وانظر معجم بانقوت (ص ٢٩٦) .

وفي عاشر ذي الحجة كانت الواقعة بمِثْنَى ، وقُبِضَ على الملك المجاهد صاحب
 اليمن ، وأُسمِه على بن داود ابن المظفر يوسف ابن المنصور عمر بن علي بن رسول ،
 وكان من خبره أن ثُقبه لما بلغه استقراؤه أخيه عجلان عوضه في إمرة مكة ، توجه
 إلى اليمن ، وأغرى صاحب اليمن بأخذ مكة وكُسوة الكعبة ، فتجهز الملك المجاهد
 صاحب اليمن ، وسار يريد الحج في حَفْل كبير بأولاده وأئمه ، حتى قُرب من مكة
 وقد سبقه حاج مصر ، فليس عجلان آلة الحرب ، وعزف أمراء مصر ما عزم
 عليه صاحب اليمن ، وحذروهم فائتته ، فبعثوا إليه بأن من يريد الحج إنما يدخل
 مكة بذلة ومسكنة ، وقد أبدعت من ركوبك بالسلح بدعة ، لا تُمكنك أن تدخل
 بها ، وأبعث إلينا ثُقبه ليكون عندنا ، حتى تنقضي أيام الحج فنرسله إليك ، فاجاب
 لذلك ، وبعث ثُقبه رهينة ، فأكرمه الأمراء . وركبوا الأمراء في جماعة إلى
 لقاء الملك المجاهد ، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاح داريته بالمشى معه بالسلاح ، ولم
 يَمكنوه من حمل العاشية ، ودخلوا به مكة فطاف وسعى ، وسلم على الأمراء واعتذر
 إليهم ، ومضى إلى منزله ، وصار كل منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة ، وعادوا
 إلى الحَيْف من مِثْنَى ، وقد تقزز الحبال بين الأمير ثُقبه وبين الملك المجاهد على
 أن الأمير طاز إذا سار من مكة أوقعا بأمر الحاج ومن معه ، وقبضا على عجلان ،
 ونسلم ثُقبه مكة .

فاتفق أن الأمير بزلار رأى وقد عاد من مكة إلى مِثْنَى خادم الملك المجاهد
 سائرا ، فبعث يستدعيه فلم يأت ، وضرب مملوكه ، بعد مفاوضة جرت بينهما
 وجرحه في كتفه ، فاج الحاج ، وركب الأمير بزلار وقت الظهر إلى الأمير طاز ،
 فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة ، مُخبر بركوب الملك المجاهد بعسكره للغرب ،

(١) رواية السلوك : « وأركبوا الأمير طغتاى في جماعة ... الخ » .

وظهرت لوايغ أسلحتهم، فركب طاز وبزلار وأكثر العسكر المصري بمكة ، فكان أول من صدم أهل اليمن بزلار وهو في ثلاثين فارسا، فأخذوه في صدرهم إلى أن أرموه قريب خيمته ، ومضت فرقة إلى جهة طاز فأوسع لهم طاز ، ثم عاد عليهم . وركب الشريف عجّلان والناس ، فبعث الأمير طاز لعجلان : أن أحفظ الحاج ولا تدخل بيننا في حرب ، ودعنا مع غريمنا . واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر، فركب أهل اليمن مع كثرة عددهم واستعدادهم الذلّة ، وألتجأ الملك المجاهد إلى دهلIZE، وقد أحاط به العسكر وقطعوا أطنابه والقوة إلى الأرض، فسر الملك المجاهد على وجهه منهزما ، ومعه أولاده ، فلم يجد طريقا، فسلم المجاهد ولديه لبعض الأعراب، وعاد بمن معه من عسكره، وهم في أقبح حال، يصيحون الأمان يا مسلمون ! فأخذوا وزيره ، وتمزقت عساكره في تلك الجبال ، وقُتل منهم خلق كثير ، ونُهبت أموالهم وخيولهم عن آخرها ، وأنفصل الحال عند غروب الشمس ، وفر ثقبه بعبده وعمره ، فأخذ عبيد عجّلان جماعة من الحاج فيما بين مكة وميى، وقتلوا جماعة .

قلت : هذا شأن عرب مكة وعبيدها ، وهذه فروسيّتهم لا في لقاء العدو، وكان حقهم يوم ذلك خفر الحاج ، كون الترك قاموا عنهم بدفع مدوهم ، وإلا كان المجاهد يستولى عليهم ، وعلى أموالهم وذرائعهم في أسرع وقت . انتهى .

ولما أراد طاز الرحيل من ميى ، سلم أمراء المجاهد وحرّيمه إلى الشريف عجّلان، وأوصاه بهم ، وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظا به، وبالغ في إكرامه يرشد الديار المصرية ، وصحب معه أيضا الأمير بيغا أرُس مقيدا ، وبعث

(١) في السلوك : « وسلم أم المجاهد وحرّيمه » .

بالأمير طُغْطَاي إلى السلطان يُبَشِّرُهُ بما وقع ، ولَمَّا قَدِمَ الأمير طاز إلى المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ، قَبَضَ بها على الشريف طُفَيْل .

وأما الديار المصرية ، فإنه في يوم الجمعة خامس المحرم من سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، قَدِمَ الأمير أَرْغُونُ الكاملُ نائبُ حلب إلى الديار المصرية بغير إذن ، فُخِّلِعَ عليه وأُنْزِلَ بالقلعة ، وسبب حضوره أنه أشيع عنه بحلب القبض عليه ، ثم أشيع في مصر أنه خامر ، فَكَّرَهُ تَمَكُّنُ موسى حاجب حلب منه ، لِمَا كَانَ بينهما من العداوة . ورأى وقوعَ المكروه به في غير حلب أخف عليه ، فلما قَدِمَ مصر فرِحَ السلطانُ به ، لِمَا كَانَ عنده من إشاعة عصبانته .

ثم قَدِمَ الخبِرُ على السلطان ، بأن طِيلَانَ تَسَلَّمَ بيغا أُرْسُ من الأمير طاز ، وبوجه به إلى الكرك من بَدْر ، فسُرَّ السلطانُ أيضا بذلك .

ثم في يوم السبت عشرين المحرم قَدِمَ الأمير طاز بمن معه من الحجاز ، وصحبته الملك المجاهد ، والشريف طُفَيْلُ أميرُ المدينة ، فخرج الأمير مُغْلَطَاي إلى لقائه إلى البركة ، ومعه الأمراء ، ومدَّ له سِمْطًا جليلا ، وقَبَضَ على من كان معه من الأمراء من أصحاب بيغا أُرْسُ وقيدهم وهم : الأمير فاضل أخو بيغا أُرْسُ ، وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب .

وأما الأمير أزدُمَرُ الكاشف فإنه أُنْخَرَجَ السلطانُ إقطاعه ولَزِمَ داره .

ثم في يوم الاثنين ثاني عشرينه طَلَعَ الأمير طاز بالملك المجاهد إلى نحو القلعة ، حتى وصل إلى باب القلعة قيده ، ومشى الملك المجاهد بقيده حتى وقف — عند العمود بالدركاه تجاه الإيوان ، والأمراء جلوس — وقوا طويلا . إلى أن خَرَجَ أميرُ جاندَار

يطلب الأمراء على العادة ، فدَخَلَ المَجاهِدُ على تلك الهيئة معهم ، وَخَلَعَ السُّلْطَانُ على الأمير طاز ، ثم تَقَدَّمَ الملك المَجاهِدُ وقَبِلَ الأرض ثلاث مرات ، وَطَلَبَ السُّلْطَانُ الأمير طاز وسال عنه ، فما زال طاز يشفع في المَجاهِدِ ، إلى أن أمر السُّلْطَانُ بِقَيْدِهِ فَقُبِلَ عنه ، وأُنْزِلَ بالأشرفية من القلعة عند الأمير مُقْلَطَايَ ، وأُجِرَى له الرواتب السنية ، وأقيم له مَنْ يَخْدُمُهُ ، ثم أنعم السُّلْطَانُ على الأمير طاز بمائتي ألف درهم .
ثم خَلَعَ السُّلْطَانُ أيضا على الأمير أَرْغُونَ الكاملَ بِاستمراره على نيابة حلب ، ورسم أن يكون موسى حاجب حلب في نيابة قلعة الروم .

وفي يوم تاسع عشرين المحرم حضر الملك المَجاهِدُ الخُدَمة ، وأجلس تحت الأمراء ، بعد أن أُلْزِمَ بحمل أربعمائة ألف دينار يَفْتَرِضُهُ من تجار الكارم ، حتى يُنْعِمَ له السُّلْطَانُ بالسفر إلى بلاده .

ثم أحضر الأمير أحمد الساق نائب صَفَدَ مقيدا إلى بين يدي السُّلْطَانِ ، فأرسل إلى صحن الاسكندرية .

ثم في آخر المحرم خَلَعَ السُّلْطَانُ على الأمراء المتقدمين ، وعلى الملك المَجاهِدِ صاحب اليمن بالإيوان ، وقَبِلَ المَجاهِدُ الأرض غير مرة ، وكان الأمير طاز والأمير مُقْلَطَايَ تَطَلَّفاً في أمره ، حتى أُعْطِيَ من أجل المال ، وقُرْبَةِ السُّلْطَانِ ، ووعدته بالسفر إلى بلاده مكرِّما ، فقبِلَ الأرض وسُرَّ بذلك ، وأذِنَ له أن ينزل من القلعة إلى إسطنبول الأمير مُقْلَطَايَ ويجهز للسفر ، وأُفْرِجَ عن وزيره وخادمه وحواشييه ، وأنعم عليه بمال ، وبعث له الأمراء مالا جزيلا ، وشرع في القرض من [تجار] الكارم ^(١) اليمن ومصر ، فبعثوا له عتة هدايا ، وصار يركب حيث يشاء .

(١) تكملة عن السلوك .

ثم في يوم الخميس ثاني صفر، ركب الملك المجاهد في الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، وطلع مع النائب بيتقا ططر إلى القلعة، ودخل إلى الخدمة السلطانية بالإيوان مع الأمراء والنائب، وكان موكبا عظيما، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم، وخُلع على المقدمين وطلعوا إلى القلعة، واستمر المجاهد يركب في الخدمة مع النائب بسوق الخيل، ويطلع إلى القلعة ويحضر الخدمة .

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش، وأسقر رأس توبة على ما كان عليه أولا، بعناية الأمير طاز والأمير مقلطاي .

وفي يوم السبت ثامن عشر من صفر برز المجاهد صاحب اليمن بشقه من القاهرة إلى الريدانية متوجها إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شاذ الدواوين، وكتب للشرif عجلان أمير مكة تجهيزه إلى بلاده، وكتب لبني شعبة وغيرهم من العربان بالقيام في خدمته، وخُلع عليه، وقرر المجاهد على نفسه مالا يتحمل في كل سنة، وأسر السلطان إلى قشتمر، إن رأى منه ما يريبه يمنعه من السفر، ويطالع السلطان في أمره، فرحل المجاهد من الريدانية في يوم الخميس ثالث عشرينه، ومعه عدة ممالك اشتراها وكثير من الخيل والجمال .

ثم في أوائل جمادى الآخرة توعك السلطان ولزم الفراش إياما، فبلغ طاز ومنكلى بفا ومقلطاي أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا عليه، وكان قد اتفق مع قشتمر وأطلبغا الزامر وملكتمر المارديني وتكر بفا على ذلك، وأنه ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمرياتهم، فواعدوا الأمراء أصحابهم، وأتفقوا مع الأمير بيتقا ططر النائب والأمير طيغا المجدى والأمير رسلان بصل، وركبوا يوم الأحد

- سابع عشرين جمادى الآخرة بأطلاهم ، ووقفوا عند قبة النصر خارج القاهرة ،
 فخرج السلطان إلى القصر ، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم ، فقالوا : أنت
 آتفت مع مالكك على مسكننا ، ولا بد من إرسالنا إلينا ، فبعث تنكبنا وقشتمر^(١)
 وألقبنا الزامر وملكتهم ، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم وبعثوهم إلى خزنة شمالك .
 فسيجئوا بها ، فشق ذلك على السلطان ، وبكى وقال : قد نزلت عن السلطنة ، وسير
 إليهم النجاة^(٢) ، فسلموها للأمير طييفا المجدي . وقام السلطان حسن إلى حريمه ،
 فبعثوا الأمراء الأمير صرغتمش ومعه الأمير قطلوبغا الذهبي ، ومعهم جماعة ليأخذوه
 ويحبسوه ، فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق ، ودخلوا إلى الملك
 الناصر حسن ، وأخذوه من بين حرمه ، فصرخ النساء صراحا عظيما ، وصاحت الست
 حدى^(٣) على صرغتمش صياحا منكرا ، وقالت له : هذا جزاؤه منك . وسبته سببا فاحشا .
 فلم يلتفت صرغتمش إلى كلامها ، وأخرجه وقد غطى وجهه إلى الرحبة ، فلما رآه
 لخدم والمالِك تباكروا عليه بكاء كثيرا ، وطلع به إلى رواق فوق الإيوان ، ووكل
 به من يحفظه ، وعاد إلى الأمراء ، فاتفق الأمراء على خلعهم من السلطنة ، وسلطنة
 أخيه الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وتسلطن حسب ما يأتي ذكره .
 ولما تسلطن الملك الصالح صالح ، نقل أخاه الملك الناصر حسنا هذا إلى
 حيث كان هو ساكنا ، ورثب في خدمته جماعة ، وأجرى عليه من الرواتب
 ما يكفيه . ثم طلب الملك الصالح أخاه حسنا ، ووعده أيضا بزيادة على إقطاعه .
 وزاد راتبه . وزالت دولة الملك الناصر حسن .

(١) في السلوك : « وإقشتمر » . (٢) النجاة : كلمة فارسية معربة ومعناها السيف
 الصغير أو الخنجر أو السكين المنحنية وهي هنا آلة من آلات الملك (واظروا القاءوس الفارسي الانجليزى
 لستجاس) . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
 (٤) هي حدى القهرمانه الناصرية ، كان الناصر محمد جعل إليها أمور نسائه فتحكمت في داره
 تحكما عظيما ، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدى ويقال لها الست مسكة . (عن الدرر الكامنة) .

فكانت مدة سلطته هذه الأولى ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوما ،
 منها مدة التجبر عليه ثلاث سنين ، ومدة استبداده بالأمر نحو تسعة أشهر وأربعة
 عشر يوما ، وكان القائم بدولته في أيام التجبر عليه الأمير شَيْخُونُ العُمَرِيُّ رأس
 تَوْبة النوب ، وإليه كان أمر خزانة الخالص ، ومُرَجَّعُه لعلم الدين ابن زُبَيْر
 ناظر الخالص . وكان الأمير متجك اليوسفى الوزير والأستادار ومقدم الممالك ،
 إليه التصرف في [أموال ^(١) الدولة . والأمير بَيْيُغا أُرْس نائب السلطنة وإليه حُكْمُ
 السكرو تديره ، والحكم بين الناس . وكان المتولى لتربية السلطان حسن
 خوندكفای زوجة أبيه ، ربته وتبث به . وكانت الست حلق الناصرية دأته .
 وكان الأمراء المذكورون رتبوا له في أيام سلطته ، في كل يوم مائة درهم ،
 يأخذها خادمه من خزانة الخالص ، وليس ينوبه سواها ، وذلك خارج عن سِمَاطه
 وكفلة حريمه ، فكان ما ينعم به السلطان حسن في أيام سلطته ويتصدق به من
 هذه المائة درهما لا غير ، إلى أن تَجبر من التجبر ، وسافر النائب بَيْيُغا أُرْس والأمير
 طاز إلى الحجاز ، وخرج شَيْخُونُ ، إلى العباسة للصيد ، وأنفق السلطان حسن مع
 مُغَلطای الأمير أخور وغيره على ترشيدته ، فترشد حسب ما ذكرناه . واستبد بالدار
 المصرية . ثم قبض على متجك وشَيْخُونُ وبَيْيُغا أُرْس ، إلى أن كان من أمره
 ما كان ، على أنه سار في سلطته بعد استبداده بالأمور مع الأمراء أحسن سيرة ،
 فإنه اختص بالأمير طاز بعد حضوره من الحجاز ، وبالح في الإنعام عليه .

وكانت أيامه شديدة ، كثرت فيها المغارم ، بما أحدثه الوزير متجك بالتواحي ،
 ونحريت مدة أملاك على النيل ، وأحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر ، ونحرجت

(١) زيادة من السلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) في ف : « عما أحدثه الوزير متجك ... الخ » .

عمر بن العائد وتعلبة وعرب الشام وعرب الصعيد عن الطاعة، وأشتد فسادهم
لاختلاف كلمة مدبري المملكة .

وكان في أيامه الفناء العظيم المقدم ذكره، الذي لم يُعهد في الإسلام مثله . وتوالى
في أيامه شراقى البلاد وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل الأحذب ببلاد الصعيد،
فأختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خلا فاحشا، كل ذلك من اضطراب
المملكة واختلاف الكلمة . وظلم الأمير منبجك وعسفه .

وأما الملك الناصر حسن المذكور كان في نفسه مُفْرِط الذكاء عاقلا ، وفيه
رَفْقٌ بالرعية ، ضابطا لما يدخل إليه وما يُصرفه كل يوم ، متدينا شهما ، لو وجد
ناصرًا أو مُعينا ، لكان أجل الملوك ، يأتي بيان ذلك في سلطته الثانية ، إن شاء
الله تعالى .

وأما سلطته هذه المرة فلم يكن له من السلطنة إلا مجزء الاسم فقط ، وذلك
لِصَفَرِ سنه وعدم من يؤيده . انتهى .



السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر حسن ابن الملك الناصر محمد

ابن قلاوون الأولى على مصر . وهى سنة تسع وأربعين وسبعائة ، على أنه حكم
من الخالية من رابع عشر شهر رمضان .

فيها أعني (سنة تسع وأربعين) كان الوباء العظيم المقدم ذكره في هذه الترجمة ،
وعَمَّ الدنيا حتى دخل إلى مكة المشرقة ، ثم عمَّ شرق الأرض وغربها ، فمات بهذا
الطاعون بمصر والشام وغيرهما خلائق لا تُحصى .

(١) في السلوك : « عشر النام » . (٢) كذا في الأصلين والسلوك . تكررت هذه الكلمة
في كتاب النجوم الزاهرة والسلوك غير مرة فأقبتها على ما هي عليه .

فَمَن مات فيه من الأعيان الشيخ المحدث برهان الدين إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى الشافعى^(١) فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين شوال . ومولده فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وكان أخذ القراءات عن التقي الصائغ ، وسمع من الأبرقوهي^(٢) وأخذ الفقه عن العلم العراقى^(٣) ، وبرع فى الفقه والأصول والنحو وغيره ، ودرس وأقرأ وخطب بجامع أمير حسين خارج القاهرة سنين .

وتوفى الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مسعد بن أحمد بن ممدود السهنورى المدايح الضرير . وكانت له قدرة زائدة على النظم ؛ ومدح النبى صلى الله عليه وسلم بـسنة قصائد . وشعره كثير إلى الغاية ، لا سيما قصائده النبوية^(٤) وهى مشهورة فى حفظ المدايح .

وتوفى القاضى الإمام البارع الكاتب المؤرخ المفتى شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضى محيى الدين محيى بن فضل الله بن المحلى بن دنجان القرشى العدوى العمرى^(٥) الدمشقى الشافعى فى تاسع ذى الحجة بدمشق . ومولده فى ثالث شوال سنة سبعمائة . وكان إماما بارعا وكاتباً فقيهاً نظم كثيراً من القصائد والأراجيز

(١) رواية السلوك : « رابع عشرين شوال » . (٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الخالق ابن على بن سالم بن مكى الشيخ تقي الدين أبو عبد الله الصائغ المصرى الشافعى ، سنده عصره . توفى سنة ٧٢٥ هـ عن غاية النهاية فى طبقات القراء لشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد بن الجزرى المتوفى سنة ٨٢٣ هـ (ج ٢ ص ٦٥ طبعة الخانجي) . (٣) هو شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسماعيل بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي . تقدمت وفاته سنة ٧٠١ هـ فى الجزء الثامن من هذه الطبعة . وفى الأصلين هنا : « الأبرقوهي » وتصحيحه عما تقدم ذكره فى سنة وفاته . (٤) هو عبد الكريم ابن على بن عمر الأنصارى الشيخ علم الدين العراقى الضرير ، له فى التفسير اليد الباسطة . مولده سنة ٦٢٣ هـ وتوفى سنة ٧٠٤ هـ بالقاهرة (انظره فى طبقات الشافعية لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ج ٦ ص ١٧٩) . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) فى ف : « فى حفظ المدايح » وكذا فى الدور الكاتبة . (٧) فى تاريخ الإسلام لدهبي والمجلد الصافى أن مولده سنة ٦٩٧ هـ .

- والمقطعات ودوبيت. وأنشأ كثيرا من التقاليد والمناشير والتواقيع، وكتب في الإنشاء
لمّا ولى والده كتابة سِرِّ دِمَشْقَ ، ثمّ لمّا ولى والده كتابة السِرِّ بمصر أيضا، صار
ولده أحمد هذا هو الذى يقرأ البريد على الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ويُنفذ
المهمات وأستمر كذلك في ولاية والده الأولى والثانية ، حتى تغيّر السلطان عليه وصرفه
في سنة ثمانٍ وثلاثين ، وأقام أخاه علاء الدين علياً ، وكلاهما كانا يكتبان بحضرة
والدهما ووجوده، نيابةً عنه ليكبر سنّه ؛ وتوجه شهاب الدين إلى دِمَشْقَ ، حتى مات
بها في التاريخ المذكور . وكان بارعا في فنون ، وله مصنفات كثيرة ، منها تاريخه :
« مسالك الأبصار »^(١) في ممالك الأمصار » في أكثر من عشرين مجلدا . وكتاب
« فواصل السمر »^(٢) في فضائل آل عمر » في أربع مجلدات . « والدعوة المستجابة » ،
« وصيّابة المشتاق » في مجلّد ، في مدح النّبىّ صلى الله وسلم و [دَمْعَةُ الْبَاكِ]^(٣) و يَظْطَلُ
السّاهى » و « نفحة الرّوض »^(٤) .

- قال الشيخ صلاح الدين خليل الصّفديّ : وأنشدني القاضي شهاب الدين
أبن فضل الله لنفسه ، ونحن على العاصي هذين البيتين : [البسيط]
لقد تزلنا على العاصي بمزلة * زانت محاسن شطّيه حدائقها
تبكي نواصيرها العبرى بأدمعها * ليكونه بعد لقياها يفارقها
قال : فأنشدته لنفسى : [الطويل]

وناعورية في جانب النهر قد غلّت * تُعَبِّرُ عن شوق الشّيعى وتُعْرِبُ
فَيَرْقُصُ عطفُ الفصين تيمّا لأنّها * تُقْنِي له طول الزمان وتُشْرِبُ

- (١) وتقوم دار الكتب الآن بتحقيقه ونشره . (٢) كذا في الأصلين
وكشف الظنون . وفي بعض المصادر : « فواضل » بالضاد . (٣) تكملة عن المنهل الصافي
وفوات الوفيات لأبن شاكر . (٤) عن كشف الظنون وفي الأصلين : « ويظنّة الساهر » .
(٥) في المنهل الصافي : « تنفى على ... الخ » .

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَطْلَشُ الْجَمْدَارُ^(١) ، كَانَ أَوَّلًا مِنْ أَمْرَاءِ مِصْرَ ، ثُمَّ
مُحِبَّةَ دِمَشْقَ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ .

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بُلَّكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُظْفَرِيُّ الْجَمْدَارُ ، أَحَدُ أَمْرَاءِ
الْأُلُوفِ بِالْبَيْتِ الْمِصْرِيِّ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ عَشْرِينَ شَوَّالَ . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ
الْأَمْرَاءِ ، وَقَدْ قَدَّمَ ذِكْرَهُ فِيهَا مَرَّةً .

وَتُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بُرْلُغِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ ، قَرِيبُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ^(٢)
مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ، قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ مَحَبَّةَ الْفَارَازِيَّةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ ، فَأَنْعَمَ عَلَيْهِ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ بِإِمْرَةِ بَيْتِارِ مِصْرَ ، وَتَزَوَّجَ بِأَسْنَةِ الْأَمِيرِ بَيْتَرِ الْجَاشَنَكِيَّةِ قَبْلَ سُلْطَنَتِهِ ،
وَعَمِلَ لَهُ مَهْمًا عَظِيمًا ، أَشْعَلَ فِيهِ ثَلَاثَةَ آلَافِ شِمْعَةٍ . ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ
بَعْدَ زَوَالِ دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ ، وَامْتَحَنَ بِسَبَبِ صِهْرِهِ ، وَحَبَسَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ
عَشْرِينَ سَنَةً ، ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ مَائَةٍ وَتَقْدِيمَةِ مَلَفٍ ، فَدَامَ عَلَى ذَلِكَ
إِلَى أَنْ مَاتَ . وَبُرْلُغِيُّ هَذَا يَلْتَبِسُ بِبُرْلُغِيِّ الْأَشْرَفِيِّ ، كِلَاهُمَا كَانَ عَضُدًا لِلْمَلِكِ الْمُظْفَرِ
بَيْتَرِ الْجَاشَنَكِيِّ وَكَانَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ .

- (١) كَذَا فِي مَوْفِي هَامِشَاتِهِ : « أَكْلَشُ » : وَالطَّلَشُ وَالطَّلْسُ . وَفِي السُّلُوكِ : « الْكَلَشُ » .
وَفِي : « الْطَّلَشُ » وَبَعْدَ بَحْثٍ طَوِيلٍ لَمْ نَقِفْ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ مِنْ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ .
- (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ وَالسُّلُوكِ هُنَا : « تُوِّقُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بُرْلُغِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّغِيرِ قَرِيبُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ
النَّصُورِ قَلَاوُونَ » وَصَحِيحُهُ عَمَّا قَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي ص ٨٩ مِنْ الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ وَالذَّرَرِ الْكَائِنَةِ .
- (٣) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَالسُّلُوكِ . وَفِي الْإِعْلَامِ بِنَارِيخِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ : « وَحَبَسَهُ مَدَّةَ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ »
وَهُوَ لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرِى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الدِّينِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي قَاضِي شَيْبَةَ الْأَسَدِيِّ الدِمَشْقِيِّ الشَّافِعِيِّ .
سَيَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ وَفَاتِهِ سَنَةَ ٥٨٥٠ . وَهَذَا الْكِتَابُ ذِيلٌ عَلَى كِتَابِ « الْعَمْرِ فِي خَيْرٍ مِنْ عَمْرِى » لِمَوْلَانِهِ شَيْخِ الدِّينِ
الْقَاضِي الَّذِي اخْتَصَرَهُ مِنْ تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ ، تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَطَبَقَاتِ الْمَشَاهِيرِ الْأَعْلَامِ ، وَرَبَّهَ كَأَصْلِهِ عَلَى
السَّنَنِ . وَابْتَدَأَ حَيْثُ أَنْتَهَى مِنْ كِتَابِهِ أَيْ مِنْ سَنَةِ ٥٧٠٠ يَوْجَدُ مِنْهُ بَدَارُ الْكِتَابِ الْمِصْرِيِّ تَحْتَ رَقْمِ ٣٩٢
تَارِيخِ سَبْعَةِ أَجْزَاءَ . مَا خُوِذَ مِنَ التَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ نَسْخَةٍ مَخْطُوطَةٍ مَحْفُوظَةٍ بِمَكْتَبَةِ
بَارِيَسِ الْأَهْلِيَّةِ . وَصَلَّ فِي الْكَلَامِ فِيهَا عَلَى أَثْنَاءِ سَنَةِ ٨٠٦ هـ وَالْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهَا بِهِ نَقْصٌ مِنْ أَوَّلِهِ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِيِّ^(١) الْمَنْصُورِيِّ أَمِيرَ جَانْدَارٍ،
وَقَدْ أَتَانَا عَلَى ثَمَانِينَ سَنَةً ، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ مَمَالِيكِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَكْتُوتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْمَاطِيِّ الْمَنْصُورِيِّ ، أَحَدَ
الْمَمَالِيكِ الْمَنْصُورِيَّةِ قَلَاوُونَ أَيْضًا ، وَكَانَ أَحَدَ الْبُرْجِيَّةِ . ثُمَّ وَلِيَ شَدَّ الدَّوَابِّ بِدَمَشْقَ
وَحَبَسَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ مَدَّةً ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْجَابِ الْمُظْفَرِ بَيْتَرَسَ ،
ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ طَبْلَخَانَاهُ بِمِصْرَ . وَكَانَتْ بِهِ حَذَبَةٌ فَاحِشَةٌ وَوَلَعٌ ، وَيَتَنَبَّعُ
الْمُطَالِبُ وَالْكَيْمِيَاءُ ، وَضَاعَ عَمْرُهُ فِي الْبَطَالِ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَمْرُبُغَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعُقَيْلِيِّ نَائِبِ الْكَرْكِ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ،
وَكَانَ عَاقِلًا شَجَاعًا مَشْكُورًا سِيرَةً .

وَتُوِّفَى الشَّيْخُ الْإِمَامُ كَمَالُ الدِّينِ جَعْفَرُ [بْنِ تَعَلَّبِ بْنِ جَعْفَرِ] بْنِ عَلِيٍّ الْأَذْفَوِيِّ^(٢)
الْفَقِيهِ الْأَدِيبِ الشَّافِعِيِّ . كَانَ فَقِيهًا بَارِعًا أَدِيبًا مُصَنِّفًا ، وَمِنْ مُصَنِّفَاتِهِ تَارِيخُ الصَّعِيدِ
الْمُسَمًّى « بِالطَّلَاحِ السَّعِيدِ فِي تَارِيخِ الصَّعِيدِ »^(٣) وَلَهُ مُصَنِّفَاتٌ أُخَرُ وَشِعْرٌ كَثِيرٌ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طَشْتُمُرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ ، أَحَدَ أَمْرَاءِ الْأُلُوفِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، الْمَعْرُوفُ بِطَلَّيْهِ فِي شَوَالِ الْقَاهِرَةِ ، وَقِيلَ لَهُ : طَلَّيْهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ
إِذَا تَكَلَّمَ قَالَ فِي أَنْحَرِ كَلَامِهِ : طَلَّيْهِ . وَهُوَ مِنْ مَمَالِيكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ^(٤)
وِخَاصِيَّتِهِ ، وَصَارَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَلَهُ تَرْبَةٌ بِالصَّحْرَاءِ
مَعْرُوفَةٌ بِهِ ، وَكَانَ شَجَاعًا مُقَدِّمًا .

(١) كَذَا فِي فِ السُّلُوكِ . وَفِي « الْحُسَيْنِيِّ » . (٢) ذَكَرَ فِي عُنْوَانِ كِتَابِهِ « الطَّلَاحِ
السَّعِيدِ » الْمَطْبُوعِ بِمُطْبَعَةِ الْإِمْلَاءَةِ بِمَدِينَةِ الرُّومِ سَنَةَ ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) أَنَّهُ تُوِّفِيَ سَنَةَ ٧٤٨ هـ وَهُوَ
خَطَأً صَوَابُهُ أَنَّهُ تُوِّفِيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ (٧٤٩ هـ) . (٣) التَّكْلِفَةُ عَنِ السُّلُوكِ وَالْأَدْوَابِ الْكَامَةِ
(٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَالسُّلُوكِ . وَالتَّسْمِيَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ : « الطَّلَاحِ السَّعِيدِ الْجَامِعِ لِأَسْمَاءِ الْفَضْلَاءِ
وَالرُّوَاةِ بِأَعْلَى الصَّعِيدِ » . (٥) هَذِهِ التَّرْبَةُ سَبَقَ التَّلْطِيقُ طَلْبًا فِي الْخَاشِيَةِ رَقْمُ ١ ص ١٨٨ مِنَ الْجُزْءِ
التَّاسِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

وَوُفِّيتْ خَوْنُدُ طُغَايَ أُمِّ أَنْوَكِ زَوْجَةَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ،
وَتَرَكَتْ مَالًا كَثِيرًا جَدًّا، مِنْ ذَلِكَ أَلْفٌ جَارِيَةٌ، وَثَمَانُونَ طَوَاشِيًّا أَعْتَقَتْ الْجَمِيعَ
وَهِيَ صَاحِبَةُ التَّرَبُّةِ^(١) بِالصَّحْرَاءِ مَعْرُوفَةٌ بِهَا . وَهِيَ الَّتِي تَوَلَّتْ تَرْبِيَةَ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ
النَّاصِرِ حَسَنَ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ مِنْ أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ . وَكَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ نِسَاءِ
وَقْتُهَا وَأَحْسَنَهُنَّ^(٢) وَأَسْعَدِيَهُنَّ .

وَوُفِّيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَدِيبُ الْبَارِعُ صَفَى الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
[أَبِي] الْقَاسِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ أَبِي الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا بْنِ بَاقِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّنِّيِّ^(٣)
الْحَلِّيِّ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ فِي سُلْخِ ذِي الْجَمَّةِ . وَمَوْلَاهُ فِي خَامِسِ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ
سَنَةِ سَبْعٍ وَشَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَقَدِيمُ الْقَاهِرَةِ صَرَتِينَ ، وَمَدَحُ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ صَاحِبِ
حِمَاةٍ ، وَمَدَحُ مَلُوكِ مَارِدِينَ بَنِي أَرْتُقٍ ، وَلَهُ فِيهِمْ غُرَرُ الْقَصَائِدِ ، وَتَقَدَّمَ فِي نَظْمِ الشُّعْرِ .
وَمَدَحُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَصِيدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِـ «الْبَدِيعَةِ» وَلَهُ « دِيْوَانُ شُعْرِ
كَبِيرٍ » ، وَشُعْرُهُ سَارِ شَرْقًا وَغَرْبًا . وَهُوَ أَحَدُ فُخُولِ الشُّعْرَاءِ . وَفِيهِ يَقُولُ الشَّيْخُ
جَمَالَ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ نُبَاتَةَ :

يَا سَائِلِي عَنْ رُبِّيَةِ الْحَلِيِّ فِي * نَظْمِ الْقَرِيضِ رَاضِيًا بِي أَحْكُمُ
لِلشُّعْرِ حِلْيَانِ ذَلِكَ رَاجِحُ * ذَهَبَ الزَّمَانُ بِهِ وَهَذَا قِيمُ
وَمِنْ شُعْرِ الصَّنْفِيِّ الْحَلِيِّ :

أَسْتَطْلِعُ الْأَخْبَارَ مِنْ تَحْوِيَّتِكُمْ * وَأَسْأَلُ الْأَرْوَاحَ حَمَلَ السَّلَامِ
وَكَلَّمَا جَاءَ غُلَامٌ لَكُمْ * أَقُولُ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في ف :
« وَأَحْسَنُهُمْ وَأَسْعَدُهُمْ » . (٣) النكته عن السلوك والمنهل الصافي والدرر الكامنة .
(٤) كذا في « ف » والمنهل الصافي والدرر الكامنة . وفي السلوك : « بَاقِيًا » . وفي ف : « بِكَافًا »
(٥) نسبة إلى منبس (بكسر أوله والموحدة) : قبيلة من طيء . (٦) في المنهل الصافي :
« توفى ببغداد في محرم سنة خمسين وسبعمائة » .

ومن شعره قصيدته التي أولها : ^(١)
[الكامل]

كيف الضلال وصبيح وجهك مشرق * وشذاك في الأكران مسك يعبق
يا من إذا سمرت محاسن وجهه * ظلت به حدق الخلائق تحديق
أوصفت عذرى في هواك بواصح * ماء الحيا بأديمه يترقرق
فإذا العُدول رأى جمالك قال لي * عجباً لقلبك كيف لا يتمزق
يا آيماً قلب المحب فدমে * والنوم منه مطلق ومطلق
أغنيني بالفكر فيك عن الكرى * يا آيى فأنما الفنى الملق
ومنها أيضاً :

لم أنس ليلة زارني ورقيه * يُبدي الرضا وهو المغيظ المحق
حتى إذا عبث العكرى بحفونه * كان الوسادة ساعدي والمرفق
عاقفته وضمته فكأنه * من ساعدي ممتطق ومطوق ^(٢)
حتى بدا فلق الصباح فراعته * إن الصباح هو العدو الأزرق ^(٣)

وقد استوعبنا من شعره وأحواله قطعة جيدة في تاريخنا « المنهل الصافي » .

رحمه الله تعالى إن كان مسينا .

- ١٥ وتوفي الشيخ الصالح المعتقد عبد الله المنوف الفقيه المالكي ، في يوم الأحد
ثامن شهر رمضان ودفن بالصحراء ، وقبره بها معروف يقصد للزيارة والتبرك . ^(٤)

(١) هذه القصيدة واردة في ديوانه المطبوع بدمشق في مطبعة حبيب افندي خاله (ص ٨١)
سنة ١٢٩٧ هـ . وتقع في نحو سبعين بيتاً ، يمدح فيها السلطان الملك المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي
ابن أرتق حين قدومه إلى بغداد . (٢) رواية ديوانه « ... من ساعدي مطوق وممتطق » .
(٣) ورد هذا الشعر في كلا الأصلين هكذا : « حتى إذا بدا فلق الصباح فراعته » ولا يخفى ما فيه
من اختلال في الوزن ، والصواب ما أنبأناه . (٤) لا يزال قبر الشيخ عبد الله المنوف باقياً
تحت قبة معروفة به بجبانة قايتباي بالقاهرة ، وهذه القبة تقع شرق جامع وترته السلطان الأشرف قايتباي ،
وعلى بعد مائة متر تقريباً من الجامع المذكور .

وَوُفِّيَ الإمام العلامة شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين علي بن محمود بن حميد
القنوي الحنفي في ربيع شهر رمضان ، وكان إماما فقيها بارعا صوفيا صالحا .
رحمه الله .

وَوُفِّيَ الشيخ الإمام البارِع الْمُفْتَنُ الأديب الفقيه ، زَيْنُ الدين عمر بن المظفر بن
عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي - المعزّي - الحلبي - الشلفي - المعروف بأبن الوردِي^(١) -
ناظم «الحاوي في الفقه» رحمه الله ، وقد جاوز الستين سنة بحلب ، في سابع عشرين
ذى الحجة . وقد استوعبنا من شعره ومشائخه نُبْدَةً كبيرة في «المنهل الصافي» إذ هو كتاب
تراجم ، محلّة الإطناب في مثل هؤلاء . ومن شعره ما قاله في مقرئ^(٢) : [الكامل] :

(١) عقد لابن الوردي هذا ترجمة وافية الشيخ محمد راجب الطباخ الحلبي في مؤلفه : «أعلام النبلاء»
بتاريخ حلب النبلاء ، ذكر فيها نسبه وشيوخه ومؤلفاته الكثيرة ، وذكر منها أوجوزته التي سارت الزكيات
بيلاعة أرتجأها ولطف انسجامها وعذوبة ألفاظها ، لاسيما وقد نظمها وهو في حالة غضب من وقتته ،
وهذه الأوجوزة أرتجأها بدمشق عند الامتحان المفعم ، ذكر الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير ، أن
ابن الوردي قدم دمشق في أيام القاضي نجم الدين يحيى بن صمري : فأجلسه في الصفة المحروقة بالنباك
في جلسة الشهود ، وكان ابن الوردي زوى الحال فأستخف به الشهود ، لحضر تخاب مشرى ملك فقال
بعض الشهود : أعطوه لابن الوردي يكتبه ، على سبيل الاستبزاز به ، فقال ابن الوردي : أكتبه قلا
أوتروا ! فزاد استهزاؤهم به وقالوا : بل نطا ، فتناول الطرس وكتب مقد المشتري أرتجألا ، فاعتفروا
جميعا بفضل . وهذا أول مقد المشتري وهو يقع في عشرين بيتا :

بأسم إله الخلق هذا ما أشتري * محمد بن يوسف بن سسترا

(من المنهل الصافي)

ومن شعره قصيدته المشهورة باللامية التي مطلعها :

اعتزل ذكر الأطنى والفسزل * وقل الفصل وجانب من هزل

فإنها حوت من الحكم والآداب ما لم تحوه منظومة أخرى مثلها .

ومن مؤلفات ابن الوردي التي لم يذكرها مترجوه «تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة» وهو حل لأهية
بحال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك . نسخة خطية كتبت سنة ٩٧٤ هـ مخونة بدار الكتب المصرية
ضمن مجموعة تحت رقم [٢٣٥ نحو] . راجع أعلام النبلاء بتاريخ حلب النبلاء ج ٥ ص ٣ وما بعدها ،
والمثل الصافي (ج ٢ ص ٩٠ ب) والدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٩٥) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ١٦١)
وطبقات الشافعية (ج ٦ ص ٢٤٣) وفوات الوفيات لابن شاكر (ج ٢ ص ١٤٥) .
(٢) تلك من ديوانه المطبوع في مطبعة الجوانب بالقسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٣٣٥) وتوجد
منه نسخة مخونة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة مطبوعة تحت رقم [١١٤٥ أدب] .

ووعَدَتْ أَمِيسَ بَأَن تَزُورَ فَلَمْ تَزَرْ * فَفَدَوْتُ^(١) مَسْلُوبَ^(٢) الْفَوَادِ مُشْتَتَا^(٣)
لِي مُهْجَةً فِي النَّازِعَاتِ وَعَبْرَةً * فِي الْمُرْسَلَاتِ وَفِكَرَةً فِي هَلْ أَتَى

وله عفا الله عنه :

تَجَادَلْنَا : أَمَاءُ الزَّهْرِ أَذْكَى * أَمِ الْخِلَافُ أَمْ وَرْدُ الْقِطَافِ
وَعُفِّيَ ذَلِكَ الْجَدَلِ أَصْطَلَحْنَا * وَقَدْ حَصَلَ الْوِخَافُ عَلَى الْخِلَافِ

وَتُوِّفَى الْأَمِيرَ الطَّوَّاشِي عَنَبَ السَّحَرِيِّ لَأَلَاةُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ ،
وَمُقَدَّمِ الْمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ مَنِيًّا فِي الْقُدُسِ ، بَعْدَ أَنْ أَمْتَحِنَ وَصُودِرَ . وَكَانَ رَأَى
مِنَ الْعَزْوَاجِ وَالْحُرَمَةِ ، فِي أَيَّامِ الْكَامِلِ شُعْبَانَ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ ، حَسَبَ مَا ذَكَرْنَا
مِنَهُ نُبْدَةً فِي تَرْجَمَةِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْمَذْكُورِ .

١٠ وَتُوِّفَى الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ كُوكَايَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِ السَّلَاحِ دَارَ ، أَحَدِ
أَعْيَانِ الْأَمْرَاءِ الْأُلُوفِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِ الْأَمْرَاءِ وَأَسْعِدِهِمْ ، خَلْفَ
أَكْثَرِ مَنْ أَرْبَعًا أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنًا . وَهُوَ صَاحِبُ الثَّرْبَةِ^(٤) وَالْمِثْدَنَةِ الَّتِي بِالصَّحْرَاءِ ،
عَلَى رَأْسِ الْمِثْدَنَةِ ، نَجَاهُ ثَرْبَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ . وَكَانَ شَجَاعًا مِقْدَامًا . طَالَتْ
أَيَّامُهُ فِي السَّعَادَةِ .

١٥ وَتُوِّفَى الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ قُطْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيرِ آخُورَ ، ثُمَّ نَائِبَ صَقْدَ بِيْدَمَشَقَ ،
وَهُوَ أَحَدُ أَمْرَأَتِهَا ، فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ رَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَمْرَاءِ مِصْرَ ،
وَلِيَّ عُدَّةِ وَلَايَاتِ جَلِيلَةٍ .

(١) رواية الديوان : « ففقدت » . (٢) رواية لديوان : « مشلول » .

(٣) رواية الديوان : « لي زفرة ... الخ » . (٤) بحثنا من موضع هذه التربة والمثدنة

٢٠ فظ مجد لها أثرًا . (٥) تربة الظاهر برقوق لا تزال باقية بجبابة المالك خارج باب النصر بالقاهرة ،
وقد سبق التلخيص عليها في الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وَوُفِّيَ الْأَمِيرَ سَيْفُ الدِّينِ نُجَّايَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبُرَيْدِيِّ الْمَنْصُورِيِّ . كَانَ أَحَدَ مَمَالِكِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، وَلِيَّ قَطَايَا وَالْأَسْكَندَرِيَّةِ ، ثُمَّ أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ طَبْلَخَانَاهُ ، وَاسْتَقَرَّ مِهْمَنْدَارًا . وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ دَارُ نُجَّايَ خَارِجَ مَدِينَةِ مِصْرَ عَلَى النَّيْلِ ، وَغُنِيَ بِمَهَارَتِهَا فَلَمْ يَتَمَتَّعْ بِهَا .

• وَوُفِّيَ الْأَمِيرَ شَرْفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ [بْنُ أَوْحَدٍ] ^(٢) بْنُ خَطِيرٍ أَخُو الْأَمِيرِ مَسْمُودٍ . وَأُظْهِرَ صَاحِبَ الْجَامِعِ بِالْحُسَيْنِيَّةِ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ .

وَوُفِّيَ الشَّيْخَ الْمُحَدِّثَ الْوَاعِظَ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَيْلَقِ الشَّاذَلِيِّ . كَانَ يَجْلِسُ وَيُذَكِّرُ النَّاسَ وَيَحْظُ ، وَكَانَ لَوْعْظُهُ تَأْتِرُ فِي النُّفُوسِ .

وَوُفِّيَ الشَّيْخَ الْمُتَقَدِّزِينَ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْفُشَّاشِيِّ ^(٤) . كَانَ لَهُ قَدَمٌ وَلِلنَّاسِ فِيهِ مَحَبَّةٌ وَاعْتِقَادٌ . رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَوُفِّيَ الرَّئِيسَ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو الْأَسْيُوطِيِّ نَازِلَ بَيْتِ الْمَالِ ، كَانَ مَقْدُودًا مِنْ أَعْيَانِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَلَهُ ثَرَوَةٌ . وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ جَامِعُ الْأَسْيُوطِيِّ بِحُطَّ جَزِيرَةِ الْفِيلِ ^(٥) .

(١) بالبحث عن هذه الدارين أنها اندرست وليس لها أثر اليوم خارج مصر القديمة في المنطقة الواقعة على النيل بين خط دير النحاس وبين حائط مجرى الماء جنوبى فم الخليج بالقاهرة .

(٢) التكلفة عن السلوك والمنهل الصافي والدرر الكامنة . (٣) لم يرد في السلوك ولا في المنهل

الصافي ولا في الدرر أنه صاحب جامع خارج الحسينية . وعلى هذا فلا معنى لظن المؤلف أن له جامعاً .

(٤) نسبة إلى عمل الشاب . (٥) هذا الجامع ذكره المقرئ في خطه باسم جامع الأسيوطى

(ص ٣١٥ ج ٢) قال : إنه بطرف جزيرة الفيل مما يلي ناحية بولاق ، كان موضعه في القديم غامراً

بماء النيل ، فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق أنشأ هذا الجامع القاضي شمس الدين

محمد بن إبراهيم عمر السيوطى نازلاً ببيت المال ، ومات في سنة ٧٤٩ هـ ، ثم جدد عمارته بعد ما تهتم

وزاد فيه ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان المعروف بابن البارزى الحوى كاتب السر ، وأقام فيه الخطبة

يوم الجمعة ٢٦ جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ ، بقا . في أحسن هندام ، وصل في السلطان الملك المؤيد شيخ

الجمعة في أول جمادى الآخرة سنة ٨٢٣ هـ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا . وحُولت هذه السنة إلى
سنة خمسين . والله أعلم .



• السنة الثانية من ولاية السلطان الملك الناصر حسن الأولى
على مصر وهي سنة خمسين وسبعائه .

فيها تُوُفِّي مَكِين الدين إبراهيم بن قروينة بطالا ، بعدما ولى استيفاء الصُّعْبَة ،
ونظَّر البيوت ، ثم نظَّر الجيش مرتين ثم تَعَطَّل إلى أن مات . وكان من أعيان
الْكُتَّاب ورؤسائهم .

- ١٠ وتُوُفِّي الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد الله الناصري ، نائب الشام مذبوحا
في ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول ، وكان من أعيان ممالك الملك الناصر
محمد بن قلاوون وخواصه ، رباه وجعله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجندارية .
ثم استقر بعد وفاته أستاذارا أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر ، فتحكم على الملك
الكامل شعبان ، حتى أخرجه لنيابة صقذ ، وولى بعدها نيابة حلب . ثم نيابة الشام .
١٥ وكان خفيفا قوى النفس شرس الأخلاق ، مهابا جبارا في أحكامه ، سقا كاللدماء
ظليفا فاحشا ، كثير المال والخدم .

- = وبالبحث عن مكان هذا الجامع في الجهة التي أشار إليها القريري ، تبين لنا أنه يعرف اليوم
بجامع الأخرس ، نسبة إلى الشيخ محمد الأخرس المدفون فيه ، بشارع السبئية الجوزاني جنوبي شارع السكة الحديدية
ببولاق . وأنه نوب فاعتصب بعض أصحاب الأملاك المجاورة له جزءا منه ، فأصبح مسجدا صغيرا قديما في حاجة
إلى التجديد ، وكتب بابه تحت منسوب أرض الشارع بدرجات . ولم يذكر القريري تاريخ إنشائه الذي
٢٠ كان حوال سنة ٥٧٤ هـ ، والذي دلت على أن هذا الجامع هو بذاته جامع الأسيرطي أنه مبن على خريطة
القاهرة رسم الحملة الفرنسية في سنة ١٨٠٠ م باسم جامع البارزي ، وسبق أن ذكرنا أن ابن البارزي
جدده في سنة ٨٢٢ هـ ، صرف الجامع باسمه إلى وقت الحملة .

وكان أصله من بلاد الصين ^١حمل إلى بوسعيد بن نحرَبندا ملك التتار ، فأخذه دِمَشْقُ تَجْمَا بن جوبان . ثم أرتجمه بوسعيد بعد قتل ^(١)[دِمَشْقُ تَجْمَا بن] جوبان ، وبعث به إلى الناصر هدية ومعه مَلِكْتَمُرُ السَّعْدِي ^(٢) . وقد تقدم من ذكر أرغون شاه هذا نبذة كبيرة في عدة تراجم من هذا الكتاب ، من أول ابتداء أمره حتى كيفية قتله ، في ترجمة الملك الناصر حسن هذا ، فليُنظر هناك .

وَوَفَّى الأمير الكبير سيف الدين أَرْقُطَاي بن عبد الله المنصوري ، نائب السلطنة بالديار المصرية ، ثم نائب حلب ثم ولي نيابة دِمَشْق ، فلما خرج منها متوجها إلى دِمَشْق ، مات بظاھرھا عن نحو ثمانين سنة ، في يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى . وأصله من ممالك الملك المنصور قلاوون ، رباه الطوائى فأنشأه أحسن تربية إلى أن توجه الملك الناصر إلى الكرك توجه معه ، فلما عاد الملك الناصر إلى ملكه جعله من جملة الأمراء . ثم سيره محبة الأمير تَنْكُر إلى الشام ، وأوصى تَنْكُر ألا يخرج عن رأيه ، فأقام عنده مدة ، ثم ولّاه نيابة حمص سنتين ونصفا . ثم نقله إلى نيابة صَفْد ، فأقام بها ثمانى عشرة سنة . ثم قَدِم مصر ، فأقام بها خمس سنين وجرّد إلى آيَاس ^(٥) . ثم ولي نيابة طرابلس ، ومات الملك الناصر محمد ، فقديم مصر بعد موته

(١) في الأصلين : « بعد قتل جوبان » وهو خطأ حواه ما أئتمناه ، لأن جوبان هذا كان نائب بوسعيد ملك التتار ، فأراد قتله فلم يتمكن الظروف فأخذ ولده « دِمَشْقُ تَجْمَا » وقتله بدله . راجع ص ٢٧٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . وراجع السلوك قسم سادس جزء أول الفتوغرافى لوحة (٦٠٣) . والدرر الكامنة (ج ١ ص ٥٤١) في الكلام على جوبان المذكور .
(٢) في بعض المصادق : « السعدى » . (٣) هو الطوائى شهاب الدين فخر المنصوري مقدم الممالك السلطانية . تَقَدَّمَت وفاته سنة ٥٧٠٧ . (ج ٨ ص ٢٢٨) من هذه الطبعة . وفي النمل الصافي أنه توفي سنة ٥٧٠٦ . وفي الدرر الكامنة أنه توفي سنة ٥٧٠٤ . (٤) في السلوك : « فأقام بها عدة سنين » . (٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة والحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء المتقدم .

فَقُضِيَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أُفْرِجَ عَنْهُ ، وَبَعْدَ مَدَّةٍ وَلِي نِيَابَةَ حَلَب . ثُمَّ عَزِلَ وَطُلِبَ إِلَى مِصْرَ
فَصَارَ يَجْلِسُ رَأْسَ الْمَبْنَةِ . ثُمَّ وَلِيَ نِيَابَةَ السُّلْطَانَةِ بِالْأَمِيرِ الْمِصْرِيِّ نَحْوِ سِتِينَ .
ثُمَّ أُخْرِجَ لِنِيَابَةِ حَلَبَ ثَانِيًا ، بِحَسَبِ سُؤَالِهِ فِي ذَلِكَ ، فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً . ثُمَّ قُبِلَ إِلَى نِيَابَةِ
الشَّامِ بَعْدَ قَتْلِ أَرْغُونِ شَاهٍ ، فَمَاتَ خَارِجَ حَلَبَ قَبْلَ أَنْ يَبْشُرَ دِمَشْقَ ، وَدُفِنَ
بِحَلَبَ . وَكَانَ أَمِيرًا جَلِيلًا عَظِيمًا مُهَابًا عَاقِلًا سَيَّوسًا ، مَشْكُورَ السَّيْرِ مَحَبَّبًا لِلرَّعِيَةِ .
وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ أَخْبَارِهِ مَا يُغْنِي عَنْ الْإِعَادَةِ هُنَا .

وَتَوَفَّى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَبُو الْحَبِيبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُظْفَرِيُّ نَائِبَ طَرَابُلُسَ ، مُوسَطًا
بِسُوقِ خَيْلِ دِمَشْقَ ، فِي يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ ، بِمَقْتَضَى قَتْلِهِ الْأَمِيرِ
أَرْغُونِ شَاهٍ نَائِبِ الشَّامِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ كَيْفِيَّةَ قَتْلِهِ أَرْغُونِ شَاهٍ فِي تَرْجُمَةِ السُّلْطَانِ حَسَنٍ
هَذَا ، وَأَيْضًا وَافِعَةَ تَوْسِيطِهِ مَفْصَلًا هُنَاكَ . وَكَانَ أَبُو الْحَبِيبِ مِنْ مِمَّا لِكَ الْمُظْفَرِ حَاجِبِي
أَبْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَمِنْ خَوَاصِّهِ . وَقُتِلَ أَبُو الْحَبِيبِ وَسِنُهُ دُونَ الْعَشْرِينَ
سَنَةً ، بَعْدَ أَنْ صَارَ أَمِيرَ مِائَةِ وَمَقْدَمِ أَلْفٍ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَنَائِبَ طَرَابُلُسَ ، وَوَسَطَ
مَعَهُ إِيَّاسُ الْآتِي ذَكَرَهُ .

وَتَوَفَّى الْأَمِيرُ نَفَرُ الدِّينِ إِيَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ ، مُوسَطًا أَيْضًا بِسُوقِ خَيْلِ
دِمَشْقَ لِمُوَافَقَتِهِ أَبُو الْحَبِيبِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ عَلَى قَتْلِ أَرْغُونِ شَاهٍ فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ .
وَكَانَ أَصْلُ إِيَّاسٍ هَذَا مِنَ الْأَرْمَنِ ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ ،
فَرَقَاهُ حَتَّى عَمِلَهُ شَادَّ الْعَاهَرِ . ثُمَّ أُخْرِجَ إِلَى الشَّامِ شَادَّ الدَّوَّائِينَ . ثُمَّ صَارَ حَاجِبًا
بِدِمَشْقَ . ثُمَّ نَائِبًا بِصَفَدَ . ثُمَّ نَائِبًا بِحَلَبَ . ثُمَّ عَزِلَ بِسَعْيِ أَرْغُونِ شَاهٍ بِهِ ، وَقَدِمَ

(١) كَذَا فِي الْأَمَلِينَ . وَفِي السُّلُوكِ : « فِي يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ ثَامِنِ عَشْرِ رَجَبِ الْآخِرِ » . وَفِي التَّهْلِيلِ

الصَّافِي : « فِي حَادِي عَشْرِينَ شَهْرِ رَجَبِ الْآخِرِ » .

(٢) تَقَدَّمَ فِي عَمِيرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْكِتَابِ أَنَّهُ يُقَالُ فِيهِ : إِيَّازُ وَإِيَّاسُ بِالزَّيِّ وَالسَّيْنِ .

دِمَشْقُ أميرا في نيابة أرغون شاه لِدِمَشْق ، فصار أرغون شاه يَهِينَهُ ، وإياس يومئذ تحت حُكْمِهِ ، لَحَقَّ طِيَهُ ، وآتَفَقَ مع أَلْحِييَا نائِب طرَابُلس حَتَّى قَتَلَهُ ذُبْحًا ، حسب ما ذكرناه مفصلا ، في ترجمة السلطان الملك الناصر حسن .

- وتُوفِّي الإمام العلامة قاضي القضاة علاء الدين علي - ابن القاضي نحر الدين عثمان
- ابن إبراهيم بن مصطفى المَسَارِدِيخي الحنفي المعروف بالترَكاني - رحمه الله تعالى - في يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة . ومولده في سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ، وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد ^(١) ، ووالد الإمامين العالمين : عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبد الله ^(٢) ، وعم العلامة محمد بن أحمد ، يأتي ذكر كل واحد من هؤلاء في محله إن شاء الله تعالى . وكان قاضي القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا أصوليا لغويا ، أفتى ودرس وأشغل وألف وصنف ، وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه ، وله نظم وثر : كان إمام عصره بلا مدافعة ، لا سيما في العلوم العقلية والفقه أيضا والحديث ، وتصدى للإقرار عدة سنين . وتولى قضاء الحنعية بالديار المصرية في شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، عوضا عن قاضي القضاة زين الدين البَسْطَامِي ^(٣) ، وحسنت سيرته ، ودام قاضيا إلى أن مات . وتولى عِوضَهُ ولده جمال الدين عبد الله .

- (١) هو تاج الدين أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركاني . توفي سنة ٧٤٤ هـ عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٢) هو عز الدين عبد العزيز بن علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركاني توفي سنة ٧٤٩ هـ عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٣) هو جمال الدين عبد الله بن علي ابن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى التركاني . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٦٩ هـ .
- (٤) في الأصلين هـ : « البساطي » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عما تقدم ذكره في ص ١٢٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة والمنهل الصافي ، توفي سنة ٧٧١ هـ .

ومن مصنفاته — رحمه الله — كتاب «بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب» و «المنتخب في علوم الحديث» و «المؤتلف والمختلف»^(١) و «الضعفاء والمتروكون» و «الذريعة في الرد على البيهقي» وهو جليل في معناه، يدل على علم غزير، وأطلاع كثير، و «مختصر المحصل في الكلام» و «مقدمة في أصول الفقه» و «الكفاية في مختصر الهداية» و «مختصر رسالة القشيري»^(٢) وغير ذلك .

وتوفي قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي الإخنائي المالكي^(٣)، في ليلة الثالث من صفر، ومولده في شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة، وكان فقيها فاضلا محدثا بارعا . ولي شهادة الحسنة . ثم تولى قضاء الإسكندرية . ثم قيل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القوتوي . وحسنت سيرته . وتولى بعده جمال الدين يوسف [بن إبراهيم]^(٤) بن جملة .

وتوفيت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون زوجة الأمير طاز، وخلفت أموالا كثيرة، أبيع موجودها بباب القلعة من القلعة بمخمسائة ألف درهم، من جملة ذلك قبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، عنها يوم ذلك ألفا دينار مصرية .

- (١) في الأصلين : « بهجة الأديب ما في الكتاب العزيز من الغريب » . وما أثبتناه عن النسخة المخطوطة المحفوظة به دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٤٩ تفسير، المنقولة عن نسخة بخط المؤلف المذكور .
- (٢) ذكره ملا كاتب علي في كشف الظنون (ج ٢ ص ٨٤) مطبعة العالم، تحت عنوان : « علم الضعفاء والمتروكين في رواية الحديث » . (٣) في الأصلين : « والكفاية » وما أثبتناه عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٤) في الأصلين : « الشافي » وهو خطأ صوابه ما أثبتناه، وهذا اللبس حصل من أنه له أخا يلقب بعلم الدين ويسمى أيضا بمحمد وهو شافعي المذهب، أما تقي الدين هذا فهو مالكي المذهب . (انظره في رفع الإصر عن قضاة مصر لأبن حجر العسقلاني ص ٢٥٩ ب) .
- (٥) هو علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القوتوي الشافعي، تقدمت وفاته في حوادث سنة ٨٢٩ هـ . (٦) التكملة عما تقدم ذكره في سنة ٧٣٨ هـ وهي سنة وفاته .

وَوُفِّيَ شَيْخُ الْقُرَاءِ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَعْرُوفِ بِالْمَكَاوَرِي ،
بالقاهرة في جُمَادَى الْأُولَى . وكان إماماً في القراءات ، تصدَّى للإقرار عِدَّةَ سنين
وَأَنْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ .

وَوُفِّيَ الْأَمِيرُ طُقُتَمُشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّرِيفِيِّ (١) ، بعد ما عَمِيَ وَلَزِمَ دَارَهُ وَكَانَ مِنْ
أَعْيَانِ الْأُمَرَاءِ .

وَوُفِّيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ نَجْمُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ
ابن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ الْقُرَشِيِّ الْأَصْفُورِيِّ الشَّافِعِيِّ ، بِمَنَى (٢) ، في ثالثِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ .
وكان فقيهاً عالماً مصنفًا ، ومن مصنفاته : « مختصر الروضة في الفقه » .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع . يبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصباعاً .



السنة الثالثة من سلطنة الناصر حسن الأولى على مصر وهي سنة
إحدى وخمسين وسبعائة .

- (١) أطلنا البحث عن معرفة موضع هذه الدار فلم نعثرها على أثر في المصادر التي تحت يدا .
- (٢) اختلف المؤرخون في هذا الاسم ، فقد ورد في الأصلين والسلوك والمنهل الصافي والدرر الكامنة
وحسن المحاضرة للسيوطي وشذرات الذهب : « نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف ... الخ » . وفي طبقات
الشافعية وبعض المصادر : « عبد العزيز بن يوسف ... الخ » . (٣) نسبة إلى أصفون . ذكرها
المرحوم علي باشا مبارك في خطه (ج ٨ ص ٥٧) فقال : أصفون بالسین أو بالصاد بعد الحمزة ،
قرية من قرى المطاعة بمديرية إسنا ، في بحريها إلى الغرب بنحو عشرة آلاف متر ، وفي الجنوب الغربي للكيان
بنحو ثلاثة آلاف متر . وفيها جامع بمئذنة مبنی بالآجر ... ثم قال : وفي خطاط المقرري ، أن أصفون
كانت من أحسن بلاد مصر وأكثر نواحي الصيد فواكه ، وكان بها ذير كبير ، ربهانه معروفون بالعلم
والمهارة ، غفرت أصفون ونخب دبرها وهذا آخر أدرة الصيد ... الخ » وبالرجوع إلى الخطاط المقرري
لم نجد هذا ضمن البلاد المصرية التي ترجم لها المقرري ، وربما ذكرها عرضاً ضمن كلامه آخر . وهي الآن
أصفون المطاعة بلدة بصعيد مصر تابعة لمركز إسنا بمديرية قنا . (٤) يوجد منه بدار الكتب المصرية
الجزء الأخير ، مخطوط تحت رقم [٣٦٧] فقه شافعي .

فيها تُؤَقَّى الأمير سيف الدين دِلَنْجِي^(١) بن عبد الله (ودلنجي هو المكدي باللغة التركية) . كان أصله من الأتراك وقَدِم إلى الديار المصرية سنة ثلاثين وسبعمائة، فأنعم عليه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة . ثم إمرة طَبْلَخَانَاة . ثم ولي نيابة غَزَّة بعد الأمير تلجك، فأوقع بالمفسدين ببلاد غَزَّة وأبادهم، وقويت حُرْمَتُهُ . وكان شجاعاً مُهاباً

وَتُوُقَّى الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرَيْعِي الدَّمَشْقِي الحنبلِي، المعروف بابن قِيمَ الجَوْزِيَّة بِدِمَشْق، في ثالث عشر شهر رجب . ومولده سنة إحدى وتسعين وستائة . وكان بارعاً في عدة علوم، ما بين تفسير وفقه وعربية ونحو وحديث وأصول وفروع، ولَزِم شيخ الإسلام تقي الدين بن تَيْمِيَّة بعد عَوْدِهِ من القاهرة في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وأخذ منه علماً كثيراً، حتى صار أحدَ أفراد زمانه، وتصدَّى للإقراء والإفتاء سنين، وأَنْتَفَعَ به الناس قاطبةً، وصنَّف وألَّف وكتب . وقد استوعبنا أحواله ومصنفاته وبعض مشايخه في ترجمته في « المنهل الصافي » كما ذكرنا أمثاله .

وَتُوُقَّى الأمير حُسَام الدين لاجين بن عبد الله العَلَاثِي الناصري . أصله من مماليك الناصر محمد . ثم صار أمير جانداری في ولة الملك المظفر حاجي، فإنه كان رَوَّجَ أَمته . ثم ولي أمير آخور، فلما قُتِل الملك المظفر في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عُزِل وأُخْرِج إلى حلب، على إقطاع الأمير حسام الدين محمود بن داود الشيباني، فدام بحلب إلى أن مات بها، وقيل بغيرها .

(١) ضبطه صاحب الدرر الكامنة بالعبارة فقال: (بكر الأول وفتح اللام وسكون النون وكسر الحيم) .

(٢) هو آبن نجيمة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحنطاني الحنبلِي، تَفَدَّمت وفاته سنة ٧٢٨ هـ (ج ٩ ص ٢٧١) من هذه الطبعة .

وتوفى الشيخ نحر الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم
المصري، الفقيه الشافعي يدمشق، في سادس عشرين ذى القعدة، ومولده سنة
إحدى وتسعين وستائة . وكان فقيها عالما فاضلا بارعا في فنون .

وتوفى ابن قرمان صاحب جبال الروم بعد مرض طويل .
قلت : وبنو قرمان هؤلاء هم من ذرية السلطان علاء الدين كيقيباد السلجوقي،
وهم ملوك تلك البلاد إلى يومنا هذا ، وقد تقدم من ذكرهم جماعة كثيرة في هذا
الكتاب .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع ونصف، وقيل خمس
أذرع وسبع عشرة إصبعاً . مبلغ الزيادة سبع عشرة دراعاً . ونزل في خامس توت
وشرفت البلاد .



السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى على مصر
وهي سنة اثنين وخمسين وسبعمائة، وهي التي خلع فيها السلطان حسن المذكور
في سابع وعشرين جمادى الآخرة، وحكم في باقيها أخوه الملك الصالح صالح ابن
الملك الناصر محمد بن قلاوون .

فيها توفى السيد الشريف أدي أمير المدينة النبوية، على ساكنها أفضل
الصلاة والسلام، في السجن .

(١) في الدرر الكامنة أنه توفى في سادس عشر ذى القعدة . (٢) راجع الحاشية رقم ١
ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) يقال بالوار بدل الهزة . وهو أدي بن
هبة الله بن جاز بن منصور بن جاز بن شعبة بن هاشم، يتصل نسبه بالحسين بن علي .

وَتُوِّفِيَ الأمير سيف الدين طَشْبِغَا بن عبد الله الناصري الدَّوَادَار . كان من جملة
الأمراء في الديار المصرية ، فلَمَّا أُخْرِجَ الأمير جُرْجِي الدَّوَادَار من القاهرة ، في أول
دولة الملك الناصر حسن ، استقرَّ طَشْبِغَا هذا دَوَادَارًا عِوَضَهُ ، في شهر رمضان
سنة ثمانٍ وأربعين وسبعمائة ، واستمرَّ على ذلك إلى أن تُوِّفِيَ . وكان خيرًا دِينًا
فاضلاً عاقلاً .

وَتُوِّفِيَ قاضي القضاة الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز
ابن محمد بن أبي الحسن بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله [بن أحمد ^(٣)] بن
يحيى بن أبي جَرَادَة ، المعروف بأَبْنِ الْعَدِيم الحلبي بحلب ، عن ثلاث وستين سنة .
وقد تقدَّم ذكرُ جماعة من آبائه وأقاربه في هذا الكتاب ، وسيأتي ذكر جماعة آخر
من أقاربه ، كلُّ واحد في محله . إن شاء الله تعالى .

وَتُوِّفِيَ ملك الغرب أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
ابن محيى بن أبي بكر بن حمامة في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع
الأول ، وقام في الملك من بعده أبْنُهُ أبو عنان فارس . وكانت مدة مُلْكِهِ إحدى
وعشرين سنة .

- ١٥ (١) ضبطه بالعبارة الصلاح الصفدى في كتابه أعيان مصر فقال : (يفتح الطاء المهملة وسكون الشين
المعجمة وباء موحدة وغين معجمة بعدها ألف) . (٢) كذا ورد في الأصلين والسلوك ولم ترد
هذه الكنية في المصادر التي ترجمت له ، كالدرر والمنهل الصافي وغيرهما . (٣) التكملة عن الدرر
الكامة والسلوك . (٤) في الأصلين : «ابن حمامة» والتصويب عن السلوك والاستقصا لأخبار
دول المغرب الأقصى ، للشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوى طبع مصر سنة ١١٣١ هـ (ج ٢ ص ٣) .
٢٠ (٥) في الأصلين : «في ثالث عشر شهر ربيع الآخر» وفي السلوك : «في ثالث عشرين ربيع الآخر»
وهي رواية آبن الخطيب وآبن خلدون وغيرهما . وما أنبتناه عن الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى
وهي الرواية الصحيحة ، حيث ورد في الكتاب المذكور (ج ٢ ص ٨٥) : «والذى رأيت مكتوبا بالنقش
على رخامة قبره بشالة أن وقته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة» .

وَتُوِّفَّ القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد
 ابن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بأبن القيسراني ، مَوْقِع الدست
 وصاحب المدرسة بسُوَيْفَة الصاحب داخل القاهرة وبها دُفِنَ ، وكان معدودا من
 الرؤساء الأماثل .

(١) هذه المدرسة ذكرها المقرئ في خطه بأسم المدرسة القيسرانية (ص ٣٩٤ ج ٢) فقال :
 إنها بجوار المدرسة صاحبة بسويف الصاحب ، فإيها وبين باب الخوخة ، كانت دارا يسكنها القاضى
 الرئيس شمس الدين محمد بن إبراهيم القيسراني ، أحد موقى الدست بالقاهرة ، لعلها مدرسة ووقفها
 في ربيع الأول سنة ٧٥١ هـ .

وبالبحث عن هذه المدرسة في الجهة التي أشار إليها المقرئ ، تبين لي أنها تحولت إلى دار كما كانت
 أولا ، وأن هذه الدار لم تكن بجوار المدرسة صاحبة ، أى ملاصقة لها كما يفهم من تعبير المقرئ ، بل
 إنها كانت مواجهة لها ، على الطريق بينها وبين باب الخوخة ، وكانت المدرسة المذكورة واقعة على يسار
 الداخل في سويف الصاحب ، التي مكانها اليوم الطريق التي تسمى شارع اللبودية وشارع السلطان
 الصاحب ، على الناحية التي كان يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع حمام الثلاث ، حيث نجد على اليمين بقايا
 المدرسة صاحبة .

وقد أقتضى فتح شارع الأزهر بربط المرسوم الصادر في ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٣ إزالة كثير من
 المباني من ضمنها الدار التي حلت محل القيسرانية ، وبذلك زال أثرها .

والظاهر أن على باشا مبارك لم يوصله بحثه إلى أنها تحولت إلى دار ، فأنبس عليه الأمر في تحديد
 موضعها ، بدليل أنه لما تكلم في المخطط التوفيقية على المدرسة القيسرانية (ص ١٤ ج ٦) قال : لعلها
 المدرسة التي على يمين الداخل في أول درب سعادة من جهة الخزاوي ، في حين أن تلك المدرسة هي
 المدرسة القنصرية ، التي أنشأها نغرا الدين عثمان بن فزل البارودي في سنة ٦١٢ هـ ، وسميت فيما بعد الظاهرية ،
 لأنها جددت في عهد الملك الظاهر أبي سعيد جقمق ، ثم قال أيضا : ويحتمل أن تكون هذه هي المدرسة
 الزمائية ، في حين أن تلك المدرسة التي أنشأها زين الدين مقبل الطوائى الزمام هي التي تعرف اليوم
 بجامع الداودي بشارع اللبودية ، الذي كان متصلا بشارع الخزاوي ، وفصلهما عن بعضهما شارع الأزهر .
 ثم قال بعد ذلك : وقد تكون القيسرانية ، هي التي تعرف اليوم بجامع المغرب بجوار صاحبة ، في حين
 أن جامع المغرب المذكور هو مدرسة الجمال يوسف ، التي أنشأها جمال الدين يوسف بن كريم الدين
 عبد الكريم المعروف كاتب حكم ناظر الخاص في سنة ٨٥٦ هـ ، بين داره وبين المدرسة صاحبة التي
 تكللت عليها في الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . وفوق ذلك ، فإن جامع
 المغرب لا يزال باقيا ، ويقع شرق المدرسة صاحبة ، في حين أن المدرسة القيسرانية زالت ، وكانت
 واقعة بجري صاحبة ، بينها وبين باب الخوخة . كما ذكر المقرئ وسعفاء في هذا البحث .

وتُوفى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير رُكن الدين بيبرس الأحمدي، أحد
أمراء الطليحانة بالديار المصرية، وهو مجزّد ببلاد الصعيد، فُجِّل إلى القاهرة
ميتاً في يوم الأحد ثاني عشرين شهر رمضان .

وتُوفى الشيخ الإمام تاج الدين أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي^(١)
الأصل الشافعي بدمشق في جمادى الآخرة . وكان قتيها فاضلاً بارعاً معدوداً من
فقهائ الشافعية .

وتُوفى القاضي علاء الدين علي بن محمد بن مقاتل الحراني ثم الدمشقي ناظر
دمشق بالقدس الشريف . في عاشر شهر رمضان .

قلت : لعل علاء الدين هذا غير الأديب علاء الدين بن مقاتل الزجال الحموي .
لأنني أحفظ وفاة هاذك . في سنة إحدى وستين وسبعمائة ، وهكنا أزعناه في « المنهل
الصافي والمستوفى بعد الوافي » .

§ أمر النيل في هذه السنة . المآن القديم ست أذرع ونحس أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة . والله أعلم .

(١) في شذرات الذهب أنه يكنى بأبي عبد الله .

ذكر سلطنة الملك الصالح صالح

أبن السلطان الملك الناصر محمد آبن السلطان الملك المنصور قلاوون

هو المشرون من ملوك التُّرك بديار مصر، والثامن من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون . وأمه خَوْنَد قُطْلُو مَلَك بنت الأمير تَنْكِزِ الناصري- نائب الشام ، تسلمن بعد خلع أخيه الملك الناصر حسن في يوم الاثنين ثامن عشرين جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وسبعمائة ، باتفاق الأمراء على ذلك ، وأمره أن الأمراء لما حُملت لهم نِجْمَة الملك ، وأخبروا بأن الناصر حسنا خَلَعَ نفسه ، وهم وقوف بقُبَّة النصر خارج القاهرة ، توجهوا الى بيوتهم ، وباتوا تلك الليلة وهي ليلة الاثنين بإسطنبولهم ، وأصبحوا بكرة يوم الاثنين طلَعوا إلى القلعة ، واجتمعوا بالرُّحبة داخل باب النحاس ، وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر الأمراء وأرباب الدولة ، وأستدعوا بالصالح هذا من الدور السلطانية ؛ فأخرج لهم فقاموا له وأجلسوه وبايعوه بالسلطنة ، وألبسوه شعار المُلْك وأبته السلطنة، وأركبوه فرَسَ التَّوْبَة من داخل باب السَّتارة، ورُفِعَت الفاشية بين يديه ومشت الأمراء والأعيان بين يديه والأمير طاز والأمير منكلى بُفَا آخذان بِشِكِمة فرسه ، وسار على ذلك حتى نزل وجلس على تَحْت المُلْك بالقصر ، وقبَلت الأمراء الأرض بين يديه ، وحلقوا له [وحلقوه] على العادة ، ولقبوه بالملك الصالح ، ونوْدَى بسلطنته بمصر

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ خلعهم ، ففى السلوك كما ورد فى الأصلين (وهى الرواية الصحيحة لأن أول جمادى الآخرة كان يوم الثلاثاء) . وفى المنهل الصافى : « خلع من السلطنة فى أوائل شهر رجب سنة اثنين وخمسين وسبعمائة » وفى ابن ماباس (ج ١ ص ١٩٤) والدور الكامنة . « يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة سنة اثنين وخمسين وسبعمائة » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) تكملة عن السلوك .

والقاهرة ودُفَّت الكوسات وزُيِّنَت القاهرة وسائر بيوت الأمراء . وقبل سلطنته كان النيل نقص عند ما كُسر عليه ، فردَّ نقصه وتُودى عليه بزيادة ثلاث أصابع من سبع عشرة ذراعا ، فتباشر الناس بسلطنته .

ثم توجه الأمير بُزْلاز أمير سلاح إلى الشام ، ومعه التشاريق والبشارة بولاية السلطان الملك الصالح ، وتحليف العساكر الشامية له على العادة . ثم طلب الأمير طاز والأمير مُغلطاي مفتاح الذخيرة ليعتبرا^(١) ما فيها فوجدا شيئا يسيرا . ثم رُمِم للصاحب طم الدين عبد الله بن زُبُور ، بتجهيز تشاريق الأمراء وأرباب الوظائف على العادة ، فجَهِزها في أسرع وقت ، ووقف الأمير طاز سأل السلطان والأمراء الإمرأج عن الأمير شَيْخُون المَمْرِي ، فرُسم بذلك ، وكتب كل من مُغلطاي وطاز كتابا ، وبعث مُغلطاي أخاه قُطْلَيْجا رأس نوبة^(٢) ، وبعث طاز الأمير طُفطاي صهره ، وجهزت له الحُرَاقَة لإحضاره من الإسكندرية في يوم الثلاثاء تاسع عشر^(٣) من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وسبعائة المذكورة ، وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاي ، إلا أن الأمير طاز دخل عليه وأخ عليه في ذلك ، حتى وافقه على مجيئه ، بعد أن قال له : أخشى على نفسي من مجيء شَيْخُون إلى مصر ، فحلف له طاز أيمانا^(٤) مغلفة أنه معه على كل ما يريد ، ولا يصيبه من شَيْخُون ما يكره ، وأن شَيْخُون إذا حضر لا يعارضه في شيء من أمر المملكة ، وإني ضامن له في هذا ، وما زال به حتى أذعن ، وكتب له مع أخيه ، فشق ذلك على الأمير من كل بئس الفخري ، وعتب مُغلطاي على موافقة طاز ، وعزفه أن بحضور شَيْخُون إلى مصر يزول عنهم

(١) كذا في الأصلين وهي كلمة اصطلاحية « معناها الجرد » مأخوذة من « العمرة » وانظر الحاشية رقم ١ ص ٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في السلك : « فبعث مُغلطاي أخاه قُطْلُويا... الخ » . (٣) في ف : « الحُرَاقَة » . (٤) في الأصلين : « في يوم الأربعاء... الخ » وتصحيحه عن السلك وما يقتضيه السياق . (٥) في م : « إلى أن قال... الخ »

ما هم فيه ، فتَقَرَّر في ذهن مغلطاي ذلك ، وتَدَمَّ على ما كان منه ، إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رجب ، وركب الأمراء في الموكب على العادة ، أخذ منكلى ما يُعرَف النَّائب والأمراء بإنكار ما دار بينه وبين مغلطاي ، وحذَّروهم من حضور شيخون إلى أن وافقوه ، وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة ، فأبتدأ النائب بمحضور شيخون وقال : إنه رجل كبير ويحتاج إلى إقطاع كبير وكُلَّف كثيرة ، فتكلَّم مغلطاي ومنكلى بفا والأمراء وطاز ساكت ، قد آخبط لتغير مغلطاي ورجوعه على ما وافقه عليه ، وأخذ طاز يتلطف بهم ، فصمَّ مغلطاي على ما هو عليه وقال : مالى وجهٌ أنظرُ به شيخون ، وقد أخذتُ منصبه ووظيفته وسكنتُ في بيته ، فوافقه النائب ، وقال لناظر الجيش : اكتب له مثلاً بناية حَمَّاء ، فكتب لناظر الجيش ذلك في الوقت ، وتوجه به أيْدمر الدوادار في الحال في حَرافقة ، وعيَّن لسفر شيخون عشرون هَجِيناً ليركبها ويسير عليها إلى حَمَّاء .

وأفَضُوا وفي نفس طاز ما لا يعبر عنه من القهر ، ونزل وآتَفَق هو والأمير صَرغتمش ومَلِكْتَمَر وجماعة ، وآتَفَقُوا جميعاً ، وبعثوا إلى مغلطاي ، بأن منكلى بفا رجل فَنِيٌّ ، وما دام بيننا لا نتَّفَق أبداً ، فلم يَصْنَع مغلطاي إلى قولهم ، وأحتج بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه ، فدخل عليه طاز ليلاً بالأشرفية من قلعة الجبل ، حيث هى مسكن مغلطاي وخادمه ، حتى أجابه إلى إخراج منكلى بفا وتحالفاً على ذلك ، فـ « ما هو إلا أن نخرج عنه طاز ، أخذ دوادار مغلطاي يُقَبِّح على مغلطاي

(١) في السلوك : « والأمراء الكبار » . (٢) في السلوك : « بمحدث شيخون » .

(٣) المثال : وثيقة رسمية تصدر من ديوان الجيش إلى كل جندي أو مملوك ، فيها مقدار ما خصه من الإقطاع موضع الحدرد والمال ، فإذا صدق عليها السلطان تحفظ لتسجيلها في ديوان النظر وأُنظر الحاشية رقم ٢ من ص ٩١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة وأُنظر الحاشية رقم ٢ من ص ١٠١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ من ص ٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

- ما صدر منه ، ويؤول عليه الأمر ، بأنه متى أبعد منكلى بفا وحضر شيخون أخذ لا محالة ، فإل إليه ، وبلغ الخبر منكلى بفا بكرة يوم الجمعة ثانيه . فواعد النائب والأمراء على الاجتماع في صلاة الجمعة ، ليقع الاتفاق على ما يكون ، فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاي عما تقرّر بينه وبين طاز ليلا ، فاستعدّا للحرب ، وواعدا الأمير ملكتمز الحمدي ، والأمير قردم الحموي ، ومن يهوى هواهم ، واستمالوا ممالكك بيبغا أرس وممالكك منجك حتى صاروا معهم رجاء لخلاص أستاذيهم ، وشذ الجميع خيولهم ، فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة ، اجتمع منكلى بفا بالنائب وجماعته ، وقرّر معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش الى عندهم في دار النيابة ، ويقبضوا عليهما ، فلما اتاهما الرسول من النائب يطلبهما ، أحسا بالشر وقاما ليتبها للحضور ، وصرفا الرسول على أنهما يكونان في أثره ، وبادرا الى باب الدور ونحوه من الأبواب فأغلقاها ، وأستدعوا من معهم من الممالك السلطانية وغيرها ، ولبسوا السلاح ، ونزل صرغتمش بمن معه من باب السر ، لينع من يخرج من اسطبلات الأمراء ، ودخل طاز على السلطان الملك الصالح ، حتى يركب به للحرب ، فلقى الأمير صرغتمش في نزوله الأمير أيدغددي أمير آخور ، فلم يطلق منعه ، وأخذ بعض الخيول من الاسطبل ونرج منه ، فوجد خيله وخيل من معه في أنتظارهم ، فركبوا الى الطبلخاناه ، فاذا طلب منكلى بفا مع ولده ومماليكه يريدون قبة النصر ، فألقوا أبين منكلى بفا عن فرسه ، وجرحوه في وجهه ، وقتلوا حامل الصنجق وشنتوا شمل الجميع ، فما استم هذا ، حتى ظهر طلب مغلطاي مع ممالكك ، ولم يكن لهم علم بما وقع على طلب منكلى بفا ، فصدمهم صرغتمش أيضا بمن معه صدمة بددتهم ،

(١) في م : « تلكتمز » . وما أنبتاه من ف والسلوك .

(٢) سبذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٥٦ هـ .

وَجَرَّحَ جماعة منهم وَهَزَمَ بَقِيَّتَهُمْ . ثم عاد صرغتمش لِيُدْرِكَ الأمراء قبل نزولهم من القلعة ، وكانت خيولهم واقفة على باب السلسلة تنتظرهم ، فمال عليها صرغتمش ليأخذها ، وامتدت أيدى أصحابه إليها وقتلوا الغلمان ، فعظم الصباح وأنعقد الغبار ، وإذا بالنائب ومنكلى بفسا ومغلطاي وبيغرا ومن معهم قد نزلوا وركبوا خيولهم ، وكانوا لما أبطأ عليهم حضور طاز وصرغتمش بعثوا في استحثاشهم ، فإذا الأبواب مغلقة ، والضجة داخل باب القلعة ، فقاموا من دار النيابة يريدون الركوب فلما توسطوا بالقلعة حتى سمعوا ضجة الغلمان وصياحهم ، فأسرعوا إليهم وركبوا ، فشهّر مغلطاي سيفه وهم بمن معه على صرغتمش ، وصر النائب وبيغرا ورسلان بصل ، يريد كل منهم إسبطه ، فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاي من صرغتمش كثرة قبيحة ، وجرح كثير من أصحابه ، وفز إلى جهة قبة النصر وهم في أثره ، وانهمز منكلى بنا أيضا .

وكان طاز لما دخل على السلطان عرفه ، أن النائب والأمراء اتفقوا على إعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة ، فقال السلطان الملك الصالح إلى كلامه ، فقام معه في ممالكه ، ونزل إلى الإسطنبول واستدعى بالخيول ليركب ، ففعد به أيدغدي أمير آخور واحتج بقلة السروج ، فانه كان من حزب مغلطاي ، فآخذوا الممالك ما وجدوه من الخيول وركبوا بالسلطان ، ودقت الكوسات فاجتمع إليه الأمراء والممالك والأجناد من كل جهة ، حتى عظم جمعه ، فلم تغرب الشمس إلا والمدينة قد أغلقت ، وأمتلات الرميثة بالعامه ، وسار طاز بالسلطان يريد قبة النصر ، حتى يعرف خبر صرغتمش ، فوافق قبة النصر بعد المغرب ، فوجد صرغتمش

(١) في الأصلين والسلوك : « فقت به » والسياق يقتضى ما أثبتناه » .

(٢) في الأصلين : « بقلة السروج » وما أثبتناه عن السلوك وهو الصحيح .

قد تَمَادَى في طلب مُغَلَطَايَ وَمَنْكَلِي بَغَا حَتَّى أَظْلَمَ اللَّيْلُ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِمَمْلُوكِ النَّائِبِ
 قَدْ أَتَاهُ بِرِسَالَةِ النَّائِبِ أَنَّ مُغَلَطَايَ عِنْدَهُ فِي بَيْتِ آلِ مَلِكِ بِالْحُسَيْنِيَّةِ، فَجَبَعَتْ
 صَرِغْتَمُشُ جَمَاعَةً لِأَخْذِهِ، وَصَرَ فِي طَلَبِ مَنْكَلِي بَغَا، فَلَقِيَهُ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْتُمُرَ
 الْحَاجِبِ وَعَرَفَهُ أَنَّ مَنْكَلِي بَغَا نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ قَنَاطِرِ الْأَمِيرِيَّةِ، وَوَقَفَ بِصُلَى، وَأَنَّ
 طَلَبَ الْأَمِيرِ مُحَمَّدَ الدِّينِ مُوسَى بْنِ الْهَدْبَانِي، فَدَجَّاءَ مِنْ جِهَةِ كَوْمِ الزَّرِيشِ، وَلَحَقَهُ
 الْأَمِيرُ أَرْغُونُ أَلْبَكِّي فِي جَمَاعَةٍ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ بِصُلَى، وَكَتَفُوهُ بِمَامَتِهِ، وَارْكَبُوهُ
 بَعْدَ مَا نَكَلَوْا بِهِ، فَلَمْ يَكُنْ غَيْرُ قَلِيلٍ حَتَّى أَتَوْا بِهِمَا فَقِيدًا وَحُسْبَا بِخِزَانَةِ شِمَائِلَ،
 ثُمَّ أُخْرِجَا إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَمَعَهُمَا أَبْنَا مَنْكَلِي بَغَا فَسُجِنَا بِهِمَا .

وَأَمَّا صَرِغْتَمُشُ فَإِنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ أَمْرِ مُغَلَطَايَ وَمَنْكَلِي بَغَا وَقَبِضَ عَلَيْهِمَا،
 أَقْبَلَ عَلَى السُّلْطَانِ بِمَنْ مَعَهُ بَقْبَةُ النَّصْرِ، وَعَرَفَهُ بِمَسْكِ الْأَمِيرِينَ، فَسَرَّ السُّلْطَانُ سُرُورًا
 كَبِيرًا، وَنَزَلَ هُوَ وَالْأَمْرَاءُ وَبَاتُوا بِقُبَّةِ النَّصْرِ، وَرَكِبَ السُّلْطَانُ بُكْرَةً يَوْمَ السَّبْتِ
 ثَالِثَ شَهْرِ رَجَبٍ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَجَلَسَ بِالْإِيْوَانِ وَهَتَّوْهُ بِالسَّلَامَةِ وَالظَّفَرِ، وَفِي
 الْحَالِ كُتِبَ بِإِحْضَارِ الْأَمِيرِ شَيْخُونِ، وَخَرَجَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ بِمَالِكِهِمْ إِلَى لِقَائِهِ،
 وَنَزَلَتْ الْبَشَائِرُ إِلَى بَيْتِ شَيْخُونِ، وَبَيْتِ بَيْيَا أُرْسُ وَبَيْتِ مَنَجَكِ الْيُوسُفِيِّ الْوَزِيرِ،
 فَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا، وَبَاتَ الْأَمْرَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى تَخَوُّفٍ .

وَأَمَّا شَيْخُونُ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الرُّسُولُ بِإِطْلَاقِهِ أَوَّلًا، خَرَجَ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَهُوَ
 ضَعِيفٌ، وَرَكِبَ الْحَزَاقَةَ، وَفَرَّحَ أَهْلُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ لِخُلَاصِهِ، وَسَافَرُوا فَوَافَاهُ كِتَابُ

(١) بالبحث تبين لنا أن هذا البيت كان بجوار جامع آل ملك بالحسينية . وقد سبق التعليق عليه في الحاشية

رقم ٣ ص ٢٠٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) في السلوك « محمد بن ملكشمر الحاجب » .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٨٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية

رقم ٤ ص ٢٠٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٥) رواية السلوك : « وخرج جماعة من

الأمرء وعالجه إلى لقائه ... الخ » .

الأمير صرغتمش بأنه إذا أتاك أيّدمر بناية حماة، لا ترجع وأقبل إلى القاهرة فانا
وطازمك؛ فلما قرأ شيخون الكتاب تغير وجهه، وعلم أنه قد حدث في أمره شيء،
فلم يكن غير ساعة، حتى لاحت له حرافة أيّدمر، فز شيخون وهو مقلع وأيّدمر
متحدر إلى أن تجاوزوه، وأيّدمر يصبح ويُسِير بمَنذِلِه إليه فلا يلتفتون إليه، فأمر
أيّدمر بأن تُجهز مركبُه بالقلع، وترجع خلف شيخون، فأتجهز قلع مركب أيّدمر
حتى قطع شيخون بلادا كثيرة، وصارت حرافته تسير وأيّدمر في أثرهم فلم يدركوه
إلا بكرة يوم السبت، فعند ما طلع إليه أيّدمر وعرفته مارسم به، من عوده إلى
حماة، وقرأ المرسوم الذي على يد أيّدمر برجوعه إلى نياحة حماة، وإذا بالخليل يتبع
بعضها بعضا، والمراكب قد ملأت وجه الماء تُبادر لِبشارته وإعلامه بما وقع
من الركوب ومسك مقلطاي ومَنكَلِي بقاء، فسَرَ شيخون بذلك سرورا عظيما، وسار
إلى أن أرسى بساحل بولاق في يوم الأحد رابع شهر رجب، بعد أن مشت له
الناس إلى منية الشيرج، فلما رآوه صاحوا ودعوا له وتلقته المراكب، ونحج الناس
إلى الفرجة عليه، حتى بلغ كراء المركب إلى مائة درهم، وما وصلت الحرافة
إلا وحولها فوق ألف مركب، وركبت الأمراء إلى لقائه وزينت الصليبة وأشعلت
الشموع، ونحجت مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه، فسار في مركب لم ير مثله
لأمير قبله، وسار حتى طلع القلعة وقبل الأرض بين يدي السلطان الملك الصالح،
فأقبل عليه السلطان وخلع عليه تشريفا جليلا، وقلع عنه ثياب السجن، وهي

(١) رواية السلوك: «لم يكن غير ساعتين ... الخ» . (٢) في ف: «كثيرا» .

(٣) المقصود بهذا الساحل شاطئ النيل تجاه بولاق . ومكانه اليوم شارع المطبة الأهلية ببولاق

٢٠ أحد أقسام مدينة القاهرة . (٤) هكذا في الأصلين . «حجارة السلوك:» وخلع عنه ثياب

السجن واللبسه تشريفا جليلا ونحج إلى منزله ... الخ» .

(١١) ملوطة طرح محتر . ثم نزل إلى منزله والتهانى تتلقاه . ودام الأمر على ذلك إلى يوم الأربعاء سابع شهر رجب رُسم ، بإخراج الأمير بَيْفَا أُرْس حارس طير نائب السلطنة بالديار المصرية فالأمير بَيْفَا ، فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسنية وبه كان سكن بيففا المذكور ، وأُخرج منه ليسير من مصر إلى نيابة غزّة ، وأُخرج

- ٥ (١) الملوطة كسفودة : فباء واسع الكين طولهما عامة جمعه ملايط وهى دخيلة على اللثة العربية إذ أصلها اليوناني المنوت (Menoût) الذى ذكره ابن بطوطة فى رحلته لبلاد أربك خان ، فى الجزء الثانى صفحة ٣٨٨ من رحلته طبع أوروباً ، وقد استعملت فى القبطية من زمن بعيد . وكانت لباساً قومياً فى عصر المماليك تصنع من الحرير الخالص (المحزور) وتضرب وترزّر ، تلبس فوق الشاية على البدن واللباس فى الأرجل ، وكانت قصيرة أشبه ما تكون بالنصف الأعلى من (البيجامة) المروفة اليوم .
- ١٠ وقد أختفت من الملابس الرسمية بدخول السلطان سليم مصر سنة ٩٢٢ هـ قال ابن إياس فى الجزء الثالث من تاريخه ص ١١٤ : وقبض على طومان باى بالبحيرة وهو لابس لبس العسب الموزارة وعلى رأسه زنط وعليه شاش وعلى بدنه ملوطة بأكام طوال ، وقال : وقد شق على باب زويلة وعلى بدنه شابة جوخ أحمر وفوقها ملوطة بيضاء بأكام كبار وفى رجله لباس من جوخ أزرق ، وقال فى صفحة ١٣٧ من الجزء نفسه : وظهر المماليك الشراكسة (أى بمسد الفتح العثمانى) بلبسون الزنوط الحر والملايط على عادتهم ولا يتركون زى العثمانية ، وطلع الأمير أرزبك الناشف أحد الأمراء المقدمين القلعة وعليه مندبل الألوان ، وكان لما طلع لباساً زى العرب وعليه زنط وشاش وملوطة بأكام كبار ، فألبسه خاير بك نفطاً ناعماً قاسح وألبسه عمامة عثمانية ، إلى أن قال فى صفحة ١٤٢ : وقد صار الأمراء الشراكسة الذين ظهروا كلهم بقطعات مخملة وبعضهم بقطعات جوخ أسود وطراير وعليهم عمام مذكورة ، وفى أرجلهم سقمات جلد فى زى العثمانية وأخطاط العثمانية مع الجراكسة حتى صار لا يعرف هذا من ذاك إلا فى شىء واحد ، الجراكسة بلقون والعثمانية بغير ذقون ... الخ .
- ٢٠

ولئن كانت الملوطة أختفت من الأزياء الرسمية فقد بقيت عند عامة أهل مصر لمهد السيد مرتضى الزبيدى شارح القاموس المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ والذى عرفها بأنها فباء واسع الكين ، كما تقدّم فى أول الكلام .

- وقد عرفها المرحوم أحمد تيمور باشا المتوفى فى نهاية سنة ١٣٤٨ هـ فى كتابه معجم الألفاظ العامة المصرية بقوله : « الملوطة وقد يقولون القلوطة شىء كالتقاء أو القميص لكنه قصير مسدود الصدر يليه نحو الخالين فى سكة الحديد وغيرها ليكون أخف لهم ولبسونه على الجلباب » . انتهى بحروفه .
- ٢٥ انظر رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٣٨٨ طبع أوروباً . وانظر تاريخ ابن إياس ج ٢ ص ١٣٨ وما بعدها رج ٣ ص ١١ وما بعدها طبع بولاق . وانظر شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدى مادة « ملط » . وانظر معجم الثياب ومعجم الألفاظ العامة المصرية للمرحوم تيمور باشا .

بَيَّعُوا من الحُمام إخراجاً عنيفاً لِيَتَوَجَّهَ إلى حلب ، فَوَجَّبا من فورهما وسارا . ثم رُسم بإخراج الأمير أَيَّدُغْدَى الأمير آخور إلى طرابُلُس بَطْلالا ، وكتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك .

وفي يوم السبت عاشره ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة، وَلَبَّ فيه بالكرة ، فكان يوما مشهودا .

ووقف الناس للسلطان، في الفار الضامن، ورفعوا فيه مائة قصَّة فقبُض عليه، وضربه الوزير بالمقارع ضربا مبرِّحا وصادره، وأخذ منه مالا كثيرا .
وفيه قبُض على الأمير بَيَّنْفَا^(١) طَطَّر المعروف بحارس طير نائب السلطنة المتوجه إلى نيابة غزّة في طريقه، وسجن بالإسكندرية .

وفي يوم الأحد حادى عشره وصل الأمراء من سجن الإسكندرية وهم سبعة نفر : مَنجَك اليوسفى الوزير وفاضل أخو بَيَّنْفَا أُرْس وأحمد الساق نائب صفد وعمر شاه الحاجب وأمير حسين التترى وولده، والأمير محمد بن بَكْتُمُر الحاجب . فركب الأمراء ومقدمهم الأمير طاز ، ومعه الخيول المجهزة لركوبهم ، حتى لقيهم وطلع بهم إلى القلعة، فقبلوا الأرض وخلع السلطان عليهم، ونزلوا إلى بيوتهم فأمتلأت التاهرة بالأفراح والتهاني، ونزل الأمير شَيخُون والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى السطبلاتهم ، وبعثوا إلى الأمراء القادمين من السجَن التقادم السّنية من الخيول والتماعى الفماش والبُسُط وغيرها، فكان الذى بعثه شيخون لمنجك خمسة أفراس ومبلغ ألفى دينار، وقس على هذا .

ثم في يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب خلع على الأمير قَبَلَاى الحاجب وأستقر في نيابة السلطنة بالديار المصرية ، عوضا عن بَيَّنْفَا طَطَّر حارس طير .

(١) رواية السلوك : « وفيه قبض على الفار بن بَيَّنْفَا طَطَّر في طريقه وسجن بالإسكندرية » .

- وفي يوم الخميس خامس عشر شهر رجب قدم الأمير ببيغا أرُس من سجن الكرك، فركب الأمراء إلى لقائه، وطلع إلى السلطان وقبل الأرض وخُلع عليه ونزل إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له تَقْدِمة تليق به .
- ثم في يوم الاثنين تاسع عشره خلع على الأمير ببيغا أرُس واستقر في نيابة حلب عوضا عن أرغون الكامل واستقر أرغون الكامل في نيابة الشام، عوضا عن أيتمش الناصري، وخُلع على أحمد الساق شاذ الشراب خاناه كان، بناية حماة عوضا عن طنيرق، ورسم لطريق أن يتوجه إلى حلب أمير طبلخاناه بها . ثم رُسم بأن يكون بطلا بدمشق، وسافر ببيغا أرُس وأحمد الساق بعد أيام إلى محل كفاتهما ثم سأل الأمير منجك الإغفاء عن أخذ الإمرة، وأن يقعد بطلا بإجماعه، فأجيب إلى ذلك
- (١) في م : « كفالتهم » . (٢) هذا الجامع ذكره المقرئ في خطه باسم جامع منجك (ص ٣٢٠ ج ٢) فقال : إن موضعه يعرف بالثغرة تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير . أنشأه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي في مدة وزارته بديار مصر في سنة ٧٥١ هـ وبني فيه صهريج فصار يعرف بصهريج منجك، ورتب فيه صوفية وقرر لم طعاما يوميا ووقف عليه أراضي ناحية بلقنة بالقرية . وأقول : إن هذا الجامع لا يزال قائما عامرا بإقامة الشعائر الدينية فيه، ويسميه العامة جامع المنشكة وهو داخل درب المنشكة المتفرع من شارع باب الدواع بجري القلعة بالقاهرة .
- والظاهر أن الأمير منجك بدأ بعمارة هذا الجامع في سنة ٧٥٠ هـ بدليل لإثبات هذا التاريخ على باب المنبر ثم أتم عمارة في سنة ٧٥١ كما ذكر المقرئ أن منذنة هذا المسجد من المآذن التي تسترعى الأنظار بزخرفها وجمال شكلها، وكان الجزء العلوي منها قد تهدم فأعادت إدارة حفظ الآثار العربية بناءه في سنة ١٩٤١ فادت المنذنة كما كانت، وبهذا الجامع منبر جميل دقيق الصنع، قامت إدارة حفظ الآثار باصلاح ما تلف من حشواته الدقيقة في سنة ١٩٤٤ فعاد للنبر رونقه الجميل .
- وما يلاحظ الآن أن الجامع منفصل عن منذنته ثم عن دورة المياه، وهذه كذلك منفصلة عن المنذنة، والمفروض أن هذه المجموعة يجب أن يجمعها بناء واحد، وبالبحت عن سبب هذا الانفصال تبين لي أن الأمير منجك كان قد أنشأ خانقاه تجاه هذا الجامع كما ذكر المؤلف في حوادث سنة ٧٧٦ هـ من هذا الكتاب عند الكلام على وفاة الأمير منجك، وأن دورة المياه كانت ضمن بناء الخانقاه كما أن المنذنة كانت متصلة بها، وأن الخانقاه قد خربت ولم يبق من مبانيها إلا المنذنة التي لا تزال قائمة وحدها إلى اليوم أمام باب الجامع، وكذلك دورة المياه كما نشاهدنا الآن . والظاهر أن الأمير منجك بنى هذه الخانقاه تجاه جامعهم مقلدا في ذلك الأمراء : بشنك الناصري، وقوصون الساق وشيخون الناصري . وأما الصهريج (خزان الماء) فلا يزال باقيا في وسط الجامع وتكلمنا عليه في الحاشية رقم ٢ ص ٣١٧ من هذا الجزء .

بسفارة الأمير شيخون، وأسترد أملاكه التي كان أنعم بها السلطان على الممالك والخدام والجواري، ورم ما تشعت من صهر يجه وأستجذ به خطبة. ثم خلع السلطان على عمر شاه وأستقر حاجب المحباب عوضا عن قبلاى المتقل إلى نيابة السلطنة بديار مصر، وأنعم على طشتمر القاسمي بتقدمة ألف، وأستقر حاجبا ثانيا وهي تقدمه يتفرا. وفيها أخرج جماعة من الأمراء وفرقوا بالبلاد الشامية، وهم: الأمير طينال الجاشنكير وآقبا الحموي الحاجب ومليكتمر السعدى وقطلوبغا أخو مغلطاي وطشباغ الدودار.

وفي يوم السبت تاسع شعبان وصل الملك المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك، فخلع عليه من الغد ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب^(٣)، وبعث إليه الأمراء بتقايد كثيرة وتوجه إلى بلاده. وكانت أمته قد رجعت من مكة إلى اليمن بعد مسكه وأقامت في مملكة اليمن الصالح وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بأنها المجاهد وأن يقروضوه ما يحتاج إليه، وختمت على أموالهم من صنف المتجر بحدن وتميز وزبيد، فقدم قاصدها، بعد أن قبض على المجاهد ثانيا ويمن بالكرك، بعد أن كان رسم له الملك الناصر حسن بالتوجه إلى بلاده، لأمر بدا منه في حق السلطان في الطريق، فكتب مسفره يعرف السلطان بذلك. انتهى.

ثم في يوم الاثنين ثاني عشر شعبان، وصل إلى القاهرة الأمير أيتمش الناصري المعزول عن نيابة الشام، فقبض عليه من الغد.

ثم قدم الشريف نقبة صاحب مكة في مستهل شهر رمضان بعد ما قدم قوده وقود أخيه عجلان، فخلع السلطان عليه بإمرة مكة بمفرده، وأقرض من الأمير

(١) في بعض المصادر: «السعدى» . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) عيذاب كانت ثغرا من ثغور مصر القديمة على البحر الأحمر . سبق التليق طلبا في الحاشية رقم ٢ ص ٦٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

- طاز ألف دينار ، ومن الأمير شيخون عشرة آلاف درهم ، وأقترض من التجار مالا كثيرا ، وأشترى الخيل والممالك والسلاح وأستخدم عدة أجناد ، ورسم بسفر الأمير حسام الدين لاجين العلاني مملوك آقبغا الجاشنكير محبته ليقلده إمرة مكة . ثم سافر الأمير طيئبا المجدى في خامس شوال بالبحر والمحمل على العادة ، وسار الجميع إلى مكة ، ولم يعلم أحد خبر المجاهد صاحب اليمن حتى قدم مبشرا الحاج في مستهل المحرم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وأخبر بوصول الملك المجاهد إلى ممالك اليمن في ثامن عشر ذى الحجة من السنة الماضية ، وأنه أستولى على ممالكه .
- وفي شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين ، وسبعمائة شرع الأمير طاز في عمارة قصره^(١)

- (١) هذا القصر ذكره المقرئ في خطه باسم دار طاز (ص ٧٢ ج ٢) فقال : إن هذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية بمجاة حمام القاراني على يمنة من سلك من الصليبية يريد حدة البقر وباب زويلة ، أنشأها الأمير سيف الدين طاز في سنة ٧٥٣ هـ وكان موضعها عدة مساكن هدمها ؛ وتولى الأمير منجك اليوسفي عمارتها ، حتى مكثت في سنة ٧٥٤ هـ بغوات قصرا مشيدا وإصطبلا كبيرا . ثم قال : وهي باقية إلى يومنا هذا ، يسكنها الأمراء .
- وأقول : إن هذه الدار لا تزال باقية إلى اليوم ، وتعرف باسم مدرسة السيوفية بشارع السيوفية بالقاهرة ، وبها اليوم من مبانيها الأصلية بابها الكبير بشارع السيوفية وبابها الشرق الصغير بدرب الشيخ خليل (حارة الميضة) بدعليزه وحواصله السفلى ، وبها بالدور العلوى قاعة كبيرة مزخرفة تضرب بوجهها البحرية على حوش الدار وبجوارها قاعة صغيرة ، كذلك بالدور الثالث قاعة صغيرة من البناء الأصل لهذه الدار .
- وفي سنة ١٠٨٨ هـ أجرى الأمير على أغا دار السعادة عمارة كبرى في هذه الدار ، وجدده مقعدها الكبير المشرف على الحوش ، وكذلك وجهتها الغربية التي لا يزال باقيها منها الدكاكين المشرقة على شارع السيوفية ؛ وأنشأ في نهاية تلك الوجهة من الجهة القبلية سبيلا ومكتبا لتعليم الأيتام القرآن ولا يزالان قائمين إلى اليوم .

وفي زمن محمد على باشا الكبير جعلت هذه الدار مخزنا للهمات الحربية .

- وفي سنة ١٨٧٢ م صدرت إرادة سنية من الخديوى إسماعيل بفتح مدرسة للبنات فاستأجرت نظارة المعارف هذه الدار من ناظر الوقف وجددت الدور العلوى الذى يعلو الدكاكين التي بشارع السيوفية ، وجعلت الدار مكانا لهذه المدرسة التي عرفت باسم « مدرسة البنات بالسيوفية » وبدأت الدراسة =
- ٢٥

وإصطبله ، تجاه حمام الفارقاني بجوار المدرسة البندقدارية على الشارع . وأدخل فيه عدة أملاك ، وتولى إعمارته الأمير متبجك ، وحل إليه الأمراء وغيرهم من

== بها من يناير سنة ١٨٧٣ وهي أول مدرسة فتحت في مصر لتعليم البنات ، ولما قلت المدرسة من هذه الدار إلى شارع المبتديان « سميت المدرسة السنية » ولا تزال قائمة إلى اليوم بهذا الاسم .

وقد عملت بهذه الدار عدة عمارات وإصلاحات لصيانتها طول هذه المدة ، وضع لها باب آخر على شارع السيوفية ، وأقيم في حوشها مبان حديثة ذات طابقين لمعاهد العلم التي تزلت بها ، ومنها المدرسة الهندسية ومعاهد أخرى تزلت فيها بصفة مؤقتة ويشغلها اليوم مدرسة الحلبية الثانوية للبنين من سنة ١٩٣٤ م .

(١) هذه الحمام لم يتكلم عليها المقرئ في ضمن حمامات القاهرة ، ولكنه لما تكلم على دار الأمير طاز السابق ذكرها قال : إنها تجاه حمام الفارقاني ، وكذلك لما تكلم في خطته على المدرسة الفارقانية (ص ٣٩٨ ج ٢) قال : إن هذه المدرسة خارج باب زويلة من القاهرة فيا بين حدة البقر وصلية جامع ابن طولون ، وهي الآن بجوار حمام الفارقاني تجاه البندقدارية ، بناها والحمام المجاور الأمير ركن الدين بپرس الفارقاني وهو غير (آق سقر) الفارقاني المنسوب إليه المدرسة الفارقانية بحارة الوزيرية من القاهرة .

وبما أن المدرسة الفارقانية المجاورة لحمام الفارقاني لا تزال باقية إلى اليوم ، وتعرف بجامع على الدين أو على نور الدين الفارقاني بشارع السيوفية ، عند تلاقيه بالنصف الغربي من شارع قره قول المنشية فقد بحثت عن حمام الفارقاني بجوار هذا الجامع ، فبين لي أن هذا الحمام قد هدم من زمن قديم . ومكانه اليوم المنزل رقم ٤٨ وقف على أفندي طلعت بشارع قره قول المنشية . وهذا المنزل بجوار الجامع المذكور من الجهتين الغربية والقبلية ، ويتبعه دكاكين تشرف على شارع السيوفية فيا بين الجامع وبين دار ورة عبادقة باشا فكري . وكان الباب العمومي لهذا الحمام بشارع السيوفية تجاه دار الأمير طاز ، فلما هدم الحمام وأقيم على أرضه مساكن جعل بابه العمومي دكانا من ضمن الدكاكين المشرقة الآن على شارع السيوفية وجعل باب المستودع بابا لا تزل المذكور .

ولما تكلم على باشا مبارك في الخطط التوفيقية (ص ٤٦ ج ٢) على دار الأمير طاز وعلى زاوية الفارقاني (ص ٥٨ ج ٢) قال : إن حمام الفارقاني هي التي تعرف اليوم باسم حمام الأنفي بحارة الأنفي ، في حين أن حمام الفارقاني كانت بجوار المدرسة الفارقانية وكان بابها على الشارع تجاه دار الأمير طاز وقد أندرثت من قديم كما ذكرنا . وأما حمام الأنفي فلا تزال قائمة في الحارة المنخفضة من شارع الصليبة بعيدة من الدار والمدرسة المذكورتين .

(٢) هذه المدرسة ذكرها المقرئ في خطته باسم الخانقاه البندقدارية (ص ٤٢٠ ج ٢) وقد سبق الكلام عليها عند ذكر تربة علاء الدين أيديكين البندقداري في الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

الزخام وآلات العيادة شيئا كثيرا ، وشرع الأمير صرغتمش أيضا في عمارة
إسطنبول^(١) الأمير بدرجك ، بجوار بئر الوطاويط قريبا من الجامع

(١) هذا الإسطنبول هو الذي ذكره المقرئ في خططه باسم دار صرغتمش (ص ٧٤ ج ٢)
فقال : إن هذه الدار بخط بئر الوطاويط بالقرب من المدرسة الصرغتمشية المجاورة لجامع أحمد بن طولون
من شارع الصليبة كان موضعها ساكن فاشتراها الأمير صرغتمش وبنائها قصرا واصطبلًا سنة ٨٧٥ هـ
ثم قال وهذه الدار عامرة إلى يومنا هذا (أي زمن المقرئ) يسكنها الأمراء . وفي سنة ٨٢٧ هـ وقع
الهدم في القصر خاصة .

أقول : ومن هذا الوصف يتضح أن هذه الدار كانت بخط بئر الوطاويط ومشرفة
على شارع الصليبة بالقرب من المدرسة الصرغتمشية ، وبما أن الشارع المذكور لا يزال محفوظا باسمه
والمدرسة الصرغتمشية لا تزال قائمة وخط بئر الوطاويط لا يزال معروفًا بهذا الاسم ، ويدل عليه شارع
بئر الوطاويط ، فقد بحثت في تلك المنطقة عن دار صرغتمش واصطبله فبين لي أن هذه الدار قد اندثرت ،
ومكانها اليوم دار راشد باشا حسنى المعروف بأبي شنب فضة رقم ٩ بشارع الصليبة بالقاهرة وقد آلت
هذه الدار إلى ولده أحمد بك إحسان وهي بالقرب من جامع صرغتمش ويشغلها اليوم كلية الشريعة
الاسلامية أحد أقسام الجامعة الأزهرية .

و يظهر أن هذه الدار كانت آلت في عهد دولة المماليك إلى الملك الأشرف أبي النصر قصوه الفورى
بدليل وجود بقايا من عصره في الزاوية البحرية الشرقية من سور هذه الدار في مدخل حارة الأربعين من
الجهة الغربية وطبعا اسم الملك الفورى .

(٢) تكلم المقرئ في خططه على بئر الوطاويط (ص ١٣٥ ج ٢) فقال . إن هذه البئر أنشأها
الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن القرات المعروف بأبي حنبل ، لينقل منها الماء إلى السج سقايات
التي أنشأها بخط الحمراء وحسبها لجميع المسلمين ؛ فلما طال الأمر وتعبت السقايات التي كانت تحط السج
سقايات بنى فوق البئر المذكورة وتولد فيها كثير من الوطاويط فعرفت ببئر الوطاويط ، ولما أكثر الناس
من بناء الأماكن حول مكان هذه البئر عرفت الخطة إلى اليوم بخط بئر الوطاويط . ثم قال : وهو
خط عامر .

أقول : وقد دل البحث على أن هذا الخط كان يشمل المنطقة التي يحدها اليوم من الغرب جامع
أحمد بن طولون ومن الجنوب درب البرازيل ، ومن الشرق حارة الأربعين ومن الجنوب شارع الصليبة ؛
وكانت هذه المنطقة يحترقها شارع بئر الوطاويط من الشمال إلى الجنوب ، ولأن المباني التي كانت واقعة
بين هذا الشارع وبين جامع ابن طولون كانت مزاحمة له ومشوكة لوجهة الجامع طلبت إدارة حفظ الآثار
العربية كشف هذه الوجهة وإزالة المباني المذكورة . وفي سنة ١٩٢٥ أزيلت مصلحة التنظيم تلك
المباني وأقامت في مكانها منزها عاما أصبح فاصلا بين الجامع وبين طريق شارع بئر الوطاويط ، وأطلق
عليه ميدان أحمد بن طولون .

الطولوني^(١) وحل إليه الناس أيضا شيئا كثيرا من آلات العمارة . ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش المذكور ، واستقر رأس نوبة كبيرا ، في رتبة الأمير شيخون باختيار شيخون ، وجعل إليه التصرف في أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم ، ما عدا مال الخاص ، فإن الأمير شيخون يتحدث فيه ، قاصد الناس صرغتمش لفضاء أشغالهم ، وكثرت مهامه ، وعارض الأمراء في جميع أفعالهم ، وأراد ألا يعمل شيء إلا من بابه وبإشارته ، فإن تحدث غيره غضب وأبطل ما تحدث فيه وأحرق بصاحبه ، فأجمع الأمراء باستبداد السلطان بالتصريف ، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة ، فطال صرغتمش واستطال وعظم ترفعه على الناس ، فتكررت له الأمراء وكثرت الأراجيف بوقوع فتنة ، وإعادة الملك الناصر حسن ومسك شيخون ، وصاروا الأمراء على تحوز واستعداد ، فأخذ صرغتمش في التبرؤ مما رُمي به ، وحلف للأمير شيخون وللأمير طاز ، فلم يصدق طاز وهم به ، فقام شيخون بينهما قايما كبيرا ، حتى أصلح بينهما ، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش فركب إليه وتصافيا .

١٥ = وبما أن المؤلف قال : إن إسطل الأمير بدرجك الذي عمره الأمير صرغتمش دارا له يقع بجوار بر الوطاط يط قريبا من الجامع الطولوني ، وبما أن تلك الدار مكانها اليوم منزل راشد باشا حسنى رقم ٩ بشارع الصليبية السابق التعليق عليها في الحاشية السابقة قد بحثت عن مكان بر الوطاط يط بجوار تلك الدار ، وإلى أوجه أنها كانت في المنزل رقم ٢٩ ميدان أحمد بن طولون ، وهو وقف الشيخ عبد الرزاق القاضي وهذا المنزل يجاوره من الجهة الشرقية منزل راشد باشا حسنى الذى حل محل إسطل الأمير بدرجك المجاور لبر الوطاط يط كما ذكر المؤلف . وعلينا من كبار السن المقيمين بمنزل وقف الشيخ عبد الرزاق القاضي وهو من الأماكن الأثرية بأنه كان يوجد بهذا المنزل بر قديمة وردت .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة

وفي هذه الأيام من سنة ثلاث وخمسين رتب الأمير شيوخون في الجامع الذي أنشأه العلامة أكل الدين محمد الرومي الحنفى مدرسا ، وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الرومي الحنفى ، وجعل به درسا لالكية أيضا وولى تدريسه نور الدين السخاوى المالكي ، وقدر له ثلثائة درهم كل شهر ورتب به قراء ومؤذنين وغير ذلك من أرباب الوظائف ، وقدر لهم معاليم بلغت في الشهر ثلاثة آلاف درهم .

قلت : ذلك قبل أن تُبنى الخانقاه نجاء الجامع المذكور .

وفي عاشر جمادى الآخرة خلع السلطان على الأمير شيوخون العمري واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن صرغتمش لأمر اقتضى ذلك ، وعند لبس شيوخون الخلع قدم عليه الخبر بولادة بعض سراريه ولدا ذكرا ، فسره سرورا زائدا ، فإنه لم يكن له ولد ذكر .

وفي هذه الأيام أذعى رجل النبوة ، وأن معجزته أن ينحج امرأة تليد من وقتها ولدا ذكرا ينحبر بصحة نبوته ، فقال بعض من حضر : إنك لبئس النبي ، فقال :

(١) هذا الجامع تكلم عليه المقرئ في خطبته باسم جامع شيوخون (ص ٣١٢ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بسوقه منعم فيما بين الصلبة والزنبلة تحت قلعة الجبل ، أنشأه الأمير الكبير سيف الدين شيوخون الناصري رأس نوبة الأمراء في سنة ٧٥٦ هـ وجعل فيه خطبة وعشرين صوفيا ، ثم لما عمر الخانقاه نجاء الجامع نقل الصوفية إليها وزاد عدتهم . ثم قال : وهذا الجامع من أجل جوامع ديار مصر . وأقول : إن ما ذكره المقرئ من أن هذا الجامع أنشئ في سنة ٧٥٦ هـ لا يتفق والواقع ، فإن هذا التاريخ هو تاريخ بناء خانقاه شيوخون الواقعة نجاء هذا الجامع ، وقول المقرئ : من أجل جوامع ديار مصر ينطبق كذلك على الخانقاه وليس على الجامع المذكور .

وأما هذا الجامع فإنه أنشئ في سنة ٧٥٠ هـ ويؤيد ذلك أنه يوجد في نهاية طراز الوجهة المصمية للسجدة مكتوبة مذكور فيها : « وكان الفراغ من ذلك الجامع في شهر رمضان المعظم سنة خمسين وسبعمائة » وفي سنة ٧٥٣ هـ رتب فيه شيوخون المدرسين كما ذكر المؤلف .

وهذا الجامع لا يزال باقيا إلى اليوم تنقسم فيه الشعائر الدينية ويعرف بجامع شيوخون البحري لوقوعه نجاء الخانقاه التي تعرف اليوم بجامع شيوخون القليل ويفصل بينهما شارع شيوخون بقسم الخليفة بالقاهرة .

لكونكم بشئ الأمة، فضحك الناس من قوله، فحُيِسَ وكُشِفَ عن أمره، فوجدوا له نحو آتني عشريوما من حين خرج من عند المهانين .

وفي يوم الأربعاء عاشر شهر رجب قَدِمَ كتاب الأمير أرغون الكامل نائب الشام يتضمن أنه قُبِضَ على قاصد الأمير منجك الوزير بكتابه إلى أخيه بيغا أُرُس نائب حلب يحسن، له الحركة والعصيان، وأرسل الكتاب وإذا فيه أنه اتفق مع سائر الأمراء، وما بيني إلا أن يركب ويحوزك، فأقتضى الرأي الثاني حتى يحضر الأمراء والنائب إلى الخدمة من الغد، ويُقرأ الكتاب عليهم ليدبروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق، فلما طَلَعَ الجماعة من الغد، إلى الخدمة لم يحضر منجك، فطُلب فلم يوجد، وذكر حواشيه أنهم من عشاء الآخرة لم يَعْرِفُوا^(١) خبره، فركب الأمير صَرَغْتَمِش في عتة من الأمراء وكهس بيوت جماعته فلم يَقَعْ له على خبر، وتفقّدوا ممالিকে ففَقِدَ منهم آثان، فنوّدَى عليه من القاهرة، وهُدِّدَ من أخفاه وأُخرج عيسى ابن حسن المهجان في جماعة من عرب العائذ على النُجُب لأخذ الطرقات عليه، وُجِبَ إلى العربان وتُؤَاب الشام وولاة الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله فلم يقدروا عليه، وكهست بيوت كثيرة .

ثم في يوم الأربعاء رابع عشرين شهر رجب قَدِمَ الخبر بعصيان الأمير أحمد الساق نائب حماة وبعصيان الأمير بكتكش نائب طرابلس .

وفي يوم السبت سابع عشرين، كُتِبَ بإحضار الأمير بيغا أُرُس نائب حلب إلى الديار المصرية، وكُتِبَ ملطفات لأمراء حلب تتضمن أنه : إن أمتنع من الحضور فهو معزول، ورُسِمَ لحامل الكتاب أن يُعْلِمَ بيغا أُرُس بذلك مشافهةً بحضرة أمراء حلب .

(١) في ف : « لم يعرف له خبر » .

فقدم البريد من الشام بموافقة ابن دُلغادر الى بيضا أرس وأنه تسلطن بحلب، وتلقب بالملك العادل وأنه يريد مصر لأخذ غُرمائه، وهم طاز وشيخون وصَرغتمش وبُزْلاز وأرغون الكامل نائب الشام، فلما بلغ ذلك السلطان والأمراء رَسَمَ للنائب بَعْرَضَ أجناد الحلقة، وتعين مضافيهم من عبدة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها ليسافروا .

- ثم قَدِمَ البريد بأن قَرَّاجًا بن دُلغادر، قَدِمَ حلب في جَمْعٍ كبير من التُرُكَّان، فركب بيضا أُرْس وتلقاه، وقد واعد نائب حماة وطرابلس على مسيره أوّل شعبان الى نحو الديار المصرية، وأنهم يلقوه على الرستن^(١)، فأمر السلطان الأمير مُطَقَّطَاي الدَّوَادار بالخروج الى الشام على البريد وعلى يده ملطقات لجميع أمراء حلب وحماة وطرابلس، فسار طقطاي حتى وصل دِمَشْقَ وبعث بالملطقات الى أصحابها، فوجد أمر ١٠ بيضا أرس قد قَوِيَ، ووافقه التواب والعساكر وابن دُلغادر بترُكَّانه، وحيار بن مُهنا بَعْرَبانه، فكتب نائب الشام بأن سفر السلطان لا بد منه، وإلا خرج عنكم الشام جميعه، فاتفق رأى أمراء مصر على ذلك، وطلب الوزير ورعهم له بتهيئة بيوت السلطان، وتجهيز الإقامات في المنازل، فذكر أنه ما عنده مال لذلك، فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجار، فطلب تجار الكايم وباعهم غلالا من الأهراء بالسعر ١٥ الحاضر، وعدة أصناف أُنحر، وكتب لمُطَقَّطَاي بالإسكندرية، وأخذ منه أربعمائة

(١) ذكرها أبو الفداء إسماعيل في كتابه تقويم البلدان فقال : « ومن الأماكن القديمة المشهورة مدينة الرستن، وكانت عامرة في قديم الزمان، وهي اليوم (عصر أبي الفداء) خراب وبها بيوت كالقرية وآثار الهارة والجدردان وبعض المقود بها ظاهر، وكذا بعض أبواب المدينة وأسوارها وبقاياها . وهي في جنوب نهر العاصي على جبل أكثره تراب، سطحها في المنتسب الآخذ الى حمص وهي بين حمص وحماة . ويقال : إنها خراب من زمن فوج الشام » . (٢) هو حيار بن مهنا بن موسى بن مهنا أمير آل فضل . مات بنواحي سلبية في سنة ٧٧٦ هـ (عن المنهل الصافي ج ٢ ص ٥١ د ب) .

ألف درهم، وأخذ من النائب مائة ألف درهم قرضاً، ومن الأمير بلبان الأستادار مائة ألف درهم، فلم يمض أسبوعٌ حتى جهز الوزير جميع ما يحتاج إليه السلطان.

ونخرج الأمير طاز في يوم الخميس ثالث شعبان، ومعه الأمير بزلار والأمير كلثا والأمير فارس الدين ألبكي. ثم خرج الأمير طيغما المجدى وابن أرغون النائب

وكلاهما مقدم ألف في يوم السبت خامس شعبان ونخرج الأمير شيخون الممري في يوم الأحد سادسه بتجمل عظيم، فبينما الناس في التفرج على طلبه إذ قيل قبض

على منجك اليوسفى، وهو أن الأمير طاز لما رحل ووصل الى بلبس قيل له : إن بعض أصحاب منجك محبة شاورشى مملوك قوصون، فطلبهما الأمير طاز ولخص

عن أمرهما فراه أمرهما، فأمر بالرجل فقُتس فإذا معه كتاب منجك لأخيه بيضا أُرُس، يتضمن أنه قد فعل كل ما يختاره، وجهز أمره مع الأمراء كلهم، وأنه

أخفى نفسه وأقام عند شاورشى أياماً ثم خرج من عنده الى بيت الحسام الصقري أستاذاره وهو مقيم حتى يعرف خبره، وهو يستحثه على الخروج من حلب،

فبعث به طاز الى الأمير شيخون، فوافى الاطلاب خارجة، فطلب شيخون الحسام الصقري وسأله فانكر، فأخذه الأمير صرغتمش وعاقبه. ثم ركب الى بيته بجوار

الجامع الأزهر وجمعه فاذا منجك ومملوكه، فأخذه صرغتمش وأركبه مكتوف اليدين الى القلعة، فسير من وقته الى الاسكندرية فحبس بها.

ثم ركب السلطان الملك الصالح من قلعة الجبل في يوم الاثنين سابع شعبان في بقية الأمراء والخاصية ونزل الى الريذانية خارج القاهرة وخلص على الأمير

قُبلاى نائب الغيبة باستقراره نائب الغيبة ورتب أمير على الماردى أن يُقيم

(١) رواية السلوك : « وسبب ذلك أن الأمير طاز ... الخ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من هذا الجزء .

بالقلعة ومعه الأمير كُثُلِي السِّلَاح دار لِيُقِيمَا داخل باب القلعة ، ويكون على باب القلعة الأمير أُرْنَان والأمير قُطْلُوْبَغَا الذهبي ورَتَّب الأمير مجد الدين مومى الهذباني مع والى مصر لحفظ مصر . ثم استقلَّ السلطان بالمسير من الريدانية في يوم الثلاثاء بعد الظهر .

- فَقَدِمَ البريد بأنَّ الأمير مُغَلَطَاي الدوادار خرج من دِمَشْق يريد مصر وأنَّ الأمير أُرغُون الكامل^(١) نائب الشام لما بلغه خروج بييغا أُرْس بمن اجتمع معه من العساكر، عزم على لقائه فبلغه مخامرة أكثر أمراء دمشق فاحترس على نفسه وصار يجلس بالميدان وهو لا لبسَ آلة الحرب . ثم اقتضى رأى الأمير مسعود بن خَطِير أنَّ النائب لا يَلْقَى القوم ، وأنه يُنادى بِالْعَرَض لِلنَّفَقَةِ بالكسوة فإذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكسوة ، منعهم من عبورهم الى دمشق وسار بهم الى الزمالة في انتظار
- ١٠ قدوم السلطان، وأنه استصوب ذلك وفعله ، وأنه مقيم بعسكر دِمَشْق على الرملة ، وأنَّ الأمير أَلْطُبُغَا بُرْناق نائب صفد سار الى بييغا أُرْس وأن بييغا أُرْس سار من حلب الى حماة واجتمع مع نائبها أحمد الساق وبَكَلْشُش نائب طرابُلُس ، وسار بهم الى حِمص ، وعند نزوله على حمص وصل إليه مملوكا الأمير أرقطاي بكتاب السلطان ليحضر قَبْضَ عليهما وقيدَهما وسار يريد دمشق فبلغه مسيرُ السلطان واشتهر ذلك في عسكره وأنه عَزِلَ عن نيابة حلب فانحلت عزائم كثير من معه من المقاتلة ، وأخذ بييغا أُرْس في الاحتفاظ بهم والتحرز منهم الى أن قَدِمَ دمشق يوم الخميس
- ١٥ خامس عشرين شهر رجب ، فاذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة ، فبعث الى

(١) راجع الحاشية رقم ١٣ ص ١٥٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين : « ملوك الأمير أرقطاي » . والتصويب عن السلوك .

(٣) في الأصلين : « يوم السبت » وتصويبه عن السلوك والتوفيقات الإلهامية .

الأمير إياحي نائب قلعها بأمره بالإفراج عن قردم وأن بفتح أبواب المدينة،
 ففتح أبواب المدينة ولم يُفْرَج عن قردم فركب الأمير أحمد الساقى نائب حماة وبكلمش
 نائب طرابلس من الغد ليُغِيرَا على الضَّيَاع فوافى بعضُ عسكر بيغا أُرُس نجاباً يُخْبِر بِمَسْكَ
 منجك ومسير السلطان من خارج القاهرة، وعاد أحمدو بكلمش في يوم الاثنين رابع
 عشر شعبان وقد نزل طاز بن معه المزرب فارتج عسكرُ بيغا أُرُس وتواعد قرأجا بن
 دلفادر وحيار بن مهنا على الرحيل، فمَّا غَرَبَت الشمس إلا وقد خرجا بأنقالهما
 وأصحابهما وسارا، فخرج بيغا أُرُس في أثرهما فلم يدركهما، وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم
 يستقر قراره، حتى دَقَّت البشائر بقلعة دِمَشق، بأن الأمير طاز والأمير أرغون
 الكاملى نائب الشام وأقبا دِمَشق وأن الأمير شيخون والسلطان ساقه؛ فَبِهَتْ
 بيغا أُرُس وتفترق عنه مَنْ كَانَ معه، فَرَكِبَ عائداً إلى حلب في تاسع عشر شعبان،
 فكانت إقامته بِدِمَشق أربعة وعشرين يوماً، أَفْسَدَ أصحابه بِدِمَشق فيها مفاصدَ
 وقبائح من النهب والسبى والحريق والغارات على الضَّيَاع من حلب إلى دِمَشق
 وفعلوا كما فعل التتار أصحاب قازان وغيره، فبعث السلطان الأمير أَسَدْمَرُ العلانى
 إلى القاهرة بالإشارة قَدِمَها يوم الجمعة خامس عشرين شعبان، ودَقَّت البشائر لذلك
 وَزُيِّنَتْ القاهرة

وأما السلطان الملك الصالح فإنه أَلْتَقَى مع الأمير أَرْغُون شاه الكاملى نائب
 الشام على بُدْعَرَش من عمل غزّة، وقد تأخر معه الأمير طاز بن معه فدخلوا غزّة،
 وخلع السلطان على أَرْغُون المذكور باستمراره في نيابة دِمَشق، وأَتَمَّ عليه بأربعمائة ألف
 درهم وأنعم على أمير مسعود بن خطير بألف دينار، وعلى كل أمراء دِمَشق كل واحد
 قَدْرُ رَتَبَتِهِ، فكان جملة ما أنفق السلطان فيهم ستمائة ألف درهم، وتقدّم الأمير
 شيخون والأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام إلى دِمَشق وتأخر الأمير صَرْغَتْمَش

صحبة السلطان يدبر السكر ، ثم تبعهم السلطان إلى دمشق فدخلها في يوم الخميس مستهل شهر رمضان ، وخرج الناس إلى لقائه وزُيِّنَت مدينة دمشق ، فكان لدخوله يومٌ مشهود ، ونزل السلطان بقلعة دمشق ، ثم ركب منها في الغد يوم الجمعة ثانية إلى الجامع الأموي في موكب جليل حتى صلى به الجمعة وكان الأمراء قد مضوا في طلب بيغا أرس .

- وأما بيغا أرس فإنه قَدِمَ إلى حلب في تاسع عشرين شعبان ، وقد حُفِرَت خنادق تُجَاه أبواب حلب وعُغِّت وامتنت القلعة عليه ورمته بالحجارة والمجانيق ، وتبعهم الرجال من فوق الأسوار بالزى عليه ، وصاحوا عليه فبات تلك الليلة بمن معه وركب في يوم الخميس مستهل شهر رمضان للزحف على مدينة حلب ، وإذا بصياح عظيم والبشائر تدق في القلعة وهم يصيحون : يا منافقون ، العسكر وصل ، فالتفت بمن معه فإذا صناعق على جبل جوشن^(١) فانهمزوا عند ذلك بأجمعهم إلى نحو البرية ، ولم يكن ما رأوه على جبل جوشن عسكر السلطان ، ولكنه جماعة من جند حلب وعسكر طرابلس كانوا مخففين من عسكر بيغا أرس عند خروجه من دمشق فساروا في أعقابه يريدون الكبتة على بيغا أرس وتعبوا على جبل جوشن فعند ما رآهم بيغا لم يَشْك أنهم عسكر السلطان فانهمز . وكان أهل باقوسا قد وافقوهم^(٢)

(١) هو جبل مطلق على حلب في غربها . في سفحه مقابر ومشاهد الشيعة . وقد أكثر شراء حلب من ذكره كثيرا ، فقال منصور بن المسلم بن أبي الخرجين النحوي الحلبي من قصيدة :

عسى مورد من سفح جوشن نافع * فاني إلى تلك الموارد ظلمات
وما كل ظن ظنه المسر كائن * يحوم عليه للحقيقة برهات

انظر معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ١٥٥) وشرح القاموس مادة « جوشن » .

(٢) قرية من قرى حلب ، سميت باسم جبل باقوسا ، وهو في ظاهر حلب من جهة الشمال (انظر ياقوت ج ١ ص ٤٨٢ وج ٢ ص ٣١١ طبع أوروبا) .

- وتقدموا عنهم فسكروا المضايق على بييغا وأدركهم السكر المذكور من خلفهم فتمزق
عسكر بييغا أُرُس وقد أتعقد عليهم الغبار، حتى لم يُمكن أحد أن ينظر رفيقه فأخذهم
العربُ وأهل حلب قبضاً باليد، ونهبوا الخزائن والأثقال وسلبوهم ما عليهم من آلة
الحرب وغيره ونجا بييغا أُرُس بنفسه بعد أن أمتلأت الأيدي بنهب ما كان معه
وهو شئ، يَجِلُّ عن الوصف، وتبع أهل حلب أسراءه وماليكه وأخرجوهم من عدة
مواضع فظفروا بكثير منهم، فيهم أخوه الأمير فاضل والأمير الطنبغا السلائي شاذ
الشراب خاناه وألطنغا برناق نائب صفد ومليكتمر السعيدى وشادى أخو نائب حماة
وطييفا حلاوة الأوجاقى وأبن أيدغدى الززاق ومهدي شاد الدواوين بحلب وأسنباي
قريب ابن دُلغادر وبهادر الحاموس وقليج أرسلان أستاذار بييغا أُرُس ومائة مملوك
من ممالك الأمراء، فقيّدوا الجميع وسجنوا، وتوجه مع الأمير بييغا أُرُس أحمد الساقى
نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس وطشتمر القاسمى نائب الرجبة وأقبغا البالىي
وطييدمر وجماعة أخر، تبلغ عدّتهم نحو مائة وستة عشر نفرا .
- ثم دخل الأمراء حلب وأخذوا أموال بييغا أُرُس، وكتبوا إلى قرآجا بن دُلغادر
بالعفو عنه والقبض على بييغا أُرُس ومن معه ، فأجاب بأنه ينتظر فى القبض عليه
مرسوم السلطان، وقد نزل بييغا أُرُس عنده، وسأل إرسال أمان ليبيغا أُرُس وأنه
مستمر على امرته ، فجهّزه ذلك فامتنع من تسليمه ، فطلب الأمراء رمضان من
أمراء التركان، وخلع عليه بإمرة قرآجا بن دُلغادر وإقطاعه، وعاد الأمراء من حلب
وأسقتر بها الأمير أرغون الكامل نائب الشام، وعاد الجميع إلى دِمَشق ومعهم الأمراء
المقبوض عليهم فى يوم الجمعة سُلخ شهر رمضان، وصلوا العيد بدِمَشق مع السلطان
الملك الصالح صالح، وأقاموا إلى يوم الاثنين ثالث شوال، جلس السلطان طارمة
قلعة دِمَشق وأخرجوا الأمراء فى الحديد ونودى عليهم : هذا جزاء من يجاهر على

السلطان ويخون الأيمان . ووسطوهم واحداً بعد واحد ، وقد تقدم ذكر اسمائهم عند القبض عليهم فوسط الجميع ، ما خلا ملكتمر السعيدى فإنه أُعيد إلى السجن ، وخلع السلطان على أئتمس الناصرى واستقر في نيابة طرابلس عوضاً عن بكتاش السلاح دار ، وخلع على طنبرق بنيابة حماة عوضاً عن أحمد الساقى ، وعلى الأمير شهاب الدين أحمد بن صبيح بنيابة صقند عوضاً عن الطنبغا برناق .

- ثم صلى السلطان صلاة الجمعة بالجامع الأموى وهو ساج شوال وخرج من دمشق يريد الديار المصرية بأمرائه وعساكره ، فكانت مدة إقامته بدمشق سبعة وثلاثين يوماً وسار حتى وصل القاهرة في يوم الثلاثاء خامس عشرين شوال من سنة ثلاث وخمسين وسبعائة ، ومضى بفرسه على الشق الحريز التي فرشت له بعد أن خرج الناس إلى لقائه والتفرج عليه ، فكان لدخوله القاهرة أمر عظيم لم يتفق ذلك لأحد من إخوانه ، وعند ما طلع إلى القلعة تلقته أمه وجواريه ونثروا على رأسه الذهب والفضة ، بعد أن فرشت له طريقه أيضاً بالشقاق الأطلس الملوثة ، وانتهانى ترفه ، ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهانى .

- وفي قدوم السلطان الملك الصالح يقول العلامة شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة التلمسانى الحنفى تغمده الله برحمته :

الصالحُ الملكُ المعظمُ قَدْرُهُ * تُطَوِّى لَهُ أَرْضَ البعِيدِ النازِحِ
لا تعجبوا من طيِّبها في سَيْرِهِ * فالأَرْضُ تُطَوِّى دَائِماً للصالحِ
ثم عمِلَ السلطان عِدَّةَ مهمَّاتٍ بالقلعة والقصر السلطاني ، وخلع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف .

- (١) في الدرر الكامنة : « السعدى » . (٢) في السلوك : « واستقر في نيابة حلب » .
(٣) في السلوك : « أحمد بن صبح » .

ثم قُبِضَ على الوزير عَلم الدين عبد الله بن أحمد بن زُنْبُور وهو بخلته قريب المغرب ، وسبب ذلك أنه لما فُرِّقَت التشاريفُ على الأمراء ، غَلِطَ الذي أخذ تشريف الأمير صرغتمش ، وذهَلَ إليه بتشريف الأمير بَلْبَانَ السَّنَانِي الأستادار ، فلما رآه صرغتمش تحرك ما عنده من الأحقاد على ابن زُنْبُور المذكور ، وتشمَّرَ غَضَبًا ، وقام من فوره ودخل إلى الأمير شَيْخُون وألقى البُقْعَةَ قدامه وقال : انظرِ فُعل الوزير مِى ، وحَلَّ الشاش وكشف التشريف . فقال شَيْخُون : هذا وقع فيه الغلط فقام صرغتمش وقد أخذه من الغضب شِبُه الجنون وقال : أنا ما أرضى بالهوان ، ولأبَد من القبض عليه ، ومهما شئتُ فَأَفْعَل ، ونخرج فصادف ابن زُنْبُور داخلًا إلى شَيْخُون وعليه الخُلعة ، فصاح في مماليكه خُذوه . ففى الحال نزعوا عنه الخُلعة ، وجروه إلى بيت صرغتمش ، فسجَّنه في موضع مُظلم من داره ، وعزَّل عنه أبنته رزق الله في موضع آخر . وكان قبل دخوله إلى شَيْخُون رتبَ عِدَّة ممالك على باب خزانة الخِصاص ، وباب النحاس وباب القلعة وباب القِرافة وغيره من المواضع وأوصاهم بالقبض على حاشية ابن زُنْبُور وجميع الكُتَّاب ، بحيث لا يدعو أحدا منهم يخرج من القلعة ، فعند ما قُبِضَ على ابن زُنْبُور أَرْتَجَّت القلعة ونحرجت الكُتَّاب ، فقبِضَت ممالك صرغتمش عليهم كلهم ، حتى على شهود الخزانة وكُتَّابها ، وكُتَّاب الأمراء الذين بالقلعة ، وأختلطت الطاعة بمالك صرغتمش وصاروا يَقْبِضُونَ على الكُتَّاب ، ويمضون به إلى مكان ليعزوه ثيابه ، فإن أحترموه أخذوا مَهْمَازَه من رجله ، وخاتمته

(١) في السلوك : « وتميز غضبا » . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) المقصود بهذا الباب باب القِرافة الذى كان بالقلعة ، بدليل ذكره هنا مع أبوابها ، وقول المؤلف : « وأوصاهم بالقبض على حاشية ابن زُنْبُور وجميع الكُتَّاب » ، بحيث لا يدعون أحدا منهم يخرج من القلعة . وقد سبق التعليق على هذا الباب في الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

من إصبعه ، أو يفتدى نفسه منهم بمال يدفعه لهم ، حتى يطلقوه ، وفيهم من اختفى
عند الغلمان ، ففقروا عليه مالا ، وأسترهنوا دوائه ، بحيث إن بعض غلمان أمير
حسين أخى السلطان ، جمع ست عشرة دواة من ستة عشر كتابا ، وأصبح يجيهم
ويدفع لهم أدويتهم . وذهب من الفرجيات والعائم والمتاديل شئ كثير . وساعة
القبص على ابن زنبور ، بعث الأمير صرغتمش الأمير جرجى والأمير قشتمش في عدة
من المماليك إلى دور ابن زنبور بالصناعة بمدينة مصر . وأوقعوا الحوطة على
حريمه ، وختموا بيوت أصهاره وكانت حرمهم في الفرج وعليهن الحلي
والحلل ، وعندهن معارفهن ، فسلب الممالك كثيرا من النساء اللاتي كن في الفرج ،
حتى مكثوهن من الخروج إلى دورهن ، فخرج عاتمة نساء ابن زنبور وبناته ولم تبقى
إلا زوجته فوكل بها ، وكُتِبَ إلى ولاية الأعمال بالوجه القبلى والوجه البحرى
بالحوطة على ماله وزراعته ، وماله من القنود والتواليب وغيرها ، ونرج لذلك
عدة من مقدمى الحلقة ، وتوجه الحسام العلانى إلى بلاد الشام ليوقع الحوطة
على أمواله ، وأصبح الأمير صرغتمش يوم السبت ثامن عشرين شوال ، فأخرج
أبن الوزير ابن زنبور رزق الله بكرة ، وهذده وزل به من داره من القلعة إلى بيته ،
وأخذ زوجته ابن زنبور أيضا وهذدها ، وألقى آبنها رزق الله إلى الأرض ، ليضربه فلم
تصبر ، ودته على موضع المال فأخذ منه خمسة عشر ألف دينار وخمسين ألف درهم .
وأخرج من بئر صندوقه ستة آلاف دينار ومصباغ . وجعله عند الصارم مشد
المائة ستة آلاف دينار ومائة وخمسين ألف درهم ، سوى التحف والتفاضيل

(١) سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة ، وكانت على
النبيل ، وكان الساحل وقت إنشاء الصناعة بمصر يمتد إلى الطريق التى يمر فيها اليوم شارع الديورة شرق
يدان فم الخليج ، حيث كان النيل يجرى قديما . ويستفاد مما ذكر أن دور ابن زنبور كانت في المنطقة
التي يحدها من الغرب شارع الديورة بالقاهرة ، ولا أثر اليوم لشيء من تلك الدور التي ألفت

وثياب الصوف وغير ذلك . وألزم محمد [بن] الكوراني^(١) وإلى مصر بجمعيل بنات
 ابن زنبور، فتودى عليهن، ونقل مافي دُور صهرى ابن زنبور وسُلمًا لثاء الدواوين،
 وعاد صرغتمش إلى القلعة، فطلب السلطان^(٢) جميع^(٣) الكُتاب وعرضهم، فعين موفق^(٤)
 الدين هبة الله [بن إبراهيم] للوزارة وبدر الدين [كاتب يلبغا لنظر الخاص]^(٥)
 و [تاج الدين أحمد بن صاحب] أمين الملك عبد الله بن الغنم لنظر الجيش،
 وأخاه كريم الدين لنظر البيوت [وأيْن السعيد لنظر الدولة]^(٦) وقسَّمتم مملوك طُقزدمر
 لشد الدواوين .

وفي يوم الأحد تاسع عشرين شسّال خَلع على الجميع، وأقبل الناس إلى باب
 صرغتمش للسعي في الوظائف فولى الأسعد حربا آستيفاء الدولة، وولى كريم الدين
 أكرم ابن شيخ ديوان الجيش . وسلم المقبوض عليهم لثاء الدواوين وهم : الفخر
 [ابن] قروينة ناظر البيوت، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة والفخر مستوفى الصُحبة،
 والفخر بن الرضى كاتب الإسطبل، وأبن متوق كاتب الجِلهات، وطلب التاج بن
 لفينة ناظر المتجر وناظر المطبخ وهو خال ابن زنبور فلم يوجد، وكُيسِت بسببه
 عدّة بيوت، حتى أخذ وصار الأمير صرغتمش يَتَزَل ومعه ناظر الخاص وشهود
 الخزانة وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة فأعياهم كثرة ما وجدوه^(٧)
 له، وتُبعت حواشي ابن زنبور، وُجِمت دور كثيرة بسببهم .

(١) التكلّة عن السلوك . (٢) التكلّة عن السلوك . (٣) التكلّة عن السلوك .

(٤) التكلّة عن السلوك . (٥) التكلّة عن السلوك . (٦) الزيادة عن السلوك .

(٧) مصر المذكورة هذا المقصود بها مدينة مصر القديمة، وحارة زويلة هي إحدى حارات القاهرة .

قد سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٥ ص ٥٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

- (١١) ثم في مستهل ذي القعدة نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالصناعة، وهدم منه ركاما فوجد فيه خمسة وستين ألف دينار، حملها إلى القلعة، وطلب ابن زنبور وضربه عريانا فلم يعترف بشيء، فقتل إلى بيته وضرب أبنه الصغير وأمه تراه في عدة أيام حتى أسمعته كلاما جافيا فأمر بها فمُصرت، وأخذ ناظر الخاص في كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر^(٢) والبقم^(٣) والقند^(٤) والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع في بيع ذلك كله. هذا والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقل قماش ابن زنبور وأثاثه إلى حارة زويلة ليكون ذخيرة للسلطان، فلفت عدة الحمالين الذين حملوا النصابي والأواني الذهب والفضة والبلور والصيني والكتب والملابس الرجالية والنسائية والزراكن والآلات والبسط الحرير والمقاعد ثمانمائة حمال، سوى ما حمل على البغال. وكان ما وجد له من أواني الذهب والفضة ستين قنطارا، ومن الجواهر ستين رطلا، ومن اللؤلؤ الكبار إردين، ومن الذهب المهرجة مائتي ألف دينار وأربعة آلاف دينار وقيل ألف ألف

- (١) الصناعة بمدينة مصر سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. وكانت على النيل وكان الساحل وقت إنشاء الصناعة بمصر ينتهي إلى الطريق التي يمر فيها اليوم شارع الديورة شرق ميدان فم الخليج حيث كان النيل يجري قديما. ويستفاد مما ذكر أن دور ابن زنبور كانت في المنطقة التي يحدها من الغرب شارع الديورة بالقاهرة ولا أثر اليوم لشيء من تلك الدور التي اندثرت.
- (٢) العكر: دودي كل شيء، وعكر الشراب والماء والدهن آخره وخاثره. وقد عكرت المهرجة إذا اجتمع فيها الدودي من الزيت، ولعل المقصود هنا أصناف زيت الإضاءة المستعملة وقتئذ.
- (٣) البقم: شجر يصنع به وهو الصندم. (٤) القند: عصارة قصب السكر إذا جمد ومنه يتخذ الفانيذ ولعله السكر المجروش. (٥) الدينار المهرجة أو المهرجة هو الدينار الذهب الكامل الوزن الخالص العيار وهو عبارة عن ٩٠٪ من المثقال عادة، كما يفهم من خطط المقرري (ج ٢ ص ٢٩٢) ومن خطط علي باشا مبارك (ج ٢٠ ص ٣٣) وقد استعمل المقرري المهرجة في كتاب السلوك (ج ٢ قسم ٢ ص ٣٩٣) طبعة الأستاذ زيادة كما استعملها ابن تقي بردي في عدة مواضع من كتابه النجوم الزاهرة ليدل على تمييزه عن الدينار الناقص الوزن الذي ضرب في عهد الناصر فرج بن برقوق سنة ٥٨٠ هـ، وعلى تمييزه أيضا عن العملة الأجنبية المسماة بالأفلورى أو المشخص، وهذه كلها عملة شاعت على عهد المؤلف. وانظر خطط علي باشا مبارك (ج ٢٠ ص ٥١ و ١٤١ و ١٤٢).

دينار، ومن الحوائص الذهب ستة آلاف حياصة، ومن الكلفانة الزركش ستة آلاف
كلفتاه، ومن ملاينسه عدة ألفين وستمائة فرجية، ومن البسط ستة آلاف بساط،
ومن الشاشات ثلثمائة شاش، ويوجد له من الخيل والبغال ألف رأس، ودواب حلافة
سنة آلاف رأس، ومن معاصر السكر خمس وعشرون معصرة، ومن الإقطاعات
سبعائة إقطاع، كل إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم في السنة. ووجد
له مائة عبد وستون طواشياً وسبعائة جارية، وسبعائة مركب في النيل، وأملاك
قومت بثلثمائة ألف دينار، ورُحام بمائتي ألف درهم، وثمّاس بأربعة آلاف دينار،
وسروج وبدلات عدة خمسمائة، ويوجد له آثان وثلاثون غزنا، فيها من أصناف
المتجر ما قيمته أربعائة ألف دينار، ويوجد له سعة آلاف^(١) نطع وخمسمائة حمار ومائتا
بستان وألف وأربعائة ساقية، وذلك سوى ما نهب وما أختلس، على أن موجوده
أبيع بنصف قيمته. ووجد في حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف وستون ألف
درهم، وبالأهراء نحو عشرين ألف إردب: وهذا الذي ذكرناه محزر عن الثقات.
وأما غيرنا فذكر له أشياء كثيرة جداً، أضربنا عن ذكرها خوف المجازفة.

وكان ابتداء ابن زنبورانة ماسر في استيفاء الوجه القبلي، فنهض فيه وشكرت
سيرته إلى أن عرض الملك الناصر محمد بن قلاوون الكتاب ليختار منهم من يوليّه
كتاب الإسطنبول، وكان ابن زنبور هذا من جملتهم وهو شاب فاضل عليه الفخر ناظر
الجيش وساعده الأكوز والنشو، فوئى كاتب الإسطنبول عوضاً عن ابن الجيعان
فناثه فيها السعادة، وأعجب به السلطان لفطنته فدام على ذلك حتى مات الناصر
فاستقر مستوفى الصُحبة ثم انتقل عنها إلى نظر الدولة ثم ولى نظراً الخاص بعناية
الأهـر أرغون العلاني ثم أضيف إليه نظر الجيش، وجمع بعد مدة إليهما الوزارة
ولم تنفق لأحد قبله هذه الوظائف.

(١) رواية السلوك: «ورجد له سبعائة ألف نطع».

قلت : ولا بعده إلى يومنا هذا ، (أضى لواحد في وقت واحد) .

وَصَلَّحَ فِي الدَّوْلَةِ وَنَالَهُ السَّعَادَةُ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُحْتَلَعُ عَلَيْهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ثَلَاثَ خَلَعٍ وَيُخْرَجُ لَهُ ثَلَاثَ أَفْرَاسٍ ، وَتَقَدَّتْ كَلِمَتُهُ وَقَوِيَتْ مَهَابَتُهُ ، وَاتَّجَرَ فِي جَمِيعِ الْأَصْنَافِ حَتَّى فِي الْمَلْعِ وَالْكِبْرِيَّتِ ، وَلَمَّا صَارَ فِي هَذِهِ الرِّتْبَةِ كَثُرَتْ حُسَادُهُ وَسَعَوْا فِيهِ عِنْدَ صَرَغْتَمِشٍ وَأَغْرَوَهُ بِهِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . وَكَانَ يَقُومُ بِكُلِّ شَيْخُونٍ جَمِيعُهَا مِنْ مَالِهِ وَصَارَ صَرَغْتَمِشٌ يُسَمِعُ شَيْخُونَ بِسَبِيهِ الْكَلَامِ ، وَيَقُولُ : لَوْ مَكَّنْتَنِي مِنْهُ أَخَذْتُ مِنْهُ لِلسُّلْطَانِ مَا هُوَ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، وَشَيْخُونَ يَتَذَرُّهُ وَيَقُولُ : لَا يَوْجَدُ مِنْ يَسُدِّ مَسَدَهُ ، وَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ يُقَرَّرُ عَلَيْهِ مَالٌ وَيَسْتَمِرُّ عَلَى وِظَائِفِهِ ، وَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ قَدِمَ الْخَبِيرُ بَعْضِيَانِ بَيْتًا أُرْسَ ، فَاشْتَقَلَ صَرَغْتَمِشٌ عَنْهُ حَتَّى سَافَرُوا وَطَدُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَوَقَعَ مِنْ أَمْرِ الْخِلْعَةِ مَا حَكَيْنَاهُ

١٠

ثُمَّ اتَّيَدَّبَ جَمَاعَةٌ بَعْدَ مَسْكِهِ لِلسَّيِّ فِي هَلَاكِهِ وَأَشَاعُوا أَنَّهُ بَاقٍ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، أَتَبَتُوا فِي ذَهْنِ صَرَغْتَمِشٍ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ إِلَى الْقُدْسِ فِي سَفَرِهِ هَذِهِ بَدَأَ فِي زِيَارَتِهِ بِالْقَهْمَةِ فَقَبِلَ عَتَبَتَهَا وَتَعَبَّدَ فِيهَا ثُمَّ نَحَرَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَأَرَاكَ الْمَاءَ فِي بَابِهِ وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ وَتَصَدَّقَ عَلَى النَّصَارَى وَلَمْ يَتَصَدَّقْ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَرَتَّبُوا قَتَاوَى أَنَّهُ أَرْتَدَّ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ .

١٥

وَكَانَ أَجَلَ مَنْ قَامَ عَلَيْهِ الشَّرِيفُ شَرُفُ الدِّينِ نَقِيبُ الْأَشْرَافِ وَالشَّرِيفُ أَبُو الْعَبَّاسِ الصَّفَرَاوِيُّ وَبَدْرُ الدِّينِ نَاطِرُ الْخَاصِّ وَالصَّوَّافِ تَاجِرُ الْأُمِيرِ صَرَغْتَمِشٍ ، وَأَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ لِلسُّلْطَانِ مِنْ مَالٍ بَيْتُ الْمَالِ دُونَ مَالِهِ . ثُمَّ

(١) تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ١ ص ١٦٢ مِنَ الْجُزْءِ السَّامِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٢) كَذَلِكَ فِي الْأَصْلَيْنِ وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي : « وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ ... الْخ » .

٢٠

حسنوا لصرغتمش ضربه، فأمر به فأخرج وفي عنقه باشةً وجنيز وضرب عُرْياناً
 قُدام باب قاعة الصاحب من القلعة. ثم أُعيد إلى موضعه وعُصر وسقِ الماء والملح.
 ثم سُلِمَ لشدِّ الدواوين وأمر بقتله، فنوع عليه أنواع العذاب فتكلم الأمير شَيْخُون في عدم
 قتله فامسك عنه ورَتَّبَ له الأكل والشرب وغيَّرت عنه ثيابه ونُقِلَ من قاعة الصاحب
 إلى بيت صرغتمش واستمر على ذلك إلى أن أُخرج إلى قُوص منفياً، ومات بها
 بعد أن أخذ سائر موجوده وأخذ منه ومن حواشيه فوق الألف دينار. انتهى.
 وأما أمرُ الديار المصرية فإنه لما كان يوم الاثنين ثامن عشرين ذى الحجة
 قَدِمَ البريد من حلب بأخذ أحمد الساقى نائب حمّاة، وبكلش نائب طرابلس من
 عند بن دُلغادر ومُحمَّد بقلعة حلب فأمر السلطان إلى نائب حلب بمُخلعه .

وفي هذه الأيام تَوَفَّى الخليفة أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بعد
 أن عَهِدَ لأخيه أبي بكر، فطُلب أبو بكر ونُصِّلَ عليه خُلعة الخلافة بحضرة السلطان
 والأمير شَيْخُون ولُقِّبَ بالمعتضد بالله أبي بكر. يأتى ذكره في الوقایات على عادة هذا
 الكتاب . وقد ذكرناه في المنهل الصافي بأوسع مما يأتى ذكره فيه. وأيضاً في مختصرنا
 المنموت : « بمُورِد اللطافة في ذكر من ولى السلطنة والخلافة » .

وأما أمرُ بَيْيُغا أُرُس فإنه لما أُرسل قَرَّاجا بن دُلغادر أحمد الساقى نائب
 حمّاة وبكلش نائب طرابلس إلى حلب في القيود واعتُقِلَ بقلعة حلب حسب ما
 ذكرناه، فكان ذلك آخر العهد بهما . ثم أُرسل قَرَّاجا المذكور بَيْيُغا أُرُس بعد أيام
 في محرم سنة أربع وخمسين وسبعمائة فاعتُقِلَ بقلعة حلب، وكان ذلك آخر العهد به
 أيضاً . رحمه الله . وقيل : إنه ما حضر إلى حلب إلا رءوسهم . والله أعلم .

وفي بَيْيُغا أُرُس يقول الأديب زين الدين عبد الرحمن بن الخضر السنجارى
 الخليلي — رحمه الله — أبياتاً منها :

[الطويل]

بَنَى بَيْتًا بِقِيَّ الْمَالِكِ عَنُوتَ * وما كان في الأمر المراد موقعا
أغار على الشقراء في قيد جهله * لكي يركب الشهباء في الملك مطلقا
فلما علا في ظهرها كان راجيا * على أديم لكتفه كان موقعا

ثم رسم السلطان الملك الصالح صالح أن يُقرَّ أهل الدقة على ما أقرهم أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — عليه من ترك تشبههم بالمسلمين
في أمر من الأمور، وترك ركوب الخيل وتحمل السلاح، ورفع أصواتهم على
أصوات المسلمين وأشباه ذلك .

ثم رسم بنى الأمير متجك اليوسنى الوزير كان إلى صفد بطالا . وفي هذه
السنة (أعنى سنة أربع وخمسين وسبعائة) انتهت عمارة الأمير سيف الدين طاز إلى
تُجَاه حَمَام الفارقاني، فعمل طاز وليمة وعزم على السلطان والأمراء، ومدَّ سِماطا عظيما .
ولما انتهى السَّياط وعزم السلطان على الركوب، قدم له أربعة رؤس من الخيل
بسروج ذهب وكنايش زركش، وقدم للأمير سيف الدين شَيْخُون فرسين، ولصَرَغْتَمِش
فرسين ولسائر الأمراء المقدمين كل واحد فرسا، ولم يُعهد قبل ذلك أن سلطانا
نزل إلى بيت بعض الأمراء، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلا هذا .

وَجَّعَ بالناس في هذه السنة الأمير ركن الدين عُمرشاه الحاجب، صاحب القنطرة^(١)

خارج القاهرة .

(١) هذه القنطرة هي من القناطر التي كانت واقعة على الخليج المصري داخل القاهرة، تعرف بقنطرة
عمارة تحريف عمرشاه . ذكرها المقرئ في خطه باسم قنطرة عمرشاه (ص ١٤٧ ح ٢) فقال :
إنها واقعة على الخليج الكبير يتوصل منها إلى الخليج الغربي، ولم يذكر اسم منشئها ولا تاريخ إنشائها .
وبالبحث تبين لي أن هذه القنطرة أنشأها الأمير ركن الدين عمرشاه حول سنة ٧٤٥هـ وكانت موجودة
على الخليج المصري ومروفة كما شاهدها باسم قنطرة عمارة إلى سنة ١٨٩٨م التي تم فيها ردم القسم الثاني
من الخليج و ردمه اختفت تلك القنطرة . ومكانها اليوم بشوارع الخليج المصري تجاه مدخل حارة عمرشاه
التي توصل إلى سكة سوقة اللاله بالقاهرة .

ثم استهلّت سنة خمس وخمسين وسبعمائة، فكان فيها الواقعة والفتنة بين حاشية طاز وبين صرغتمش، والسبب لهذه الحركة أن الأمير صرغتمش كان يخاف من طاز ويغض منه وكذلك كان طاز يغض من صرغتمش، وكان طاز يدخل على شيخون مرارا عديدة بمسك صرغتمش، وكان شيخون يكره الفتن والفساد، وقصدّه الصلاح للأمر بكل ما يمكن فكان شيخون يعدّه ويصبرّه، وكان صرغتمش أيضا يخاف شرّ طاز ويقول لشيخون: هذا ما يريد ألا هلاكي، فكان شيخون يُطمئنه على نفسه ويعدّه بكل خير، وكان إخوة طاز وحواشيه تُخرّضه على صرغتمش وعلى إثارة الفتنة وقوى أمر طاز وإخوته ونخرج عن الحد، وهم الأمير جتتمر وكُلتاي وصهره طقطاي، فهؤلاء الذين كانوا يُحرّكون طاز على قيام الفتنة، ومسك صرغتمش ليستبدّ طاز بالأمر وحده، ويكونوا هم عظماء الدولة، وشيخون يعلم بذلك ويسكنهم ويُرجمهم عن قصدهم، وطاز يستحي من شيخون، وطال الأمر إلى أن اتفق طاز مع إخوته المذكورين وغيرهم من مماليكه وأصحابه أنه يخرج هو إلى الصيد، فإذا غاب عن المدينة يركب هؤلاء على صرغتمش ومن يلوذ به ويمسكونه في غيبته، فيكون بشيعة طاز له عنزٌ عند شيخون من حياته منه، فلما خرج طاز إلى الصيد بالبحيرة بإذن الأمير شيخون له وما عند شيخون علم من هذا الاتفاق، رتب حاشية طاز وإخوته ومن يلوذ به أمرهم واجتمعوا ولبسوا السلاح وركبوا على صرغتمش فلما سمع شيخون بذلك أمر مماليكه أن يركبوا بالسلاح وكانوا مقدار سبعمائة مملوك فركبوا. وركب الأمير صرغتمش ومن يلوذ به، ووقع الحرب بينهم وبين إخوة طاز، وتقاتلا فانكسر إخوة طاز وقبض عليهم، وعلى أكابر ممالك طاز وحواشيه، فهربت البقية، فدخل صرغتمش هو ومن بقي من أكابر الأمراء إلى شيخون وقالوا: لا بدّ من خلع الملك الصالح وإعادة الملك الناصر حسن إلى السلطنة،

لكون الصالح كان يبيل إلى طاز، فاستنذر شيخون بأعذار غير مقبولة ، وأراد إبقاء الصالح . فلم يُوافقوه وما زالوا به حتى أذعن واتفقوا على خلعه نُخْلِع ، وأعيد الملك الناصر حسب ما يأتي ذكره في ترجمته .

- وكان خلع الملك الصالح صالح في يوم الاثنين ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعائة ، فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما ، وحُصِن بالقلعة في بعض دورها إلى أن تُوَفِّي بها في ذى الحجة سنة إحدى وستين وسبعائة ، وله نحو سبع وعشرين سنة . ودُفِنَ بِتَرْبَةِ عَمِّهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلَى بَنِ قَلَاوُون [الخاتونية] بالقرب من المشهد النفيسي خارج القاهرة .
- وكان — رحمه الله — ملكا جليلا مليح الشكل عاقلا لم تُسَكِّر سيرته ولم تُدَمِّ ، لأنه لم يكن له في سلطته إلا مجزؤ الاسم فقط ، لقلبة شيخون وطاز وصَرَغْتَمِش .
- على الأمر ، لأنهم كانوا هم حلَّ المملكة وعقدها واليهم أمورها لا لغيرهم .
- وأما أمر طاز فانه يأتي — إن شاء الله تعالى — في أول سلطنة الملك الناصر حسن ، بعد ذكر حوادث مِثْنِي الملك الصالح هذا ، كما هي عادة هذا الكتاب . انتهى والله سبحانه أعلم .

١٥



السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهي سنة ثلاث وخمسين وسبعائة ، على أنه حَكَم من السنة الماضية من سابع عشر جُمادى الآخرة إلى آخرها

(١) هذه التربة هي التي تعرف اليوم بِتَرْبَةِ فَاطِمَةَ خاتون بحرى تربة الأشرف خليل بالقرب من المشهد النفيسي بشوارع الأشرف بالقاهرة سبق الطبق طبيا باسم تربة المنصور قلاوون في الحاشية رقم ٢ ص ٢ ٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفيها (أعني سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة) : توفى قاضي القضاة نجم الدين محمد الأذري الشافعي بدمشق على قضائها ، وتولى بعده قضاء دمشق قاضي القضاة كمال الدين المعري قاضي قضاة حلب .

وتوفى الشيخ الإمام العلامة فريد دهره ووحيد عصره، زين الدين المعروف بالعُضد العجمي الحنفي رحمه الله تعالى، كان إما بارعا مفتتا فقيها مصتفا، وله اليد الطولى في علم المعقول والمنقول ، وتولى قضاء القضاة بمالك القان بوسعيد ملك التاربل كان هو المشار إليه بتلك الممالك ، والمعول على فتواه وحكمه ، وتصدي للإقراء والإفتاء والتصنيف عدة سنين . ومن مصنفاته «شرح المختصر لابن الحاجب» و «المواقف» و «الجواهر» وغير ذلك في عدة فنون ، وكان رحمه الله كريما عفيفا جواد احسن السيرة مشكور الطريقة . ١٠

وتوفى الأديب الفاضل الشاعر بدر الدين أبو علي الحسن بن علي المغربي المعروف بالزغاري الشاعر المشهور، مات عن نيف وخمسين سنة . ومن شعره قوله : [الرجز]
أعجب ما في مجلس اللهو جرى * من أذمّع الزاوي لما انكبّت
لم تزل البطلة في قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبّت
قال وله أيضا : ١٥

قلت وقد أنكرت سقاي * لم أر ذا السقم يوم يننك
لئن أصابتك عينٌ غيري * فقلت لا عين بعد عين

- (١) انظر السلوك آخر ج ٢ ص ٦٣١ وج ٣ ص ١٢٣ وقد ذكر وفاته سنة ٧٥٥ خطأ . وقد ساق نسبه بأوضح من هذا فقال ما نصه : « عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد الابن المطرزي المعروف بالعضد الشيرازي الشافعي » وانظر المنهل الصافي ج ٢ ص ٢٨٥ . ٢٠
- (٢) كتب العضد العجمي مطبوعة متداولة . انظر معجم المطبوعات لسركيس ج ٧ ص ١٢٣٢ عمود ٢٢
- (٣) في الأصلين : « لم أر ذا السقم » والتصويب عن المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٠ والدرر الكاشفة ج ٢ ص ٢٢

قال وله أيضا :

[المتقارب]

فَتِنْتُ بِاسْمِ رَجُلٍ أَلَى * لُسُلَانِهِ الصَّبُّ لَمْ يَسْتَطِعْ
تَقَطَّعَ قَلْبِي وَمَا رَقَّ لِي * وَدَمْعِي يَرَقُّ وَلَا يَنْقَطِعُ

وَتُوفِّيَ الثَّوْنِ أَرْثَنَا، وَقِيلَ : أَرْثَنَا سُلْطَانُ بِلَادِ الرُّومِ، كَانَ نَائِبًا عَنِ السُّلْطَانِ

- بُوسَعِيدِ بْنِ تَحَرِّبْنَدَا مَلِكِ التَّارِ بِمَجْمَعِ مَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَدَامَ عَلَى ذَلِكَ سَنِينَ، فَلَمَّا مَاتَ .
بُوسَعِيدُ كَاتَبَ أَرْثَنَا هَذَا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ
أَكُونَ نَائِبَكَ بِمَمْلَكَةِ الرُّومِ، فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ وَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ
الْخَلْعُ السَّنِيَّةُ وَكُتِبَ لَهُ : « نَائِبُ السُّلْطَانَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْبِلَادِ الرُّومِيَّةِ » وَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُ تَرْتَدُّ^(١)
إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي أَوَائِلِ الْحَزَمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَكَانَ مَلِكًا عَارِفًا عَاقِلًا سَيَّوَسًا مَذْبِرًا، طَالَتْ أَيَّامُهُ فِي السَّعَادَةِ .

١٠

وَتُوفِّيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَلْكَ^(٢) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيُّ الْأَمِيرُ آخُورُ بَغْزَةِ فِي عَوْدِهِ
إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي عَقْدَةٍ أَمَا كُنْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

(١) هكذا ضبط بالعبارة في هامش ص ٣٤٨ ج ١ من الدرر الكامنة . (٢) حدّد صاحب
صبح الأعشى بلاد الروم على عهده بما لا يخرج من حدود تركية آسيا اليوم أي بلاد الأناضول . انظر ج ٥
ص ٣٣٩ وما بعدها .

١٥

ووصف حالها السياسية وذكر ملوكها السلجوقية والتتار وكيف أن أولاد هولاء كانوا يولون أحد
أمرائهم « شحنة » على بلاد الروم فيكون لهم القمل ولأغصان السلجوقية الرِّيم . قال : وقد ولي بوسعيد
صاحب إيران دمرداش بن جوبان « شحنة » على بلاد الروم سنة ٧٢٣ ثم قتل أباه جوبان فهرب دمرداش
إلى مصر فقتله الناصر محمد بن قلاوون . وبقي يبلاد الروم أمير من أمراء دمرداش اسمه أرتنا هذا الذي
ساق المؤلف وفاته في هذه السّنة فبعث بطاعته إلى بوسعيد أولًا ثم خرج من طاعته وكتب إلى الناصر يسأله
كتابة قتلده بالبلاد الرومية وبذلك صارت بلاد الروم من مضافات الديار المصرية . انظر ذلك مفصلاً

٢٠

في صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٥٨ — ٣٦٣

(٣) ضبط في الدرر الكامنة بالعبارة : (بضم التاء وفتح اللام) ج ١ ص ١٧٠

وَتُوِّقُ الشَّيْخُ بهاء الدين محمد بن علي بن سعيد الفقيه الشافعي بدمشق في شهر رَمَضَانَ وكان فقيهاً فاضلاً يُعرف بأبنِ إمام المشهد^(١).

وَتُوِّقُ القاضي شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر الشافعي الدمشقي المعروف بأبنِ القيسراني كاتب مَرِّ دِمَشْقٍ بطلاً كانت لديه فضيلة وهو من بيت كتابه وفضل.

وَتُوِّقُ الأمير شهاب الدين أحمد بن بليك المحسني^(٢)، كان أميراً فقيهاً شافعيًا أديباً نظم كتاب «التنبيه في الفقه» وكتب عدة مصنفات، وكان معدوداً من الفضلاء العلماء.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأثنتا عشرة إصبعا. يبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا.



السنة الثانية من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون على مصر وهي سنة أربع وخمسين وسبعمائة.

فيها تُوِّقُ الخليفة أمير المؤمنين، الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستنفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد الهاشمي العباسي، كان بويج بالخلافة بعد وفاة والده بقُوص في العشرين من شعبان سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، فلم يمض له ما عهده أبوه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لِمَا كَانَ

(١) هكذا في الأصلين والسلوك. وقد ذكر وفاته ابن حجر في الدرر الكامنة ج ٤ ص ٦٥ — ٦٦ سنة ٥٧٥٢. (٢) انظره في الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٤٤ (٣) وردت في المنهل وفي خطط المقرئ بليك، ولكنها في الأصلين بليك وكذا في السلوك بخط المؤلف وفي الدرر الكامنة لابن حجر وابن فطوينا وابن القرات، وابن إياس وهذا يطابق معاجم اللغة التركية.

- في نفسه من والده المستكنى باقه من ميله لللك المظفر بيبرس الجاشنكير، وأراد أن يؤتى الخلافة لبعض أقاربه بل أحضره وخلع عليه ثم مات الملك الناصر بعد ذلك بمدة يسيرة، فتمت بموته خلافة الحاكم هذا إلى أن مات في هذه السنة^(١) . والمتولى يومئذ لأموال الديار المصرية الأمير شينخون والأمير طازو والأمير صرغتمش ونائب السلطنة الأمير قُبلای ، والسلطان الملك الصالح صالح وكان الحاكم مات ولم يعهد بالخلافة لأحد، فجمع الأمراء القضاة ، وطُلب جماعة من بنى العباس ، حتى وقع الاختيار على أبي بكر بن المستكنى بالله أبي الربيع سليمان فبايعوه ولقبوه بالمعتضد^(٢) . وتوفي قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على ابن الشيخ جمال الدين [بحي]^(٣) الحنفى المعروف بأبن القُويرة في العشر الأوسط من شوال . كان فقيها بارها باشر توقيع الدست الشريف وكتب وصنف وولى القضاء سنين .

- ١٠ . وتوفي الشيخ المسند المعمر صدر الدين محمد بن شرف الدين محمد بن إبراهيم الميلى المصرى في شهر رمضان ودُفن بالقرافة عن تسعين سنة . وكان مولده سنة أربع وستين وستمائة وهو آخر من حدث عن النجيب عبد اللطيف وأبن غلّان وسمع منه السراجان : البلقينى وأبن الملقن .

- ١٥ (١) انظر المجلد السابع ج ١ ص ٧٤ (١) وانظر خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٣ وانظر عقد الجان ج ٢٤ قسم أول ص ٩٨ وانظر خلفاء مصر العباسين في ص ٢١ من مختصر المجلد السابع للسيوفت . (٢) سذكر المؤلف وفاته سنة ٧٦٣ هـ . (٣) زيادة يقتضها السياق انظر الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٣٩ (٤) الميلى نسبة إلى بلدة ميدوم إحدى قرى مركز الواسطى مديرية بنى سويف وهي من القرى المصرية القديمة اسمها المصرى ميراثوم والزوى ازيو والقبلى ميتوم ومنه اسمها العربى ميدوم . وإليها ينسب هرم ميدوم . وهي قرية زراعية تبلغ مساحة أراضيها ١٦٣٠ فداناً وعدد سكانها حوالى ٥٠٠٠ نفس .

وتُوفِّي القاضي الرئيس زين الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين يوسف
ابن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي الشافعي الكاتب ، كاتب الإنشاء
بمجلس ، ثم ولي صحابة الإنشاء بها وكالة بيت المال إلى أن مات بمجلس عن
تَيف وستين سنة .

٥ وتُوفِّي الأمير سيف الدين ألبليغا بن عبد الله العادلي ، كان من أكابر الأمراء
أقام أميراً نحو ستين سنة ، وكان قد أصابته ضربة سيف في وقعة أرغون شاه
بدمشق بانت منها يده اليمنى ، وأستمر على امرته وتقدمته إلى أن مات في السابع
من شهر ربيع الآخر ، ودُفن بترتبه بدمشق خارج باب الحابية وقد أناف على
تسعين سنة^(٢) .

١٠ وتُوفِّي الأمير الجليل بدر الدين مسعود بن أُوحد بن مسعود بن الخطير بدمشق
في سابع شوال ، بعد ما تنقل في عدة ولايات وأعمال : مثل مجبوبة الحجاب بديار
مصر ونيابة غزّة وغير ذلك . وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدمشق ونشأ
بها وولى المجبوبة بها ، وأرسله تنكز إلى مصر محبة أسند رسول جوبان ، فلما
رآه الملك الناصر أعجبه شكله فرسم له بإمرة طبلخاناه بمصر وجعله من جملة الحجاب ،
١٥ فأقام على ذلك إلى أن قبض السلطان على مملوكه ألماس الحاجب ولأه عوضه
حاجب الحجاب ، ولم يكن بمصر يوم ذلك نائب سلطنة ، فعظم أمره إلى أن مُسك
تنكز رسم له بنيابة غزّة ، ثم بعد موت الملك الناصر أُعطى إمرة بدمشق ، ثم طُلب
إلى مصر وأعيد إلى مجبوبة الحجاب ثانياً ، فلم تطل مدته لاختلاف الكلمة

(١) حجارة الدرر الكامنة ج ٣ ص ١٠٧ : « توفى الأدب وكتب في الإنشاء وولى وكالة

٢٠ بيت المال ونظر الأحباس ثم ولي كتابة السر بمجلس » ومضى أرواح . (٢) اظهره في المنهل العافي

ج ١ ص ٢٥٤ (ب) .

وأُخرج إلى نيابة غَزَّة ثانياً، ثم عُزِل ونُقِل إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، ثم ولي نيابة غَزَّة ثالث مرّة وأقام بها سنين، ثم عُزِل وتوجّه إلى دمشق أميراً بها. ثم ولي نيابة طرابلس فلم تطل مدته بها وعُزِل، وتوجّه أيضاً إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات . رحمه الله^(١).

- وتوفّي في هذه السنة جماعة ممن تقدّم ذكرهم من الأمراء قُتلوا بقلعة حلب وهم:
- الأمير أحمد الساقى نائب حماقوب بكلمش نائب طرابلس^(٢) وبيّغا^(٣) أُرُس نائب حلب وغيرهم.
 - فأما الأمير بيّغا أُرُس القاسمي ، فإن أصله من مماليك الملك الناصر محمد ابن قلاوون ومن أعيان خاصيّته، ثم ولي بعد موته نيابة السلطنة بالديار المصرية في أول سلطنة الملك الناصر حسن ، ثم قبض عليه بطريق الحجاز وحُبس ثم أُطلق في أول دولة الملك الصالح صالح، وتولّى نيابة حلب بعد أرغون الكامل ، ولما ولي نيابة حلب شدّد على من يشرب الخمر بها إلى الغاية ، وظلم وحكّم في ذلك بغير أحكام الله تعالى، حتى إنه ستم من سكر وطيف به بشوارع حلب، وفي هذا المعنى يقول ابن حبيب :

أهل الطَّلَا توبوا وكلّ منكم * يعود عن ساق التقي مُسمرًا

- ١٥ من يبت راووقه معلقًا * أصبح ما بين الوري مُسمرًا
- وفيه أيضاً يقول القاضي شرف الدين حسين بن ريان^(٤) : [الخفيف]

تب عن الخمر في حلب * والزم العقل والأدب
حدّها عند بيّغا * بالمسامير والخشب

(١) انظر ترجمة أمير مسعود هذا في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٣٥٥) وفي أعيان مصر (ج ٧

٢٠ ص ١٤٨) وابعدها . وانظر خطط المقرئ ج ٢ في الصفحات ٥٥ و٧١ و٣٥٨ و٤٢١ و٤٦٤

(٢) انظر السلوك (ج ٣ ص ٥٩) (١) . (٣) انظر المنهل الصافي (ج ١ ص ٣٥٢) (ب) .

(٤) انظر ترجمته في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٤٣) (١) .

ثم خرج يَبِيغًا عن طاعة السلطان ، ووقع له ما حكينا في ترجمة الملك الصالح
إلى أن طُفِرَ به وقُتِلَ في قلعة حلب ، وفيه يقول بعض الأدباء : [البسيط]

لَمَّا أَعْتَدَى يَبِيغًا العادى وَمَنْ مَعَهُ • على الورى فارقوا كُرْمًا موطنهم^(١)
خوفَ الهلاك سَرَوْا لَيْلًا على عَجَل • فأصبحوا لا تُرَى إلا مساكينهم

• وتوفى الرئيس أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكتاب طَشْتَمَر ، كان
من أعيان الكُتَّاب وتوفى نظر الجُش بالديار المصرية مدة ، ثم عُزِلَ وأُخرج إلى
القدس فأقام به مدة ، ثم أُعيد إلى القاهرة فأقام بها إلى أن مات .

• وتوفى الأمير سيف الدين بَيْغَرَا بن عبد الله الناصرى ثم المنصورى ، أحد أمراء
الألوف بالديار المصرية وهو بطل بخلب ، وكان شجاعاً مقداماً من أعيان أمراء
مصر وقد تقدم ذكره في عدة أماكن .

• وتوفى الأمير زين الدين قَرَا جَا بن دُلَقَايِر صاحب أبلستين في رابع عشر
ذى القعدة ، وقد تقدم ذكره في واقعة الأمير بَيْغَا أُرْس .

• وتوفى مُستوفى الصحبة أسعد حربة أحد الكُتَّاب المُسالمة في ذى القعدة
من السنة .

• وتوفى الشيخ جمال الدين أبو الجحاج يوسف ابن الإمام شمس الدين أبي محمد
عبد الله بن العفيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم المقدسى النابلسى ثم الدمشقى
الحنبلى في شهر رجب ومولده سنة إحدى وتسعين وسمائة .

- (١) انظر أخبار بيبغا في المنهل الصافي (ج ١ ص ٣٧٣) (ب) وما بعدها وانظر تاريخ حلب للطباخ
(ج ٢ ص ٤٣١) وانظر السلوك للقرزى (ج ٣ ص ٩) (١) • (٢) انظر السلوك للقرزى
في وفيات سنة ٧٥٤ (ج ٣ ص ٩) (ب) وانظر الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٦٣) •
(٣) انظر الدرر الكامنة (ج ١ ص ٥١٤) • (٤) انظر المنهل الصافي ج ٣ ص ١٥
وانظر تاريخ حلب للطباخ ج ٢ ص ٤٢٥ وانظر السلوك للقرزى في وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ١٠
(٥) انظر السلوك للقرزى في وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ٩

وَتُوِّفَى الشَّيْخُ إِمَامُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَيْسِيِّ الْقَسْطَلَانِيِّ الشَّافِعِيِّ بِالْقَاهِرَةِ فِي عَشْرِينَ الْمُحَرَّمِ،
وَمَوْلَاهُ بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةُ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ^(١).

وَتُوِّفَى حَاكِمُ الْمَوْصِلِ وَسِنْجَارِ الْأَمِيرِ بَدْرُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ هِنْدُوا، كَانَ مِنْ
أَعْيَانِ الْمُلُوكِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِ مَارِدِينَ عداوةٌ، وَوَقَعَ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ قُتِلَ
فِي بَعْضِهَا حَسَنٌ هَذَا بَعْدَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ ^(٢).

وَتُوِّفَى الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ [بْنُ الشَّهَابِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو
الدِّينِ عَمِي] بْنُ فَضْلِ اللَّهِ بْنِ الْمُجَلِّيِّ بْنِ دَعْبَجَانَ بْنِ خَلْفِ الْقُرَشِيِّ الْعَمَرِيِّ، نَسَبُهُ
إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [مَاتَ فِي شَوَّالٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ] ^(٣).

- ١٠ [مَوْلَاهُ فِي ثَلَاثِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةٍ بِدِمَشْقَ، وَمَاتَ بِهَا فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ وَكَانَ إِمَامًا بَارِعًا كَاتِبًا بَلِيغًا أَدِيبًا مَتَمِّسَلًا، كَتَبَ الْمُنَسُوبَ الْفَائِقَ وَتَنَقَّلَ
فِي الْخِدْمِ حَتَّى وُلِيَ نَازِلَ دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ مِتَّةً طَوِيلَةً، وَهُوَ أَوَّلُ
كَاتِبِ سَرِّ وَلِيٍّ بِمِصْرَ مِنْ بَنِي فَضْلِ اللَّهِ، وَلَهُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ بَعْدَ عَزْلِ
عِمَادِ الدِّينِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْأَثِيرِ، فَدَامَ فِي كِتَابَةِ السَّرَّسَيْنِ، إِلَى أَنْ نَقَلَ
الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ إِلَى كِتَابَةِ سَرِّ دِمَشْقَ، عَوَّضًا عَنْ أَخِيهِ عَمِي الدِّينِ

(١) انظر السلوك للقرنيزي في وفيات ٧٥٤ ج ٣ ص ٩ وانظر الدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٢٨

(٢) انظر السلوك في وفيات سنة ٧٥٤ ج ٣ ص ١٠ والدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٨

(٣) التكملة عن الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤٢٤ (٤) أما من ساق المؤلف بقية ترجمته

من أول القوس [إلى آخر الترجمة فهو شرف الدين عبد الوهاب عم أبيه وقد سبقت وفاته في سنة ٧١٧

في ج ٩ ص ٢٤٠ من هذه الطبعة. وانظر السلوك في وفيات سنة ٧٥٤ وأعيان مصر الصفدي ج ٣

ص ٤٣٢ وانظر أولاد ابن فضل الله في مختصر المنهل الصافي ص ٢١٧ وراجع أعيان مصر ج ٢

ص ٤٠٨ — ٤١٦ وانظر المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٦٠ والمقرئ الخطط ج ٢ ص ٥٦

يحيى بن فضل الله ، وولى مَوْضِعَهُ القاضى علاء الدين بن الأثير ، ولما مات رثاه
الشعراء والعلماء ورثاه العلامة شهاب الدين محمود بقصيدته التى أولما : [الطويل]
بِتِهْكِ المَعَالَى وَالنَّبَى الشَّرَفَ الأَعْلَى * وَتَبِكَ الْوَرَى الإِحْسَانَ وَالْحِلْمَ وَالْفَضْلَ^(١)

ومن شعر القاضى شرف الدين المذكور يمدح الملك المنصور قلاوون الأتقى

لصالحى : [الكامل]

تَهَبُ الأُلُوفَ وَلَا تَهَابُ لَهُمْ * أَلْفًا إِذَا لَاقِيَتْ فِي الصَّفِّ^(٢)
أَلْفٌ وَأَلْفٌ فِي نَدَى وَوَعَى * فَلَا جَلَّ ذَا سَمَوُكَ بِالأَلْفَى^(٣)

وله أيضا لما خُتِنَ الملك الناصر محمد بن قلاوون . [الخفيف]

لَمْ يَرَوْعَ لَهُ الْخِثَانُ جَنَانًا * قَدْ أَصَابَ الْحَدِيدُ مِنْهُ حَدِيدًا^(٤)
مِثْلًا تَنْقُصُ الْمَصَابِيحُ بِالْقَطْطِ فَتَرْدَادُ فِي الضِيَاءِ وَتُقُودَا

§ أمر النيل فى هذه ، السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة
ثمانى عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا . والله سبحانه أعلم .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون

على مصر وهى سنة خمس وخمسين وسبعمائة وفيها خُلِعَ الملك الصالح المذكور
فى ثانى شوال .

(١) انظر هذه القصيدة فى ص ٤٦١ من الثالث من أعيان مصر للصفي .

(٢) انظر هذه القصيدة فى ص ٤١١ من الجزء الثالث من أعيان مصر للصفي .

(٣) وانظر هذه الأبيات فى المصدر المتقدم .

وفيهما تُوِّفِي العلامة زَيْن الدين أَبُو الحسن عَلِيّ بن الحسين بن القاسم بن منصور ابن عَلِيّ المَوْصِلِيّ الشافعيّ الشهير بِأَبْنِ شَيْخِ العُوَيْنَةِ المَوْصِلِيّ (١) عَنْ أَرْبَعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ إِمَامًا فَقِيهًا بَارِعًا مُصَنِّفًا نَاطِلًا نَاطِرًا ، نَظَّمَ كِتَابَ «الْحَاوِي» فِي الْفَقْهِ ، وَشَرَحَ «المختصر» و«المفتاح» ، وَقَدِمَ إِلَى الشَّامِ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْمَجَازِ الشَّرِيفِ وَهُوَ الْقَائِلُ :

• [الطويل]

وَمَا أَخَّرْتُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْ أَحِبِّهِ * صُدُودًا وَحَاشَى أَنْ يُقَالَ صُدُودُ
وَلَكِنْ أَسْبَابُ الضَّرُورَةِ لَمْ تَزَلْ * إِلَى غَيْرِ مَا تَهْوَى النَفُوسُ تَقُودُ (٢)

وَتُوِّفِيَ الْقَاضِي شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ الْقَاضِي شَمْسُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُسْلِمِ
أَبْنِ هَبَةِ اللَّهِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ الْحَنْبَلِيِّ الشَّافِعِيِّ الشَّهِيرِ بِأَبْنِ الْبَارِزِيِّ ،
نَاطِلٌ أَوْقَافَ دِمَشْقَ وَبَهَا مَاتَ عَنْ نِيفٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً .

١٠

وَتُوِّفِيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ سِرَاجُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ الْقُدْوَةِ نَجْمُ الدِّينِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْقَبَّانِي الْحَنْبَلِيُّ ، كَانَ إِمَامًا زَاهِدًا
عَابِدًا أَتَقَى وَدَرَسَ وَحَدَّثَ وَبَاشَرَ مَشِيخَةَ الْمَالِكِيَّةِ بِالْقُدْسِ إِلَى مَاتَ . (٣)

وَتُوِّفِيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ نُحْرُ الدِّينِ أَبُو طَالِبٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيّ بْنِ أَحْمَدَ
الْكُوفِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْحَنْفِيُّ الشَّهِيرُ بِأَبْنِ الْفَصِيحِ ، مَاتَ بِدِمَشْقَ وَقَدْ قَارَبَ الثَّمَانِينَ سَنَةً .
وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا بَارِعًا فِي فَنُونِ ، نَاطِلًا نَاطِرًا ، نَظَّمَ «الْكَثَرُ فِي الْفَقْهِ» وَ«السَّرَاجِيَّةُ»

١٥

(١) شيخ العوينة جده الأعلى . انظر سبب هذه التسمية في الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٢-٤٤) .

(٢) روى له هذين البيتين صاحب عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٥) .

(٣) انظر عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٥) وانظر المنهل الصافي (ج ١ ص ٤٨) (ب)

وانظر أولاد البارزي في ص ١٢ من مختصر المنهل الصافي .

٢٠

(٤) انظر الدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٦٨) .

في الفرائض، وقَدِمَ إلى دمشق وتصدى للافتاء والتدريس والإقراء إلى أن مات بها ومن شعره وهو في غاية الحسن :^(١)
[الوافر]

أمرٌ سواكهُ من فوق دُرٍّ • وناولنيهِ وهو أحبُّ عندى
فدُفْتُ رُضابَهُ ما بين نَدٍّ • وتخرى أمرِجاً منه بشهدى^(٢)

وله أيضا : [الرجز]

زار الحبيبُ حُبًّا • يا حُسنَ ذاك المُحبِّ
من صدّه كنتُ ميتًا • من وصله عدتُ حيا^(٣)

وتوفى الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الظاهري
الدمشقي الشافعي مدرّس الفروخشاهية^(٤)، كان فقيها فاضلا. مات بدمشق عن نيف
وثمانين سنة . وكان له نظم وبلشئ المقامات ، وله القصيدة المجازية التي أولها :

[الطويل]

سَرَّتْ نَسْمَةُ الوادى فَأَذْكُرَتِ العُصْبَا • لِيَالِي مِني فَأَنْصَبُ مَدْمَعَهُ صَبًّا
وتوفى الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن علاء الدين علي بن الحسن المروى
الحلبى الحنفى المعروف بالشيخ زاده . كان فقيها متصوفا زاهدا . قال ابن حبيب
أنشدنى بيتين بالفارسي وذَكَرَ لى معناهما وأقترح على نظمهما بالعربى فقلت :

[الكامل]

(١) انظر المنهل الصافي (ج ١ ص ٩٤) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٠٤) .

(٢) انظر هذه الأبيات في عقد الجمان (قسم ج ١ ص ٢٤) (١٠٦) .

(٤) المدرسة الفروخشاهية تعرف بمسجد الدين فرخشاه وواقعها حظ الخيرة خاتون بنت إبراهيم
ابن عبد الله والدته من الدين فرخشاه وهى زوجة شاهنشاه ابن أنى صلاح الدين سنة ٨٧٠ هـ (أى اليوم)
في مقابلة التكية السليمانية بالشرف الأمل شمالى حديقة الأمة . (عن خطط الشام لكردي) (ج ٦
ص ٩٥) ومختصر تنبيه الطالب ص ٢٧ - ٢٨ (٥) انظر المنهل الصافي ج ١ ص ٧٩ والدرر الكامنة
(ج ١ ص ١٦٧) .

الحائِطَه شَهِدَتْ بِأَنِّي مُخْطِئٌ * وَأَتَتْ بِخَطِّ عِدَّارِهِ تَدَكَّرَا
يَا حَاكِمَ الْحُبِّ أَتَيْدُ فِي قِصَّتِي * فَالْخَطُّ زُورٌ وَالشُّهُودُ مَكَارَى

ومن إنشاء الشيخ زاده المذكور قوله : [الطويل]

وما العيشُ إِلَّا وَالشَّيْبَةُ غَضَّةٌ * وَلَا الْحُبُّ إِلَّا وَالْمُحِبُّونَ أَطْفَالُ
وهم زعموا أن الجنونَ أَخُو الصَّبَا * فَلَيْتَ جَنُونًا دَامَ وَالنَّاسُ غُفَالُ
وكانت وفاته بحلب عن نيف وخمسين سنة .^(١)

وتوفي الشريف علاء الدين أبو الحسن عليّ - ابن الشريف عز الدين حمزة بن عليّ -
ابن حسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة بن الحسين الحلبي تقيب الأشراف بحلب ،
وبها مات عن نيف وسبعين سنة ، وكان رئيسا كاتباً مجيداً عارفاً مثرياً .^(٢)

وتوفيّ صاحب الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم الشهير
بـأبن زنبور المصري - القبطي - المقدم ذكره ولي الوزارة ونظر الجيش والخاص ولم تجتمع
لأحد قبله . ثم نكب وصودر وأخذت أمواله وذخائره التي وصفناها في ترجمة الملك
الصالح ومات بقوص معتقلاً .^(٣)

وتوفيّ الوزير صاحب موفق الدين أبو الفضل هبة الله بن سعيد الدولة
القبطي - المصري ، ولي نظر الدولة ثم الخاص ثم الوزارة إلى أن مات ، وكان مشكور
السيرة حسن الأخلاق ، وعنده تواضع وكرم ومعرفة وعقل .^(٤)

(١) انظر المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٢٧) (ب) وانظر عقد الجمان (قسم ١ ج ٢٤ ص ١٠٦) .

(٢) انظر تاريخ حلب للباخ (ج ٥ ص ١٦ - ١٧) والسلوك للقرنزي في وفيات سنة ٧٥٥

(ج ٣ ص ٢٣) (ب) . (٣) انظر أخبار ابن زنبور في الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١)

والمنهل الصافي (ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨) وخطط المقرئ (ج ٢ ص ٥٩ - ٦٢) وابن أبياس

(ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٨) والخطط التوفيقية (ج ٣ ص ٣٠) . (٤) انظر السلوك للقرنزي

في وفيات سنة ٧٥٥ (ج ٣ ص ٢٣) (١) وانظر خطط المقرئ (ج ٢ ص ٥٠ و ٧٢ و ٢٢٣)

وانظر تاريخ حلب للباخ (ج ٢ ص ٤٣٧) وانظر الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٠٠)

وَتُوِّفَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ أَيْمَنُشَ الْمَحْمَدِيُّ النَّاصِرِيُّ، نَائِبُ طَرَابُلُسَ . مَاتَ بِهَا
وَتَوَلَّى عَوْضَهُ مَنَجَكُ الْيُوسُفِيِّ الْوَزِيرُ أَخُو بَيْبَغَا أَرُسَ، وَكَانَ أَيْمَنُشَ وَافِرَ الْحِشْمَةِ
لِإِنَّ الْجَانِبَ بَعِيدَ الشَّرِّ قَرِيبَ الْخَيْرِ، وَعِنْدَهُ عَقْلٌ وَسُكُونٌ وَوَقَارٌ، وَلَى الْجُيُوشَ
وَالْوِزَارَةَ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ، ثُمَّ وَلَى نِيَابَةَ دِمَشْقَ مَدَّةَ سَنَيْنَ، إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ وَنُجِّنَ
بِشَرِّ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، ثُمَّ أُطْلِقَ وَوَلَى نِيَابَةَ طَرَابُلُسَ بَعْدَ بَكَلَمُشَ النَّاصِرِيِّ فَدَامَ عَلَى
نِيَابَتِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ^(١) .

وَتُوِّفَ السُّلْطَانُ أَبُو الْجَحَاجِ يَوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ صَاحِبُ الْأَنْدَلُسِ
وَمَا وَالِاهَا، طُعِنَ بِخَنْجَرٍ فِي جَنْبِهِ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ، فَمَاتَ مِنْهُ وَاسْلَطَنَ بَعْدَهُ
ابْنُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ .^(٢)

وَتُوِّفَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ إِيَّاحَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ، نَائِبُ قَلْعَةِ دِمَشْقَ ،
كَانَ شَجَاعًا مَقْدَامًا أَظْهَرَ فِي قِتْنَةِ الْأَمِيرِ بَيْبَغَا أَرُسَ أَمْرًا عَظِيمًا مِنْ حِفْظِ قَلْعَةِ دِمَشْقَ
وَقَاتَلَ بَيْبَغَا أَرُسَ قِتَالًا عَظِيمًا وَقَامَ فِي ذَلِكَ أَتَمَّ قِيَامَ .

وَتُوِّفَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مُغَلَطَايَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّاصِرِيِّ، بَطَّالًا فِي عَاشِرِ شَهْرِ
رَمَضَانَ، وَكَانَ مِنْ أَهْيَانِ مَمَالِكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ وَخَاصِيكَيْتِهِ وَتَوَلَّى
رَأْسَ نَوْبَةٍ ثُمَّ صَارَ أَمِيرَ شِكَارِ ثُمَّ وَلَى الْأَمِيرُ أَخُورِيَّةَ الْكُبْرَى، ثُمَّ أُمْسِكَ وَحُبَسَ
بَعْدَ أُمُورٍ وَقَعَتْ لَهُ ثُمَّ أُطْلِقَ وَأُخْرِجَ إِلَى الشَّامِ بَطَّالًا، فَدَامَ بِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٣) .

(١) انظر المثل الصافي ج ٣ ص ٤٩١ (ب) والدرر الكامنة ج ٤ ص ٤٥١ - ٤٥٢ وانظر

الإحاطة لابن الخطيب ج ١ ص ٤٠ وج ٢ ص ٣ وانظر الملوك النصريين في مختصر المثل الصافي ص ٣٦٧

(٢) انظر المثل الصافي ج ٣ ص ٣٩١ (ب) وخطط المقرئ ج ٢ ص ٦٠

(٣) انظر الدرر الكامنة ج ٤ ص ٣٥٥ - ٣٥٦

وتوفى تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن الصباح أمين الملك عبد الله بن النعمان
القبطي المصري في شوال تحت العقوبة ، وهو أحد الكتاب الممدودة وتولى عدة
وظائف وباشرة مباشرة ، وكان مشكور السيرة . رحمه الله .^(١)

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعا ونحمن أصابع .

(١) انظر السلوك للقرنيزي ج ٣ ص ٢٣ (ب) .

سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر

قد تقدم ذكره في سلطته الأولى من هذا الكتاب وذكرنا أيضا سبب خلع
من السلطنة بأخيه الملك الصالح صالح ثم ذكرنا في ترجمة أخيه الصالح سبب خلع
الصالح وإعادة الناصر هذا فلا حاجة لذلك ثانيا . والمقصود هنا الآن ذكر
عود الملك الناصر حسن الى ملكه فنقول : ولما قبض على أصحاب الأمير طاز
اتفق صرغتمش مع الأمير شيخون على خلع الملك الصالح من السلطنة وسلطنة الملك
الناصر حسن ثانيا وأبرموا ذلك حتى تم لهم فقاموا ودخلوا الى القلعة وأرسلوا طلبوا
الملك الصالح ، فلما توجه اليهم أخذ من الطريق وحبس في بيت من قلعة الجبل
وأرسلوا أشهدوا عليه بأنه خلع نفسه من السلطنة ، ثم طلبوا الملك الناصر حسنا من
محبيه بالقلعة ، وكتبوه في عوده ، وأشرطوا عليه شروطا قبيها . فاخذوه الى موضع
بالقلعة ، فيه الخليفة والقضاة ، وبايعوه ثانيا بالسلطنة ، ولبسوه تشریف السلطنة
وأهبته الملك ، وركب فرس النوبة ومشت الأمراء بين يديه الى الإيوان ، فترل
وجلس على تخت الملك ، وقبلوا الأمراء الأرض بين يديه على العادة ، وكان ذلك
في يوم الاثنين ثانی شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ولم يغير لقبه بل نعت
بالناصر كما كان أولا على لقب أبيه ، ونودي باسمه بمصر والقاهرة ، ودقت البشائر
وتم أمره وحال قلع الملك الناصر خلعة السلطنة عنه ، أمر في الحال بمسك الأمير
طاز ، فشفع فيه الأمير شيخون لأنه كان آمنه وهو زيله ، فرسم له السلطان بالتوجه
الى نياحة حلب ، فخرج من يومه وأخذ في إصلاح أمره ، الى أن سافر يوم الجمعة
سادس شوال وسار حتى وصل حلب ، في الخامس من ذى القعدة ، وكانت ولايته
لنياحة حلب عوضا عن الأمير أرغون الكامل ، وطلب أرغون الى مصر ، فحضر
أرغون الى القاهرة وأقام بها مدة يسيرة ثم أمسك ، وأقام طاز في نياحة حلب ، ومعه
أخوه كئناي وجتتمر وكلاهما مقدمان بها .

ودام الملك الناصر حسن في الملك إلى أن دخلت سنة ست وخمسين وسبعماية
والخليفة يوم ذاك المعتضد بالله أبو بكر، ونائب السلطنة بمصر الأمير أفتنم عبد الغنى
وأتابك المساكر الأمير شيخون العمري ، وهو أول أتابك سمي بالأمير الكبير ،
وصارت من بعده الأتابكية وظيفة إلى يومنا هذا ، وليس بها بخلة وإنما كانت
العادة في تلك الأيام من كان قديم هجرة من الأمراء سُمي بالأمير الكبير [من غير
خُلة فكان في عصر واحد جماعة كل واحد منهم يسمي بالأمير الكبير] حتى وُلِّي
شيخون هذا أتابكية المساكر - وسُمي بالأمير الكبير - بطلب تلك العادة القديمة
وصارت من أجل وظائف الأمراء ، تم ذلك . انتهى .

وكان نائب الشام يوم ذاك أمير على المارديني، ونائب حلب طاز، وصاحب
بغداد وما والاها الشيخ حسن ابن الشيخ حسين سبط أرغون بن أبقا بن هولاكو .
وفي هذه السنة أيضا كُتلت خانقاة الأمير الكبير شيخون العمري بالصليبية والربع

(١) العبارة المحصورة بين المربعين [] غير موجودة في الأصل المتوفراني .

(٢) هذه الخانقاه سبق التطبيق عليها في الحاشية رقم ٦ ص ١٣١ بالجزء السابع من هذه الطبعة .
وأضيف إلى ما سبق ذكره أن كل خانقاه تشتمل عادة على مسجد جامع للصلاة وعلى خلاوى ودور لسكنى
الصوفية . وهذه الخانقاه لا تزال قائمة إلى اليوم وتعرف بجامع شيخون القليل لوقوعها تجاه جامع شيخون
البحري الذي سبق التطبيق عليه ويفصل بينهما شارع شيخون وتمتد هذه الخانقاه من أكبر وأكل الخوانق
في القاهرة فمسجدها الجامع لا يزال مامرا باقامة الشعائر الدينية والخلاوى ويلووها مساكن الطلبة
دورين لا تزال باقية تشرف بشكلها المدرسى الجليل على محض الجامع ولكنها مطلية الآن من السكى
والتدريس وفي هذه الخانقاه قبر منشأ رحمه الله .

(٣) الربع بفتح الراء المشددة هو عدة مساكن ملوئة بمحبتها حوانيت (دكاكين) ووكانل للتجارة ،
ولكل ربع باب يتصل مباشرة بسلم داخل وجهة البناء المشرقة على الطريق العام وبواسطه يصعد السكان
إلى مساكن الربع المخصصة لسكنى العامة بالأجرة الشهرية .

وهذا الربع أشار إليه المقرئ في خطه عند كلامه على خانقاه شيخون التي تكلنا عليها في الحاشية
السابقة ، فقال : « وأنشأ عدة حوانيت يملؤها بيوت لسكنى العامة » .

ومن المعاني تبيّن لى أن هذا الربع كان واقعاً بجوار الخانقاه من الجهة الغربية وقد هدم وزال أثره
وجعل بابه الذى كان بشارع شيخون دكاناً ضمن الدكاكين التى تجددت في مكان الحوانيت القديمة التى
كانت أسفل الربع المذكور .

والحمّامان وفوّرت هذه المهرة ولم يتشوّش أحد بسببها، ورّتب في مشيختها العلامة
أبّكل الدين محمد البّابريّ الحنفى^(٣)، وأشركه في النظر.

ودام السلطان حسن في السلطنة ولم يُحرّك ساكنا إلى أن آسَهت سنة ثمان
وخمسين وسبعائة قبض على أربعة من الأمراء وتُجنّوا بشفر الإسكندرية، وهم:
الأمير بَغا السلاح دار، وطُقطقاي الدوادار، وقُطْلُو بَغا الذهبي، وخليل بن قوصون
وخَلَع على الأمير علم دار باستقراره في الدوادارية، وخَلَع على الأمير قَشْتَمَر باستقراره
حاجبا ووزيرا، وكان القبض على هؤلاء الأمراء بعد أن ضرب الأمير شيخون
بالسيف، وُجِّل إلى داره جريما ولَزِم الفراش إلى أن مات، حسب ما يأتي ذكره.

(١) بماينة هذين الحمايين نين لي أنهما كانا متجاوزين ولهما مستوفد واحد وكان أحدهما خاص
للرجال والثاني خاص للنساء، وأن حمام الرجال لا يزال باقيا وعامرا إلى اليوم ويحرف بحمام الصلية لقربه
منها، ويقع بابه بين الدكاكين الواقعة غربي الخاقاه بشارع شيخون، ويستعمل الآن للرجال والنساء لكل
جنس ساعات معينة لاستحمامه.

وأما حمام النساء فقد كان بابه بشارع الزكية وقد هدم بسبب توسيع شارع الزكية وما بقي من أرضه أقيم
عليه الدكاكين القائمة الآن في أول شارع الزكية على يسار الداخل فيه من جهة الصلية.

(٢) سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٧٨٦ هـ ونسبه كما يأتي: «محمدي بن محمد بن محمود
الزوي البابريّ... الخ» وانظرو في السلوك الجزء الثالث والرابع (ص ٢٤ ب) وانظرو في الدرر الكامنة
(٤ ص ٢٥٠).

(٣) نسبة إلى بابري (بفتح الباء الثانية وسكون الراء): قرية من أعمال بغداد. عن معجم البلدان
الباقوت ولب الباب للسيوطي.

(٤) دلتى البحث على أن دار شيخون هي بذاتها دار الأمير قوصون السابق التعليق عليها باسم اسطبل
قوصون في الحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة وذكرنا في الحاشية المذكورة أن اسطبل
الأمير قوصون (دار قوصون) كان مخصصا لسكنى كل من صار أتابك الماسكر (أى قائد الجيش) فلما
ميين شيخون أتابكا سكن في هذه الدار فعرفت به يؤيد ذلك ما ذكر مؤلف هذا الكتاب في حوادث شهر
ربيع الآخر من سنة ٧٧٩ هـ أن من قطفتمر الملائى الطويل ضرب رنكه (رسم الشعار الخاص به) على اسطبل
شيخون بالرملة تجاه باب السلطنة وهذا الوصف ينطبق تماما على اسطبل قوصون السابق ذكره. ثم ذكر
المؤلف في أواخر حوادث الشهر المذكور أن قشتمر الدوادار نزل إلى بيت شيخون بالرملة وسكن به ليحكم
بين الناس. ثم ذكر في حوادث شهر ذى الحجة من تلك السنة أن بركة الجوبانى سكن في بيت قوصون
بالرملة تجاه باب السلطنة وهذا دليل آخر على أن دار شيخون هي بذاتها دار قوصون، مع العلم بأن شيخون
العمري وقطفتمر الملائى وقشتمر الدوادار وبركة الجوبانى تولون الأتابكية بالتعاقب.

- وأمرُ ضَرْبَ شَيْخُون كان في يوم الاثنين من شعبان سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائة ، وهو أن السلطان الملك الناصر حسنا جلس في اليوم المذكور على كرسى الملك بدار العدل للخدمة ^(١) ، والأمراء جلوس في الخدمة والقضاة والأعيان وجميع أرباب الدولة ، وبينما السلطان جالس على كرسى الملك وثب مملوك من الممالك السلطانية يُسمى قُطْلُو تَجَا السلاح دار على الأمير الكبير شَيْخُون ، وضربه بالسيف ثلاث ضربات أصابت وجهه ورأسه وذراعه ، فوقع شيخون مَفْشِيًا عليه ، وأرجف بموته ، وقام السلطان من على الكرسى ودخل الى القصر ، ووقعت الهبة ، فلما سمعت ممالك شيخون بذلك ، طلعوا القلعة راكبين مُجَبَّة أمير خليل بن قَوْصُون أحد الأربعة المقبوض عليهم بعد ذلك ، غَمَلُوا شيخون على جَنَوِيَّة وبه رَمَقٌ ، وزلوا به الى داره ، وأحضروا الجراحمية فأصلحوا جراحاته ، وبات شيخون تلك الليلة ، وأصبح السلطان الملك الناصر حسن نزل لعيادته من الغد ، فدخل عليه وحلف له أن الذى وقع لم يكن بخاطره ولا له عِلْم به ، وكان الناس ظنوا أن السلطان هو الذى سلطه على شيخون ، فتحقق الناس براءة السلطان ، وطلع السلطان الى القلعة وقد قبض على قُطْلُو تَجَا المذكور . فرسم السلطان بتسميره فُسْمَر .
- ثم وَسَّط في اليوم المذكور ، بعد أن سأل السلطان قُطْلُو تَجَا السلاح دار المذكور عن سبب ضرب شيخون بالسيف ، فقال : طلبتُ منه خُبْرًا فنعني منه وأعطاه لغيري . ولزم شيخون الفراش من جراحه الى أن مات في ذى القعدة من السنة ، وبموته خَفَّ عن السلطان أشياء كثيرة ، فإنه كان ثَقِيلَ الوَطْء على السلطان الى الغاية ، بحيث إن السلطان كان لا يفعل شيئًا حتى يُشاوره حقيرها وجليلها ، فلما مات ألتفت السلطان حسن الى إنشاء ممالكه ، فأمر منهم جماعة كثيرة على ماسياقي ذكره .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٥٩ من هذا الجزء .

ثم أخذ السلطان حسن في شراء دار الطنبغا المارداني وبلغا الجحايى بالرَّميلة^(١) وهدمهما وأضاف اليهما عدة دور وإسطبلات أخرى، وشرع في بناية مدرسته المعروفة به تُجاه قلعة الجبل، التي لم يُبنَ في الإسلام نظيرها، ولا حكاها معمار في حسن عملها، وذلك في سنة ثمان وخمسين المذكورة.

ولما شرع في عمارتها جعل عليها مشدّين ومهندسين وأجتهد في عملها. وأما مصروفها وما أجمع بها من الصنائع والمعلمين فكثير جدا لا يدخل تحت حصر، وقيل: إن إيوانها يعادل إيوان كسرى في الطول.

قلت: وفي الجملة إنها أحسن ما بُني في الدنيا شرقا وغربا في معناها بلا مدافعة. وفي هذه السنة وقع أمرٌ عجيب، قال ابن كثير في تاريخه: «وفي هذه السنة^(٢) حلت جارية من عتقاء الأمير الهيدباني قريبا من تسعين يوما، ثم شرعت تطرح ما في بطنها، فوضعت قريبا من أربعين ولدا، منهم أربع عشرة بنتا. وقد تشكل الجميع، وتميّز الذكر من الأنثى، فسبحان القادر على كل شيء.

قلت: وآبن كثير ثقة حجة فيما يرويه وينقله. انتهى.

(١) تقدم الكلام عليها في الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٢) يريد بها سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وبالرجوع الى تاريخ ابن كثير المنسب بالبداية والنهاية (النسخة الفوتوغرافية) المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٠ تاريخ (القسم الثالث من الجزء الرابع ص ٣٦٨) وجدنا تابينا ظاهرا بين الروایتين فأثرنا إثبات رواية ابن كثير هنا، ونصها: «وفي شهر شعبان من هذه السنة حكى... عن جارية من عتقاء الأمير سيف الدين ترم المهندار أنها حلت قريبا من سبعين يوما ثم شرعت تطرح ما في بطنها فوضعت قريبا من أربعين يوما في أيام متوالية ومتفرقة أربعة عشر بنتا وصبي بدهن، كلهن يعرف بشكل الذكر من الأنثى».

(٣) هكذا ورد في الأصلين. وفي المثل الصافي (ج ٢ ص ٣٧ (١)): «الأمير الهيدباني».

وفي ابن كثير كما هو وارد في الحاشية السابقة رقم ٢

ولما مات شيخون انفرد صرغتمش بتدبير المملكة، وعظم أمره وأستطال في الدولة، وأخذ وأعطى وزادت حرمة وأثرى وكثرت أمواله، إلى أن قبض عليه الملك الناصر حسن حسب ما يأتي ذكره في محله، إن شاء الله تعالى.

- ثم إن السلطان قبض على الأمير طاز نائب حلب، في أوائل سنة ثمان وخمسين المذكورة بسفارة صرغتمش، وقبده وحمله إلى الإسكندرية فحبسه بها، وولى عوضه في نيابة حلب الأمير منبجك اليوسفي^(١) الوزير، نقل إليها من نيابة طرابلس.
- ثم عزل السلطان عز الدين بن جماعة عن قضاء الشافعية بديار مصر، وولى عوضه بهاء الدين بن عقيل^(٢)، فأقام ابن عقيل في القضاء ثمانين يوما وعزل، وأعيد ابن جماعة ثم نقل السلطان منبجك اليوسفي المذكور من نيابة حلب إلى الشام عوضا عن أمير على المارديني، ونقل المارديني إلى نيابة حلب، كل ذلك في سنة ثمان وخمسين.
- وسبعائة المقدم ذكرها، وخلع السلطان على تاج الدين بن ريشة وأستقر في الوزارة ثم تقي السلطان جماعة من الأمراء، منها الأمير جرجي الإدريسي، وأنعم بإقطاعه وهو إمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر على مملوكه يلغا العمري صاحب الكبش^(٣) وهو الذي قتل أستاذة الملك الناصر حسنا المذكور، حسب ما يأتي ذكره في وقته.
- من هذا الكتاب في هذه الترجمة، ثم خلع عليه وجعله أمير مجلس عوضا عن الأمير تنكز بقا المارديني. ثم في يوم الخميس العشرين من شهر رمضان سنة

(١) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حضر الكافي الشافعي عز الدين. توفي سنة ٧٦٧ هـ من الذرور الكانة ج ٢ ص ٣٧٨ وطبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٢٣). وسيد ذكر المؤلف وفاته ضمن من توفروا في السنة المذكورة.

(٢) هو بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عقيل توفي سنة ٧٦٩ هـ. وسيد ذكر المؤلف وفاته ضمن من توفروا في النية المذكورة.

(٣) سماه المؤلف صاحب الكبش، لأنه كان من الأمراء الذين سكنوا بالكبش. وقد سبق التعليق عليه في الحاشيتين: رقم ٢ ص ٧٢٠ ورقم ٢ ص ١١٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

تسع وخمسين وسبعمائة، أمسك السلطان الأمير صرغتمش الناصري، بعد ما أقعد له قواعد مع الأمير طيغنا الطويل ويبلغا العمرى وغيرهما، وأمسك معه جماعة من الأمراء، وهم طشتمر القاسمي حاجب الحجاب، وطيغنا الماجارى وأزدمر وقارى وأرغون الطرخانى وأجبا الحموى، وجماعة أخر من أمراء الطبليخانات والعشرات، وكان سبب مسكه أن صرغتمش كان قد عظم أمره بعد موت شيخون، واستبذ بأمر الدولة وتدير الملك، فلما تم له ذلك، ندب الملك الناصر حسنا لمسك طاز ووغر خاطره عليه، حتى كان من أمره ما كان، فلما صفا له الوقت بغير منازع، لم يقنع بذلك، حتى رام الوثوب على الملك الناصر حسن ومسكه واستقلاله بالملك، فبلغ الناصر ذلك فاتفق مع جماعة من الأمراء على مسكه عند دخوله على السلطان في خلوة، فلما كان وقت دخوله وقفوا له في مكان رتبهم السلطان فيه، فلما دخل صرغتمش احتاطوا به وقبضوا عليه، ثم خرجوا لمن عين لهم من الأمراء المقدم ذكرهم. فقبضوا عليهم أيضا في الحال، وحبسوا الجميع بقلعة الجبل، فلما بلغ ممالك صرغتمش وحواشيه من الممالك، ركبوا بالسلاح وطلعوا الى الرملة، فقتل إليهم الممالك السلطانية من القلعة، وقاتلهم من بكرة النهار الى العصر عدة وجوه، الى ان كانت الكثرة على ممالك صرغتمش. وأخذتهم السيوف السلطانية، ونهبت دار صرغتمش عند بئر الوطاويط، ونهبت دكاكين الصليبة، ومسك من الأعجام صوفية المدرسة الصرغتمشية جماعة لأنهم ساعدوا الصرغتمشية وأحموهم عند

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٧ من هذا الجزء. (٢) هذه المدرسة تكلم عليها المقرئ في خطه (ص ٤٠٣ ج ٢) فقال: إنها خارج القاهرة بجوار جامع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون، كان موضعها قديما من جملة قطاع ابن طولون ثم صارت عدة مساكن فأخذها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري رأس نوبة الثوب وهدمها وأبدا في بناء المدرسة في شهر رمضان سنة ٧٥٦ هـ وانتهت في جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ وقد جاءت من أبداع المباني وأجلها وأحسنها قالبا وأبهجها منظرا وجعل الأمير صرغتمش هذه المدرسة وفقا على الفقهاء الحنفية ورتب بها درسا لتحديث وأجرى لهم جميعا المعاليم ونف رتبهم لهم =

كسرتهم ؛ وما أذن المغرب حتى سكن الأمر وزالت الفتنة ، ونودى بالأمان والبيع والشراء .

وأصبح الملك الناصر حسن في بكرة يوم الثلاثاء وهو سلطان مصر بلا منازع ، وصفاً له الوقت ، وأخذ وأعطى ، وقرب من آختر وأبعد من أبعد ، وخلع على الأمير أبلجى اليوسفى واستقر به حاجب المحباب عوضاً عن طشتمر القاسمى ، وخلع على جماعة أخرى عدة وظائف ، ثم أخذ في ترقية مماليكه والإنعام عليهم . وأعيان مماليكه : يلغا العمرى وطيفغا الطويل وجماعة من أولاد الأمراء .

وكان يميل لإنشاء أولاد الناس وترقيهم الى الرتب السنية ، لالحبه لهم ، بل كان يقول : هؤلاء مامونو العاقبة ، وهم فى طى على ، وحيث وجهتهم اليه توجهوا ، ومتى

وأقول : إن هذه المدرسة لا تزال باقية بيدع مبانيها وبهيج منظرها عامرة بالشعائر الدينية وتعرف بجامع صرغتمش بشارع الخضرى بضم السيدة زينب بالقاهرة بجوار جامع ابن طولون من الجهة البحرية الغربية للجامع . والظاهر من قول المقرئى أن هذه المدرسة بين جامع ابن طولون وبين قلعة الجبل يقصد أنها بين الجامع وبين الطريق التى توصل الى قلعة الجبل . ومذكور على كفى باب هذه المدرسة أن بناها تم فى ربيع الآخر سنة ٧٥٧ هـ وقال المقرئى : إنه تم فى جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ والفرق بسيط لأن الشهرين متصل بعضهما ببعض .

وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإجراء عدة ترميمات وإصلاحات عظيمة فيما تهدم من بناء هذه المدرسة ، منها إعادة مثنتها الى حالتها الأولى وبناء القبة التى فوق الإيوان الشرقى الذى به المحراب طبق طرازها الأصل .

وبهذه المدرسة قبر منشأ تحت القبة الثانية الغربية وعليه تركبة من الرخام مزخرفة بنقوش فارسية .
(١) قال المقرئى فى خططه عن السلطان حسن : لم يكن مثله فى الدولة التركية حتماً وعزماً ، أمر أولاد الناس لأول مرة فى تاريخ الدولة التركية ليستعيز بهم عن الجند التركى ، ولكنه عوجل قبل ذلك . ولم يأت بعده من أحيا تلك الفكرة إلا ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين ، فانه اتخذ من المصريين أمراء بدل الأمراء المماليك ، ولكنه عوجل كلمه ونحدث الفكرة بموتها . انظر خطط المقرئى (ج ٢ ص ٣١٨) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٥) وابن إياس (ج ١ ص ٢٣٥) .

أحببتُ عَزَلَهُمْ أمكنني ذلك بسهولة، وفيهم أيضا رَفُقُ بالرعية ومعرفةُ بالأحكام، حتى إنه كان في أيامه منهم عِدَّة كثيرة، منهم أمراء مقدّمون، يأتي ذكر أسمائهم في آخر ترجمته، إن شاء الله تعالى .

ثم أخرج السلطانُ صَرغتمش ورُفقتَه في القيود الى الإسكندرية، فسُجِن صرغتمش بها الى أن مات في ذى الحجة من السنة، على ما سيأتى ذكرُ صرغتمش في الوفيات من حوادث منين الملك الناصر حسن .

ثم إن السلطان عَزَلَ الأميرَ منجك اليوسفى عن نيابة دِمَشق في سنة ستين وسبعائة، وطلبَه الى الديار المصرية، فلما وصل منجك الى غزة بلغه أن السلطان يُريد القبض عليه، فنسحب ولم يُوقف له على خبر، وعظم ذلك على السلطان وأكثَرَ من الفحص عليه، وعاقب بسببه خلائق فلم يُفدّه ذلك . ١٠

ثم خلع السلطان على الأميرِ على الماردينى نائب حلب، بإعادته الى نيابة دِمَشق كما كان أولا، واستقر بكتُمَر المؤمنى في نيابة حلب عوضا عن على الماردينى، فلم تطل مدته بحلب وعُزِل عنها بعد أشهر بالأمير أسدُمر الزينى، أنى يلبغا البجايوى نائب الشام كان .

ثم خلع السلطان على نحر الدين بن قروينة باستقراره في نظَر الجيش والخاص معا، ثم ظهر الأمير منجك اليوسفى من اختفائه في بيت بالشرف الأعلى بدمشق، في سنة إحدى وستين وسبعائة، بعد أن اختفى به نحو السنة، فأخذ وأحضر الى القاهرة، فلما مثل بين يدي السلطان وطلبه بُشَّت عَسَلِي^(١) وعلى رأسه مِترٌ صفح

(١) رواية السلوك : « وهو لابس بشتا من صوف وقد اعتم بمِتر من صوف » . انظر السلوك

عنه لكونه لم يخرج من بلاده، ورسم له بإمرة طبخانة بدمشق، وأن يكون طرخانا^(١١) يقيم حيث شاء، وكُتِبَ له بذلك توقيعٌ شريف .

ثم في هذه السنة وقع الوباء بالديار المصرية، الى أوائل سنة اثنتين وستين وسبعائة، ومات في هذا الوباء جماعة كثيرة من الأعيان وغيرهم، وأكثرهم كان لا يتجاوز مرضه أربعة أيام الى خمسة، ومن جاوز ذلك يطول مرضه، وهذا الوباء .
يقال له : الوباء الوسيط (أعنى بين وباءين) .

وفي هذه الأيام عظم بلغا العمرى في الدولة حتى صار هو المشار اليه، وثقلت وطأته على أستاذه الملك الناصر حسن، مع تمكن الملك الناصر في ملكه، وكان بلغا العمرى وطيبا الطويل وتمان تترهم أعظم أمرائه وخاصيته من مماليكه .

- فلما أن استهلّت سنة اثنتين وستين وسبعائة بلغ الملك الناصر أن بلغا ينكر عليه ١٠ من كونه يعطى الى النساء الإقطاعات الهائلة، وكونه يختص بالطواشيه ويحكمهم في المملكة وأشياء غير ذلك، وصارت الخاصية ينقلون للسلطان عن بلغا أمورا قيحة في حقّه في مثل هذا المعنى وأشباهه، فتكلم الملك الناصر حسن مع خواصه بما معناه : إنه قبض على أكابر أمرائه من ممالك أبيه، حتى استبد بالأمر من غير منازع، وأنشأ مماليكه مثل بلغا المذكور وغيره، حتى يسلم من معارض، فصار ١٥ بلغا يعترض عليه فيما يفعله، فعظم عليه ذلك وندم على تربيته، وأخذ يتربص وقتا يمسك بلغا فيه .

(١) الترخات : الأمير في اللغة التركية، وقد استعملت في المصادر التي تحت يدينا معنى المزعول أو المتقاعد بغير عمل، يجري عليه ما يكفبه من أموال الدولة، فكانهم أرادوا بها «أقام شريفا في داره غير مهان» قال طرخانيات في الاصطلاح القديم هي الإحالة على المعاش الآن تفريسا . انظر ابن إياس ج ١ ص ٢٥٣ وج ٢ ص ٧٥ وج ٣ ص ١٦ وانظر صبح الأعشى ج ١٣ ص ٤٨ وما بعدها . وقد وردت هذا المعنى كثيرا في الضوء الالامع والدرر الكامنة والمنهل الصافي ... الخ .

واتفق بعد ذلك أن السلطان حسنا خرج الى الصيد ببرّ البحيزة بالقرب من
 الهرميين^(١)، وخرجت معه غالبُ أمراءه يلبغا وغيره على العادة ، فلما كان يوم الثلاثاء
 ثامن جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين المذكورة، أراد السلطان القبض على يلبغا^(٢)
 لما بلغه عن يلبغا أنه يريد الركوب عليه هناك، فصبر السلطان حسن حتى دخل الليل،
 فركب ببعض خاصيته من غير استعداد ولا اكتراث بيلغا، وسار يريد يكبس
 على يلبغا بنجيمه فتم بعض خاصية السلطان بذلك الى يلبغا ، فاستعد يلبغا بماليكه
 وحاشيته لقتاله ، وطلب خشد اشيته وواعدهم بالإمرات والإقطاعات ، وخوفهم
 عاقبة أستاذهم الملك الناصر حسن المذكور، حتى وافقه كثير منهم، كل ذلك والملك
 الناصر في غفلة استخفافا بمملوكه يلبغا المذكور، حتى قارب السلطان خيمة يلبغا،
 ١٠ خرج اليه يلبغا بمن معه وقاتله ، فلم يثبت السلطان لقلة من كان معه من مماليكه ،
 وانكسر وهرب وعدى النيل وطلع الى قلعة الجبل في الليل ، هي ليلة الأربعاء التاسع
 من جمادى الأولى من سنة اثنتين وستين المذكورة ، وتبعه يلبغا ومن معه يريد
 القلعة ، فاعترضه ابن المحسنى أحد أمراء الألو ف بماليكه ، ومعه الأمير
 قشتمر المنصوري ، وواقعا يلبغا ببسولا ق وقعت هائلة ، انكسر فيها يلبغا مرتين ،
 ١٥ وابن المحسنى يتقدم عليه ، كل ذلك وابن المحسنى ليس له علم من السلطان
 أين ذهب ، بل بلغه أنه توجه إلى جهة القلعة ، فأخذ في قتال يلبغا وتوقيفه عن
 المسير إلى جهة القلعة ، واشتد القتال بين يلبغا وابن المحسنى حتى أردف يلبغا الأمير
 أبلجاي اليوسفى حاجب التجاب وغيره ، فانكسر عند ذلك ابن المحسنى وقشتمر،

(١) أى على الجانب الغربى للنيل ، والمقصود بالهرمين الهرمان الكبيران المعروفان بأهرام البحيزة
 الواقعان غربى مدينة البحيزة على حافة الصحراء . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٥ من الجزء الثامن من
 هذه الطبعة . (٢) فى م .: «تاسع جمادى الأولى ... الخ» . وفى ف : «رابع جمادى الأولى»
 وما أثبتناه هو ما يقتضيه السياق . (٣) انظره فى السلوك (ج ٣) و ٤ لوحة ٦٣ (١) .

وقيل : إن يلبغا لما رأى شدة ابن المحسنى في القتال دَسَّ عليه من رجعه عن قتاله وأوعده بأوعاد كثيرة، منها أنه لا يُغير عليه ما هو فيه في شيء من الأشياء خوفاً من^(١) طلوع النهار قبل أن يدرك القاعة ، وأخذ السلطان الملك الناصر حسن ، لأن الناصر كان طلع إلى قلعة الجبل في الليل ، ولم يشعر به أحد من أمرائه ومماليكه وخواصه ، وصاروا في حيرة من عدم معرفتهم أين توجه السلطان ، حتى يكونوا معه على قتال يلبغا ، وعلم يلبغا أنه متى تمؤق في قتال ابن المحسنى إلى أن يطلع النهار ، أتت العساكر الملك الناصر من كل فجٍّ ، وذهبت رُوحه ، فلما ولى ابنُ المحسنى عنه أتهز يلبغا الفرصة بمن معه وحرك فرسه وصحبته من وافقه إلى جهة القلعة ، حتى وصل إليها في الليل . والله أعلم .

وأما أمر السلطان حسن ، فإنه لما أنكر من مملوكه يلبغا وتوجه إلى قلعة الجبل ، حتى وصل إليها في الليل ، ألبس مماليكه المقيمين بالقلعة ، فلم يجد لهم خيلاً لأن الخيول كانت في الربيع ، وبينما هو في ذلك طَرَفَ يلبغا قبل أن يطلع النهار وتجمع العساكر عليه ، فلم يجد الملك الناصر قوةً للقائه ، فليس هو وأيدمّر الدواداري زى الأعراب ليتوجهها إلى الشام ونزلاً من القلعة وقت التسبيح ، فلقبهما بعض المماليك فأنكروا عليهما وأسكوهما في الحال ، وأحضرهما إلى بيت الأمير شرف الدين^(٢) [موسى] بن الأركشي أستاذار العالية ، فحملهما في الوقت إلى يلبغا حال طلوع يلبغا إلى القلعة ، فقتلهما يلبغا في الحال قبل طلوع الشمس .

وكان عمر السلطان حسن يوم قُتل نيفاً على ثلاثين سنة تخميناً ، وكانت مدة ملكه في سلطته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر [وسبعة أيام]^(٣) وكان قتله وذهابُ

(١) في م : « خوفاً على طلوع النهار ... الخ » . (٢) الكلمة من السلوك

(ج ٣ و ٤ ص ٢٥) . (٣) الكلمة من السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٢٥) .

ملكه على يد أقرب الناس إليه من ممالিকে وخواصه ، وهم : يلغا العمري وطبغا الطويل وتمان ثمر وغيرهم وهم من مشترواته ، اشتراهم ورباهم وخولهم في النعم ورقاهم إلى أعلى المراتب ، خوفا من أكابر الأمراء من ممالك أبيه ، فكان ذهاب رُوحه على أيديهم ، وكانوا عليه أشد من تلك الأمراء ، فإن أولئك لما خلعوه من السلطنة بأخيه الملك الصالح ، حبسوه بالدور من القلعة مكرما مبعثلا ، وأجروا عليه الرواتب السنية ، إلى أن أعادوه إلى ملكه ثانيا ، وهم مثل شيخون وصرغتمش وقبلاى النائب وغيرهم ، فصار يتذكر ما قاساه منهم في خلعه من السلطنة وتحكُّمهم عليه ، فأخذ في التدبير عليهم حتى قبض على جماعة كثيرة منهم وأبادهم . ثم رأى أنه ينشئ ممالیکه ليكونوا له حزبا وعصدا ، فكانوا بعكس ما أتمله منهم ، ووثبوا عليه ، وكبيرهم يلغا المقتم ذكره ، وعندما قبضوا عليه لم يمهلوه ساعة واحدة ، وعندما وقع نظرهم عليه قتلوه من غير مشاورة بعضهم لبعض ، موافاة لحقوق تربيته لهم وإحسانه إليهم ، فكان بين فعل ممالك أبيه به وبين فعل ممالیکه له فرق كبير ، والله در القائل :
مُعَادَاة الْعَاقِل ، وَلَا مُصَاحَبَةُ الْجَاهِل .

قلت : لا جرم أن الله تعالى عز وجل عامل يلغا المذكور من ممالیکه بجنس ما فعله مع أستاذه ، ووثبوا عليه وقتلوه أشر قتلة ، على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وَأَسْتَوْلَى يَلْغَا الْعُمَرَى الْخَاصِكَى عَلَى الْقَلْعَةِ وَالْخِزَانِ وَالسَّلَاحِ وَالْخِيُولِ وَالْجِهَالِ ،
وعلى جميع ما خلفه أستاذه الملك الناصر حسن ، وأقام في المملكة بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون كما سيأتى ذكره بعد حوادث سنين الملك الناصر حسن ، كما هي عادة هذا الكتاب .

وكان الملك الناصر حسن سلطانا شجاعا مقداما كريما عاقلا حازما مدبرا سيوسا ، ذا شهامة وصرامة وهيبة ووقار، على الأهمية كثير الصدقات والبر، ومما يدل على علو همته مدرسته التي أنشأها بالرميلة تجاه قلعة الجبل في مدة يسيرة، مع قصر مدته في السلطنة والنجار عليه في تصرفه في سنين من سلطته الثانية أيضا، وكان صفته للطول أقرب، أشقر وبوجه نَمَش، مع كَبَس وحلاوة، وكان متجملا في ملبسه ومركبه ومماليكه وبركه، اصطنع مرة خيمة عظيمة، فلما تجزّت ضُربت له بالحوش السلطاني من قلعة الجبل، فلم يرَ مثلها في الكبر والحسن، وفيها يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة التلمساني المغربي . رحمه الله تعالى :

[الطويل]

- ١٠ حَوَتْ خِيَمَةُ السُّلْطَانِ كُلَّ عَجِيْبَةٍ * فَامْسَبَتْ مِنْهَا بِاهِتًا أَتَعَجَّبُ
لِسَانِي بِالتَّقْصِيرِ فِيهَا مُقْصَرٌ * وَإِنْ كَانَ فِي أَطْنَارِهَا بَاتٌ يُطِيبُ

وكان السلطان الملك الناصر حسن مُغرما بالنساء والخُدام، وأقننى في سلطته من الخُدام ما لم يقتنه غيره من ملوك التُّرك قبله ، وكان إذا سافر يستصحب النساء معه في سفره لكونه ما كان له مِيلٌ للشباب كمادة الملوك من قبله ، كان يَعِفُّ عن ذلك ، وفي محبته إلى النساء وواقفته مع يلبغا يقول بعض أصحاب يلبغا فيه شعرا :

- ١٥ ذلك ، وفي محبته إلى النساء وواقفته مع يلبغا يقول بعض أصحاب يلبغا فيه شعرا :

[الكامل]

- (١) لا تزال هذه المدرسة قائمة الى اليوم ، وهي أعظم وأنعم مساجد مصر طرا ، روى الإجماع أنه لما دخل السلطان سليم مصر وزار المدارس والمساجد قال عن مدرسة السلطان حسن : هذا حصار عظيم وقال عن مدرسة المؤيد هذه عمارة الملوك ، وعن مدرسة الفوري : هذه قاعة تاجر . انظر تاريخ الإجماع طبع بجرس ٢٨٤ - ٢٨٥ - وروى السخاوي وغيره أن السلطان حسن لم يدفن فيها وإنما دفن فيها أحد سلالته . انظر التبر المسبوك للسخاوي ص ٢٥١ وقد ظلت مدرسة لطلاب العلم لعهد صاحب كتاب واقعة الشراكة أي حوالي سنة ١١٢٣ هـ انظر ص ١٩

- (٢) رواية المنهل الصافي : « وفي قصته مع يلبغا وصحبته للنساء يقول بعض الأدباء » . انظر المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٦ (ب) « .

لَمَّا آتَى لِلْعَادِيَاتِ وَزُلْزِلَتْ * حَفِظَ النِّسَاءَ وَمَا قَرَأَ لَوَاعِيَهُ
فَلَأَجَلَ ذَاكَ الْمَلِكُ أَضْحَى لَمْ يَكُنْ * وَأَتَى الْقِتَالُ وَفُصِّلَتْ بِالْقَارِعَةِ
لَوْ عَامِلَ الرَّحْمَنِ فَازَ بِكَهْفِهِ * وَبَنَصْرِهِ فِي عَصْرِهِ فِي السَّابِغَةِ
مِنْ كَانَتِ الْقِيَنَاتِ مِنْ أَحْزَابِهِ * عَطَّعَ بِهِ الدَّخَانَ^(١) نَارُ لَامِعَةٍ
تَبَّتْ يَدَا مَنْ لَا يَخَافُ مِنَ الدَّعَا * فِي اللَّيْلِ إِذْ يَفْشَى يَقَعُ فِي النَّازِعَةِ

وخلف السلطان الملك الناصر حسن ، تغمده الله برحمته ، من الأولاد المذكور
عشرة : وهم أحمد وقاسم وعلي وإسكندر وشعبان وإسماعيل ويحيى وموسى ويوسف
ومحمد ، وسبأ من البنات ، وخلف من الأموال والقمّاش والذهب العين والسلاح
والخيول وغيرها شيئا كثيرا . استولى يلبغا على الجميع ، وتصرّف فيه حسب ما أراد .
وكان السلطان حسن محبا للرعية ، وفيه لين جانب ، جُمِدَت سائر خصاله ،
لم يُعَب عليه في مُلكه سوى ترقية لما يليكه في أسرع وقت ، فإنه كان كريما بازا
بإخوته وأهله ، يميل الى فعل الخير والصدقات ، وله مآثر بمكة المشرفة ، واسمه
مكتوب في الجانب الشرقي من الحرم ، وعُمِل في زمنه بابُ الكعبة الذي هو
بابها الآن ، وكسا الكعبة الكُسوة التي هي الى الآن في باطن البيت العتيق ، وكان^(٢)
كثير السبر لأهل مكة والمدينة ، الى أن كانت الواقعة لعسكره بمكة في أواخر سنة
إحدى وستين وسبعمائة التي كان مقدّم عسكرها الأمير قندس وابن قراستقر وحصل^(٣)
لهم الكسرة والنهب والقتل من أهل مكة وإخراجهما من مكة على أقبح وجه ،

(١) رواية ابن إياس : « من كانت الأنعام من أحزابه » وعقب على الأبيات بما يأتي :
« أراد الناظم بقوله : عَطَّعَ الإشارة الى مفرّ كان اسمه « عَطَّع » وأشار « بالدخان » الى اسم
مشبب ، كانا يفتيان بالديار المصرية والبلاد الشامية . انظر تاريخ ابن إياس (ج ١ ص ٢١٠) .
(٢) ريد زمن المؤلف وهو القرن التاسع الهجرى . (٣) انظر أخبار هذه الفتنة مفصلة في « شفاء
الغرام في أخبار البلد الحرام » لأبي الطيب محمد بن أحمد القاسم ص ٢٨٤ — ٢٨٥ (طبع ليزج) .

- غَضِبَ بعد ذلك على أهل مكة وأمر بتجهيز عسكر كبير الى الحجاز للانتقام من أهل مكة، وعزَمَ على أنه يزعمها من أيدي الأشراف الى الأبد، وكاد يَتِمُّ له ذلك بسهولة وسُرعة، وبينما هو في ذلك وقع بينه وبين مملوكه يَلْبُغا وكان من أمره ما كان .
- وكان السلطان حسن يميل الى تقديم أولاد الناس الى المناصب والولايات حتى إنه كان غالب ثواب القلاع بالبلاد الشامية في زمانه أولاد ناس، ولهذا لم يخرج عليه منذ سلطته بالبلاد الشامية خارجي، وكان في أيامه من أولاد الناس ثمانية من مقدى الألوف بالديار المصرية . ثم أنعم على ولديه بتقديم ألف فصارت الحملة عشرة، فأما الثمانية فهم : الأمير عمر بن أرغون النائب وأسبغا بن الأبي بكرى ومحمد ابن طوغاى ومحمد بن بهادر رأس نوبة ومحمد بن المحسنى الذى قاتل يَلْبُغا وموسى بن أرقطاي وأحمد بن آل ملك وشرف الدين موسى بن الأزركىشى الأستاذار، فهؤلاء من مُقَدِّى الألوف . وأما الطلبخانات والعشرات فكثير، وكان بالبلاد الشامية جماعة أخر فكان ابن آقشتمرى نائب حلب وأمير على المَآرِدِىّ نائب الشام وابن صبيح نائب صَقَد وأما من كان منهم من المقدمين . والطلبخانات ثواب القلاع فكثير . وقيل : إن سبب تغير خاطر يَلْبُغا من أستاذه الملك الناصر حسن — على ما قيل — إنه لما عمِلَ ابن مولاهم البليقة التى أولها :

- (١) فى الأصلين : « وكان » والسياق يقتضى ما أثبتناه . (٢) فى ف : « من المناصب ... الخ » . (٣) يلاحظ أن هذا الاسم يرد فى الأصلين وفى بعض المصادر التى تحت يدنا تارة باسم « ابن صبح » وأخرى باسم « ابن صبيح » . (٤) هو سراج الدين عمر بن مولاهم ولم تقف له على تاريخ وفاة وقد ذكر المؤلف هذه البليقة فى المنهل الصافى بتمامها ، كما ذكر أيضا بليقة عبد الرحمن بن محمد بن سليمان الشيخ زين الدين المروزى الشافى الحموى الأصل الشيرازى بالخراط نزيل القاهرة وأحد أعيان موقعى الدست . وسيدكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٨٤٠ هـ . انظر البليقتين فى المنهل الصافى ج ٢ ص ٣٠٤ (أ) (ب) . (٥) البليقة تجمع على بلالقي وهى أغنية شعبية هزلية (عن دوزى) وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

مَنْ قَالَ أَنَا : جُنْدِي خَلَقَ ، لَقَدْ صَدَقَ . عِنْدِي قُبَا ، مِنْ عَهْدِ نُوحٍ ، عَلَى الْفَتْوحِ

لَوْ صَادَفُوا شَمْسَ السُّطُوحِ ، كَانَ أَحْتَرَقَ

وَرَقَّصُوا بِهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ حَسَنَ ، أَشَارُوا « بِالْجُنْدِيِّ خَلَقَ » إِلَى يَلْبَغَا

وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ حَسَنَ وَالسُّلْطَانِ حَسَنَ يَضْحَكُ وَيَسْتَعِيدُهَا مِنْهُمْ

فَفَضِيبٌ مِنْ ذَلِكَ يَلْبَغَا وَحَقَّدَ عَلَى أَسَاتِذَةِ السُّلْطَانِ وَهَذَا يَبْعُدُ وَقُوعُهُ لَكِنَّهُ قَدْ قِيلَ .

قُلْتُ : وَقَدْ أَثْبَتْنَا هَذِهِ الْبَلِيَّةَ — وَالَّتِي عَمِلَهَا الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابْنَ الْخُرَّاطِ فِي الْفَقِيهِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

مَنْ قَالَ أَنَا * فَفِيهِ بَشَرٌ * لَقَدْ فَشَّرَ

— فِي تَارِيخِنَا الْمَنْهَلِ الصَّافِي فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ الْخُرَّاطِ الْمَذْكُورِ بِتَمَامِهَا وَكُلِّهَا وَهِيَ

مِنْ أَظْرَفِ الْبَلَالِيْقِ فِي مَعْنَاهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اِنْتَهَى .



السَّنةُ الْأُولَى مِنْ سُلْطَانَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ حَسَنِ الثَّانِيَةِ عَلَى مِصْرَ وَهِيَ سَنَةُ

سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَلَى أَنَّهُ حَكَمَ — فِي السَّنةِ الْخَالِيَةِ بَعْدَ خُلْعِ أَخِيهِ الْمَلِكِ

الصَّالِحِ صَالِحَ — مِنْ سُؤَالٍ إِلَى آخَرِهَا .

وَفِيهَا (أَعْنَى سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِينَ) تُوُفِّيَ قَاضِي الْقَضَاةِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ ^(١)

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ عَبِيدُ الْكَافِي بْنِ عَلِيٍّ بْنِ تَمَّامَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ مُوسَى

ابْنِ تَمَّامَ بْنِ حَامِدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَسَّوَارَ بْنِ سَلِيمِ الْأَنْصَارِيِّ

(١) عَقْدَ لَهُ وَلَدُهُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو نَصْرِ عَبْدِ الْوَهَّابِ صَاحِبُ طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى تَرْجُمَةُ مَنَّمَةٍ نَفَعَتْ

فِي ثَمَانِينَ صَفْحَةً . وَبِمَا قَالَهُ فِي أَوَّلِ التَّرْجُمَةِ بَعْدَ تَصْحِيحِ نَسَبِهِ : « الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ الْحَافِظُ الْمُحْمَرُّ

الْمُقَرَّرُ الْأَصُولُ الْمُتَكَلِّمُ النَّحْوِيُّ الْفَرَوِيُّ الْأَدَبِيُّ الْحَكِيمُ الْمُنَاطِقِيُّ الْجَدُّلِيُّ الْخَلَّافِيُّ النَّظَارِيُّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ قَاضِي

الْقَضَاةِ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ » . انْظُرْ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ ص ١٤٦ ج ٦ مِنْ طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَةِ الْكُبْرَى .

السُّبُكِيُّ الشافعي - رحمه الله تعالى - بشاطئ النيل في ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة، ومولده في [أول يوم من] شهر صفر سنة ثلاث وعشرين وستمائة بسبك الثلاث^(٢١) وهي قرية بالمنوفية من أعمال الديار المصرية بالوجه البحري، وكان - رحمه الله - إماما عالما بالفقه والأصول والحديث والتفسير والنحو والأدب وفي شهرته ما يُغني عن الإطناب في ذكره . وقد استوعبت ترجمته في تاريخنا « المنهل الصافي » بأوسع من هذا فلينظر هناك لمن أراد ذلك . ومن شعره :

إِنَّ الْوِلَايَةَ لَيْسَ فِيهَا رَاحَةٌ * إِلَّا ثَلَاثٌ يَتَّبِعُهَا الْعَاقِلُ^(٢٢)
حُكْمٌ يَحْقُقُ أَوْ إِزَالَةٌ بِاطِّلِ * أَوْ نَفْعٌ مُخْتَلَجٌ سِوَاهَا بَاطِلُ^(٢٣)

وَتُوِّقِي قَاضِي الْقَضَاةِ نَوْرَ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ النَّصِيرِ بْنِ عَلِيٍّ السَّخَاوِيِّ^(٢٤)

- ١٠ (١) رواية المنهل الصافي ج ٢ ص ٤١٢ : « في يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة » .
(٢) التكملة من المنهل الصافي المصدر المتقدم . (٣) هذه القرية هي بذاتها سبك الضحاك التي سبق التعليل عليها في الحاشية رقم ٧ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٤) رواية الطبقات الكبرى للشافعية : « يتبعها ... الخ » . (٥) سماه المقرئ : « علي بن عبد الصمد ابن علي » . (٦) السخاوي : نسبة إلى بلدة سخا، وأصلها من المدن المصرية الكبيرة القديمة، اسمها المصري « خاسوخوت » والرومي : « أكسويس » والقبلي : « سخوي » ومنه اسمها العربي سخا، وكانت في عهد الفراعنة قاعدة للقسم السادس بالوجه البحري . وذكر ما يتنون أنها كانت عاصمة مصر في عهد الأسرة الرابعة عشرة، ولكن لم يظهر فيها من الآثار ما يؤيد هذه الرواية .
- ١٥ ولا يزال يوجد من أطلال المدينة القديمة تل أثرى مرتفع كانت مساحة أرضه حوالي ١٢٠ فدانا ثم أخذ التل في القصر بسبب ما نقل من أثره تدريجاً لتسميد الأراضي الزراعية لأعمال أخرى . وقد استصلحت أغلب أرض هذا التل وأصبحت صالحة للزراعة، والباقي من التل تبلغ مساحته حوالي ٤٠ فدانا .
- ٢٠ وفي عهد العرب كانت سخا قاعدة لكورة (قسم) كبيرة .

وردت في كتاب المسالك لابن حوقل « سخا » بالصاد وقال : إنها بين مسير وسهول، وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع وإقليم جليل له عامل بمسكروجه وغلات وبها القمع والكان الكثير وزيت القجل .

- ٣٥ وردت كذلك في تزهة المشتاق لادريسي « سخا » في البرية بالقرب من منبول ولما إقليم متصل . وفي معجم البلدان سخا كورة بمصر وقصبتها (قاعدتها) سخا بأسفل مصر وهي نوبة كورة الغربية وبها دار الوالي . =

المصري المالكى قاضى قصاة الديار المصرية بها وقد قارب الثمانين سنة و ليلة
الاثنين ثانى جمادى الأولى وذُفِن بالقرافة .^(١)

وتوفى الشيخ الأديب شمس الدين محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقى الشاعر
المشهور المعروف بالخيّاط بطريق الحجاز . ومن شعره قوله . [السريع]

خَلَفْتُ بِالشَّامِ حَبِيبِي وَقَدْ * يَمْنَتُ مِصْرًا لِنَفْسِي طَارِقِ

وَالْأَرْضُ قَدْ طَالَتْ فَلَا تَبْعُدِي * بِاللَّهِ يَا مِصْرُ عَلَى عَائِشَتِي^(٢)

وتوفى القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد الرحمن
ابن عبد الحق السعدى البارتبارى المصرى كاتب مِنتَر طرابُلُس وكان فاضلا كاتباً^(٣)

وردد في كتاب الانتصار لابن دقاق بأن سخا مدينة قديمة حسنة ولها إقليم واسع وقد تغيرت
أحوال هذه المدينة الكبيرة حتى أصبحت الآن قرية من قرى مركز كفر الشيخ بمديرية الغربية بمصر .

وعدد سكانها حوالى ٤٠٠ نفس ومساحة أراضها ١٤٠٠ فدان وهى مركز تفتيش سخا التابع لمصلحة
الأملاك الأميرية وبها محطة كبيرة للتجارب الزراعية ومحلج للقطن ملك الحكومة وقسم لثريسة مواشى
وزارة الزراعة وبها منزل نظم لاستراحة من يتحصد هذه الجهة من الوزراء ومنزل آخر لاستراحة كبار الموظفين .
(١) رواية السلوك (ج ٤ و ٢٥) : « راجع جمادى الأولى » . (٢) عقد المؤلف

له ترجمة وافية في المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٢٨) . (٣) رواية السلوك : « ابن
عبد العزيز ... الخ » انظره في (ج ٣ و ٤ ص ٢٥) وانظره في المنهل الصافى (ج ٣ ص ٢٨٥) (١) .

(٤) البارتبارى : نسبة الى بلدة بارتبارة إحدى القرى المصرية القديمة وهى المعروفة اليوم باسم
« برمبال » القديمة إحدى قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية بمصر . وردت في نزعة المشتاق للادريسي

محرقه باسم « برنبلز » على بحر أشموم (البحر الصغير) ووردت محرقه كذلك في نسخة دوزى طبع ليدن باسم
« برنيلين » والصواب « برنيلير » بدليل وجود الراء الأخيرة في أسمائها المذكورة بعد ، فوردت في معجم

البلدان لياقوت باسم « بورنبار » قال والعالمه تقول : بارتبارة بلدة من نواحي مصر قرب دمياط على نهر
أشموم بين البسراط وأشموم (أشموم الرمان) يعمل بها الشرب الفاخ الجليد العريض (والشرب قاش

رقيق رفيع يصنع من الكنان) . ووردت في قوانين الدواوين لابن مائى وفى التحفة السنية لابن الجيمان باسم
« بارتبارة » من أعمال الدقهلية . وفى تاج العروس للزبيدي « بورنبار » قال : وعلى السة العامة :

« بارتبار » . وفى العهد المائى حرف اسمها من بارتبار الى برتبال . وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ قسمت الى
بلدين وهما : برتبال الكبيرة وهذه وبرتبال الصغيرة وهى قرية أخرى . ومن سنة ١٢٥٩ هـ عرفت

باسمها الحالى وهو برمبال القديمة وهى واقعة على البحر الصغير الذى كان يعرف قديما ببحر أشموم .
ويبلغ مساحة أراضيها حوالى احد عشر ألف فدان . وسكانها هى والعرب التابعة لها حوالى ثمانية
آلاف نفس ، منها ٥٥٠٠ نفس يسكنون البلدة الأصلية .

خَدَمَ الملوك وباشركتابه مير طرابُلُس . وكان له شعر جيد وكتابة حسنة . رحمه الله تعالى .

وتوفى الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو البباس أحمد بن يوسف [بن

عبد الدائم] بن محمد الحلبي النحوي المقرئ الفقيه الشافعي المعروف بابن السمين — ^(١)

رحمه الله — في جمادى الآخرة، وكان إماما عالما أفتى ودرس وأقرأ عدة سنين .

وتوفى الأمير سيف الدين قبلاى بن عبد الله الناصرى في يوم الأربعاء ثالث

شهر ربيع الأول ، وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون ، وولى نيابة

الكرك ثم المحجوبة الثانية بمصر، ثم نقل إلى المحجوبة الكبرى بها ، ثم ولى نيابة السلطنة

بالديار المصرية . وقد تقدم من ذكره نبذة جيدة في عدة تراجم .

وتوفى القاضي زين الدين خضر ابن القاضي تاج الدين محمد بن زين الدين

خضر بن جمال الدين عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين على كاتب

الإنشاء بالديار المصرية . ومولده ليلة الأحد رابع ذى الحجة سنة عشر وسبعمائة .

كان فاضلا قادرا على الكتابة سريعها ، يكتب من رأس القلم التواقيع والمناشير

واعتمد القاضي علاء الدين على بن فضل الله عليه . وكان له نظم وثق . رحمه الله

تعالى . ومن شعره في مَقْصُ قوله :

يُحَرِّكُنِي مَوْلَايَ فِي طَوْبِ أَمْرِهِ * وَيُسْكِنُنِي [شَانِيهِ] وَسَطَ فَوَادِهِ

وَيَقْطَعُنِي إِنْ رَامَ قَطْعًا وَإِنْ يَهْضِلْ * يَسْقُ بِحَدِّي الْوَصْلَ عِنْدَ اعْتِمَادِهِ

(١) النكتة عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٣٢٩) . (٢) رواية الدرر الكامنة والسلوك

(في عاشر جمادى الآخرة) . (٣) في ف و م « بياض » . وما أتيته عن المنهل الصافي

(ج ٢ ص ٦١ (١) .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين آص ملك بن عبد الله بطلاً ^(١) بدمشق في شهر رمضان .
 وكان من أعيان الأمراء ، وتنقَّل في عِدَّة وظائف وأعمال ، وكان مشهوراً بالشجاعة .
 رحمه الله .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين قردم بن عبد الله الناصري الأمير أخور بطلاً
 بدمشق في يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان ، وقد تقدَّم ذكره في عِدَّة أماكن .
 § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع عشرة إصبعا .
 مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا . والله سبحانه وتعالى أعلم .



السنة الثانية من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة سبع
 ونمسين وسبعائة . ١٠

فيها تُوفِّي السيد الشريف شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد
 الحُسَيْنِي نقيب الأشراف بالديار المصرية ، وفيها تُوفِّي عن سبعين سنة — وكان رحمه
 الله — إماما عالما فاضلا ، دُرِس بالقاهرة بمشهد الحُسَيْن والفخرية ، وولى حِسْبَةَ
 القاهرة ووكالة بيت المال ، وكان معدودا من الرؤساء العلماء .

وتُوفِّي قاضي القضاة نجم الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي نجر الدين عثمان
 ابن أحمد بن عمرو بن محمد الزُرْعِي الشافعي قاضي قضاة حلب في صفر ، وكان —
 رحمه الله — إماما عالما فاضلا وافني ودُرِس وولى الحكم بَعْدَ بلاد . ١٥

(١) البطال هنا في اللغة وفي بقية ما سلف من الكتاب هو لفظ اصطلاحى معناه : الخال من الخدمة
 والعمل ، فهو مرادف لكلمة طرخان السابق شرحها في هذا الجزء ، ص ٣١١ وقد استعملت نفس المعنى
 في جميع المصادر التي تحت يدي . انظر صبح الأعشى (ج ٧ ص ٢٠٠) .
 (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
 (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ وما بعدها من الجزء السادس من هذه الطبعة . ٢٠

وَتُوِّقُ صَاحِبَ بَغْدَادٍ وَمَا وَالَاهَا الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَقْبَعَا بْنِ أَيْلَكَانَ^(١)
بِبَغْدَادٍ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ بَغْدَادَ ابْنُهُ الشَّيْخُ أُوَيْسُ . وَالشَّيْخُ حَسَنٌ هَذَا هُوَ سَبْطُ الْمَلِكِ
أَرْغُونُ بْنُ أَبْنَا بْنِ هَوْلَاكُو بْنِ طُولُونُ بْنُ جَنْكِرْخَانَ مَلِكِ التَّتَارِ صَاحِبِ «الْبَيْسِقِ»^(٢)
وَالْإِحْكَامِ التُّرْكِيَّةِ . وَكَانَ فِي أَيَّامِ الشَّيْخِ حَسَنِ الْغَلَاءُ الْعَظِيمُ بِبَغْدَادٍ حَتَّى أُبِيعَ بِهَا الْخَبَزُ^(٣)
بِسَبْجِ الدَّرَاهِمِ وَبَرَحِ النَّاسِ عَنْهَا، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيِّرَةِ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَتُوِّقُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ شَرْفُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الْمُتَاوِي الشَّافِعِيُّ^(٤)
فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ خَامِسَ شَهْرِ رَجَبٍ، وَكَانَ — رَحِمَهُ اللَّهُ — فَقِيهًا عَالِمًا، نَابَ فِي الْحُكْمِ^(٥)
بِالْقَاهِرَةِ، وَأَقْبَى وَدَرَسَ وَشَرَحَ الْقَرَائِضَ «مِنْ الْوَسِيطِ» وَغَيْرَهُ .

وَتُوِّقُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ كَيْلَ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ [عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ] مَهْدِي النَّشَاطِيِّ^(٦)
الشَّافِعِيُّ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ حَادِي عَشَرَ صَفَرٍ وَمَوْلَدُهُ فِي أَوَائِلِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ إِحْدَى

- (١) كَذَا فِي مَوْفٍ وَالْمَثَلُ الصَّافِي (ج ٢ ص ١٩) (ب) وَالسُّلُوكُ : (ج ٣ ص ٤١٧) (أ) .
وَفِي الدَّرَرِ الْكَامَةِ (ج ٢ ص ١٤) : « الْحَسَنُ بْنُ أَقْبَعَا » . (٢) فِي السُّلُوكِ قَسَمُ الْمَصْدَرِ
الْمُتَقَدِّمُ : « أَيْلَكَانَ » بِأَلِفٍ مُوحَّدَةٍ . (٣) قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى مَعْنَى : « الْبَيْسِقِ » فِي الْجُزْءِ
الْسادِسِ ص (٢٦٨) مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . فَانْظُرْهُ . (٤) رَوَايَةُ هَامِشٍ : « م » وَالْمَثَلُ الصَّافِي
(ج ٢ ص ١٩) (ب) : « بَيْعَ بِهَا بِصَبْجِ الدَّرَاهِمِ » بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ . (٥) فِي الْأَصْلَيْنِ :
« شَرْفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ » وَهُوَ خَطَأً صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ عَنْ الدَّرَرِ الْكَامَةِ (ج ١ ص ١٧) وَالسُّلُوكِ
(ج ٣ ص ٤١٧) (أ) . (٦) فِي الدَّرَرِ فِي الْمَصْدَرِ الْمُتَقَدِّمِ : « مَاتَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ » .
(٧) الْكَلِمَةُ عَنِ السُّلُوكِ (ص ٢٧) (أ) (ب) وَالْمَثَلُ الْكَامَةُ (ج ١ ص ٢٢٤) وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ
(ج ٥ ص ١٧٥) . (٨) النَّشَاطِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى بَلَدَةٍ نَشَا إِحْدَى الْقُرَى الْقَدِيمَةِ الْمِصْرِيَّةِ، وَهِيَ الْيَوْمَ
إِحْدَى قُرَى مَرْكَزِ طَلْعَا بِمَدِيرَةِ الْغَرْبَةِ بِمِصْرَ، اسْمُهَا الْمِصْرِيُّ الْقَدِيمُ : « نَسَات » وَالرُّومِيُّ : « نَكْسِيس »
وَالْقِبْطِيُّ : « دَنْوَسَة » وَوَرَدَتْ فِي قَوَائِنِ الدَّرَاوِينِ لِابْنِ عَمَّانٍ ، وَفِي النُّقْطَةِ السَّنِيَّةِ لِابْنِ الْجُبَّانِ ،
« نَسَا » مِنْ أَعْمَالِ الْغَرْبَةِ . وَتَبْلُغُ مَسَاحَةُ أَطْيَانِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ حَوْلَ ٥٥٠٠ فِدَانٍ . وَتَعْدُدُ سَكَّانَهَا
هِيَ وَالْغَرْبُ النَّابِغَةُ لَهَا حَوْلَ ٦٠٠٠ قَسَمٍ مِنْهَا ٣٠٠٠ قَسَمٍ يَكُونُ الْبَلَدَةُ الْأَصْلِيَّةُ .
(٩) اخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي تَارِيخِ وَفَاتِهِ، فَعَنِ السُّلُوكِ الْمَصْدَرِ الْمُتَقَدِّمِ : « تُوِّقَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ
نَهَادِي عَشَرَ صَفَرٍ » وَفِي الدَّرَرِ الْكَامَةِ الْمَصْدَرِ الْمُتَقَدِّمِ : « مَاتَ يَوْمَ الْبَيْتِ عَاشِرَ صَفَرٍ » .

وتسعين وسقانة . وكان — رحمه الله — إماما عالميا خطيبا فصيحاً مصنفًا ولى
خطابة جامع الأمير أيدُص الخطيرى ببولاق وإمامته ودرس به وهو أول من ولى
خطابته وإمامته . ومن مصنفاته : كتاب «جامع المختصرات» وكتاب «المتقى»^(٣)
وعلق على «التنبيه» استدراكات، وله غير ذلك . والله أعلم .^(٤)

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع . مبلغ
الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا . والله أعلم .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مهورى سنة ثمان
وخمسين وسبعمائة .

١٠ فيها توفى الأمير الكبير أتابك الصاكر شیعون بن عبد الله العمري الناصري
اللالا مدبر الممالك الإسلامية بالديار المصرية في السابع من ذى الحجة بالقاهرة من
جرح أصابه لما ضربه فطُلُو نَجْمُ السلاح دار في موكب السلطان حسن حسب
ما تقدم ذكره في ترجمة السلطان حسن هذه الثانية . وقيل : كانت وفاته في أواخر
ذى القعدة وسنة نيّف على خمسين سنة . وكان أصله من تگابية الملك الناصر محمد
ابن قلاوون وكان تركي الجنس ، جلبه خواجا عمر من بلاده وباعه للملك الناصر^(٥)
١٥

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٢) توجد منه

نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٧٥] فقه شافى . (٣) هو متق الجوامع ،
يقع في ستة مجلدات مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٨٣] فقه شافى .

(٤) هو تأليف الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيرز آبادى . توجد منه

عدة نسخ خطية ومطبوعة بأرقام مختلفة . راجع فهرس فقه الإمام الشافى . (٥) في المنهل الصافى

(ج ٢ ص ١٨٩) : « إلى أن مات في سادس عشر ذى القعدة » . وفي الدرر الكامنة :

« إلى أن مات في سادس عشرى ذى القعدة » . (٦) في ف : « قراجا عمر » .

وترقى بعد موت الملك الناصر حتى صار أتابك العساكر بالديار المصرية، وهو أول من سُمي بالأمير الكبير، وليها بخلعة، وصارت من بعده وظيفة. وهو صاحب الجامع^(١) والخانقاه بخط صليبة أحمد بن طولون. وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الناصر حسن والملك الصالح وغيرهما ما يُستغنى عن ذكره هنا ثانياً. ودفن بخانقائه

المذكورة. وفي شيخون يقول بعض شعراء عصره مضمناً: [البيسط]

شيخو الأمير المفدى كله حسن * حوى المحاسن والحسنى ولا عجب

دع الذين يلومونى عليه سدى * ليذهبوا في ملايى أية ذهبوا

وتوفى الشيخ الإمام العالم العلامة قوام الدين أبو حنيفة أمير كاتب بن أمير عمر

ابن أمير غازى الفارابى الإتقانى الحنفى بالقاهرة، ودفن بالصجراء خارج القاهرة

— وكان رحمه الله — إماماً عالمياً مُفتياً بارعاً فى الفقه واللغة العربية والحديث

وأسماء الرجال وغير ذلك من العلوم، وله تصانيف كثيرة منها: «شرح الهداية»

فى عشرين مجلداً «وشرح الإخسيكى» «وشرح البرزوى» ولم يكمله، وولى التدريس

بمشهد أبى حنيفة ببغداد، ثم قَدِمَ دمشق فأُقي بها ودُرس وأُشغل وصنّف بدمشق

كتاباً فى منع اليدى فى الصلاة فاضلاً عن تكبيرة الافتتاح. ثم طُلب الى القاهرة

- (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٩ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٣ من هذا الجزء. (٣) فى الأصلين: «أمير فارس». وما أُثبتناه عن «الملك (ج ٣ ص ٢٨) وعن المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٦٨) وعن الدرر الكامنة (ج ١ ص ١٤٤). (٤) ويسمى هذا الترخ: «غاية البيان ونادرة الزمان فى آخر الآوان» توجد منه عدة أجزاء محفوظة من نسخ متعددة تحت أرقام مختلفة محفوظة بدار الكتب المصرية. (٥) هو محمد بن محمد بن عمر حسام الدين الإخسيكى: نسبة الى إخسيك؛ بلد فى ما وراء النهر على شاطئ نهر الشاش من بلاد مملكة
- ٢٠ وله المنتخب الحسامى وقد شرحه عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البغارى. (٦) هو على ابن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد أبو الحسن نحر الإسلام البرزوى. له «معرفة الوصول الى معرفة الأصول» ويعرف بأصول البرزوى وله شرح يسمى «كشف الأسرار» لعبد العزيز ابن أحمد بن محمد علاء الدين البغارى. توفى البرزوى فى سمرقند سنة ٤٨٢ هـ (عن تاج التراجم ص ٣٠).

مكرماً معظماً حتى حضرها وصار بها من أعيان العلماء لا سيما عند الأمير صرغتمش
الناصري ، فإنه لأجله بنى مدرسته بالصليبة حتى ولّاه تدريسها . ولما مات
— رحمه الله تعالى — ولى تدريس الصرغتمشية العلامة أرشد الدين السرائي الحنفي .

وتوفى قاضى القضاة نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن القاضى عماد الدين
أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسى .

ثم الدمشقى الحنفى قاضى قضاة الحنفية بدمشق بها عن نحو أربعين سنة وكان — رحمه
الله — إماماً عالماً علامة أفتى ودّرس وناب فى الحكم عن والده بدمشق ثم استقل
بالوظيفة من بعده عدة سنين ومُحِدت سيرته . وله مصنفات كثيرة منها : كتاب

« رفع الكلفة عن الإخوان فى ذكر ما قدم القياس على الاستحسان » وكتاب

« مناسك الحج » مطوّل وكتاب « الاختلافات الواقعة فى المصنفات » وكتاب

« محظورات الإحرام » وكتاب « الإرشادات فى ضبط المشكلات » عدة مجلدات

وكتاب « الفتاوى فى الفقه » وكتاب « الإعلام فى مصطلح الشهود والأحكام »^(٢)

وكتاب « الفوائد المنظومة فى الفقه » .

وتوفى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله الكامل المعروف بأرغون الصغير^(١)

بالقدس بطالاً قبل أن يبلغ الثلاثين سنة من العمر وكان أرغون خصيصاً عند الملك

الكامل ثم عند أخيه الملك الصالح إسماعيل وترقى حتى صار أميراً مائة ومقدم ألف

بديار مصر . ثم ولى نيابة حلب ثم نيابة الشام ثم أُعيد الى نيابة حلب ثانياً الى أن

طُلب الى القاهرة وقُبِض عليه واعتُقل بالإسكندرية مدة ثم أُخرج الى القدس

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء . (٢) فى المنزل الصافى

(ج ١ ص ٣٠ (١) : « والحكام » . (٣) وتسمى « الفوائد البدية » وهى تشمل

ألف بيت ، وتوجد منها نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٣٤٥] فقه حنفى .

(٤) عقد له المؤلف ترجمة وافية فى المنزل (ج ١ ص ١٨٥ (ب) .

بطالاً، مات به . وكان أميراً جليلاً عارفاً شجاعاً كريماً وفيه بر ومعرفة وله مآثر، من ذلك بيمارستان بحلب وغيره . رحمه الله تعالى .

وتوفي الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد المحسن السجدي الشافعي . كان معدوداً من فقهاء الشافعية . رحمه الله .

• وتوفي القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأطروش الحنفي محتسب القاهرة وقاضي المسكر بها كان من بياض الناس وله وجاهة . رحمه الله تعالى .

وتوفي الشيخ الإمام العلامة محب الدين أبو عبد الله محمود ابن الشيخ الإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي في يوم الأربعاء ثامن عشرين شهر ربيع الآخر وكان فقيهاً مصنفًا ومن مصنفاته : « شرح ابن

الحاحب في الأصول » وكتاب « اعتراضات على شرح الحاوي » في الفقه لأبيه .
١٠ وله غير ذلك .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وإصبع . يبلغ الزيادة

ثمانى عشرة ذراعاً وست أصابع . والله أعلم .

- (١) لا يزال هذا اليبارستان من جملة الآثار القديمة الباقية في حلب داخل باب قنسرين ، وهو يمثل للرائ من الداخل والخارج روعة الهندسة المصرية الشرقية . عمره الأمير أرغون الكامل نائب (حاكم) حلب سنة ٧٥٨ هـ ووقف عليه قرية بنش العظمى من التريبات وقد ظل يؤدي خدمته الإنسانية في حلب حتى أوائل القرن الماشر ثم أهل أمره وحولت وارداته من قرية بنش سنة ١٢٨٤ هـ الى أوقاف الجامع الكبير بحلب . وصفه الشيخ محمد راغب الطباخ سنة ١٣٤٢ هـ فقال : « تدخل الى هذا اليبارستان فتجد بهرتين بللوس الأطباء ، ثم تمجد صحناً واسماً يحيط بطرفه القبلي والشامي رواقان ضيقان مرفوعان على أعمدة نظيمة ووردهما حجر صغيرة خاصة لحبس المجانين فيها . ثم استطرد الشيخ الطباخ فقال : قد بلغنا أنه كان بأطراف الصحن الخارجى وعلى أطراف الحوض الذى في وسطه توضع أنواع الرياحين لينظرها المجانين ، وكانوا يأتون بالآلات الطرب والمغنين فيداون المجانين بها أيضاً » .
- ١٠ وشم الشيخ الطباخ قوله بأن بلاط الصحن كان منوهاً جداً ، فاهتم بحيل باشا سنة ١٣٠٢ هـ بتبليطه وتجديد حوضه . وكان لبابه الكبير حلقتان كبيرتان جيلتان الشكل من النحاس الأصفر فلغا منذ ١٥ سنة وأخذتا الى متحف الأسمانة » . انظر تاريخ حلب الطباخ (ج ٢ ص ٣٤٧ — ٣٤٨) .
- ٢٥



السنة الرابعة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

فيها تُوِّفَى الأمير سيف الدين صرغتمش بن عبد الله الناصري في محبته بشهر الإسكندرية في ذى الحجة . وكان أصله من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وترقى حتى صار من أكابر الأمراء ومدبري الديار المصرية مع الأمير شيخون وبعده وقد تقدم من ذكره في ترجمة الملك الصالح والملك الناصر حسن ما يكفي بذكره هناك : ولما حبسه الملك الناصر حسن بشهر الإسكندرية كتب إليه صرغتمش كتابا يخضع إليه وفي أوله :

[الكامل]
قلبي يُحَدِّثُ بِأَنَّكَ مُتْلِفِي * رُوْحِي فِدَاكَ عَمَرْتُ أَلَمْ تَعْرِفْ^(١)

فلم يلتفت الملك الناصر لكتابه وقمل به ما قدر عليه وكان صرغتمش عظيما في الدولة فاضلا مشاركا في فنون يُدَاكِرُ بالفقه والعربية ويحب العلماء وأرباب الفضائل ويكثر من الجلوس معهم وهو صاحب المدرسة بخط الصليبية وله ير^(٢) وصدقات، إلا أنه كان فيه ظلم وصنف مع جبروت .

وتُوِّفَى القاضي شرف الدين أبو البقاء خالد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر الخزومي الشافعي المعروف بابن القيسراني الحلبي ثم الدمشقي بدمشق عن نيف وخمسين سنة وكان كاتباً فاضلاً مصنفًا باشر كتابة الإنشاء بدمشق ووكالة بيت المال وسميع الكثير .

(١) هذا البيت من فائفة عمر بن الفارض المشهورة . راجع ترجمته في المنهل الصافي ج ٢ ص ٢١٤ (ب)

(٢) راجع الحاشية ٢ ص ٣٠٨ من هذا الجزء .

(٣) انظره في السلوك ج ٤ ص ٣٠ (١) والمنهل الصافي ج ٢ ص ٥٤ (ب) .

وَتُوِّقَ قَاضِي الإسْكَندَرِيَّةِ نَحْرُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبَرِيَّابِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعِ شَهْرِ رَجَبٍ، وَلِيَّ قَضَاءِ الإسْكَندَرِيَّةِ أَشْهُرًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ دَرَسَ بِالْقَاهِرَةِ بِمَدْرَسَةِ الصَّرْغَتْمِشِيَّةِ : دَرَسَ الْحَدِيثَ . وَكَانَ فَاضِلًا عَارِفًا بِالْأَصُولِ وَلَهُ سَمَاعٌ وَتَوَلَّى بَعْدَهُ قَضَاءَ الإسْكَندَرِيَّةِ ابْنُ التَّنِيَّيْ^(٢) .

- وَتُوِّقَ مَلِكُ الْغَرْبِ أَبُو عَيْنَانَ فَارَسُ ابْنِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ ابْنِ السُّلْطَانِ^(٣) .
- أَبِي يُونُسَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ مَحْيُوبِ بْنِ حَمَامَةَ الْمَرْيَنِيِّ الْمَغْرِبِيِّ بِمَدِينَةِ فَاَسَ^(٤) بَعْدَ أَنْ حَكَّمَ خَمْسَ سَنِينَ وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرِ . رَحِمَهُ اللَّهُ .

- (١) انظره في السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٠ ب) . (٢) التنسي : نسبة إلى تنس (فتحتين مع التنغيف)، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مما يلي مراکش على بعد ١٠٣ ميل غربي مدينة الجزائر . وعدد سكانها يقرب من خمسة آلاف نسمة .
- ١٠ وأولاد التنسي في الإسكندرية من بيت علم ورياسة ، تولى منهم قضاء القضاة المالكية على عهد ابن خلدون أحمد بن محمد جمال الدين بن عطاء الله الشيربازي التنسي ، ولد سنة ٧٤٠هـ وتوفي سنة ٨٠١هـ و يروج لنا أن ابن التنسي الذي معنا هو أبوه جمال الدين هذا .
- انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص ٢٢٤ وانظر ذخيرة الأعلام للقمي ص ١٩٠ وقاموس لبيكوت الجغرافي ونيل الابتهاج بطريرك الديباج لبابا التنبكي ص ٧٤ و ٢٨٥
- ١٥ (٣) ورد نسبته هكذا في الأصلين والسلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣٠) وورد في الدرر الكامنة برواية تختلف عما ورد فيها ، ونصها : « فارس بن علي بن عيَّان بن يعقوب بن عبد الحميد المريني أبو عيَّان ابن أبي الحسن » انظر الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٢١٩) .
- (٤) اسمها اللاتيني فسزاً أوفساً وهي عاصمة مراکش الثانية على خط عرض ٣٤/٦ شمالاً وخط طول ٥/١ غرباً وتبعد من شرق المحيط الأطلسي بمسافة ميل مربعياً وعلى بعد ٢٤٥ ميلاً شمال شرق مدينة مراکش . وهي أعظم مدن المغرب الأقصى ازدهاراً بالسكان وأكبرها إطلافاً من الناحيتين التجارية والبلدية لأنها محط القوافل إلى قلب الصحراء . وتقع المدينة على سفح جلة هضاب مغطاة بالحدائق والكروم وهي مدينتان : فاس القديمة ذات الأسوار في الغرب ؛ والجديدة في الشرق . وشوارعها ضيقة . وبها نحو ١٥٠ مسجداً أعظمها جامع القرويين الشهير وجامع مولاي إدريس مؤسس فاس وهذا الأخير أعظم الأماكن المقدسة في مراکش
- ٢٥

وتُوفِّي الشريف مانع بن علي بن مسعود بن جَمَاز بن شيعة الحُسَيْنِي أمير المدينة بها وتولَّى المدينة الشريفة بعده أبْنُ عمِّه فضل بن القاسم في ذى القعدة .

وتُوفِّي الأمير سيف بن فضل بن مُهَنَّأ بن عيسى بن مُهَنَّأ بن مانع بن حديشة ابن غُضَيَّة في ذى القعدة وكان جواداً شجاعاً ، ولَّى إمرة آل فضل غير مرة . وقيل إنه قُتِل سنة ستين وهو الأصحّ .

وتُوفِّي الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن عيسى بن حسن بن كُر الحنبلي إمام أهل الموسيقى ، وله فيها تأليف حسنة ويتصل نسبه إلى الخليفة مَرْوان بن محمد الحمار . وكان صوفياً فقيهاً وله زاويةٌ عند مشهد الحسين بالقاهرة . ومولده في شهر

وتستمد المدينة حياتها من نهر فاس بفتق منه ثمانية أنهار تشق المدينة كلها تدخل منها في كل دار .

وليس في المغرب مدينة يغلها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس .

وفي المدينة من البيوت العربية الجميلة والمستشفيات والمدارس عدد وفير وصناعتها شهيرة من الحرير والطرايش والأحذية مما هو مشهور في إفريقية الشمالية كلها .

وقد ملع اسم فاس في العصور الوسطى إلى النصف الأخير من القرن السادس عشر الميلادي حيث كانت عاصمة المغرب والأندلس يفد إليها العلماء والطلاب من جميع أنحاء شمال إفريقية وأسبانيا . وبلغ سكانها مئات الآف من الأهلين . ولا يزال بها بقية من المهد الذاهب حيث سكنها اليوم يقربون من مائتي ألف نسمة فيهم عشرة آلاف يهودي . انظر معجم ليكنوت الجغرافي ومعجم البلدان لياقوت .

(١) هو فضل بن القاسم بن جَمَاز بن شيعة . توفى في ذى القعدة سنة ٧٥٣ هـ (من الدرر الكامنة

ص ٢٢٢ ج ٣) . (٢) رسمت هذه اللفظة في السلوك (ج ٣ و ٤) هكذا : « كور » .

(٣) دلتني البحث على أن هذه الزاوية كانت واقعة في الجهة الغربية من المسجد الحسيني وبالقرب منه ، جَدَّها الأمير بشاي رأس نوبة كبير حوالى سنة ٨٠٠ هـ وجعلها مدرسة كما ورد في الضوء اللامع للسخاوي .

وفي القرن الماضي جَدَّها محمد أفندي البزدار وجعلها جامعا وسبيلا ، عرف بجامعة البزدار وقد خرب هذا الجامع في عصرنا الحاضر ولم يبق منه كما شاهدته إلا الواجهة البحرية وفيها باب الجامع وشباك السبيل .

وفي سنة ١٩٣٠ أُلِّيت مصلحة التنظيم مجموعة المباني الواقعة بين جامع سيدنا الحسين وبين شارع جوهر القائد (السنواقي سابقا) وجعلت مكانها مبدأنا عاما ، وبذلك زالت آثار جامع البزدار الذي

كان في محل زاوية ابن كُر المذكور . ولما كان السبيل الملحق بهذا الجامع هو من الأسبلة الأثرية ، وفيه قاعة ذات سقف أترى مزخرف من العصر العثماني فقد اضطرت إدارة حفظ الآثار العربية للحفاظ

على نموذج هذا الأثر أن تنقله بجواره وشكله إلى مكان آخر . وفي سنة ١٩٣٥ نقل السبيل إلى درب الفزازين (النساجين) المتفرع من شارع أم الغلام بقسم الجالية بالقاهرة وأقيم في مكانه الحالي برسمه الأصلي .

ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وستمائة بالقاهرة ، وكان فاضلاً قرأ القرآن على الشطنوفى وحفظ الأحكام لعبد الغنى [بن عبد الواحد] ^(٤) « والعُمدة في الفقه » للشيخ موفق الدين والمُلحة للحريري وسَمِعَ على أشياخ عصره مثل الدِّمياطى والأبرقوهي وغيرهما وصنف كتاباً في الموسيقى سماه : « غاية المطلوب ، في الأنغام والضروب » وقد أَوْضَحْنَا أمره وما يتعلّق بفنّه الموسيقي في المنهل الصافي إذ هو محل الاستيعاب .

وتُوفِّي الأمير الطواشي صفى الدين جوهر بن عبد الله الخنّاسي البتّاحي المتّخاصى مقدّم الممالك السلطانية ، وقد قارب المائة سنة من العمر . وكان من أعيان الخدّام وأماثلهم .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين نَتَكْرُبُغا بن عبد الله الماردين أمير مجلس وزوج أخت السلطان حسن ، كان من أكابر الأمراء بالديار المصرية ، لا سيما في دولة الناصر حسن . وكان عاقلاً مدبراً سيّوساً .

وتُوفِّي الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن المَكاري الكُردي الشافعي بدمشق في ذى القعدة . ومولده سنة خمس وثمانين وستمائة وكان فقيهاً فاضلاً .

- (١) في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٣٨ ب) : « قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : اجتمعت به غير مرة وسألته عن مولده فقال : في رابع عشر شهر ربيع الأول... الخ » . (٢) هو علي بن يوسف ابن حريز بن فضل بن معزاد النور أبو الحسن الخنسي المعروف بالشطنوفى الشافعي . توفى يوم السبت ودفن يوم الأحد ٢٠ من ذى الحجة سنة ٧١٣ هـ (عن غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبي الخير محمد ابن الجزري المتوفى سنة ٨٢٣ هـ (ص ٥٨٥ ج ١) . (٣) هو عمدة الأحكام في الحديث — تأليف الحافظ أبي محمد عبد الغنى بن عبد الواحد الجاهلي المقدسي الخنيلي ؛ تقدمت وفاته سنة ٦٠٠ هـ . (٤) تكملة عن النجوم الزاهرة طبعة الدار (ص ١٨٥ ج ٦) . (٥) هو عبد الله بن أحمد ابن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر شيخ الإسلام موفق الدين ، تقدمت وفاته سنة ٦٢٠ واطّلع مختصر طبقات الخنابلة ص ٤٥ (٦) هو الحافظ الدِّمياطى عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدِّمياطى أبو أحمد وأبو محمد شرف الدين . تقدمت وفاته سنة ٧٠٥ هـ (٧) هو شهاب الدين أحمد بن ربيع الدين إسماعيل بن محمد بن المؤيد الأبرقوهي . تقدمت وفاته سنة ٧٠١ هـ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَلِكُ تَمْرُبُزْنَ عَبْدُ اللَّهِ السَّعْدِيُّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ بِحِمَاةٍ بَطَّالًا
بعد أن ولي عدة وظائف وتنقل في عدة ولايات . رحمه الله تعالى .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وتماني أصابع .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .



السنة الخامسة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة
ستين وسبعمائة .

فيها تُوِّفَى قَاضِي الْقَضَاةِ تَقِيّ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ الدِّينِ أَحْمَدُ
ابن شَاسِ الْمَالِكِيّ قَاضِي قُضَاةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَابِعِ شَوَّالٍ وَدُفِنَ
بِالْقِرَافَةِ . وَكَانَ إِمَامًا بَارِعًا فِي مَذْهَبِهِ أَفْتَى وَدَرَسَ وَنَابَ فِي الْحُكْمِ ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ
بِالْقَضَاةِ ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيِّرَةِ ، مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلٍ . رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَتُوِّفَى قَاضِي قُضَاةِ حِمَاةِ تَقِيّ الدِّينِ أَبُو الْمُنْظَفَرِ مُحَمَّدُ بْنُ بَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدُ
بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عُثْمَانَ الْقَيْسِيّ الْحَنْفِيّ الْحَمَوِيّ الشَّهِيرَ بِابْنِ الْحَكِيمِ ، بِأَمْرِ قَضَاةِ حِمَاةِ
تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَحُدِّثَ سِيرَتُهُ وَمَاتَ بِمَنْزِلَةِ ذَاتِ الْحِجْ مِنْ الْجَحَازِ ، وَقَدْ جَاوَزَ
سِتِينَ سَنَةً وَكَانَ عَالِمًا زَاهِدًا وَرِعًا .

(١) فِي السُّلُوكِ (ج ٣ و ٤ ص ٣١ ب) . « السَّعْدِيُّ » . (٢) فِي السُّلُوكِ الْمَصْدُورِ
الْمُقَدِّمِ : « فِي ثَامِنِ ذِي الْحِجَّةِ » . (٣) فِي السُّلُوكِ : (ج ٣ و ٤ ص ٣١ ب) «
بَيْنَ الْحُكْمِ الْحَنْفِيِّ » . (٤) ذَاتُ الْحِجَاجِ أَوْ ذَاتُ الْحِجْ هِيَ مَنْزِلَةٌ مِنْ مَنَازِلِ طَرِيقِ رُكْبِ
الْحِجَاجِ الثَّامِنِ بَعْدَ عَمَانَ ثَلَاثَ مَرَاحِلَ الْمَذَاهِبِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَشْرُقَةِ .

قَالَ صَاحِبُ دُرَرِ الْقَرَائِدِ الْمُنْظَمَةِ قَتْلًا عَنْ حَسَنِ بْنِ عَيْسَى مُقَدِّمِ الرُّكْبِ الثَّامِنِ فِي زَمَنِ مَا يَلِي : « ثُمَّ
يُرْحَلُ إِلَى ذَاتِ حِجٍّ وَبِهَاجِلٍ شَرِيفٍ يُسَمَّى النَّابُوتَ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفَرَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ فَنَجَّى الْمَاءَ ، وَفَاضَ ، وَبَحَّانِيهِ بَرَكَةٌ قَدِيمَةُ الْبَنَاءِ . وَأَصْلَحَتْ مِنْ نَحْوِ ثَمَنِينَ سَنَةً لِسَقَايَةِ الْحَاجِّ »
أَمَى حَوَالِي سَنَةِ ٩٦٠ هِجْرِيَّةً . انْظُرِ الْجُزْءَ الثَّانِيَّ مِنْ دُرَرِ الْقَرَائِدِ الْمُنْظَمَةِ ص ٥٢ — ٥٣ .

وتُوفِّي الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام وقُطِبَ الوجود أبو البقاء وقيل أبو الوفاء خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالكي المألقي^(١) ثم المكي العالم المشهور، صاحب التصانيف في مذهبه بمكة المشرفة بعد أن آتته إليه رئاسة مذهبه ولم يُخلَف بعده مثله .

٥. وتُوفِّي القاضي جمال الدين إبراهيم ابن العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فهد الحلبي الحنبلي بحلب عن أربع وثمانين سنة وكان فاضلاً كاتباً ماهراً في صناعته ، كَتَبَ في ديوان الإنشاء بمصر وولى كتابة سرّ حلب ثلاث مرات نيّفاً وعشرين سنة وحدث عن جماعة من حفاظ الديار المصرية والإسكندرية . وكان عارفاً بالاصطلاح والكتابة ، وله نظمٌ وثر . ومن شعره ما كتبه لوالده منشوقاً بقوله :
- ١٠ . [السريخ]

هل زمنٌ ولّى بكم عائداً * أم هل ترى يرجع عيش مضى

فارقكم بالرغم ميني ولم * اختره ليكني أطلعتُ القضا

قلت : لو كانت وظيفته قضاء حلب كان في قوله : « أطلعت القضا » تورية .

وكان جواداً ممدحاً وفيه يقول البارع جمال الدين محمد بن نبأته المصري قصيدته المشهورة التي أولها :

- ١٥ . [الطويل]

أجبرائلاً حياً الربيع دياركم * [وإن لم يكن فيها لطرفي^(٢) مرع] . انتهى

وتُوفِّي القاضي تاج الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن علي بن أبي القاسم بن علي

ابن أبي الفضل العُذري الدمشقي الحنفي المعروف بابن السكّكزي . كان عارفاً بعلل

(١) الزيادة من نيل الاتباع الشيخ أحمد بابا النيكلي ص ١١١-١١٢ وزاد : « توفي في شوال من السنة » .

(٢) النكلة عن المنهل الصافي (ج ١ ص ٤٠) (١) ولا توجد هذه القصيدة في ديوانه المطبوع . ولابن

نبأته فيه وفي أبيه المدائح الكثيرة والمرائى . وانظر تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ٢٧ — ٢٩) .

(٣) هكذا في الأصلين : وعبارة الدرر الكامنة ج ١ ص ٣٣٤ ما يلي : « كان عارفاً بالشروط بارعاً فيها

غاية في إخراج علل المكاتب وقد كتب في مجلس الحكم بحلب ... الخ » . وهي أوضح وعبارة الأصلين غلقة .

المكاتيب الحكيمة خيرا بسلوك طرائقها العلمية والعملية وكتب الحكم والإنشاء بحلب ومات عن خمس وستين سنة . رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير عز الدين طُقطاي بن عبد الله الصالحى - الدوادار بطرابلس عن بضع وأربعين سنة معتقلا . وكان أميرا فاضلا جليلا رئيسا وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى - نغمه الله برحمته : [الكامل]

هذا الدوادار الذى أقلامه * تذر المهارق مثل روض نافع^(٢)
تجرى بأرزاق الورى قدأدها * وبلى تحدر من غمام سافج^(٣)
استغفر الله العظيم غلطت بل * نهر جرى من لج بحر طاف
وإذا تكون كريهة فيمينه * تسطو بحد أسنة وصفائح^(٤)
يا نغردهر قد حواه [فإنه] * عز لمولانا المليك الصالح^(٥)

وتوفى الخان جانبك خان بن أربك خان صاحب كرمى - مراءى وبلاد

(١) فى الأصلين : « سيف الدين » والتصويب عن المثل الصافى (ج ٢ ص ٢٣٧) (١)
وأعيان النصر الصفدى (ج ٣ قسم أول ص ١٥٢) والسلوك (ج ٣ و ٤ ص ٣١) (١) .

(٢) فى الأصلين : « فأنح » وما أشتاء عن أعيان المصر . (٢) فى الأصلين : « ساع »

والتصويب عن أعيان المصر . (٤) التكلة عن أعيان المصر الصفدى (ج ٣ قسم أول ص ١٥٤)

وقد أفرد له الصفدى ترجمة مطولة . (٥) سراى بالفارسية هى القصر ، وهما هى عاصمة القبيلة

الذهبية فى الجزء الغربى من الأباطورية المغولية التى أسسها جنكيز خان الشهير . بناها بركة خان الختوف

سنة ٦٦٥ هـ حفيد جنكيز خان (بعد وفاة ياقوت صاحب معجم البلدان لأنه لم يذكرها فى معجمه) فى أرض

سيخة على بسط من الأرض على الشط الشرق لنهر الأثل (الفسولجا) ، إلى الجانب الشمال الشرقى غربى

بحر الخزر (قزوین) على مسيرة يومين من مصبه . وصارت فرسة كبيرة للتجار وروقيق الترك ومدينة عظمى

ذات حمائم وأسواق ووجوه بر ، مقصودة بالاجلاب من جميع بلاد التتر الذين كان منهم ملوك الترك

بالباب المصرية ، كما سبيل فى الحاشية التالية :

قال ابن فضل الله العبرى « وكان فى وسطها بركة ماء للاستعمال ، أما شرب أهل البلدة فكان من النهر

(الفلما) تجلب فى جرار القفار وتصف على مجلات وتجر إلى المدينة وتباع فيها » . وهذا الوصف ينطبق

اليوم على مدينة تراريف الروسية وهى على أحد دوافد الشط الشرق لنهر الفولجا على خط عرض ٤٤° ٨' -

١٥

٢٠

٢٥

(١١) الدشت بها، بعد أن حَكَم ثمانى عشرة سنة . ونسبه يتصل بـ جَنِيخَرخان وتولى بعده الملك ابنه بردك . خان والله أعلم بالصواب .

§ أمر النيل في هذه السنة — المياء القديم خمس أذرع وثلاث عشرة إصبعاً .
مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع . وقيل أربعة أصابع من غير زيادة
والله سبحانه أعلم بالصواب .

= شمالاً وطول ١٥/٥٥ شرقاً وعلى بعد ٢٠٠ ميل شمال غرب استراخان . ولا تزال حول تزار يف
أطلال مدينة عظمى ظهر على ضو. حفريات جريجورى سنة ١٨٤٥ أنها بقايا سراى عاصمة القبيلة الذهبية .
ولقد خرب تيجور سراى سنة ٧٨٤ هـ ونربت مرة أخرى سنة ١٤٧٢ م ، وفي سنة ١٤٨٠ هـ هاجت
بقايا مدينة سراى قوة روسية بمساعدة قوة أخرى من قوات خانات القريم . وفي سنة ١٥٥٤ م تم فتح
الروس لاستراخان وكانت بقايا مدينة سراى في حالة تخريب تام .

انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٥٧ . وانظر تقويم أبى الفداء ص ٢١٦ وانظر دائرة المعارف الاسلاميه
مادة Sarâi وانظر قاموس لبتكوت الجغرافى Tzarew وأطلس امبروز التاريخى للمصور الوسطى ..
(١) بلاد الدشت هى القسم الغربى من الإمبراطورية المغولية التى أسسها جنكيزخان وهى بلاد
القبجاق أو القبيلة الذهبية نسبة الى خيم معسكراتها ذوات اللون الذهبى . وكانت حدود بلاد الدشت في عهد
أصحاب تقويم البلدان وصبح الأعشى والمنهل الصافى كما يلى :

« من بحر قسطنطينية الى نهر اريس مسيرة ٨٠٠ فرسخ طولاً ، وعرضها من باب الأبواب الى مدينة بلغار
مسيرة ٦٠٠ فرسخ وأكثر مساحتها قرى ومراع » . وهى اليوم تشمل الجزء الغربى من التركستان الروسية وبلاد
القوقاز وولاية قازان الحالية وما والاها شرقاً وغرباً في الخوض الأدنى لنهر الفولجا الى بسارابيا على حدود
رومانيا . وكانت قاعدتها مدينة سراى التى تقدم ذكرها في الحاشية السابقة . وقد توغل خاناتها في روسيا
وبولاندا والمجر ودمشاقيا ، وأسلم منهم بركة خان المتوفى سنة ٦٦٥ هـ وهو باني سراى العاصمة

قرب مصب نهر الفولجا . وكان غالب القبيلة الذهبية من الترك والتركمان النتر ومنهم كانت جمهرة جيوش
مصر في القرون الوسطى . قال صاحب مسالك الأبصار « رغب الملك الصالح نجم الدين أيوب في مشق
الماليك منهم ثم صار من مملكتهم انتهى اليه الملك والسلطنة ، فالت الجندية للجندية ، حتى أصبحت مصر منهم
آهلة العالم بحجة الجوانب ، منهم أقار كواكبها وصدر مجالسها وزعماء جيوشها وعظماؤها ، وحده الاسلام
لهم موافقهم في حماية الدين ، حتى إنهم جاهدوا في الله أهلهم في موقعة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨ هـ

التي كسرها المغنم قطر عساكره ولا كومة لك التناز بعد أن عجزت عنهم عساكر سائر الأمصار . وكذلك جاهدوا
في الله بنفس الصلابة والعزم والقوة الصليبيين حتى قضوا عليهم القضاء المبرم في عكا ، على عهد الأشرف
 خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ هـ ، وظلوا قوة مصر الحربية حتى تغلب عليهم الظاهر برقوق الذى أسس دوله
 الشراكسة كما سيأتى في أصل الكتاب . انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٦ وما بعدها والمنهل الصافى

ج ١ ص ١٩٣ (١) وانظر تقويم البلدان لأبى الفداء ص ٢١٧ والبلوك للقرنيزى طبعة الأستاذ ز. زيادة
ج ١ ص ٣٩٤ — ٣٩٥ ، وأطلس امبروز التاريخى للمصور الوسطى .



السنة السادسة من سلطنة الملك الناصر حسن الثانية على مصر وهي سنة

إحدى وستين وسبعائة .

فيها توفى الشيخ الإمام العالم العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف
بن أحمد بن هشام الأنصارى الحنبلى النحوى فى ليلة الجمعة الخامس من ذى القعدة
ودُفِنَ بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفيَّة خارج باب النصر من القاهرة . وكان بارعا
فى عتة علوم ، لا سيما العربية فإنه كان فارسها ومالك زمامها وهو صاحب الشرح
على ألفية ابن مالك فى النحو المسمى « بالتوضيح » « وشرح أيضا البُرْدَة » [وشرح ^(١)
« بانت سعاد » وكتاب « المفتى » وغير ذلك ومات عن بضع وخمسين سنة وكان
أولا حنفيا ثم استقر حنبليا وتزل فى دروس الحنابلة . ^(٢)

وتوفى قاضى القضاة صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان [بن داود]
ابن محمد بن عبد الحق الدمشقى الحنفى باليمن عن ثلاث وستين سنة . وكان إماما
بارعا مفتتا ، أفتى ودرّس بدمشق وبأشهر بها عتة وظائف ، منها : كتابة الإنشاء
والنظر فى الأحكام ورحل إلى العراق وخراسان ومصر والحجاز واليمن . وكان له شعر
جيد من ذلك قوله :

(١) دلتى البحث أن مقابر الصوفية مكانها اليوم المقابر المعروفة الآن بجباية باب النصر فى المنطقة .

الواقعة على جانبي القسم الجنوبي من شارع نجم الدين المرسل من باب النصر إلى العباسية بالقاهرة .

(٢) التكملة عن الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٣٠٩) . (٣) انظر ترجمة واقية فى الدرر ج ٢

ص ٣٠٨ وما بعدها ولخفيده عبد الله بن محمد فى التبر المسبوك للسغاوى ص ٣٦١ فى وفاته سنة ٥٨٥٥هـ .

(٤) ترجم له صديقه الصفدي فى أعيان مصر ترجمة طويلة وصف فى أثنائها خبر وفاته فقال « ثم إنه

دخل إلى اليمن ومعه مملوكه طشتر فلما وصل إلى المهجّم توفى رحمه الله تعالى ، قيل : إنه قتل كان معه قطعة

بلخش عظيمة ، لأنة كان يدعى أنها لصاحب اليمن » انظر الجزء الثالث من أعيان مصر قسم ١ ص ٣ — ٨

لما بدأ في خدّه عارض * وشاق قلبي ثبته الأخضر

أمطر أجفاني مستمطراً * فقلت هذا عارض ممطر

وتوفي الشيخ الإمام الحافظ صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي العلاني
الدمشقي الشافعي، كان إماماً حافظاً رَحَلاً عارفاً بمذهبه، سمع بالشام ومصر والحجاز
وتقدم في علم الحديث وجمع وألف وصنف ودّرس بالصلاحية والتَّنْكِيرِ بالقدس،
[وبها توفي] وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة . وقال الإسوي: سنة ستين .
ومولده بدمشق في سنة أربع وتسعين وستمائة .

وتوفي القاضي ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبي بكر بن محمد الشهير بابن
خطيب بيت الآبار الدمشقي . مات بالقاهرة عن نيف وسبعين سنة . وكان مقدماً
في الدولة الناصرية وباشر الحسبة ونظر الأوقاف وغيرهما ، [وكان لأهل الشام
نعم الذخيرة] .

(١) هي بالقرب من السور من جهة الشمال بباب الأسباط وقفها السلطان صلاح الدين على الشافعية
سنة ٥٨٨ هـ وكان موضعها كنيسة فهدمها صلاح الدين وبني مكانها المدرسة وكانت وظيفته مشيختها
من الوظائف السنوية في دولة صلاح الدين وأبنائه وعاليكها ، ولما فتح الأتراك مصر والشام كانت المدرسة
قائمة حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، فزل عنها الأتراك للآباء البيض المسيحيين بفعلوها مدرسة
إكليريكية . وفي الحرب العظمى أرجعها الترك مدرسة للعلوم الدينية الإسلامية . فلما سقطت القدس
في أيدي الحلفاء رجعت إلى المسيحيين كنيسة ، ووقع الأمر من قبل ومن بعد . انظر خطط الشام
لكرد على ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣ في مدارس القدس . (٢) من المدارس المصرية بالقدس
أنشأها الأمير تنكر الناصري نائب الشام سنة ٧٢٩ هـ وهي مدرسة عظيمة ليس في مدارس القدس أقن
من بنائها ، وهي بجانب باب الحرم بجوار باب السلطنة مجاورة للسور من جهة الغرب ولا تزال عامرة
إلى الآن وهي مقر المحكمة الشرعية بالقدس . انظر خطط الشام لكرد على ج ٦ ص ١١٨ - ١١٩
في مدارس القدس . (٣) الزيادة عن طبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٠٤) . (٤) التكملة عن
الصفدي وأورد لصديقه ابن خطيب بيت الآبار ترجمة مسبوقة في ٨ صفحات من أخبار مصر وفتت فيه بهذا
الوصف منذ وفد على مصر سنة ٧٢٧ هـ على عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى وفاته في عهد الملك الناصر
حسن بن محمد بن قلاوون في جميع الوظائف الجليلة التي تولاهها بمصر . انظر الجزء السابع من أعيان مصر
قسم ٢ ص ٣٢٥ - ٣٢٨

وتُوفِّي الشيخ تقي الدين إبراهيم ابن الشيخ بدر الدين محمد بن ناهض بن سالم ابن نصر الله الحلبي الشهير بابن الضَّيِّير بحلب عن بضع وستين سنة . وكان فقيها بارعا سَمِعَ الحديث وجمَعَ وحَصَلَ وكتب كثيرا من الإنشاء والعلم والأدب .

وتُوفِّي الشريف زين الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن علي محمد بن علي الحسيني الحلبي نقيب الأشراف بحلب . كان رئيسا نبیلا من بيت رياسة وشرف . رحمه الله تعالى ^(١) .

وتُوفِّي الشيخ شرف الدين موسى بن بَكْكَ الإسرائیلی الطیب فی شِوَال . وكان بارعا في الطب مشاركا في غيره .

وتُوفِّي الشيخ الإمام الخطيب شهاب الدين أبو العباس أحمد ^(٢) [بن] القسطلاني خطيب جامع عمرو — رحمه الله — بمصر القديمة في ذی الحجة ، وكان دينا خيرا من بيت فضل وخطابة ، وقد تقدّم ذكر جماعة من آبائه وأقاربه .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم اثنتا عشرة ذراعا سواء . يبلغ الزيادة أربع وعشرون ذراعا ، قاله غير واحد ، وتَعرِبَت أما كن كثيرة من عِظَم زيادة النيل . والله أعلم .



اتمى الجزء العاشر من النجوم الزاهرة ويليه الجزء الحادى عشر
وأوله : ذكر سلطنة الملك المنصور محمد على مصر

(١) انظر ترجمة مطولة لهذا الشريف في تاريخ حلب للطباخ (ج ٥ ص ٣٠ — ٣١) .

(٢) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٣٣) (١) .



تنبيه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية والمدن والقرى المصرية القديمة وغيرها مع تحديد أماكنها من وضع العلامة المحقق المرحوم محمد رمزي بك الذي كان مفتشا بوزارة المالية وعضوا في المجلس الأعلى لإدارة حفظ الآثار العربية، كالتعليقات السابقة في الأجزاء الماضية ابتداء من الجزء الرابع . ولا يسعنا إلا أن نسأل الله جلّت قدرته أن ينزل على قبره شأبيب رحمته، وأن يجزيه الجزاء الأوفى على خدمته لله وأهله . وكانت وفاته — رحمه الله — يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ (٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ م) .

استدراكات

كان العلامة المحقق المرحوم محمد رمزي بك قد وصى أحد أفراد الأسرة قبل وفاته بهذه الاستدراكات ليُرسلها إلى دار الكتب المصرية لجاءتنا بطريق البريد بعد وفاته .

باب الصفا

ورد في الحاشية رقم ٣ صفحة ٩١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة أن باب الصفا كان واقعا تقريبا في النقطة التي يتقابل فيها شارع سوق المواشي بشوارع الفسطاط بمصر القديمة .

وبإعادة البحث تبين لي أن هذا الوصف خطأ . والصواب أن هذا الباب كان واقعا في السور البحري لمدينة الفسطاط على رأس الطريق التي كانت تمر في المنطقة التي بها اليوم جبانة السيدة نفيسة الجديدة فيما بين باب الصفا المذكور وأمتداد شوارع الأشرف والخليفة والركيبة حيث كانت تسير الطريق قديما بين الفسطاط والقاهرة . وقد بينا هذا الوصف فيما كتبناه عن هذا الباب في صفحة ٦٥٤ بالعدد الخامس من مجلة العلوم الصادرة في سنة ١٩٤٢ وعلى الخريطة المرفقة بالعدد المذكور .

شارع نجم الدين

ورد في الحاشية رقم ١ ص ٦٧ بالجزء السادس من هذه الطبعة ما يفيد أن شارع نجم الدين الممتد من جبانة باب النصر من الجنوب إلى الشمال منسوب إلى الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي الذي أنشأ مسجدا ظاهريا باب النصر سنة ٥٦٦ هـ على ما جاء في المقرئ ص ٤١٢ ج ٢ ثم جددت هذه التسمية نسبة إلى الشيخ صالح المحتش نجم الدين أبي الغنائم محمد بن أبي بكر الشافعي المشهور بغنائم السعودي صاحب الزاوية التي في نهاية هذا الشارع من الجهة البحرية .

العش

ورد بالحاشية رقم ٣ ص ٢٦١ بالجزء السابع من هذه الطبعة أن ناحية العش التي وُلِد بها الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بضواحي القاهرة هي الناحية التي تعرف اليوم باسم منية شين إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية بمصر .

وبإعادة البحث تبين لى أن هذا الإرجاع خطأ، والصواب أنه من الاطلاع على كتاب الانتصار لابن دقاق ظهر لى أن ناحية العش هي ناحية أخرى كانت واقعة غربى البركة المعروفة بالعكرشة ، وبما أن حوض العكرشة لا يزال موجودا ومعروفا تحت رقم ٤٧ بأراضي ناحية أبى زعبل وشرق سكنها تبين لى من ذلك أن ناحية العش التي وُلِد بها الملك السعيد بركة خان بضواحي القاهرة هي التي تسمى اليوم كفر الشيخ سعيد بجوار سكن ناحية أبى زعبل بمركز شين القناطر ومن توابعها .

حلوان

ورد فى الحاشية رقم ٢ صفحة ٩٠ بالجزء التاسع من هذه الطبعة ما يفيد أن حلوان البلد أنشأها عبد العزيز بن مروان على النيل فى سنة ٦٧ هجرية والصواب أنه أنشأها فى سنة ٧٠ هجرية بعد أن اشترى أرضها من أهلها فى تلك السنة .

وورد فى الحاشية المذكورة أن مدينة حلوان الحمامات أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٢ هجرية -- ١٨٧١ ميلادية . والصواب أن هذا التاريخ هو تاريخ إنشاء الحمامات لأنها كانت أنشئت هى والفندق ونقطة البوليس فى السنة المذكورة فى الخلاء ، قبل أن تبنى مدينة حلوان الحمامات التى فى الجبل بمدة أربع سنوات .

وأما مدينة حلوان الحمامات ذاتها فقد أنشأها الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٥ هجرية -- ١٨٧٤ ميلادية وقد تكلمنا على ذلك فى الرسالة التى طبعناها عن مدينة حلوان فى مجلة العلوم سنة ١٩٤٤ .

فهرس الولاءة الذين تولوا مصر

من سنة ٨٦٩٠ هـ - إلى سنة ٨٧٠٩ هـ

(م)

المظفر وكن الدين بيسر بن عبد الله المنصوري الجاشنكير

٢٣٢ - ٢٨٢ سنة ٨٧٠٩ هـ

المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري سلطان

الديار المصرية ٨٥ - ١١٤ من سنة ٦٩٦ - ٦٩٧ هـ

(ن)

الناصر أبو الفتح وأبو المعالي ناصر الدين محمد ابن السلطان

الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى النجمى الألفى -

ولاية الأولى ٤١ - ٥٤ سنة ٦٩٣ هـ

ولاية الثانية ١١٥ - ٢٣١ من سنة ٦٩٨ - ٨٧٠ هـ

(١)

الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين

قلاوون الألفى الصالحى النجمى ٣ - ٤٠ من سنة ٦٩٠ -

٨٦٩٢ هـ

(خ)

خليل = الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون .

(ع)

العادل زين الدين كيتخا بن عبد الله المنصوري التركى المفلئ سلطان

الديار المصرية ٥٥ - ٨٤ من سنة ٦٩٤ - ٨٦٩٥ هـ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٩٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .